

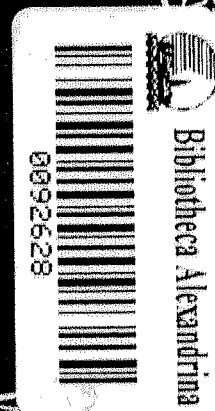
مصارع العشاق

تأليف

الشيخ أبي محمد جعفر بن أحمد بن الحسين السراج القاري



دار صادر
بيروت



8
0

مصارع العشاق

١

مصارع العشاق

تأليف

الشيخ أبي محمد جعفر بن أحمد بن الحسين السراج القارئ

المجلد الأول

دار صادر
بيروت

الشيخ أبو محمد القارىء

٤١٧ - ٥٠٠ هـ (١٠٢٦ - ١١٠٦ م)

هو جعفر بن أحمد بن الحسين السراج ، كنيته أبو محمد ، ولقبه القارىء . ولد في بغداد وتوفي فيها في ٢١ صفر . وكان علامة زمانه : له التصانيف العجيبة منها كتاب «مصارع العشاق» حدث عن كثيرين وأخذ عنه كثيرون وله شعر حسن . هذا كل ما استطعنا الوصول إليه من ترجمته . وانه في صورته المختصرة لكاف لأن يعرفنا أن مترجمنا كان من المحدثين الذين أخذ عنهم كثيرون ؛ وكان كذلك شاعراً . وقد أثبت لنفسه في «مصارع العشاق» مقطوعات كثيرة غزلية نحا فيها منحنى الأقدمين في أغراضهم ومعانيهم وذكر منازل العر .

وإن ما توخاه من اسناد كل رواية رواها إلى عدة محدثين ومخبرين ليدلنا على سعة اطلاعه وعنايته في أن يجعل قارئه على ثقة من صحة ما يروي له .

وقد جمع من الروايات كل ما يتعلق بالعشاق الذين صرعهم الحب على أنواعهم ، وربما وجدنا نحن اليوم فيها ما لا يمكن العقل ان يقبله : كرواية الزاغ الذي كان «من وسطه إلى أعلاه رجلاً» ومن وسطه إلى أسفل صورة الزاغ ذنباً ورجلاً» وما أنشده هذا الغراب الصغير « بلسان فصيح طلق » من شعر وصف به نفسه فقال : « أنا الزاغ أبو عجوه ... الخ » وكروايات مصارع عشاق الجن ، وهاتف الجبل الذي دلّ بيتين أنشدهما على المكان الذي مات فيه العاشقان اللذان فُقدوا واختفى أثرهما ، وغيرها من حوادث الموت السريع على أثر شهقة عاشق أو شهقتها العاشقة .

ورواياته خليط من جاهلي واسلامي وأموي وعباسي وكلها تزيه بسوده العفاف وخوف الله وعذاب الآخرة . حتى ان الذي يحتوي شيئاً من روح التراخي الاخلاقي ينتهي بالتوبة إلى الله واستغفاره ، جلّ جلاله ، وطلب مراحمه .

والروح الدينية والترعة الصوفية مسيطرتان على كثير من القصص ، كشأنهما

في مصارع عشاق الله ، عزّ وجلّ ، وذكر كراماتهم ومصارع عشاق الجنان وغيرها ؛ والشعر المرويّ نزيه كله لا نستثني إلا أربعة أبيات في أحدها وصف يشبه وصف النايغة للمتجردة .

وهذا الكتاب في أصله منسوخ في اثنين وعشرين جزءاً ، قدم مؤلفها لكل جزء منها بمقطوعة شعرية غزلية من نظمه فرأينا أن نجمع الأبيات التي قدم بها لأجزائه ، بعد هذه المقدمة ، لئلا يضيع شيء مما هو في الأصل .
وربما وجد القارئ بعض قصص مكررة أشرنا في الشرح إلى تكرّرها ، وجعلنا لكل رواية وحكاية ومقطوعة منفردة عنواناً مأخوذاً من موضوعها أو منها ، وفصلنا الإسناد عن القصة لاعتقادنا ان كثيرين من القراء يرغبون عن قراءته ، ويهمهم ان يتناولوا القصة رأساً دون أن يمرّوا به .
وقصارى القول ان كتاب مصارع العشاق من الكتب التي تستهوي القراء بما فيها من قصص ملؤها المتعة واللذة والسلوى .

كرم البستاني

وها هي الأشعار التي صُدّر بها كلّ جزء من أجزاء هذا الكتاب وعددها إحدى وعشرون مقطوعة إذ ان الأبيات التي وضعها المؤلف في الجزء التاسع عشر هي نفسها التي وضعت في الجزء العشرين :

هذا كتابُ مصارعِ العُشّاقِ صرّعتهمُ يوماً نوّى وقرّاقِ
تصنيفُ من لدغِ الفراقِ فوادَه وتطلّبَ الرّاقِي فعزّ الرّاقِي
فإذا تصفّحه اللبيبُ رثى لهم ، أسرى الهوى أيسوا من الإطلاقِ

* * *

مصارعُ العاشقينَ صرّعتهمُ هوى الطّباءِ الفواترِ الحنّديّ
تصنيفُ من صدّه تصوّثُه عن كشفِ ما في الفوادِ من حرقِ
فهو يسيرُ الهوى ويكتّمه ، والقلبُ قد تاه منه في طرُقِ

• • •

مَصَارِعُ العُشَاقِ مَجْمُوعَةٌ فِيهَا لِمَنْ يقرأها عِبْرَةٌ
جَمَعَ عَفِيفُ الحَبِّ يَطوي الهَوَى
غَرَامُهُ ثَاوٍ مَقِيمٌ ، وَإِنْ أَعَدَمَهُ ، يَوْمَ النَّوَى ، صَبْرَهُ

* * *

كِتَابُ مَصَارِعِ أَهْلِ الهَوَى وَمَنْ فَتَكَتْ فِيهِ أَيْدِي النَّوَى
تَكَلَّفَ تَصْنِيفَهُ عَاشِقٌ عَفِيفُ الضَّمائِرِ جَمَّ الجَوَى
أَصْلٌ بَرَمَلِ اللُّوَى قَلْبَهُ ، فَهَلْ نَاشِدٌ قَلْبَهُ بِاللُّوَى

* * *

مَصَارِعُ قَتْلِي مِنَ العَاشِقِيَّةِ نَ مَا لِيَدِيائِهِمْ طَالِبُ
تَكَلَّفَ جَمَعَ أَحَادِيثِهِمْ عَفِيفُ هَوَى ، وَجَدُهُ غَالِبُ
سَقَاهُ الهَوَى صِرْفَ صَهْبَائِهِ ، فَأَصْبَحَ سَكْرَانًا الشَّارِبُ

* * *

كِتَابُ صَرَعِي الهَوَى وَقَتْلَاهُ وَمَنْ صَحَا مِنْهُمْ وَسَكْرَاهُ
تَصْنِيفُ مَنْ كَادَ أَنْ يُشَارِكَهُمْ لَكِنْ وَقَاهُ بِفَضْلِهِ اللهُ
فَضَمَّ مَا مُنُوا بِهِ طَرَفًا بِعَجْبُ قَارِيهِ حِينَ يَقْرَاهُ

* * *

مَصَارِعُ مَنْ جَارَتْ يَدُ البَيْنِ وَالنَّوَى عَلَيْهِمْ ، فَأَضْحَوْا فِي دِيَارِهِمْ صَرَعِي
دِمَاؤُهُمْ مَطْلُولَةٌ قَدْ أَبَاحَهَا لِأَحْبَابِهِمْ شَرَعُ الهَوَى ، حَبِيدًا شَرَعَا
تَدْرَعَتْ مِنْ نَبْلِ الهَوَى الصَّبْرَ جُنَّةً فَجَاءَتْ سِيهَامٌ مِنْهُ أَنْفَذَتْ الدُّرْعَا

* * *

كِتَابُ مَصَارِعِ قَوْمٍ سَقُوا كَوْوَسَ الْهَوَىٰ مُتْرَعَاتٍ دِهَاقًا
شَكُّوا صِرْفَهَا طَالِبِينَ الْمِزَا جَ فَشِيْبَتَ عَلَى الرَّغْمِ مِنْهُمْ فِرَاقًا
جَمَعْنَا أَحَادِيثَ صَرَْعَاهُمْ ، وَسَكَرَاهُمْ فِيهِ ، لَا مِنْ أَفَاقًا

* * *

مَصَارِعُ أَبْنَاءِ الْهَوَىٰ جَمْعُ عَاشِقٍ تَجَرَّعَ مِنْ رَاحِ الْهَوَىٰ مَا تَجَرَّعَا
فَلَمَّا رَأَى الْقَوْدَيْنِ قَدْ حَلَّ فِيهِمَا الذِّ مَشِيْبُ مَتِيحًا وَالْمَفَارِقِ ، أَقْلَعَا
وَأَضْحَى مُصِيْحًا لِلنَّذِيرِ الَّذِي عَلَا مَفَارِقَهُ يَنْعَى الشَّبَابَ الْمَوْدَعَا

* * *

كِتَابُ مَنْ دَارَتْ كَوْوَسُ الْهَوَىٰ عَلَيْهِ صِرْفًا ، لَيْسَ فِيهَا مِرَاجُ
فَصَرَْعَتُهُمْ إِذْ حَسَّوْهَا ، فَهَمُّ مَرَضِي يُنَادُونَ : أَلَا مِنْ عِلَاجُ
تَصْنِيفُ مَنْ شَارَكْتَهُمْ فِي الْهَوَىٰ ، فَلَيْتَهُ مِمَّا لَقُوا الْيَوْمَ نَسَاجُ

* * *

مَصَارِعُ اللَّابِسِينَ قُمْصَ هَوَىٰ ضَمَّتْ عَلَيْهِمْ كُلُّ يَجْرُرْهَا
تَصْنِيفُ مَنْ ذَاقَ مِنْ سُلَافَتِهِ الصَّفْوَةَ وَمَا فَاتَهُ مُكْدَرُهَا
يَطْوِي أَحَادِيثَ وَجْدِهِ ، وَدَمُو عُ الْعَيْنِ فِي فَيْضِهِنَّ تَنْشُرُهَا

* * *

كِتَابُ تَضَمَّنَ أَخْبَارَ مَنْ أَطَاعَ الْهَوَىٰ وَعَصَى الْعُدْلَا
فَلَمَّا تَمَكَّنَ مِنْ قَلْبِهِ أَعَادَ حَلَاوَتَهُ حَنْظَلَا
تَكَلَّفَ تَصْنِيفَهُ عَاشِقُ ، سَلَا الْعَاشِقُونَ وَمَا إِنْ سَلَا

* * *

مَصَارِعُ أَقْوَامٍ تَوَالَّتْ عَلَيْهِمْ كَوْسُ هَوَى مَمْرُوجَةٍ بِفِرَاقِ
فَمَالُوا سَكَارَى مَا لَهُمْ مِنْ إِفَاقَةٍ إِلَى حَيْنِ شَمْلِ جَامِعٍ وَتَلَاقِي
رَأَى لَهُمْ، مِمَّا لَقُوا، عَاشِقٌ أَبْتُ تَجْفُ لَهُ، بَعْدَ الْفِرَاقِ، مَا قِي

* * *

كِتَابُ مَصَارِعِ مَنْ جَهَّزَتْ بِظُلْمٍ عَلَيْهِ النَّوَى جُنْدَهَا
جَمَعْنَاهُ لَمَّا سَقَانَا الْهَوَى أَفَاوِيْقَ لَمْ نَسْتَطِيعْ رَدَّهَا
وَسَقْنَا أَحَادِيثَ مَنْ جَاوَزَتْ بِهِ فَجَعَاتُ النَّوَى حَدَّهَا

* * *

كِتَابُ مَصَارِعِ الْعُشَا قِ مِنْ عُرْبٍ وَمِنْ عَجَمِ
لِيَعْتَبِرَ الْخَلِيئُ بِمَا لَقُوا شُكْرًا عَلَى النَّعَمِ
مُصَنَّفُهُ عَفِيفٌ هَوَى مَصُونٌ غَيْرُ مُشْتَهَمِ

* * *

مَصَارِعُ أَبْنَاءِ الْهَوَى كُلُّ عَاشِقٍ رَمَاهُ الْهَوَى عَنْ قَوْسِهِ فَأَصَابَا
رَأَى لَهُمْ مَنْ خَافَ يَلْقَى الَّذِي لَقُوا، فَأَلْفَ فِي مَا قَدْ لَقُوهُ كِتَابَا
وَجَمَعَ مِنْ أَخْبَارِهِمْ فِي هَوَاهُمْ أَحَادِيثَ مِثْلَ الرَّوْضِ جِيدَ سَحَابَا

* * *

كِتَابُ جَمَعْتُ بِهِ كُلَّ مَا تَفَرَّقَ مِنْ قِصَصِ الْعَاشِقِينَ
وَكَنتُ أَلْوَمُهُمْ دَائِبًا فَصِرْتُ لَهُمْ أَحَدَ الْعَاذِرِينَ
فَكَمْ عَاشِقٍ ذَاقَ يَوْمَ النَّوَى وَقَدْ غَرَّدَ الْحَادِيَانِ الْمَتُونَا

* * *

كِتَابٌ جَمَعْنَا بِهِ عَابِثِينَ مَصَارِعَ مَنْ قَتَلَ الْحُبَّ صَبْرًا
إِذَا مَا تَصَفَّحَهُ سَالِمٌ مِّنَ الْحَبِّ أَخْلَصَ لِلَّهِ شُكْرًا
جَمَعْنَاهُ صَاحِينَ حَتَّى إِذَا خَبَرْنَاهُ مِلْنَا مِنَ الْحَبِّ سُكْرًا

* * *

كِتَابٌ تَضَمَّنَ أَبْوَابَهُ مَصَارِعَ قَتَلَى مِنَ الْعَاشِقِينَ
سَقَاهُمْ سُلَافَتَهُ مَازِجًا هَوَاهُ فَمَالُوا لَهُ خَاضِعِينَ
غَرَامٌ تَلُومُ الْعَيُونُ الْقُلُوبَ فِيهِ وَتَلْحَى الْقُلُوبُ الْعَيُونَا

* * *

مَصَارِعُ قَتَلَى لِلْهُوَى صَرَعَتْهُمْ سُلَافَتُهُ يُسْقَوْنَ صَافِيهَا صِرْفًا
يَنْهَمُ عَقِيفٌ ظَلَّ يَكْتُمُ وَجْدَهُ فَنَمَّ عَلَيْهِ مَاءُ أَجْفَانِهِ وَكَفْنَا
جَمَعْتُ كِتَابًا فِي مَصَارِعِهِمْ إِذَا تَصَفَّحَهُ ذُو اللَّبِّ رَقَّ لَهُمْ تَلْفَنًا

* * *

قَدْ صَنَّفَ النَّاسُ فِي أَهْلِ الْهُوَى كُتُبًا فِي مَنْ صَحَا بَعْدَ سُكْرِ مَنْهُ أَوْ عَطَبَا
وَأَكْثَرُوا غَيْرَ أَنِّي قَدْ جَمَعْتُ لَهُمْ وَمَا اخْتَصَرْتُ كِتَابًا رَاقِيًا عَجَبَا
ذَكَرْتُ فِيهِ بِإِسْنَادٍ مَصَارِعَهُمْ عُنْجَمًا وَجَدْتُهُمْ فِي النَّاسِ أَوْ عَرَبَا

١ قوله تلفا : هكذا في الأصل .

المؤمنون يسأل ما هو العشق

رَبُّ يَسْرُرُ . رَبُّ أَعِينُ

المؤمنون يسأل ما هو العشق

أخبرنا أبو علي محمد بن الحسين الجازري بقراة عليه قال : حدثنا أبو الفرج المعافى بن زكرياء
الجزيري قال : حدثنا محمد بن الحسن بن زياد المقرئ قال : حدثنا أحمد بن يحيى
ثعلب قال : حدثنا أبو العالية الشامي قال :

سأل أمير المؤمنين المأمون يحيى بن أكثم عن العشق ما هو ؟ فقال : هو
سوانح تسنح للمرء ، فيهتم بها قلبه ، وتؤثرها نفسه .

قال : فقال له ثمامة : اسكُت يا يحيى إنما عليك أن تجيبَ في مسألة
طلاق أو في مُحَرِّمٍ صادٍ ظيماً أو قتلَ نَمَلَةٍ ، فأما هذه فمساءلتنا نحن .

فقال له المأمون : قُلْ يا ثمامة ، ما العشق ؟

فَقَالَ ثَمَامَةُ : العشق جليسٌ مُمْتَعٌ ، وأليفٌ مُؤَنَسٌ ، وصاحبٌ مُلْكٌ
مَسَالِكُهُ لَطِيفَةٌ ، ومَدَاهِبُهُ غَامِضَةٌ ، وأحكامُهُ جَائِزَةٌ ، مَلِكٌ الأَبْدَانِ
وأرواحها ، والقلوبَ وخواطرها ، والعيونَ وتواظرها ، والعقولَ وآراءها ،

مَنْ عَشِقَ وَكْتَمَ وَعَفَّ وَصَبَرَ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ ، ثُمَّ
أَنشَدْنَا لِنَفْسِهِ :

انظُرْ إِلَى السَّحْرِ يَجْرِي فِي لَوَاحِظِهِ ، وانظر إلى دَعَجٍ فِي طَرَفِهِ السَّاجِي^١
وانظر إلى شَعْرَاتٍ فَوْقَ عَارِضِهِ كأنَّهُنَّ نِيْمَالٌ دَبَّ فِي عَاجِ^٢
وَأَنشَدْنَا لِنَفْسِهِ :

مَا لَهُمْ أَنْكُرُوا سَوَادًا بِجُحْدٍ ه ، وَلَا يُسْكِرُونَ وَرَدَ الْغُصُونِ
إِنْ يَكُنْ عَيْبٌ خَدَهُ بُدَدَ الشَّعْرُ ر ، فَمَعَيْبُ الْعِيُونِ شَعْرُ الْجُفُونِ^٣
فَقُلْتُ لَهُ : نَفَيْتَ الْقِيَاسَ فِي الْفَقْهِ ، وَأَثَبْتَهُ فِي الشَّعْرِ . فَقَالَ : غَلَبَةُ الْهَوَى ،
وَمَلَكَةُ النُّفُوسِ دَعَا إِلَىهِ .
قَالَ : وَمَاتَ فِي لَيْلَتِهِ أَوْ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي .

العاشق الشهيد

أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي الحافظ قال : حدثنا أبو الحسن علي بن أيوب القمي قال : حدثنا
محمد بن عمران قال : حدثني محمد بن أحمد بن مخزوم قال : حدثني الحسن بن علي الأشعري
وأحمد بن محمد بن مسروق قالا : حدثنا سويد بن سعيد قال : حدثنا علي بن مسهر عن أبي
يحيى القنات عن مجاهد عن ابن عباس قال :

قال رسولُ اللهِ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : مَنْ عَشِقَ فَظْفِرَ فَعَفَّ
فَمَاتَ مَاتَ شَهِيدًا .

١ الدعج : سواد العين مع سمتها . الساجي : الساكن .

٢ العارض : صفحة الخد .

٣ قوله : بدد الشعر : أي متفرقه ، أو أنه جمع بدة : النصب ، فيكون المعنى أن عيب خده نصيبه ،
أي حظه من الشعر الثابت عليه .

سقراط والعشق

أخبرنا أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي قال : وأخبرنا أبو عمر محمد بن العباس قال : حدثنا أبو بكر بن المرزبان قال :

قال سقراط الحكيم : العشق جنون ، وهو ألوانٌ كما أن الجنون ألوان .

العاشق التقي

أخبرنا الشيخ الصالح أبو طالب محمد بن علي بن الفتح المشاري بقراة عليه قال : أخبرنا أبو الحسين محمد بن عبد الله القطيبي إجازة قال : حدثنا جعفر بن محمد بن نصير الخالدي قال : حدثنا أحمد بن محمد بن مسروق قال : حدثنا محمد بن الحسين قال : حدثنا سويد بن سعيد أبو محمد قال :

سمعت علي بن عاصم يقول : قال لي رجلٌ من أهل الكوفة من بعض إخواني : ألا أريك فتى عاشقاً ؟ قال : بلى ، والله ، فإتني أسمع الناس ينكرون العشقَ وذهابَ العقل فيه ، وإتني لأُحب رؤيته ، فعِدني يوماً أجيءُ معك فيه . قال : فوعده يوماً فمضينا فأنشأ صاحبي يحدثني عن نُسكِهِ وعبادته ، وما كانَ فيه من الاجتهاد ، قلت : ويمن هو متعلق ؟ قال : بجاريةٍ لبعض أهلِهِ كان يَخْتَلِفُ إِلَيْهِمْ ، فوَقَعَتْ في نَفْسِهِ ، فسألهم أن يبيعوها منه ، فأبوا ، وبذل لهم جميعَ ملكه ، وهو سبعمائة دينار ، فأبوا عليه ضِراً وحَسَداً أن يكون مثلها في ملكه ، فلما أبوا عليه ، بعثتُ إليه الجارية ، وكانت تحبُّ حباً شديداً : مُرِنِي بِأَمْرِكَ ، فوالله لأُطِيعَنَّكَ ولأَنْتَهيَنَّ إلى أَمْرِكَ في كلِّ ما أَمَرْتَنِي بِهِ . فأرسلَ إليها : عَلَيْكَ بِطَاعَةِ اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ ، فإنَّ عَلَيْهَا الْمُعْوَلَ والسَّكُونَ إليها ، وبِطَاعَةِ مَنْ يَمْلِكُ رِقْلَكَ ، فإنَّهَا مضمومةٌ إلى طاعةِ رَبِّكَ ، عزَّ وجلَّ ، ودَعِيَ الفِكرَ في أَمْرِي لعلَّ الله ، عزَّ وجلَّ ، أن يجعلَ لنا فرجاً يوماً من الدهر ، فوالله ما كنتُ بالذي تطيبُ نفسي بِسَبِيلِ شيءٍ

أحبّه أبداً في ملكي ، فأمنّعه ، أمّدت يدي إليه حراماً بغير ثمن ، ولكن أستعين بالله على أمري ، فليكن هذا آخر مرسلتك إليّ ، ولا تعودني فإنني أكرهه والله أن يراني الله تعالى ، وأنا في قبضته ، ملتصقاً بامرأ يكرهه مني ، فعليك يتقوى الله ، فإنها عاصمة لأهل طاعته ، وفيها سلو عن معصيته : قال : ثمّ لزم الاجتهاد الشديد ، ولبس الشعر وتوحد ، فكان لا يدخل منزله إلا من ليل إلى ليل ، وهو مع ذلك مشغول القلب بذكرها ما يكاد يفارقه ، فوالله ما زال الأمر به حتى قطعه ، فهو الآن ذاهب العقل وآله في منزله .

قال : ثمّ صرنا إلى الباب واستأذنا فأذن لنا . قال عليّ : قد دخلت إلى دار قوراء سيرية ، وإذا أنا يشاب في وسط الدار على حصير متزير بإزار ومرتد بأخر . قال : فسلمنا عليه ، فلم يرد علينا السلام ، فجلسنا إلى جنبه ، وإذا هو من أجمل من رأيت وجهاً ، وهو مطرق ينكت^٢ في الأرض ، ثم ينظر إلى ساعده ، ثم يتنفس الصعداء ، حتى أقول قد خرجت نفسه ، وهو مع ذلك كالخلال من شدة الضر الذي به .

قال : فالتفت ، فإذا أنا بوردة حمراء مشدودة في عضده ، قال : فقلت لصاحبي : ما هذه ؟ فوالله ما رأيت العام ورداً قبل هذه ! فقال : أظنّ فلانة ، وسماها ، بعثت بها إليه ، فلما سماها رقع رأسه فنظر إلينا ثمّ قال :

جعلت من وردتها تميمية في عضدي^٣
أشمها من حبها إذا علاني كمني

١ قوراء : واسعة .

٢ ينكت : يضرب الأرض بشيء .

٣ تميمية : عود .

فَمَنْ رَأَى مِثْلِي فَتَى بِالْحَزَنِ أَضْحَى مِرْتَدِي
أَسْقَمَهُ الْحَبُّ، فَقَدِ صَارَ حَلِيفَ الْأَوْدِ
وَصَارَ سَهْوًا دَهْرُهُ مُقَارِنًا لِلْكَمْدِ

قال: ثم أطرقَ ، فقلتُ: الساعةَ ، والله ، يموتُ . قالَ علي بن عاصم :
وَوَرَدَ عَلِيٌّ مِنْ أَمْرِهِ مَا لَمْ أَتَمَّاكُ ، وَقُمْتُ أُجْرَ رِدَائِي ، فَوَاللَّهِ مَا بَلَغْتُ
الْبَابَ حَتَّى سَمِعْتُ الصَّرَاخَ فَقُلْتُ : مَا هَذَا ؟ فَقَالُوا : مَاتَ وَاللَّهِ ! قَالَ عَلِيٌّ :
فَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَا أُبْرِحُ حَتَّى أَشْهَدَهُ . قَالَ : وَتَسَامِعُ النَّاسُ فِجَاؤُوا بِطَبِيبٍ فَقَالَ :
خَلَدُوا فِي أَمْرِ صَاحِبِكُمْ ، فَقَدْ مَضَى لِسَبِيلِهِ ، فَغَسَلُوهُ وَكَفَّنُوهُ وَدَفَنُوهُ ،
وَانصَرَفَ النَّاسُ .

فقال لي صاحبي : امض بنا ! فقلتُ : امضِ أُنْتِ فَإِنِّي أُرِيدُ الْجُلُوسَ
ههنا ساعة ، فمضى ، فما زلتُ أبكي وأعتبرُ به . وأذكرُ أهلَ حَبَّةِ اللَّهِ ، عزَّ
وجلَّ ، وما هم فيه . قال : فبينما أنا على ذلك ، إذا أنا بجارية قد أقبلتُ كأنها
مَهَاةٌ ، وهي تُكثِرُ الالْتِفَاتَ ، فقالت لي : يا هذا ! أينَ دُفِنَ هذا الفتي ؟
قال عليٌّ : فرأيتُ وجهاً ما رأيتُ قبْلتهُ مثْلتهُ ، فأومأتُ إلى قبره ؟ قال : فذهبتُ
إليه ، فوالله ما تركتُ على القبرِ كثيرَ تُرَابٍ إِلَّا أَلْقَيْتُهُ عَلَى رَأْسِهَا ، وجعلتُ
تَتَمَرَّغُ فِيهِ ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهَا سَمِوتُ ، فما كان بأسرعَ من أن طَلَعَ قَوْمٌ
يَسْعَوْنَ حَتَّى جَاؤُوا إِلَيْهَا ، فَأَخَذُواهَا ، وجعلوا يَضْرِبُونَهَا ، فَقَسَمْتُ لِإِيْهِمْ فَقُلْتُ :
رِفْقًا بِهَا ، بِرَحْمَتِكُمْ اللَّهُ ! فقالت : دَعَهُمْ أَيُّهَا الرَّجُلُ يَبْلُغُوا هِمَّتَهُمْ ،
فوالله لا انتَفَعُوا بي بعدَه أيامَ حَيَاتِي ، فَلَيْسَ صَنَعُوا بي ما شاؤُوا .
قال عليٌّ : فإذا هي التي كان يحبُّها الفتي ، فانصرفتُ وتركتها .

رواية ثانية عن العاشق التقي

أنبأنا القاضي أبو القاسم علي بن المحسن قال : أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس بن حيويه قراءة عليه قال : أخبرنا أبو بكر محمد بن خلف بن المرزبان إجازة قال : أخبرني عبد الله بن نصر المروزي قال : أخبرني عبد الله بن سويد عن أبيه قال : سمعت علي بن عاصم يقول :

قال لي رجلٌ من أهل الكوفة من بعض إخواني : هل لك في عاشقٍ تراه ؟ فمضيتُ معه ، فرأيتُ فيَّ كأنما نُزِعَتِ الرُّوحُ من جَسَدِهِ ، وهو مُوتَزِرٌ بإزارٍ ومُرْتَدٌ بآخر ، وإذا هو مُفَكَّرٌ ، وفي ساعده وَرْدَةٌ ، فذكرنا له بيتاً من الشعرِ ، فَتَهَيَّجَ ، وقال ... وذكرَ الأبياتَ المتقدِّمةَ الخمسةَ ، ثم أطرقَ ، فقلنا : ما شأنه؟ فقالوا : عاشقٌ جارِيَةٌ لِبعضِ أهلِهِ فأعطى بها كُلَّ ما يملكُ ، وهو سبعمائة دينار ، فأبوا أن يبيعوها . فنزلَ به ما ترى ، وَفَقَدَ عقلَه .

قال : فخرجنا فلبثنا ما شاءَ الله ، ثم ماتَ فحضرتُ جنازَتَه ، فلما سُوِّيَ عليه ، إذا أنا بجاريةٍ تسألُ عن القبرِ ، فدَلَّكْتُها ، فما زالتُ تبكي وتأخذُ الترابَ فتجعلُه في شعرها ؛ فبينما هي كذلك إذا قومٌ يسعون فأقبلوا عليها ضرباً ، فقالت : شأنُكم ، والله لا تتنفعون بي بعده أبداً .

عاتبوه في سفك دمي !

ولي^١ من أبيات :

عاتبوه اليومَ في سفكِ دمي فعسى عتبكم يُحشمُه
ثمَّ قولوا للذي لم يُخطني إذ رمى ، صائبةً أسهمُه :
أحلالٌ لك في شرعِ الهوى دمٌ من ليسَ حلالاً دمه ؟
بي جرحٍ في فؤادي من هوى شادنٍ اعوزني مرهممه

١ قوله لي : أي للوئف نفسه .

مجنون دير هرقل

أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد الأردستاني بقراءتي عليه بمكة في المسجد الحرام، بباب الندوة، في سنة ست وأربعين وأربعمائة قال : أخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب قال : حدثنا أبو الفضل جعفر بن محمد بن الصديق بنسف قال : حدثنا أبو يعلى محمد بن مالك الرقي قال : حدثنا عبد الله بن عبد العزيز السامري قال :

مررتُ بديرِ هرقل أنا وصديقٌ لي ، فقال لي : هل لك أن تدخل فترى من فيه من ملاح المجانين ؟ قلت : ذلك إليك . فدخلنا فإذا بشاب حسن الوجه ، مُرَجِّلِ الشعر ، مكحول العين ، أزج^٢ الخواجب ، كأنَّ شعرَ أجنانهِ قوادم^٣ النَّسورِ ، وعليه طلاوةٌ تعلوها حلاوةٌ ، مشدودٌ بسلسلتهِ إلى جدار ، فلما بصُرنا قال : مرحباً بالوفد ، قربَ اللهُ ما نأى منكما ، بأبي أنتما . قلنا : وأنت ، فأمتعَ اللهُ الخاصَّةَ والعامَّةَ بقربك ، وآنس جماعة ذوي المروءة بشخصك ، وجعلنا وسائرَ من يحبك فداءك .

فقال : أحسنَ اللهُ عن جميلِ القولِ جزاءكما ، وتولَّى عني مكافأتكما . قلنا : وما تصنع في هذا المكان الذي أنت لغيره أهل ؟ فقال :

اللهُ يعلمُ أنني كَمِيدٌ ، لا أستطيعُ أبثُّ ما أجد
نفسانِ لي : نفسٌ تضمَّنتها بَلَدٌ ، وأخرى حازها بَلَدٌ
أما المُقيمةُ ليس ينفَعُها صَبْرٌ ، وليس بقربها جَلَدٌ ؛
وأظنَّ غائبتي كشاهدتي ، بإمكانها تجِدُ الذي أجدُ

١ ١٠٥٤ م .

٢ أزج : دقيق .

٣ القوادم : ريشات الجناح الكبيرة .

٤ قوله : أما المقيمة ليس : حذف الفاء من جواب اما مراعاة للوزن ، وهذا خطأ نحوي .

ثمّ التفتَ إلينا فقالَ : أحسنتُ ؟ قلنا : نعم ! ثمّ ولّينا ، فقال : بأبي
أنتم ما أسرعَ ملككم ، بالله أعيروني أفهامكم وأذهانتكم . قلنا : هات !
فقال :

لما أناخوا ، قُبَيْلَ الصُّبْحِ ، عَيْسَهُمْ ،
وَرَحَلُوهَا ، فَسارتْ بِالهُوى الإِبِلُ^١
وَقَلَّبْتِ ، مِنْ خِلالِ السَّجْفِ ، ناظِرَها ،
تَرْنُو إِيَّيَّ وَدَمَعُ العَيْنِ مُنْهَمِلِ^٢
فَوَدَّعَتْ بَيْنانِ عَقْدُها عَنَمٌ^٣ ،
نَادَيْتُ لا حَمَلْتِ رِجلاكِ يا جَمَلِ^٤
وَيْلي مِنَ البَيْنِ ! ماذا حلَّ بي وبِها؟
يا راحِلَ العَيْسِ عَرَّجْ كَيْ أودَّعَها ؛
يا نازِحَ الدَّارِ حلَّ البَيْنُ وارْتَحَلوا
يا راحِلَ العَيْسِ في تَرَحالِكَ الأَجَلُ
فلَيْتَ شعري ، وطالَ العَهْدُ ، ما فعلوا؟
إنِّي على العَهْدِ لم أنقضِ مودَّتكم ،

فقلنا ، ولم نعلم بحقيقة ما وصف ، مجوناً منّا : ماتوا ! فقال : أقسمت
عليكم ! ماتوا ؟ قلنا ، لننظر ما يصنع : نعم ! ماتوا . قال : إنّي والله ميّتٌ
في أثرهم ، ثم جذب نفسه في السلسلة جذبةً دلّغَ منها لسانه ، وندرت^٤ لها
عيناه ، وانبعثت شفتاه بالدماء ، فتلبط ساعة ، ثم مات . فلا أنسى ندامتنا على
ما صنعنا .

- ١ العيس : كرام الإبل ، الواحدة عيساء . رحلوها : يريدون وضعوا الرحال على ظهورها ،
أو جعلوها ترحل . والرحال الواحد رحل ، وهو للجمل كالسرج للفرس .
٢ السجف : الستران بينهما فرجة .
٣ عقدها : أي عقد عليها . العنم : شجر له ثمرة حمراء يشبه بها البنان المخضب ، الواحدة عنمة .
٤ قدرت عينه : خرجت من مجمرها .

هند المحرمة

أخبرنا القاضي أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي بقراءتي عليه ستة ثلاث وأربعين وأربعمائة ١ ،
قال : أخبرنا أبو الحسن علي بن عيسى بن علي النحوي قال : حدثنا أبو بكر محمد بن الحسن
ابن دريد قال : حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي قال : حدثنا عبد العزيز بن أبي سلمة عن
أيوب السختياني عن ابن سيرين قال :

قال عبد الله بن عجلان النهدي في الجاهليّة :

ألا إنَّ هِنْدًا أَصْبَحَتْ مِنْكَ مَحْرَمًا : وَأَصْبَحَتْ مِنْ أَدْنَى حُمُوتِهَا حَمَى ٢
وَأَصْبَحَتْ كَالْمَقْمُورِ جَفْنَ سِلَاحِهِ يُقَلَّبُ بِالْكَفَّيْنِ قَوْسًا وَأَسْهُمَا
وَمَدَّ بِهَا صَوْتَهُ حَتَّى مَاتَ .

المجنون الشاعر

أخبرنا أبو علي الحسن بن محمد بن عيسى بقراءتي أو قراءة عليه بمصر قال : أخبرنا أبو الحسن
أحمد بن محمد بن القاسم بن مرزوق قال : أخبرنا إبراهيم بن علي بن إبراهيم البغدادي
قال : حدثنا محمد بن يحيى قال : حدثنا أحمد بن إساعيل قال : حدثني المبرد قال :

خرجتُ أنا وجماعة من أصحابي مع المأمون ، فلما قربنا من نحو
الزَّرقَةِ فإذا نحن بدير كبير فأقبل إليّ بعض أصحابي فقال : ميلٌ بنا إلى هذا
الدير لننظرَ مَنْ فيه ، ونحمدَ الله ، سبحانه ، على ما رزقنا من السلامة . فلما
دخلنا إلى الدير رأينا مجانين مغلولين ، وهم في نهاية القَدَارَةِ ، فإذا منهم شابٌّ
عليه بقيّة ثيابٍ ناعمة ، فلما بصُرُّ بنا قال : من أين أنتم يا فتیان ، حياكم الله ؟

١ سنة ١٠٥١ م .

٢ أي أصبحت أدنى الناس قرابة إليها . وفي الأغاني : ان هذا الشعر لرجل طلق امرأته فتزوجها
أخوه فهو يقول : انه أصبح أخا زوجها بعد ما كان زوجها .

فقلنا : نحن من العراق . فقال : يا بأبي العِراقُ وأهلُها! باللهِ أنشدوني أو أنشدُكم ؟ فقال المبرّد: والله إنَّ الشَّعرَ من هذا لطريفٌ . فقلنا: أنشدنا ! فأنشأ يقول :

اللهُ يعلمُ أنّي كَميدُ لا أستطيعُ أبثُ ما أجيدُ
روحانٍ لي : رُوحٌ تضمَّنَها بلدٌ، وأخرى حازها بلدُ
وأرى المقيمةَ ليس ينفَعُها صبرٌ ، ولا يقوى بها جسدُ
وأظنُّ غائبتي ، كشاهدتي ، بإمكانها تجيدُ الذي أجيدُ

قال المبرّد : إنَّ هذا لطريفٌ ، واللهِ زدنا ! فأنشأ يقول :

لَمَّا أناخُوا قُبَيْلَ الصُّبْحِ عَيْسَهُمْ وَرَحَلُوا ، فسارت بالهوى الإبلُ
وأبرزت من خِلالِ السَّجْفِ ناظِرَها ترنو إليّ ودمعُ العينِ مُنْهَمِلُ
وودّعتُ بَيْنانِ عَقْدُها عَنَّمْ ، ناديتُ لاحتملت رجلاك يا جَمَلُ!
ويلى من البينِ ! ماذا حلَّ بي وبها ، من نازلِ البينِ حانَ الحينُ وارتحلوا!
يا راحلَ العيسِ عَجَلْ كي تُودِّعَها ! يا راحلَ العيسِ في ترحالك الأجلُ!
إنّي على العهدِ لم أنقضِ مودّتهم ، فليت شعري لطولِ العهدِ ما فعلوا ؟
فقال رجلٌ من البُغضاء الذين معي : ماتوا ! قال : إذا فأموت . فقال
له : إن شئت . قال : فتمطّى واستندَ إلى السارية^٢ التي كان مشدوداً فيها
فما برحنا حتى دفنّاه .

١ حان : قرب أوانه . الحين : الهلاك .

٢ السارية : العمود .

فراقية ابن زريق

أخبرنا أبو الحسين محمد بن علي بن محمد بن الحجاز القرشي الأديب بالكوفة ، وأنا متوجه إلى مكة سنة إحدى وأربعين وأربعمائة بقراتي عليه ، قال : حدثنا أبو الحسن علي بن حاتم بن بكير البزاز التكريتي بتكريت قال :

حدثني بعض أصدقائي أن رجلاً من أهل بغداد قصدَ أبا عبد الرحمن الأندلسي وتقرَّب إليه بنسبه ، فأراد أبو عبد الرحمن أن يبلِّوه^١ ويختبره ، فأعطاه شيئاً نزرأ^٢ ، فقال البغدادي : إنَّا لله وإنا إليه راجعون ! سلكتُ البراري والبحارَ والمهامه^٣ والقفارَ إلى هذا الرجل فأعطاني هذا العطاء النزر ؟ فانكسرتُ إليه نفسه واعتلَّ فمات .

وشغِلَ عنه الأندلسي أياماً ، ثمَّ سأل عنه فخرجوا يطلبونه ، فانتهوا إلى الخان الذي كان فيه وسألوا الخانيَّة عنه ، فقالت : إنَّه كان في هذا البيت ، ومذ أمس لم أره ، فصعدوا فدفَعوا الباب ، فإذا بالرجل ميتاً ، وعند رأسه رُقعةٌ فيها مكتوب :

لا تَعْدُلِيهِ ، فإنَّ العَدْلَ يولِعُهُ قد قَلتِ حقّاً ، ولكن ليس يسمعه^٤
جاوَزتِ في نَصْحِهِ حدّاً أضْرَبَ بِهِ من حيثُ قَدَرْتِ أن النَصْحَ ينفعه
قد كان مضطليعاً بالخطبِ يحمِلُهُ ، فضلَّعتُ بخطوبِ البينِ أضلَّعه^٥

١ سنة ١٠٤٩ م .

٢ يبلوه : يجربه .

٣ نزرأ : قليلاً .

٤ المهامه ، الواحد المهمة : المغازاة البعيدة .

٥ هذه القصيدة هي لأبي الحسين علي بن زريق البغدادي ، وقد أطلق عليها اسم : فراقية ابن زريق ، لأنه يذكر فيها فراقه لزوجه التي كان كلفاً بها ورحل إلى الاندلس في طلب الرزق . وهي قصيدة طويلة لم يذكر هنا إلا قسم منها . يولعه : يغريه .

٦ مضطلع ، من اضطلع بالأمر : نهض به وقوي عليه .

ما آبَ مِنْ سَفَرٍ إِلَّا وَأَزْعَجَهُ ۚ وَأَزْعَجَهُ ۚ عَزَمَ إِلَى سَفَرٍ بِالرَّغْمِ يُزْمِعُهُ ١
 كَأَنَّمَا هُوَ فِي حَلٍّ وَمُرْتَحِلٍ ۚ مُوَكَّلٌ بِقَضَاءِ اللَّهِ يَنْدِرِعُهُ
 أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ ، فِي بَغْدَادِ ، لِي قَمَرًا ۚ بِالكَرْخِ مِنْ فَلَائِكَ الْأَزْرَارِ مَطْلَعُهُ ٢
 وَكَمْ تَشَفَّعَ بِي أَنْ لَا أَفَارِقَهُ ، وَلِلضَّرُورَاتِ حَالٌ لَا تُشَفِّعُهُ ٣
 وَكَمْ تَشَبَّثَ بِي يَوْمَ الرَّحِيلِ ضُحَى ، وَأَدْمَعِي مُسْتَهْلَاتٌ وَأَدْمَعُهُ
 أُعْطِيتُ مَلَكًا فَلَمْ أَحْسِنِ سِيَاسَتَهُ ، وَكُلُّ مَنْ لَا يَسُوسُ الْمُلْكَ يَخْلَعُهُ
 وَمَنْ غَدَا لِبِئْسَ ثَوْبَ النَّعِيمِ بِلَا شُكْرِ عَلَيْهِ ، فَعَنهُ اللَّهُ يَنْزِعُهُ
 قَالَ لَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْجَازِ وَزَادَنِي أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ الْمُتَصَوِّفِ :
 وَالْحَرِصُ فِي الْمَرْءِ ، وَالْأَرْزَاقُ قَدْ قَسَمَتْ ، بَغْيٌ ؛ أَلَا إِنَّ بَغْيَ الْمَرْءِ يَصْرَعُهُ
 لَوْ أَنِّي لَمْ تَقَعْ عَيْنِي عَلَى بَلَدٍ فِي سَفَرَتِي هَذِهِ إِلَّا وَأَقْطَعَهُ
 اعْتَضْتُ مِنْ وَجْهِ خَلْتِي ، بَعْدَ فِرْقَتِهِ ، كَأَسَا تَجَرَّعَ مِنْهَا مَا أُجْرَعُهُ
 فَلَمَّا وَقَفَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَلَى هَذِهِ الْآيَاتِ بَكَى حَتَّى اخْتَضَلَتْ لِحْيَتُهُ ،
 وَقَالَ : وَدِدْتُ أَنْ هَذَا الرَّجُلُ حَيٌّ وَأَشَاطِرُهُ نِصْفُ مَلِكِي . وَكَانَ فِي رُقْعَةٍ
 الرَّجُلُ : مَتْرَلِي بِيغْدَادَ فِي الْمَوْضِعِ الْمَعْرُوفِ بِكَذَا ، وَالْقَوْمُ يُعْرِفُونَ بِكَذَا ،
 فَحُمِّلَ إِلَيْهِمْ خَمْسَةُ آلَافِ دِينَارٍ وَسُقْفُتَجَّةٌ ، وَحَصَلَتْ فِي يَدِ الْقَوْمِ وَعَرَفْتَهُمْ
 مَوْتَ الرَّجُلِ .

١ آب : رجع ، عاد . أزعجه : ألقه ، وقلعه من مكانه . يزمه : يثبت عليه .

٢ الكرخ : سوق في بغداد على الضفة الثانية من دجلة كانت فيها الحمامات . وقوله : فلك الازرار ،
استعار الفلك لحبيب قميص الموصوف الطالع وجهه من بين ازراره وجعل الازرار كنجوم لهذا
الفلك ، وفي البيت استعارة مجردة واستعارة مرشحة .

٣ تشفعه : تقبل شفاعته .

٤ السفتجة : هي أن تعطي مالا لرجل فيعطيك خطأ يمكنك من استرداد ذلك المال من عبيل له في
مكان آخر .

مجنون على الدرب

أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد الأردستاني في المسجد الحرام بباب الندوة بقراءتي عليه قال :
حدثنا الحسن بن محمد بن حبيب المذكور قال : سمعت أبا الفرج أحمد بن محمد بن بيان النهاوندي
يقول :

مررت بدرب أبي خَلَفَ ، فإذا جماعةٌ * وُقوفٌ على مجنون فوقفت ،
فهشَّ إليّ وقال :

سَقَّيْ قَبْلَ تَبَارِيحِ الْعَطَشِ ! إِنَّ يَوْمِي يَوْمٌ طَشٌ بَعْدَ رَشٍ^١
حُبٌّ مَن أَهْوَاهُ قَدْ أَدْهَشَنِي ؛ لَا خَلَوْتُ الدَّهْرَ مِنْ ذَاكَ الدَّهْشِ

لحم على وضم

ولي في نسيب قصيدة مدحتُ بها أحد بني عُقَيْلٍ ، رحمه الله ، بالشام :
قَالَتْ ، وَقَدْ قَوَّضَتْ خِيَامُهُمْ^٢ وَاسْتَسَلَمُوا لِلنَّوَى بِيْذِي سَلَمٍ^٣
لِلسَائِقِ الْمُسْتَحِثِّ : رُدَّ عَلَى الْوَاقِفِ السَّلَامَ وَاسْتَقِيمَ^٣
فَصِيحْتُ وَجَدًّا ، وَالْبَيْنُ مُبْتَسِمٌ^٤ ، أَلْقَاهُ مِنْ مَفْرَقِي يَمْبُتْسِمِي :
اللَّهُ يَا سَلَمَ فِي صَرِيحِ هَوَى أَبْقَيْتَ مِنْهُ لِحْمًا عَلَى وَضَمٍ^٤

١ تباريح العطش : شدته وتوجهه . الطش : المطر الخفيف . الرش : المطر القليل .

٢ قوَّضت : هدمت . ذو سلم : موضع .

٣ المستحث : المرع .

٤ سلم : مرخم سلمى . الوضم : الخشب الذي يقطع عليه اللحم .

عقربا الصدغين

ولي أيضاً من نسيب قصيدة مدحتُ بها بعضَ الرؤساء ببغداد :

يا خَلِيلِي اكشِيفَا عَن قِصَّتِي تَجِدَا نِضْوًا مِّنَ الحَبِّ لَمَقًا
فَأَدَالَ اللهُ ، يَا يَوْمَ النَّوَى ، مِثْلَكَ ، إِذْ أَقْلَقْتَنِي يَوْمَ اللِّقَا
إِنَّ فِي نَهْرِ المَعْلَى فَرَهْدًا قَمَرًا مِّنْ فَوْقِ غِصْنٍ فِي نَقَا
عَقْرَبَا صُدْغِيهِ تَسْرِي ، فَإِذَا لَدَغْتَ قَلْبًا تَحَامَتَهُ الرَّقَى^٣

قبر النديم

أخبرنا أبو القاسم المحسن بن حمزة بن عبيد الله الوراق بقراءتي عليه بتتيس قال : حدثنا أبو علي الحسين بن علي الديلمي قال : حدثنا أبو بكر أحمد بن علي قال : حدثنا أبو بكر بن دريد قال : حدثنا عبيد النعماني غلام أبي الهذيل قال :

انصرفتُ من جنازةٍ من مسجد الرضَى في وقت الهاجرة ، فلما دخلتُ سِكَكَ البصرة اشتدَّ عليَّ الحرُّ فتَوَخَّيتُ سَكَّةً ظَلِيلَةً فَاضْطَجَعْتُ عَلَيَّ بَابَ دَارٍ ، فَسَمِعْتُ تَرَنُّمًا يَجْذِبُ القَلْبَ ، فَطَرَقْتُ البَابَ وَاسْتَسْقَيْتُ مَاءً فَإِذَا فَتَى اجْتَهَرَنِي جَمَالُهُ ، إِلَّا أَنْ أَثَرَ العِلَّةِ وَالسُّقْمِ عَلَيْهِ بَيِّنٌ ، فَأَدْخَلَنِي إِلَى خَيْشٍ نَظِيفٍ ، وَفَرَشَ سَرِيَّهُ ، فَلَمَّا اطْمَأْنَنْتُ خَرَجَ الفَتَى وَمَعَهُ وَصِيفَةٌ^٦ مَعَهَا طُسْتُ مَاءً وَمُنْدِيلٌ ، فَغَسَلَتْ رِجْلِيَّ

١ النضو : المهزول . اللقا : المطروح .

٢ الفرهد : الغلام المثلئ حسناً . النقا : القطعة من الرمل المحدودية .

٣ قوله عقربا صدغيه تسري : كان الوجه أن يقول تسريان . الرق : السحر .

٤ اجتهرني جماله : راعني جماله .

٥ الخيش : ثياب رقاق النسج غلاظ الخيوط تتخذ من مشاقة الكتان . السري : الجيد .

٦ الوصيفة : الفتاة دون المراهقة .

وأخذت ردائي ونعلي، وانصرفت، فلبثتُ يسيراً فإذا جاريةٌ أخرى وقد جاءت بطستٍ وماء، فقلت : قد غسلتُ يدي . فقالت : إنما غسلتَ رجلك ، فاغسل الآن يديك للغداء . وإذا الفتى قد أقبلَ ضاحكاً ليؤنسني ، وأنا أعرفُ العبرة في عينيه، وأني بالطعام فأقبلَ يأكلُ كأنه نغصُ بما يأكله ، وهو في ذلك يبسطني .

فلما انقضى أكلنا أتينا بِشِرابٍ فشربَ قدحاً وشربتُ آخرَ ، ثم زفرَ زفرةً ظننتُ أن أعضائه قد نُقِصتْ ، وقال لي : يا أخي ! إن لي نديماً ، قم بنا إليه ! فقمتُ وتقدمني ، ودخلَ مجلساً ، فإذا قبرٌ عليه ثوبٌ أخضر ، وفي البيت رملٌ مصبوبٌ ، ففعد على الرملِ، وطرحَ لي مُصَلّي ، فقلت : والله لا قعدتُ إلا كما تقعدُ ، وأقبلَ يرددُ العبراتِ ثم شرب كأساً وشربتُ وأنشأ يقول :

أطأ التراب، وأنتَ رهنُ حَفيرةٍ ، هالتُ يدايَ على صدك تراي^١
 إنني لأعذر من مشي إن لم أطأ بجفونِ عيني ما حَييتَ جنابها
 لو انَّ جمرَ جَوَانِحِي مُتَلَبَّسٌ^٢ بالنَّارِ أطفأ حرَّها وأذابها
 ثم أكبَّ على القبرِ مغشياً عليه ، فجاءه غلامٌ بماء فصبَّهُ على وجهه ،
 فأفاق فشرِب ثم أنشأ يقول :

اليومَ ثابَ لي السرورُ لأنني أيقنتُ أنني عاجلاً بكَ لاحقٌ^٣
 فغداً أقاسمُكَ الليلَ ، ويسوقُني طوعاً إليك ، من المنيةِ ، سائقُ
 ثم قال لي : قد وجبَ حقي عليك فاحضر غداً جنازتي ! قلت : يُطيلُ

١ نغص : اضطرب .

٢ هال التراب : صبه . صدك : جثتك .

٣ ثاب : رجع وعاد .

الله عمرك . قال : إنني ميتٌ لا محالة . فدعوتُ له بالبقاء فقال : لقد عَقَقْتَنِي ،
ألا قلت :

جاور خليلك مُسْعِداً في رَمْسِهِ ، كَيْما يَنالُكَ في البلى ما نالَه
فانصرفتُ وطالت عليَّ ليلتي ، وغدوتُ فإذا هو قد مات .

مريض مطوح

أخبرنا أبو علي محمد بن أبي نصر الأندلسي بصر من لفظه قال : أخبرنا أبو محمد علي بن محمد
الحافظ بالأندلس قال : أخبرنا أبو مروان عبد الملك بن أبي نصر السمدي قال : قال أبو النصر
مسلمة بن سهل : حدثني أبو كامل مؤمل بن صالح البغدادي قال :

قال أبو شراعة : بينا أنا أمشي بالبادية ناحية السماوة مُصْعِداً إذا بِفَتَى
من الأعرابِ ملوحٍ الجسمِ معرُوقه ، عليه قُطَيْرِيتان^١ ، وهو مُحْتَضِنٌ صَبِيًّا^٢
يقول له : إذا حاذيتَ آياتِ آلِ فلان ، فارفعِ صَوْتَكَ منشداً بهذه الأبيات ،
ولك إحدى بُرْدَتَيَّ هاتين . فجعلَ يكرِّرها عليه ليحفظَها فَحَفِظَها :

مريضٌ بأفناءِ البيوتِ مُطَوِّحٌ ، أبا ما بهِ من لاعيحِ الشوقِ يبرحُ^٣
يقولون : لو جئتَ النطاسيَّ علَّ ما تشكاهُ من آلامِ وجدكِ يُمصِّحُ^٤
وليسَ دواءَ الداءِ إلاَّ بجيلةٍ أضرَّ بنا فيها غرامٌ مُبرِّحُ^٤
إذا ما سألناها وصالاً تُنِيلُهُ فصمُّ الصفا منها بذلك أسمحُ^٤
فتبعتُ الصببيَّ ، وهو لا يشعر بي ، فلما حاذها رفعَ عقيرته بالأبيات

١ قوله قطيريتان : لم نعر على هذه اللفظة في المعاجم ولعلها تعني ضرباً من الثياب كالبرود .

٢ مطوح : مضجع . لاعيح : نار .

٣ النطاسي : الطبيب الحاذق . يمصح : يذهب ويتقطع .

٤ الصفا : الحجارة .

يُنشدها ، فسمعت من بعض الأبيات قائلاً يقول :

رعى الله من هام الفؤادُ بحبه ، ومن كيدت من شوقٍ إليه أطيرُ
لشئٍ كثرت بالقلبِ أبراحُ لوعته ، فإن الوشاة الحاضرين كثيرُ
يمشون ، يستشرون غيظاً وشيرةً ، وما منهم إلا أبلٌ غيورُ
فإن لم أزرُ بالجسم رهبة مرصدٍ ، فبالقلب آتني نحوكم فتأزورُ
فرجع بها الصبيُّ إليه ، فنبعثه ، فأنشده إياها فسقط مغشياً عليه ، ثم
أفاق بعد لأي ، وهو يقول :

أظنَّ هوى الخودِ الغريرةِ قاتلي ؛ فيا ليت شعري ما بنو العمِّ صنعُ
أراهم ، وللرحمنِ درٌّ صنيعهم ، تراكى دمي هدراً ، وخاب المضيّعُ

حيَّ على البهم

أخبرنا أبو بكر الأردستاني بقراءتي عليه بمكة في المسجد الحرام قال : أخبرنا أبو عبد الرحمن
السلمي قال : حدثنا أحمد بن سعيد قال : حدثنا محمد بن سعيد قال : حدثنا عباس الترقفي
قال : حدثنا عبد الله بن عمرو قال : حدثنا الحسن بن علي قال : حدثنا أبو غياث البصري
عن إبراهيم بن محمد الشافعي قال :

بينما ابن أبي ملبية يؤذّن إذ سمع الأخضر الجدي يتغنى في دار العاص بن

١ الأبراح ، الواحد برح : الشر والأذى .

٢ يمشون : يمدون ويخاصمون . يستشرون غيظاً : يتفاقم غيظهم وشرهم .

٣ المرصد ، من أرسده : وضعه على الطريق للمراقبة .

٤ الخود : الشابة الحسنة . الغريرة : التي لا تجربة لها .

٥ هدراً : ضياعاً .

وائل ويقول :

صغيرين نرعى بهم ، يا ليت أننا إلى الآن لم تكبر ، ولم تكبر بهم^١
قال : فأسرع في الأذان ، فأراد أن يقول : حي على الصلاة ، فقال : حي
على بهم ، حتى سمعه أهل مكة ، فجاء يعتذر إليهم .

موت عروة بن حزام

أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بالشام قال : أخبرنا أبو الحسين بن روح قال :
حدثنا الملق بن زكرياء قال : حدثني علي بن سليمان الأخفش قال : أخبرنا محمد بن يزيد
قال : حدثني مسعود بن بشر المازني قال : حدثنا العتيبي عن أبيه عن رجل عن هشام بن
عروة عن النعمان بن بشير بن سعد الأنصاري قال :

وليت صدقات بني عذرة ، قال : فدفعت إلى فتى تحت ثوب ،
فكشفت عنه ، فإذا رجل لم يبق منه إلا رأسه ، فقلت : ما بك ؟ فقال :

كان قطة علقته بجانحها ، على كبدي من شدة الحفان
جعلت لعراف اليمامة حكمه ، وعراف نجد إن هماً شقياني^٢
ثم تنفس حتى ملأ منه الثوب الذي كان فيه ، ثم خمد ، فإذا هو قد مات ،
فأصلح من شأنه ، وصليت عليه ، فقيل لي : أتدري من هذا ؟ هذا عروة
ابن حزام .

١ البهم : صغار البقر والمعز والضأن .

٢ عراف اليمامة : هو رباح بن عجلة . وعراف نجد : هو الأبلق الاسدي . ولفظة عراف تعني الذي
يدعي معرفة الأمور بمقتضات أسباب يستدل بها على وواقمها ، وتطلق أيضاً على الطبيب ، وهو المراد
هنا .

ذو الرمة ورسيس الهوى

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن علي الصوري الحافظ فيما أذن لنا في روايته قال : أخبرنا أبو محمد عبد الغني بن سعيد الحافظ قال : حدثني جعفر بن هارون بن رباب قال : حدثني عبد الله بن أبي سعد قال : حدثنا يزيد بن محمد بن المهلب بن المغيرة المهلبى قال : حدثني عبد الصمد بن المعتل عن أبيه عن جده غيلان بن الحكم قال :

وَفَدَّ عَلَيْنَا ذُو الرُّمَّةِ ، وَنَحْنُ بِبِكِنَاسَةِ الكَوْفَةِ ، فَأَنشَدَنَا قَصِيدَتَهُ الحَائِثِيَّةَ ، فلما انتهى إلى قوله :

إِذَا غَيَّرَ النَّأْيُ المَحْبِينَ لَمْ يَكْدُ رَسِيسُ الهَوَى مِنْ حُبِّ مَيَّةَ يَبْرَحُ^١
قال له ابن شبرمة : أراه قد بَرَحَ . ففكَّرَ ثمَّ قال : لَمْ أَجِدْ .
رسيس الهوى ، مِنْ حُبِّ مَيَّةَ يَبْرَحُ

فرجعتُ بحديثهم إلى أبي الحكم البُحْثَرِيِّ ، من المختار ، فقال : أخطأ ابنُ شبرمة حين ردَّ عليه ، وأخطأ ذو الرُّمَّة حيثُ قبل منه ، لإتِّماتِ هذا كقول الله عز وجل^٢ : إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْدُ بِرَاهَا ، أي لم يرها ولم يكدُ .

موت الصوفي عاشق الغلام

أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن سعيد بمصر بقرامقي عليه قال : حدثنا أبو صالح السمرقندي الصوفي قال : حدثنا الحسين بن القاسم بن أليسع قال : حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن عمرو الدينوري قال : حدثنا أبو محمد جعفر بن عبد الله الصوفي الخياط قال :

قال أبو حمزة : رأيتُ معَ محمد بن قَطَنَ الصوفي غلاماً جميلاً ، فكانا لا يفترقان في سفر ولا حَضَرَ ، فمكثنا بذلك زمناً طويلاً ، فماتَ الغُلامُ ، وكمِدَ عليه محمد بن قَطَنَ ، حتى عاد جليداً وَعَظْماً ، فرأيتُهُ يوماً ، وقد

١ رسيس الهوى : بقيته وأثره .

خرجَ إلى المقابر ، فاتَّبَعْتُهُ ، فَوَقَفَ على قَبْرِه قائماً يبكي ، وينظر إليه والسماءُ
تُمَطِّيرُ بِالْمَطَرِ ، فما زالَ واقفاً من وقتِ الضُّحَى إلى أن غَرَبَتِ الشَّمْسُ لم
يرح ولم يجلس ، وبدُّهُ على خدِّه ، فانصرفتُ عنه ، وهو كذلك واقفاً ، فلما
كان من الغدِ خرجتُ لأعرف خبره ، وما كان من أمره ، فصيرتُ إلى القبرِ ،
فإذا هو مكبوبٌ لوجهه مَيِّتٌ ، فدَعَوْتُ مَنْ كانَ بالحضرةِ فأعانوني على
حمله ، فغسلته وكفنته في ثيابه ودفنته إلى جانب القبرِ .

عاشق يخاف معصية الله

وأخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن سعيد بمصر أيضاً بإسناده قال :

قال أبو حمزة : ونظرَ محمد بن عبيد الله بن الأشعث الدمشقي ، وكان من
خيار عباد الله ، إلى غلامٍ جميل فغشيَ عليه ، فحُمِلَ إلى منزله ، واعتاده
السُّقْمُ حتى أُقْعِدَ من رِجْلَيْهِ ، فكان لا يقوم عليهما زمناً طويلاً ، فكنا
نأتيه ونعودُه ، ونسأله عن حاله وأمره ، وكان لا يُخبرنا بِقِصَّتِهِ ولا بِسَبَبِ
مرَضِهِ ، وكان الناسُ يَتَحَدَّثُونَ بِحديثِ نظره ، فبلغ ذلك الغلام ، فأتاه عائداً ،
فَهَشَّ إليه وتحرَّكَ وضحكَ في وجهه ، واستبشرَ برؤيته ، فما زالَ يعودُه
حتى قامَ على رِجْلَيْهِ ، وعاد إلى حالته . فسألهُ الغُلامُ يوماً المصيرَ إليه معه
إلى منزله ، فأبى أن يفعل ، فكلمتني أن أسأله أن يَتَحَوَّلَ إِلَيْهِ ، فسألته ، فأبى ،
فقلت : وما الذي تكره من ذلك ؟ فقال : لست بمعصومٍ من البلاءِ ، ولا آمنُ
من الفتنَةِ ، وأخافُ أن تَقَعَ عليَّ من الشيطانِ مِحْنَةٌ أو عند ظَفَرِ بفرصةٍ
فتَجْرِي بيني وبينه معصيةٌ فيحتجِبَ اللهُ عني يومَ تَظْهَرُ فيه الأسرارُ وَيُكشَفُ
فيه عن ساقٍ فأكونَ من الخاسرينَ .

ليلي العامرية ومجنونها

أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري قراءة عليه قال : أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس ابن حيويه الخزاز قراءة عليه قال : حدثنا محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدثني قاسم ابن الحسن بن العمري قال : قال الهيثم بن عدي : حدثنا عثمان بن عمار عن أشياخهم من بني مرة قال :

رحل رجل متاً إلى ناحية الشام مما يلي تيماء والشرارة في طلبِ بُغْيَةٍ له ، فإذا هوَ بِجَحِيمَةٍ قد رُفِعَتْ له ، وقد أصابهُ مَطَرٌ ، فعدل إليها ، فتنحج ، فإذا امرأةٌ قد كَلَّمَتْه ، فقالت له : انزل ، فنزل وراحت إبلهم وغنمهم فإذا أمرٌ عظيم ، وإذا رُعاءٌ كثير ، فقالت لبعض العبيد : سلوا هذا الرجل من أين أقبل ؟ فقلتُ : من ناحية اليمامة ونجد . فقالت : أي بلادِ نجد وطئت ؟ قلتُ : كلها . قالت : بمن نزلت هناك ؟ قلتُ : ببني عامرٍ ، فتنفست الصعداء ، وقالت : بأيّ بني عامر ؟ فقلتُ : ببني الحرّيش . فاستعبرت ، ثم قالت : هل سمعتَ بذكرٍ فتي يقال له قيسٌ ويلقبُ بالمجنون ؟ فقلت : إي والله ، ونزلتُ بأبيه ، وأتيتُه حتى نظرتُ إليه ، يهيمُ في تلكَ الفياقي ، ويكون مع الوحشِ لا يعقلُ ولا يفهمُ إلا أن تُذكرَ له ليلي فيسكي ، ويُنشدُ أشعاراً يقولها فيها .

قال : فرفعتِ السّترَ بيني وبينها ، فإذا شقّةٌ قمرٍ لم ترَ عيني مثلها ، فبكتُ وانتحبتُ حتى ظننتُ ، والله ، أن قلبها قد انصدع ، فقلتُ لها : أيتها المرأة ! اتقي الله ، فوالله ما قلتُ بأساً . فمكثتُ طويلاً على تلكَ الحالِ من البكى والتّحيبِ ثمّ قالتُ :

ألا ليتَ شعري ، وألحطوبُ كثيرةٌ ، متى رحلُ قيسٍ مُستقلٌ فراجعٌ
بنفسي من لا يستقلُّ برحله ، ومن هو ، إن لم يحفظ الله ، ضائعٌ

١ مستقل ، من استقل القوم : ارتحلوا .

ثم بكّت حتى غشي عليها ، فلما أفاقَت قلتُ . مَنْ أنتِ ، باللهِ ؟
قالتُ : أنا ليلي المشؤومةُ عليه ، غيرُ المساعدة له . فما رأيتُ مثلَ حُزْنِها
وَوَجْدِها ، فمضيتُ وتركتُها .

ردوا على المشتاق قلبه الجريح

ولي من نسيب قصيدة مدحت بها أمير المؤمنين المقتدي بأمر الله :

سَبَّحَتْ حينَ أبصرتَ من دموعي لُجَّ بِحَرِّ قَدِّ أَعْجَزَ السُّبَّاحَا
ثُمَّ قَالَتْ لِتِربِهَا ، في خَفَاءٍ : لَيْتَ هَذَا الفَتَى قَضَى فَاسْتِرَاحَا
أَيْهَا الرَّاحِلُونَ ! رُدُّوا عَلَيَّ الدُّمُ مَشْتَقِ قَلْبَا أَتُخَنَّتُمُوهُ جِرَاحَا
كَتَمَ الوَجْدَ جُهْدَهُ ، فَإِذَا الدَّمُ حُ بِأَسْرَارِ وَجْدِهِ قَدِّ بَاحَا
بَاعَكُمْ قَلْبَهُ الكَثِيبَ سَفَاهَا ، فَأَخَذْتُمْ رُقَادَهُ اسْتِرَاحَا

الرشيد وجارية زلزل

أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري قراءة عليه قال : حدثنا أبو عمر بن حيويه الخزاز
قال : حدثنا محمد بن خلف قال : أخبرني أبو العباس المروزي قال : حدثني المفضل قال :
حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصلي عن أبيه قال :

قال لي زلزل ، وكان اسمه منصوراً : عندي جاريةٌ من حالها ومن صفتها ،
قد علّمتمها الغناء . فكننتُ أشتهي أن أراها فأستحيي أن أسأله ، فلما تُوفّي

١ سفاهاً : جهلاً . استباحاً : طلباً للربح .

زلزل^١ بلغني أن ورثته^٢ يعرضون^٣ الجارية ، فصرت^٤ إليهم فأخرجوها ، فإذا جارية كاد الغزال أن يكونها لولا ما تم^٥ منها ونقص^٦ منه ، قال : قلت لها : غني صوتاً ! فجيء^٧ بالعود^٨ فوضع^٩ في حجرها ، فاندفعت^{١٠} تغني وتقول ، وعيناها تذر^{١١} فان :

أقفر^{١٢} من أوتاره^{١٣} العود^{١٤} فالعود^{١٥} للإقفار^{١٦} معمود^{١٧}
وأوحش^{١٨} المزمار^{١٩} من صوته^{٢٠} فما له^{٢١} بعدك^{٢٢} تغريد^{٢٣}
من^{٢٤} للمزامير^{٢٥} وسماعيها^{٢٦} وعامير^{٢٧} اللذات^{٢٨} مفقود^{٢٩}
والخمر^{٣٠} تبكي^{٣١} في أباريقها^{٣٢} والقينة^{٣٣} الحمصانة^{٣٤} الرود^{٣٥}

ثم شهقت^{٣٦} شهقة^{٣٧} ظننت^{٣٨} أن نفسها^{٣٩} قد خرجت^{٤٠} ، فركبت^{٤١} من ساعت^{٤٢}ي ، فدخلت^{٤٣} على أمير المؤمنين^{٤٤} فأخبرته^{٤٥} بخبر الجارية ، وما سمعت^{٤٦} منها ، فأمر^{٤٧} بإحضارها ، فلما دحخت^{٤٨} عليه قال لها : غني الصوت^{٤٩} الذي غنيت^{٥٠} به إبراهيم ! فغنت^{٥١} وجعلت^{٥٢} تريد^{٥٣} البكي^{٥٤} فيمنعها^{٥٥} إجلال^{٥٦} أمير المؤمنين^{٥٧} ، فرحمها^{٥٨} وأعجب^{٥٩} بها ، فقال : أمحبين^{٦٠} أن أشتريك^{٦١} ؟ فقالت : يا سيدي أما إذ خيرتني^{٦٢} فقد وجبت^{٦٣} نصحك^{٦٤} علي^{٦٥} ، والله لا يشتريني^{٦٦} أحد^{٦٧} بعد^{٦٨} زلزل^{٦٩} فيتفجع^{٧٠} بي . فقال : يا إبراهيم ! أتعلم^{٧١} بالعراق^{٧٢} جارية^{٧٣} جمعت^{٧٤} ما جمعت^{٧٥} هذه ؟ إن وجدت^{٧٦} فاشترها^{٧٧} بشطر مالي ! فقلت : لا والله يا أمير المؤمنين ولا على وجه الأرض . فأمر^{٧٨} بشرائها^{٧٩} وأعتقها^{٨٠} وأجرى^{٨١} عليها رزقاً

١ المعمود : المضي ، الشديد الحزن .

٢ القينة : المغنية . الحمصانة : الضامرة البطن . الرود ، سهل رؤد : الشابة الحسنة .

اطلبوا نفسي

أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن طاهر الدقاق بقرآتي عليه قال : أخبرنا الأمير أبو الحسن أحمد بن محمد بن المكتفي بالله قال :
أنشدنا جحظةً لنفسه :

ويح نفسي عهدي بها في التراقي ، قبلَ يومِ الفِراقِ ، عند الفِراقِ
اطلبوها في حيثُ كنّا اعتنقنّا ، هلكت في اشتغالنا بالعِناقِ

وجهك أظرف

أخبرنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن حسنون النرسي بقرآتي عليه قال : أخبرنا أبو حاتم محمد ابن عبد الواحد بن محمد اللبان الرازي قال : حدثنا أبو محمد بيان بن يزداد القمي إجازة قال :
أنشدني أحمد بن محمد القمي المؤدّب :

يرآك الفؤادُ بعينِ الهوى ، وعينُ المحبّةِ لا تخلفُ
إذا غيبتَ عن ناظرِ المقلتيّ نِ قلبي يراك وما يطرفُ
تمكّنَ في القلبِ من حبّكم عيونٌ من الحبّ ما تنزفُ
فمن يكُ من حبه سالياً ، فإني من حبّكم مُدنفُ
كلامٌ رخيّمٌ ودلٌّ مليحٌ ، ووجهك من كلِّ ذا أظرفُ

العيون المدعج

أنبأنا أبو بكر أحمد بن علي الشروطي قال : أخبرنا علي بن أيوب القمي قال : حدثنا محمد ابن عمران قال : حدثنا ابن دريد قال : حدثنا أبو عثمان سعيد بن هارون الاشناندي قال : أخبرني التوزي قال :

سمعت أبا عبيدة يقول : قال رجل من بني فزارة لرجل من عذرة : تعدّون موتكم من الحبّ مزيةً، أي فضيلةً ، وإنما ذلك من ضعف البنية، ووهن العقيدة ، وضيق الروية . فقال العذري : أما لو أنكم رأيتم المحاجر البلج ترشق بالاعين المدعج من فوقها الحواجب الزج، والشفاة السمر تفرّ عن الثنايا الغرّ ، كأنها سرد الدرّ، بلعلتموها اللات والعزى^١، ودفعتم الإسلام وراء ظهوركم .

صريح الغواني

أنبأنا أحمد بن علي قال : حدثنا علي بن أيوب قال : حدثنا محمد بن عمران قال : حدثنا إبراهيم بن محمد بن عرفة عن أبي العباس محمد بن يزيد المبرد :

أنّ مسلم بن الوليد الأنصاري لما وصل الرشيد في أول يوم لقيته أنشده قصيدته التي يصف فيها الخمر ، وأولها :
أديراً عليّ الكأس لا تشربنا قبلي ، ولا تطلبا من عند قاتلي ذحلي^٢

١ المحاجر ، الواحد محجر : وقب العين . البلج ، من البلج : وهو نقاوة ما بين الحاجبين .
المدعج ، من المدعج : سواد العين مع سمها . الزج : الدقيقة . الغر : البيضاء . سرد : نظم .
اللات والعزى : إلهتان من آلهة الجاهلية الكاذبة .
٢ ذحلي : ثأري .

فاستحسنَ ما حكاةَ من وصفِ الشرابِ واللّهوِ والغَزَلِ وسمّاهُ يومئذِ صرِيحَ
الغواني بآخر بيتٍ منها وهوَ :
هل العيشُ إلاّ أن تروحَ مع الصبّا ، وتغدو صرِيحَ الكأسِ والأعينِ النُّجْلِ^١

غليل ودموع

أخبرنا أبو بكر الأردستاني بقرامتي عليه في المسجد الحرام بباب الندوة قال : أخبرنا ابن
حبيب المذكر قال :

دخلت دار المرضي بنيسابور فرأيت شاباً من أبناء النعم ، يقال له أبو
صادق السكري ، مشدوداً ، وهو يُجلبُ ويصيح ، فلما بصُرَ بي قال :
أتروي من الشعر شيئاً ؟ قلت : نعم ! قال : من شعر مَنْ ؟ قلت : من
شعر مَنْ شئت . قال : من شعر البحري ؟ قلتُ : أي قصيدة تريد ؟ فقال :
المتعُ برقِ سري أم ضوءُ مصباحِ أم ابتسامتها بالمنظرِ الضاحي ؟
فأنشدته القصيدة ، فقال : أفأنشدك قصيدة ؟ قلتُ : نعم ! فأخذ في إنشاد قصيدته :
أقصرًا ! إن شأني الإقصارُ ، وأقلاً لا ينفعُ الإكثارُ
حتى بلغ قوله :

إن جرى بيننا وبينك عتبٌ ، أو تناءت منا ومنك الديارُ
فالغليلُ الذي عهدت مُقيمٌ ، والدموعُ التي شهدت غزارُ^٢
ففقّرَ وجعلَ يرقص في قيده ويصيح إلى أن سقط مغشياً عليه .

١ الأعين النجل : الواسمة الحسنة .

٢ الضاحي : البارز للشمس .

٣ الغليل : حرارة الحب .

عبد الله بن جعفر وجاريتہ

وجدت بخط أحمد بن محمد بن علي الانبوسي ، ونقلته من أصله ، قال : حدثنا أبو محمد علي ابن عبد الله بن المغيرة قال : حدثني جدي قال : حدثني عمي قال : حدثني علي بن أبي مریم قال : حدثنا محمد بن الحسين قال : حدثني بكر بن إسحاق النجلي قال : حدثنا أبو سهل محمد ابن عمر الأنصاري عن محمد بن سيرين قال :

نظرَ عبدُ الله بن جعفر إلى جاريتٍ له كان يحبُّها حبًّا شديدًا وهي تلاحظُ مولاه فسألها : بالله هل تحبين فلانًا؟ فقالتُ : أعيدُكَ بالله يا سيدي ! قال فسألها : بالله لا تكسميني ذلك ! فسكتتُ فأعتقها ودعاها فزوّجها إياه . قال : ثم إن نفسه تتبعتها فدعا مولاه فقال : أتنزّل عنها ولك عشرةُ آلاف درهم ؟ قال : لا والله ، ولا مائة ألف درهم . قال : بارك الله لك فيها ! قال فأعرض عنها . قال : فلم يلبث بعد ذلك إلاّ يسيرًا حتى ماتَ مولاه وتزوجها ابن جعفر بعد ذلك .

قال ابنُ حسين فذكرت هذا الحديث لأبي ياسين الرقيّ فحدثني عن بعض أصحابه أن عبد الله بن جعفر لما دخلت عليه أنشأ يقول :

رضيتُ بحُكم الله في كلِّ أمره ، وسلّمتُ أمرَ الله في كما مضى
بِلائي وأبلائي بحُبِّ دنيّةٍ ، وصبرتي حتى امسحى الحبُّ فانقضى
لعمري ! ما حُبِّي بحُبِّ ملالَةٍ ، ولا كان ودِّي زائلًا فتَنقَضَا
ولكنَّ حُبِّي معه دَلٌّ يزينه ، ويَعرضُ أحيانًا إذا الحِبُّ أعرَضَا

١ تنقض : انحل .

٢ الحب ، بكسر الحاء : الحبيب .

صريعا الحب

أخبرنا القاضي أبو الحسين أحمد بن علي بن الحسين التوزي قراءة عليه قال : أخبرنا أبو محمد
عبيد الله بن محمد بن علي الجراي الكاتب قال : أخبرنا أبو بكر بن دريد قال : أخبرنا
عبد الرحمن بن عمه عن يونس قال :

انصرفتُ من الحجِّ فمررتُ بماويةَ وكان لي فيها صديقٌ من بني عامر بن
صعصعة ، فصرت إليه مُسلماً ، فأنزَلتني ، فبينما أنا عنده ، ونحن قاعدان بفنائهِ ،
إذا نساءٌ مستبشرات ، وهن يقطن : تكلمتُ تكلمتُ ! فقلتُ : ما هذا ؟ فقالوا :
فتى منا كان يعشقُ ابنةَ عمِّ له ، فزوّجَتْ ، وحملتُ إلى ناحيةِ الحجازِ ،
فإنه لعلّ فراشه منذُ حوّل ما تكلمتُ ، ولا أكلتُ ، إلا أن يُوتى بما يأكله
ويشربه . فقلتُ : أحبّ أن أراه . فقام ، وقمتُ معه فمشينا غيرَ بعيد ، وإذا
بفتى مُضطجعٍ بفناء بيت من تلك البيوتِ ، لم يبقَ منه إلاّ خيالٌ ، فأكسبَ
الشيخُ عليه يسأله ، وأمه واقفةٌ ، فقالت : يا مالكُ ! هذا عمك أبو فلان
يعودُك ، ففتحَ عينيه ، وأنشأ يقول :

ليبكي اليومَ أهلُ الودِّ والشَّفَقِ ؛ لم يبقَ من مهجتي إلاّ شفا رَمَقِ
اليومَ آخرُ عهدي بالحياةِ ، فقدَ أطلقتُ من رِبْقَةِ الأحرانِ والقَلَقِ
ثمّ تنفّس الصُّعداءَ فإذا هو ميتٌ ، فقام الشيخُ ، وقمتُ فانصرفتُ إلى
خباتهِ فإذا جاريةٌ بضّةٌ تبكي وتتفجّعُ . فقال الشيخُ : ما يبكيكِ ؟ فأنشأتُ
تقول :

ألا أبكي لصبِّ شَفِّ مُهَجَّتِهِ طولُ السَّقَامِ وأضنى جسمه الكَمَدُ
يا ليتَ مَنْ خَلَّفَ القلبَ الهَيومَ به ، عِندي فأشكو إليه بعض ما أجِدُ
أنشُرُ تُرِيكَ أسرى لي النسيمُ به ، أم أنتَ حيثُ يَناطُ السَّحَرُ والكَبِيدُ

١ يناط : يعلق . السحر : الرثة .

ثم انثنت على كعبيديها ، وشهقت ، فإذا هي ميتة .
 قال يونس : فقممتُ من عند الشيخ وأنا وقيدا .
 أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن طاهر الدقاق قال : حدثنا الأمير
 أبو الحسن أحمد بن محمد بن المكثفي بالله قال : حدثنا ابن دريد فذكر القصة^٢ .

أجساد بغير قلوب

أخبرنا أبو الحسين أحمد بن علي التوزي قال : أخبرنا أبو محمد بن المرادي الكاتب قال : حدثنا
 أبو بكر بن دريد قال :

أنشدنا العكلي عن أبيه لداود بن سلم التميمي :

ما ذرّ قرنُ الشمسِ إلاّ ذكرتُها ، وَيُذْكَرُنيها ما دنتَ لِغُرُوبِ
 وأذكرُها ما بينَ ذلكَ وبعدهُ ، وبالليلِ أحلامي ، وَعندَ هُبوبِ
 وبليتُها شوقاً ، وبلائي الهوى ، وأعياءَ الذي بي طِبَّ كلِّ طيبِ^٣
 وأعجبُ أني لا أموتُ صبايةً ، وما كندُ منَ عاشِقٍ بِعَجيبِ
 وكم لامَ فيها من مؤدّ نصيحةً ، فقلتُ له : أقصرُ ، فغيرُ مُصيبِ
 أتأمُرُ إنساناً بفرقةِ قلبه ؟ أَتُصلِحُ أجساداً بِغَيرِ قُلُوبِ ؟
 وكُلُّ حَبِّ قد سلا ، غيرَ أني غريبٌ ! ألا يا ويحَ كلِّ غريبِ

١ الوقيد : الحزين القلب .

٢ القصة : يريد قصة صريمي الحب التي مرت .

٣ بلاه : صيره بالياً .

السل داء الحب

أخبرنا القاضي أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي فيما أذن لنا في روايته قال : أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس بن حيويه الخزاز قال : أخبرنا محمد بن خلف بن المرزبان إجازة قال : حدثنا أحمد بن منصور بن سوار قال : حدثنا نوح بن يزيد المعلم قال : حدثنا إبراهيم بن سعد قال : حدثني محمد بن إسحاق قال : حدثني محمد بن جعفر بن زبير قال : سمعتُ رجلاً من بني عذرة عندَ عروة بن الزبيرٍ يحدثه ، فقال عروة : يا هذا بحقٍ أقول لكم إنكم أرقّ الناسِ قلبياً . فقال : نعم ، والله ، لقد تركتُ بالحليّ ثلاثين قد خامرهم السلّ ، وما بهم داء إلاّ الحبّ .

مجنون وعليلة

أخبرنا أبو الحسين محمد بن محمد بن علي الوراق من حفظه قال : حكى لي أبو الحسين علي ابن الحسين الصوفي المعروف برباح قال : حدثني بعضُ أصدقائي أنّه دخلَ إلى بعضِ المارستانات ببغداد فرأى شاباً حسنَ الوجه ، نظيفَ الثياب ، جالساً على حصيرٍ نظيفٍ ، وعن يساره مِخْدَةٌ نظيفةٌ ، وفي يده مِرْوَحَةٌ ، وإلى جانبه كوزٌ فيه ماءٌ ، فسلمتُ عليه ، فردّ السلامَ أحسنَ ردّاً ، فقلتُ له : هل لك من حاجةٍ ؟ فقال : نعم ! أريد قُرْصَيْنِ وعليهما فالودج^١ ، فمضيتُ فبحثتهُ بذلك ، وجلستُ مقابلته حتى أكلتُ ، ثم قلتُ له : أبقِي لك حاجةٌ ؟ فقال : نعم ، ولا أظنّك تقدرُ عليها . فقلتُ : اذكرها ، فلكعلّ الله أن يُيسّرَها . فقال : تمضي إلى نهرِ الدجاجِ دربِ أحمد الدهقان ، إلى دارٍ على باب زُقاقِ الغفلة ، فاطرقِ البابَ وقل : إن فلاناً قال لي :

١ الفالودج : حلواء تعمل من الدقيق والماء والمسل .

مرّاً بالحبيبِ وَقُلْ لهُ : مجنونُكم مَنْ ذا يحلّه ؟
قال : فمضيتُ وسألتُ عن الدربِ والزُّفّاقِ ، قدّلتُ عليه ، فطرقتُ
البابَ ، فخرجتُ إليّ عَجُوزٌ فأبلغتُها الرّسالةَ ، فدخلتْ وغابتْ عني ساعة ،
ثم خرجت فقالت :

ارْجِعْ إليّهِ وَقُلْ لهُ : عليّلكم مَنْ ذا أعلّه ؟
فرجعتُ إلى الفتى فأخبرتهُ بالجوّابِ ، فشهِقَ شهقةَ فمات ، وعدتُ إلى
القومِ أخبرهمُ بذلك ، فوجدتُ الصراخَ في الدارِ ، وقد ماتت الجارية ، أو
كما قال .

الحب للحبيب الأول

أخبرنا أبو القاسم عبد العزيز بن علي بن الفضل الأرجي قال : أخبرنا أبو الحسن عمي
عبد الله الهمداني بمكة في المسجد الحرام قال : حدثنا محمد بن علي بن المأمون قال : حدثنا أبو
محمد الرقاعي قال :
خرجَ أبو حمزة يُشَيِّعُ بعضَ الغُرّاةِ ، وكان راكِباً ، فسمعَ قائلاً يقول :
نَقَلْ فُؤادَكَ حيثُ شئتَ من الهوى ، ما الحُبُّ إلّا لِلنَّحِيبِ الأوَّلِ
فسقط حتى خشينا عليه .

دين الغدر

ولي من قطعة :
يا مَنْ رَمَى قلبي فلم يُخطِه ، أصميتني قتلاً ، ولم أدِرِ
ساعدك الحُبُّ على مَقْتَلِي ، كلا كما قد دان بالغدْرِ

١ سواجع وهواتف

أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن طاهر اللقاق بقراءتي عليه قال : أخبرني الأمير أبو الحسن أحمد
ابن محمد بن المكتفي بالله قال : حدثنا ابن دريد قال : حدثنا الرياشي عن الأصمعي قال : أخبرني
مسح بن نبهان قال : حدثني رجل من بني الصبيداء من أهل الصريم قال :

كنتُ أهوى جاريةً من باهلةً ، وكان قومها قد أخافوني ، وأخذوا عليّ
المسالكَ ، فخرجتُ ذاتَ يومٍ ، فإذا حماماتٌ يسجعنَ على أفنانِ أيكاتٍ
متناوحتٍ في سرّارةٍ واديٍّ ، فاستفترّني من الشوقِ ما لم أعقلِ معه بشيءٍ ،
فركبتُ ، وأنا أقول :

دعتُ ، فوقَ أغصانٍ من الأيكِ موهناً ، مطوّقةً ورقاءً في إثرِ ألفِ
فهاجتُ عقابيلَ الهوى ، إذ ترتمتُ ، وشببتُ ضرامَ الشوقِ بين الشراسفِ
لكنّي خرجتُ فأواني الليلُ إلى حيٍّ فحفتُ أن يكونوا من قومها فبتُ
في القفر ، فلما هدأتِ الرّجلُ إذا قائل يقولُ :

تمتّع من شميمِ عرّارٍ نجدٍ فما بعدَ العشيّةِ من عرّارٍ
فتألمتُ من ذلك ثمّ غلبتني عيناى ، فإذا آخرُ يقولُ :
ولا شيءٌ بعدَ اليومِ إلاّ تعلّةٌ من الطيفِ أو تلقى بها منزلاً قفراً
فزادني ذلك قلقاً ، ثمّ نمتُ فإذا ثالثٌ يقولُ :
لن يلبثَ القراءَ أن يضرّقوا ، ليلٌ يكرّرُ عليهمُ وتهارُ

١ سرارة الوادي : بطنه .

٢ موهناً : ليلاً .

٣ العقابيل : الواحدة عقبولة : بقايا العلة . الشراسف : أطراف الضلوع المشرفة على البطن ، الواحد شرسوف .

٤ العرّار : النرجس البري ،

فَقَمْتُ ، فغَيَّرْتُ ، وَرَكِبْتُ مُتَّكِنًا عَنِ الطَّرِيقِ ، فَلَمَّا بَرَقَ الفَجْرُ ،
إِذَا رَاعٍ مَعَ الشَّرُوقِ قَدْ سَرَّحَ غَنَمَهُ وَهُوَ يَتَمَثَّلُ :

كَفَى بِالنَّبِيِّ مَخْلِقَاتٍ لِحِدَّةٍ ، وَبِالمَوْتِ قَطَاعًا حِبَالَ القَرَائِنِ
فَأَظْلَمْتُ عَلَيَّ الأَرْضُ فَنَأَمَلْتُهُ فَعَرَفْتُهُ ، فَقُلْتُ : فَلَانَ ؟ قَالَ : فَلَانَ .
قُلْتُ : مَا وَرَاءَكَ ؟ قَالَ : ضَاجَعْتُ ، وَاللَّهِ ، رَمَلَةُ الثَّرَى ، فَمَا لَبِثْتُ أَنْ سَقَطْتُ
عَنِ بَعِيرِي فَمَا أَقْفْتُ حَتَّى حَمَيْتُ الشَّمْسُ عَلَيَّ ، وَقَدْ عَقَّلَ الغَلامُ نَاقِي ،
وَقَدْ مَضَى ، فَكَّرَرْتُ إِلَى أَهْلِي ، وَأَنشَأْتُ أَقُولُ :

يَا رَاعِي الضَّانِ ! قَدْ أَبْقَيْتَ لِي كَمَدًا يَبْقَى وَيُتْلَفَنِي ، يَا رَاعِي الضَّانِ
نَعَيْتَ نَفْسِي إِلَى نَفْسِي ، فَكَيْفَ إِذَا أَبْقَى ، وَنَفْسِي فِي أَثْنَاءِ أَكْفَانِي ؟
لَوْ كُنْتُ تَعَلَّمْتُ مَا أَسَارَتْ فِي كَيْدِي ، بِكَيْتَ مِمَّا تَرَاهُ اليَوْمَ أَبْكَانِي !

من الحب اليأس إلى التعبّد

أخبرنا أبو القاسم عبد العزيز بن علي بن شكر قال : حدثنا أبو الحسن علي بن عبد الله الحمداني
بمكة قال : حدثنا إبراهيم بن علي قال : حدثنا محمد بن جعفر الكاتب عن محمد بن الحسن
البرجلاني عن جعفر بن معاذ قال : أخبرني أحمد بن سعيد العابد عن أبيه قال :

كان عندنا بالكوفة شابٌ يتعبّدٌ ملازمًا للمسجد الجامع ، لا يكادُ يخلو
منه ، وكان حسنَ الوجه ، حسنَ القامة ، حسنَ السميت ، فنظرتُ إليه امرأة
ذاتُ جمال ، وعقل ، فشغفت به ، وطال ذلك عليها ، فلما كان ذاتَ يوم
وقفتُ له على طريقه ، وهو يريدُ المسجدَ ، فقالتُ له : يا فتى اسمع مني
كلماتٍ أكلّمكَ بها ، ثم اعمل ما شئت . فمضى ولم يكلمها . ثم وقفتُ

١ أسارت : أبقيت .

له بعد ذلك على طريقه ، وهو يريدُ منزله ، فقالت له : يا فتى اسمعُ كلماتٍ
أَكَلَمُكَ بِهَا . فَأَطْرَقَ ، فقالَ لها : هذا موقِفٌ تُهَمَّةٌ ، وأنا أكرهُ أن أكونَ
للتُّهْمَةِ مَوْضِعاً . فقالت له : والله ما وَقَفْتُ مَوْقِفِي هذا جهالةً مِنِّي بأمرِكَ ،
ولكن معاذَ الله أن يتشَوَّفَ العبادُ إلى مثل هذا مِنِّي ، والذي حملتني على أن
لَقِيتُكَ في هذا الأمرِ بنفسي معرفتي أنَّ القليلَ من هذا عندَ الناس كثيرٌ ،
وأنتُمْ ، معاشرَ العباد ، في مثالِ القواريرِ أدنى شيءٍ يعيبُهُ ، وجُمْلَةُ
ما أَكَلَمُكَ بِهِ أن جوارِحِي كُلِّهَا مشغولةٌ بكَ ، فاللهَ اللهُ في أمري وأمرِكَ .
قال : فمضى الشابُّ إلى منزله ، وأرادَ أن يُصَلِّيَ فلم يَعْقِلْ كيفَ
يُصَلِّي ، فأخذَ قِرطاساً وكتبَ كتاباً ، ثمَّ خَرَجَ من منزله . فإذا بالمرأةِ واقفةٌ
في موضعِهَا ، فألقى إليها الكتابَ ، ورجَعَ إلى منزله . وكان في الكتابِ :
بسم الله الرحمن الرحيم . اعلمي أيتها المرأةُ أنَّ اللهَ ، تبارك وتعالى ، إذا
عَصَى حَلَمَ ، فإذا عاودَ العبدُ المَعْصِيَةَ سَتَرَ ، فإذا لبسَ لها ملبسها غضِبَ
اللهُ ، عزَّ وجلَّ ، لنفسه غضبَةً تَضِيقُ منها السمواتُ والأرضون والجبالُ
والشجرُ والدوابُّ ، فمن ذا الذي يُطِيقُ غضبَهُ ؟ فإن كانَ ما ذكرتُ باطلاً ،
فإنِّي أذكركُ يوماً تكونُ السماءُ كالمُهْلِ ، وتصيرُ الجبالُ كالعِهْنِ ،
وتجنو الأممُ لصلوَةِ الجبارِ العظيمِ ، وإنِّي واللهِ قد ضَعُفْتُ عن إصلاحِ نفسي ،
فكيفَ بصلاحِ غيري ، وإن كانَ ما ذكرتُ حقاً فإنِّي أدُلُّكَ على طيبٍ ،
هو وليُّ الكَلُومِ المُمْرِضَةِ ، والأوجاعِ المُرْمِضَةِ ، ذلك اللهُ ربُّ العالمينَ ،
فاقصديه على صدقِ المسألةِ ، فإنِّي متشاغِلٌ عنكَ بقوله ، عزَّ وجلَّ :
وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطِمِينَ ، ما للظالمينَ من حميمٍ
ولا شفيحٍ يُطَاعُ ، يعلمُ خائنةَ الأعينَ ، وما تخفي الصدورَ ، والله يقضي
بالحقِّ ؛ فأينَ المَهْرَبُ من هذه الآيةِ ؟

ثمَّ جاءت بعد ذلك بأيامٍ فوقفْتُ لهُ على طريقِهِ ، فلما رآها من بعيدٍ

١ المهمل : دردي الزيت الأسود أي عكره . العهن : الصوف . « من آيات الكتاب »

أرادَ الرجوعَ إلى منزله لثلاثَ يَراها، فقالت : يا فتى لا ترجعُ ، فلا كان الملتقى بعدَ هذا أبداً إلاّ بينَ يدي الله ، عزّ وجلّ . وبَكَتُ بكاءً كثيراً ، ثمّ قالت : أسألُ اللهَ ، عزّ وجلّ . الذي بيدهِ مفاتيحُ قلبِكَ أن يُسهّلَ ما قد عَسِرَ من أمرِكَ . ثمّ تَبِعتهُ فقالت : امسُنْ عليّ بِمَوْعِظَةٍ أَحْمِلُهَا عنكَ ، وَأَوْصِيْني بِوَصِيَّةٍ أَعْمَلُ عليها ! فقالَ لها الفتى : أوصيكُ بِحِفْظِ نَفْسِكَ من نَفْسِكَ ، وأذكَرُكَ قولَه ، عزّ وجلّ : وهو الذي يتوقَّأكمُ بالليلِ ، ويعلمُ ما جرحَحتُمُ بالنهارِ .

قال : فأطرقَت ، وبَكَتُ بكاءً أهدأً من بُكائها الأوّل ، ثمّ أفأقت ، فقالت : والله ما حملتُ أنثى ولا وَضَعَت إنساً كمثلِكَ في مِصرِي وأحيائي . وذكرَت أبياتاً آخرها :

لألبسنّ لهذا الأمرِ مدرعةً ، ولا ركنتُ إلى لذاتِ دُنيايا

ثمّ لَزِمَت بيتها فأخذتْ بالعبادة . قال : فكانتُ إذا أجهدها الأمرُ تدعوبكتابه فتضعه على عينيها ، فيُقالُ لها : وهل يغني هذا شيئاً ؟ فتقولُ : وهل لي دواءٌ غيره ؟ وكان إذا جنّ عليها الليلُ قامتُ إلى مِحْرَابِها، فإذا صلّتْ قالت :

يا وَارِثَ الأرضِ هبْ لي منك مغفرةً ، وحلّ عني هوى ذا الهاجِرِ الدّاني وانظُرْ لي خلّتي ، يا مُشْتَكِي حَزْني ، بنظرةٍ منك تجلو كلّ أحزاني^١ فلم تزلْ على ذلك حتى ماتت كَمَدًا ، وكان الفتى يذكرها بعد موتها ثمّ يبكي عليها ، فيقال له : ممّ بكائك ، وأنتَ قد أيسستها^٢ ؟ فيقول : إنّي ذُقتُ طعمها مني في أوّلِ أمرها وجعلت قطعها ذخيرةً لي عند الله ، عزّ وجلّ ،

١ المدرعة : جبة مشقوقة المقدم .

٢ الخلة : الحاجة والفقير .

٣ أيستها : جعلتها تياس .

وإني لأستحيي من الله ، عزّ وجلّ ، أن أسترِدَّ ذَخِيرَةَ ذَخَرَتْهَا عنده .
 قال لنا الشيخ أبو القاسم الأزجبي ، رحمه الله : ووجدتُ في نسخة زيادةٍ
 مسموعةٍ عن الزينبي شيخنا، رحمه الله، قال: ثم إن الجارية لم تلبث أن بليت ببليةٍ
 في جسِمها، فكان الطبيبُ يقطع من لحمِها أرطالاً لأنه قد عرف حديثَها مع
 الفتى ، فكان إذا أراد أن يقطع لحمَها يحدُّثُها بحديثِ الفتى ، فما كانت تجدُّ
 لقطع لحمِها ألماً ، ولا كانت تتأوّه ، فإذا سكتَ عن ذكره تأوّهت . قال : فلم
 تزل كذلك حتى ماتت كمدأ .

خارب بيته

أخبرني القاضي أبو القاسم التنوخي إجازة وحدثني أحمد بن ثابت الحافظ عنه قال :
 أنشدني أبو عبد الله بن الحجاج لنفسه :
 يا سيدي ! عبدك ليم تفتله ؟ رأيت من يفعل ما فعله ؟
 نزلت في قلبي ، فيا سيدي ليم تخرب البيت الذي تنزله ؟

آه من البين !

أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد الأردستاني بمكة في المسجد الحرام سنة ست وأربعين وأربعمائة
 على باب التوبة بقراءتي عليه قال : أخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب قال : سمعت
 أبا علي الحسن بن أحمد بن علي الزنجاني الصوفي بأسفرايين يقول : سمعت عبد العزيز بن سعيد
 المنجوري يقول : سمعت سهلان القاضي يقول :
 بينا أنا مارٌّ في طُرُقَاتِ جَبَلِ شُورَى ، وقد مرّت عليّ قافلةٌ عظيمةٌ ،
 إذا نحن بشابٍّ على الطريقِ ذاهِبِ العقلِ، مدهوشٍ، عريانٍ ، وبين يديه

١ سنة ١٠٥٤ م .

خُلُقَان^١ مُسْمَزَّاتٌ فَقَالَ لِي: أَيْنَ رَأَيْتَ الْقَافِلَةَ؟ قُلْتُ: فِي مَوْضِعٍ كَذَا. قَالَ: آهَ مِنَ الْبَيْنِ! آهَ مِنَ الْبَيْنِ! آهَ مِنْ دَوَاعِي الْحَيْنِ! قُلْتُ: وَمَا دِهَاقٌ؟ فَقَالَ:

شَيَّعْتُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَعْلَمُوا، وَرَحْتُ، وَالْقَلْبُ بِهِمْ مُغْرَمٌ
سَأَلْتُهُمْ تَسْلِيمَةً مِنْهُمْ عَلَيَّ، إِذْ بَانُوا، فَمَا سَلَّمُوا
سَارُوا، وَلَمْ يَرْتُوا لِمُسْتَهْتَرٍ، وَلَمْ يُبَالُوا قَلْبَ مَنْ تَيَّمُوا^٢
وَاسْتَحْسَنُوا ظَلْمِي، فَمِنْ أَجْلِهِمْ أَحَبَّ قَلْبِي كُلَّ مَنْ يَظْلِمُ

وفاء زوجة

أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري قراءة عليه قال: أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس بن حيويه قال: أخبرنا محمد بن خلف قال: أخبرني أبو بكر العماري عن مصعب بن عبد الله الزبيري قال:

تَزَوَّجَ مَالِكُ بْنُ عَمْرٍو الْغَسَّانِي بَابِنَةَ عَمِّ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ فَشُغِفَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِصَاحِبِهِ، وَكَانَ مَالِكٌ شُجَاعاً، فَاشْتَرَطَتْ عَلَيْهِ أَنْ لَا يُقَاتِلَ إِذَا لُقِيَ، شَفَقَةً عَلَيْهِ وَضَنّاً بِهِ، وَإِنَّهُ غَزَا حَيًّا مِنْ لَحْمٍ، فَبَاشَرَ الْقِتَالَ، فَأَصَابَتْهُ جِرَاحٌ فَقَالَ، وَهُوَ مَثَلٌ مِنْهَا:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي عَنْ غَزَالٍ تَرَكْتُهُ، إِذَا مَا أَتَاهُ مِصْرَعِي كَيْفَ يَصْنَعُ؟
فَلَوْ أَنَّي كُنْتُ الْمُؤَخَّرَ بَعْدَهُ، لَمَا بَرِحْتُ نَفْسِي عَلَيْهِ تَطَلُّعٌ
وَإِنَّهُ مَكَثَ يَوْمًا وَلَيْلَةً ثُمَّ مَاتَ مِنْ جِرَاحِهِ، فَلَمَّا وَصَلَ خَبَرُهُ إِلَى
زَوْجَتِهِ بِكَتْهُ سَنَةً، ثُمَّ اعْتَقِلَ لِسَانَهَا فَاْمْتَنَعَتْ مِنَ الْكَلَامِ، وَكَثُرَ

١ الخلقان: الثياب البالية.

٢ المستهتر: المتبع هواه.

خُطَّابُهَا ، فَقَالَ عُمُومَتُهَا وَوَلَاةُ أَمْرِهَا : نَزَّوَجْتُهَا لَعَلَّ لِسَانَهَا يَنْطَلِقُ ،
وَيَدُهَا حَزْنُهَا ، فَإِنَّمَا هِيَ مِنَ النِّسَاءِ ، فَزَوَّجُوهَا بَعْضَ أَبْنَاءِ الْمَلُوكِ فَسَاقَ
إِلَيْهَا أَلْفَ بَعِيرٍ ، فَامَّا كَانَ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي أُهْدِيَتْ إِلَيْهِ فِيهَا قَامَتْ عَلَى بَابِ
الْقُبَّةِ ثُمَّ قَالَتْ :

يَقُولُ رِجَالٌ : زَوَّجُوهَا لَعَلَّهَا تَقْرَأُ ، وَتَرْضَى بَعْدَهُ بِجَحْلِيلِ
فَأَخْفَيْتُ فِي النَّفْسِ الَّتِي لَيْسَ بَعْدَهَا رَجَاءٌ لَهُمْ ، وَالصَّدَقُ أَفْضَلُ قِيلَ
وَحَدَّثْتِي أَصْحَابُهُ أَنْ مَالِكًا أَقَامَ ، وَنَادَى صَاحِبَهُ بِرَحِيلِ
وَحَدَّثْتِي أَصْحَابُهُ أَنْ مَالِكًا ضَرُوبٌ بِنَصْلِ السَّيْفِ غَيْرُ نَكُولٍ
وَحَدَّثْتِي أَصْحَابُهُ أَنْ مَالِكًا خَفِيفٌ عَلَى الْأَحْدَاثِ غَيْرُ ثَقِيلِ
وَحَدَّثْتِي أَصْحَابُهُ أَنْ مَالِكًا صَرُومٌ كَمَا ضِي الشَّفَرَتَيْنِ صَقِيلِ

وَأَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الْجَوْهَرِيُّ قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو عَمْرٍو مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ حَيَوِيهِ
قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ خُلْفٍ قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ الْعَامِرِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي عَمْرُو
ابْنُ مُحَمَّدٍ الْعَبْقَرِيُّ قَالَ : أَخْبَرَنِي شَيْخٌ أَتَيْتُهُ بِهِ ، وَذَكَرَ الْحَدِيثَ ، وَزَادَ فِيهِ : فَلَمَّا
فَرَّغْتَ مِنَ الشَّعْرِ شَهَقْتَ شَهَقَةً فَمَاتَتْ .

١ النكول : الجبان .

٢ أراد بالحديث ما حدث في القصة السابقة .

جميل والبنات العذريات

أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي قال : أخبرنا أبو صر محمد بن العباس قال : حدثنا محمد بن خلف قال : أخبرني أبو بكر قال : أخبرنا المدايني قال : قال هشام بن محمد سمعت رجلاً من بني عذرة يحدث قال :

لَمَّا عَلِقَ جَمِيلٌ بُشَيْئَةَ وَجَعَلَ يَنْسُبُ بِهَا اسْتَعْدَى عَلَيْهِ أَهْلُهَا رِبْعِيٌّ بِنَ دَجَاجَةَ ، وَهُوَ يَوْمُئِذٍ أَمِيرُ تَيْمَاءَ ، قَالَ : فَخَرَجَ جَمِيلٌ هَارِباً حَتَّى انْتَهَى إِلَى رَجُلٍ مِنْ عَذْرَةَ ، بِأَقْصَى بِلَادِهِمْ ، وَكَانَ سَيِّدًا ، فَاسْتَجَارَ بِهِ ، وَكَانَ لِلرَّجُلِ سَبْعُ بَنَاتٍ ، فَلَمَّا رَأَى جَمِيلًا رَغِبَ فِيهِ ، وَأَرَادَ أَنْ يُزَوِّجَهُ لِيَسْلُوَ عَنْ بُشَيْئَةَ ، فَقَالَ لِبَنَاتِهِ : الْبَسْنَ أَحْسَنَ ثِيَابِكُنَّ وَتَحْلَيْنَ بِأَحْسَنِ حُلِيِّكُنَّ ، وَتَعَرَّضْنَ لَهُ ، فَلَمَعَلَّ عَيْنَهُ أَنْ تَقَعَ عَلَى إِحْدَاكُنَّ فَأَزَوِّجَهُ .

قال : وكان جميلٌ ، إذا أرادَ الحاجةَ ، أبعَدَ في المَدَهَبِ ، فإذا أقبلَ رَفَعْنَ جَانِبَ الْحِيَاءِ ، فإذا رَأَهُنَّ صَرَفَ وَجْهَهُ ، قال : فَتَمَعَلْنَ ذَلِكَ مِرَارًا ، فَعَرَفَ جَمِيلٌ مَا أَرَادَ بِهِ الشَّيْخُ ، فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

حَلَفْتُ لَكَيْمًا تَعْلِمِي صَادِقًا ، وَلِلصِّدْقِ خَيْرٌ فِي الْأُمُورِ وَأَنْجِحُ
لِتَكَلِيمِ يَوْمٍ وَاحِدٍ مِنْ بُشَيْئَةَ وَرُوَيْتُهَا عِنْدِي أَلَدًا وَأَمْلَحُ
مِنَ الدَّهْرِ لَوْ أَخْلُو بِكُنَّ ، وَإِنَّمَا أَعَالَجُ قَلْبًا طَامِحًا حَيْثُ يَطْمَحُ
فَقَالَ الشَّيْخُ : أَرْحَمِينَ عَلَيْكَ الْحِيَاءُ ، فَوَاللَّهِ لَا يُفْلِحُ هَذَا أَبَدًا .

حبذا ذاك الظلوم

أبانا القاضي أبو الحسين أحمد بن علي بن الحسين التوزي قال : أخبرنا الشريف أبو الفضل
محمد بن الحسن بن الفضل بن المأمون قال :

قُرئ على أبي بكر بن الأباري ، وأنا أسمعُ ، للمومل :

أَقَاتِلْتِي هِنْدُ ، وَقَتَلْتِي مُحَرَّمٌ ؛ أَمَا فِيكُمُْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ مُسْلِمٌ
يُظَلِّمُهَا فِي مَا تُرِيدُ بِعَاشِقِي ؛ أَلَا حَبِذَا ذَاكَ الظَّلُومُ الْمُظَلَّمُ ١
لَقَدْ زَعَمُوا لِي أَنَّهَا نَلَرْتُ دَمِي ، وَمَا لِي بِحَمْدِ اللَّهِ لِحَمٍّ وَلَا دَمٍ
بَرَى حُبُّهَا لِحَمِي ، وَلَمْ يُبْقِ لِي دَمًا ، وَإِنْ زَعَمْتَ أَنْتِي صَاحِبَةُ مُسَلِّمٍ
سَتَقْتُلُ جِلْدًا بَالِيًّا فَوْقَ أَعْظَمِي ، وَلَيْسَ بِيَالِي الْقَتْلَ جِلْدٌ وَأَعْظَمُ
فَلَمْ أَرِ مِثْلَ الْحُبِّ صَحَّ قَرِينُهُ ، وَلَا مِثْلَ مَنْ لَمْ يَدْرِ مَا الْحَبُّ يُسْقِمُ
أَذْنَةُ لِي أَنْتِ فِي ذِكْرِ حَاجَةٍ ، أَلَا طَالَمَا قَدْ كُنْتُ عَنْهَا أَجْمَجِيمٌ ٢
غَدَرْتُمْ ، وَلَمْ نَغْدِرْ ، وَقَلْتُمْ : غَدَرْتُمْ ، تَتَظَنُّونَ أَنَا مِنْكُمْ نَتَعَلَّمُ
قَطَعْنَا ، زَعَمْتُمْ ، وَالْقَطِيعَةُ مِنْكُمْ ، زَعَمْنَا ، وَأَنْتُمْ تَزْعُمُونَ وَنَزْعُمُ
فَإِنْ شِئْتُمْ كَانَ اجْتِمَاعًا ، فَقَلْتُمْ ، وَقَلْنَا ، فَإِنَّ الْقَوْلَ لِلْقَوْلِ سَلَّمَ
وإِلَّا فَإِنَّا قَدْ رَضِينَا بِحُكْمِكُمْ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاحْكُمُوا
فَوَاللَّهِ مَا أَجْرَمْتُ جُرْمًا عَلِمْتُهُ ، فَإِنْ سَرَكُمْ جُرْمِي ، فَهَا أَنَا مُجْرِمٌ
وَعَاقِبْتُمُونِي فِي السَّلَامِ عَلَيَّكُمْ ، وَلَمْ يَكُ لِي ذَنْبٌ سِوَى ذَاكَ يُعَلِّمُ
فَإِنْ تَمَنَعُوا مِنِّي السَّلَامَ ، فَإِنِّي لِنَغَادٍ عَلَى حَيْطَانِكُمْ فَمَسَلْتُمْ

١ يظلمها : ينسبها إلى الظلم .

٢ أجمجم ، من جمجم الكلام : لم يبينه .

الظريفة العاشقة

أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي ما أذن لنا أن نرويّه عنه قال : أخبرنا أبو عمر بن حيويه
قال : حدثنا محمد بن خلف قال : أخبرنا عبد الرحمن بن عبد الله السرخسي قال : حدثني
عباس بن عبيد قال :

كان بالمدينة جاريةً ظريفةً حاذقةً بالغناء ، فهويّت فتى من قرّيش ،
فكانت لا تُفارقُه ولا يُفارقُها ، فمَلَّها الفتى وتزايدت هي في محبته ،
وأسفت ، فغارت ، فوَلَّهت وجعلَ مولاها لا يعبأ بملك ، ولا يرقُّ^١
لشكواها ، وتفاقمَ الأمرُ بها حتى هامت على وجهيها ، ومزقت ثيابها ،
وضربت من لقيها ، فلما رأى مولاها ذلك عالجها ، فلم ينجح فيها العلاجُ ،
وكانت تدورُ بالليل في السكك مع الأدب والظرف . قال : فلقيها مولاها
ذات يوم في الطريق ، ومعه أصحاب له ، فجعلت تبكي وتقول :

الحُبُّ أولُ ما يكونُ لجماعةٍ ، يأتي بهِ وتسوقهُ الأقدارُ
حتى إذا اقتحمَ الفتى لُججَ الهوى ، جاءت أمورٌ ، لا تُطاقُ ، كبارُ

قال : فما بقيَ أحدٌ إلا رَحِمَها ، فقال لها مولاها : يا فلانةُ امضي
معنا إلى البيت ، فأبت وقالت :

شغلَ الحَلِيَّ أهلهُ أن يُعَارا

قال : وذكرَ بعضُ من رآها ليلةً ، وقد لقيتها مجنونةً أخرى ،
فقالَتْ لها : فلانةُ ! كيفَ أنتِ ؟ فقالت : كما لا أحبُّ ، فكيفَ أنتِ
من ولتهكِ وحُبِّكِ ؟ قالت : على ما لم يزل يتزايد بي على مرِّ الأيامِ .
قالت لها : تغني بصوتٍ من أصواتكِ فإنِّي قريبةُ الشبهِ بكِ . فأخذت

١ هذا مثل أرادت به الجارية ان ما بها شغلها عن كل شيء ، فلا فائدة من ذهابها إلى البيت .

قَصَبَةٌ تَوْقَعُ بِهَا وَغَنَّتْ :

يا مَنْ شَكَا أَلماً لِلْحُبِّ شَبَهَهُ بالنارِ في القلبِ من حَزْنٍ وتذكاري
لِأَنِّي لِأَعْظَمِ ما بِي أَنْ أَشَبَهَهُ شيئاً يُقاسُ إلى مِثْلِهِ وَمِقدارِ
لَوْ أَنَّ قَلْبِي في نارٍ لأحرقَها ، لأنَّ أحزانَهُ أَذكى من النارِ
ثمَّ مضتْ .

عَلِيَّانُ المَجنون

حدثنا أبو الحسين أحمد بن علي بن الحسين التوزي قال : أخبرنا أبو محمد عبيد الله بن محمد
المراذي الكاتب قال : حدثنا محمد بن أبي الأزهر قال : حدثني عبيد الله بن الزعفراني
المحدث عن حدثه قال :

مرّ بي عَلِيَّانُ المَجنون البَصْرِيُّ في بعض الأيَّام ، فقلت : يا أبا الحُسَيْنِ ،
قفْ عَلَيْنَا ! فقالَ : أَنْتَ شَبَعانُ وَعَلِيَّانُ جاعِعٌ يريدُ أَنْ يَأْكُلَ شيئاً ،
فَدَعَوْتُ لَهُ بما يَأْكُلُ ، وهو يَسمعُ ، فَرَجَعَ ، فلما أَكَلَ تَنفَّسَ الصُّعداءَ
وَأَنشأَ يقولُ :

وَذِي نَفْسٍ صَاعِدٍ ، يَثْنَ بِلا عَائِدِ
تَبَرَّمَ عُوَادُهُ بذي السَّقَمِ الزائِدِ
وَذِي سَهْرَةٍ قَد جَفَا ه كلُّ أَخٍ راقِدِ
يَكْرَهُ عَلَيَّ عَسْكَرِي ، وَبِضَعْفٍ عَن وَاحِدِ

ومضى ، فقلتُ لِلغلامِ : رُدِّهِ وارفق به ! فَرَدَّهُ ، فقلتُ : زدني !
فقال : الذي أعطيتني لا يساوي أكثر مما أعطيتك . فقلتُ لِلغلامِ : اسقِهِ

١ رجح : أي قال : إنا لله وإنا إليه راجعون .

قدحاً ، فوقف ، فلما شربه قال :

وكنتُ إذا رأيتُ فتىً يبكي
على شجنٍ ضحكته إذا خلوتُ
فأحسبني أدالَ الله مني ،
فصرتُ إذا سمعتُ به بكيتُ
فشغلتُ بخطِّ ما أنشدته ومضى .

عاشق يموت كتماناً

أخبرنا أبو طاهر محمد بن علي بن محمد بن الملاف الواعظ ، رحمه الله ، بقراءتي عليه قال :
حدثنا أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان بن شاهين قال : حدثنا جعفر بن محمد الصوفي قال :
حدثنا أحمد بن محمد بن مسروق قال : حدثنا محمد بن الحسين قال : حدثنا زكريا بن
إسحاق قال :

سمعتُ مالك بن سعيد يقول : حدثني مشيخةٌ من خزاعة أنه كان عندهم
بالطائفِ جاريةً متعبدة ذاتُ يسارٍ وورعٍ ، وكانت لها أمٌ أشدَّ عبادةً منها ،
وكانت مشهورةً بالعبادة ، وكانتا قليلتَي المخالطة للناس ، وكانت لهما
بضاعةٌ مع رجلٍ من أهل الطائف ، فكان يُبضعهما لهما ، فما رزقهنَّ
اللهُ من شيءٍ أتاهنَّ به .

قال : وبعث يوماً ابنه ، وكان فتىً جميلاً مُسرفاً على نفسه ، إليهنَّ
ببعضِ حوائجِهينَّ ، ففترَعَ البابَ ، فقالت أمُّها : من هذا ؟ قال : أنا
ابنُ فلان . قالت : ادخل ! فدخَلَ وابتثها في بيتٍ ، ولم تعلم بدخول الفتى ،
فلما قعدت معها خرَّجت ابنتها ، وهي تظنُّ أنها بعضُ نِسائِهينَّ حتى جلستُ
بين يديه ، فلما نظرت إليه قامت مبادرةً فخرَّجت ، ونظرت إليها فإذا هي من
أجملِ العربِ .

قال : ووقع حبُّها في قلبه . فخرَّجَ من عندها ، وما يدري أين يسلكُ ،
فأتى أباهُ ، فأخبره برِسالتِهينَّ ، وجعل الفتى يتحلَّ ويدوبُ جسمه ،

وَتَغَيَّرَ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ ، وَلَتَزِمَ الْوَحْدَةَ وَالْفِكْرَ ، وَجَعَلَ النَّاسُ يُظَنُّونَ
 أَنَّ الَّذِي بِهِ مِنْ عِبَادَةِ قَدْ لَزِمَهَا ، حَتَّى سَقَطَ عَلَى فِرَاشِهِ .
 فَلَمَّا رَأَاهُ أَبُوهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ دَعَا لَهُ الْأَطْبَاءَ وَالْمُعَالِجِينَ ، فَجَعَلُوا يَنْظُرُونَ
 إِلَيْهِ ، فَكُلُّهُ يَصِفُ لَهُ دَوَاءً ، وَيَقُولُ : بِهِ دَاءٌ لَا يَقُولُهُ صَاحِبُهُ ، وَالْفَتَى
 مَعَ ذَلِكَ سَاكِتٌ لَا يَتَكَلَّمُ ، حَتَّى إِذَا طَالَتْ عِلَّتُهُ وَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْأَمْرُ دَعَا أَبُوهُ
 فِتْيَانًا مِنَ الْحَيِّ ، وَإِخْوَانَهُ الَّذِينَ كَانُوا لَهُ أُنْسًا ، فَقَالَ لَهُمْ : اخْلُوا بِهِ وَسَلُوهُ
 عَنْ عِلَّتِهِ لَعَلَّهُ يَخْبِرُكُمْ بِبَعْضِ مَا يَجِدُهُ ، فَأَتَوْهُ فَكَتَمُوهُ وَسَأَلُوهُ ، فَقَالَ :
 وَاللَّهِ مَا بِي عِلَّةٌ أَعْرِفُهَا فَأَبَيَّتْهَا لَكُمْ ، وَأَخْبِرُكُمْ بِمَا أَجِدُ مِنْهَا ، فَأَقِلُّوا
 الْكَلَامَ .

وَكَانَ الْفَتَى فَطِيئًا ذَا عَقْلِ ، فَلَمَّا طَالَ بِهِ الْوَجْدُ دَعَا امْرَأَةً مِنْ بَعْضِ أَهْلِهَا
 فَخَلَا بِهَا ، وَقَالَ : إِنِّي مُلْتَقٍ إِلَيْكَ حَدِيثًا مَا أَلْقَيْتُهُ إِلَّا عِنْدَ
 الْإِيَّاسِ مِنْ نَفْسِي ، فَإِنْ ضَمِنْتَ لِي كَيْتَمَاتِهِ أَخْبِرْتُكَ ، وَإِلَّا صَبَرْتُ حَتَّى
 يَحْكُمَ اللَّهُ فِي أَمْرِي مَا يُحِبُّ ، وَبَعْدُ ، فَوَاللَّهِ مَا أَخْبِرْتُ بِهِ أَحَدًا قَبْلَكَ ،
 وَلَكِنْ كَتَمْتِ عَلَيَّ لَا أَخْبِرُ بِهِ أَحَدًا بَعْدَكَ ، وَإِنَّ هَذَا الْبَلَاءَ الَّذِي أَرَى بِي
 لَا شَكَّ قَاتِلِي ، وَإِنَّهُ يَجِبُ عَلَيَّ فِي مَحَبَّتِي لَهُ أَنْ أَكُونَ لِمَنْ أَحَبَّ صَائِتًا وَعَلَيْهِ
 مُشْفِقًا مِنْ تَزْيِيدِ النَّاسِ وَإِكْثَارِهِمْ حَتَّى يَصِيرَ الصَّغِيرُ كَبِيرًا ، وَالْكَبِيرُ عِنْدَهُمْ
 الْبَاقِي ذِكْرُهُ أَبْدًا ، اللَّهُ اللَّهُ فِي أَمْرِي ، وَاجْعَلِيهِ مُحَرَّرًا فِي صَدْرِكَ فَإِنْ فَعَلْتَ
 فَتِلْكَ حُسْنُ الْمُكَافَأَةِ ، وَإِنْ أَبَيْتِ فَاللَّهُ يُحْسِنُ لَكَ الشُّكْرَ .

فَقَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ : قُلْ يَا بُنَيَّ مَا بَدَأَ لَكَ ، فَوَاللَّهِ مَا أَجِدُ فِي الدُّنْيَا أَحَدًا
 أَحَبَّ بَقَاءَهُ غَيْرَكَ ، وَكَيْفَ لِي أَنْ يَكُونَ عِنْدِي بَعْضُ دَوَائِكَ ، فَوَاللَّهِ
 لَا أَكْتُمُنَّ أَمْرَكَ مَا بَقِيَتْ أَيَّامُ الدُّنْيَا . فَقَالَ لَهَا : إِنَّ مِنْ قِصَّتِي كَذَا وَكَذَا !
 فَقَالَتْ لَهُ : يَا بُنَيَّ أَفَلَا أَخْبَرْتَنَا ، فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ كَلِمَةً أَسْكَنَ بِمَجَامِعِ
 الْقَلْبِ فَلَا تُفَارِقُهُ أَبْدًا ، مِنْ كَلِمَةٍ : حَبِّ عَاشِقٍ أَخْبَرَ مَنْ يَحِبُّهُ أَنَّهُ لَهُ وَامِقٌ ،
 فَتِلْكَ الْكَلِمَةُ تُزْرَعُ فِي قُلُوبِ ذَوِي الْأَلْبَابِ شَجَرًا لَا تُدْرِكُ أَصُولُهُ . فَقَالَ

لها : ومن لي بها ، وكيف السبيلُ إليها وقد بلغك حالها وقصتها وشدة
اجتهادها وعبادتها ؟ قالت له : يا بُنيَّ عليَّ أن آتيك بما تُسرِّبه .

قال : فلبست ثوبها وأتت منزلَ البخارية ، فدخلت فسلمت على أمها
وحادثتها ساعة . فسألتها أمها عن حاله وعن وجعه ، فقالت : والله لقد
رأيت الأوجاع والآلام ، فما رأيتُ وجعاً قطَّ كوجعه ، وإنَّ وجعه يُزيد
في كلِّ يومٍ ، وألمه يترقى ، وهو في ذلك صابرٌ غيرُ شاكٍ لا يفقدُ من
جوارحه شيئاً ، ولا من عقله . فقالت أمها : أفلا تدعون له الأطباء ؟
قالت : بلى ؛ والله فما وقع أحدٌ منهم على دائه ، ولا يفقه دواءه .

ثم قامت فدخلت على البخارية في بيتها الذي كانت تتعبدُ فيه ، فسلمت
عليها ، وحادثتها ساعة ، وقد كان وقع إلى البخارية خبره ، فعلمت أن ذلك
من أجلها ، فقالت لها المرأة : يا بُنيَّةُ ألبتَّ شبايبك وأفنيت أيتامك على
هذه الحال التي أنت عليها . قالت : يا عمته أيةُ حالٍ سوءٍ تريني على ؟
قالت : لا يا بُنيَّةُ ، ولكنَّ مثلك يفرح في الدنيا ويلتذ فيها ببعض ما أحس
الله عز وجل لك ، غيرَ تاركةٍ لبطاعةِ ربِّك ولا مفارقةٍ لخدمته ، فيجتمع
الله لك بذلك الدارين جميعاً ، فوالله ما حرَّم الله ، عز وجل ، تحلى عباده
ما أحلَّ لهم .

فقالت : يا عمته ، أوهذه الدارُ دارُ بقاءٍ لا انقطاع لها ولا فناء فتكون
الجوارحُ قد وثقتُ بذلك ، فتجعل الله تعالى منظرَ هممها ، وللدينا شطرها ،
فتعدُّ الجوارحُ إذا التعبَ راحةً والكدَّ سلامةً ، أم هذه الدارُ دارُ فناءٍ وتلك
دارُ بقاءٍ ومكافأةٍ ، والعمل على حسب ذلك .

قالت : يا بُنيَّةُ لا ! ولكنَّ الدنيا دارُ فناءٍ وانقطاعٍ وليست بباقية على أحدٍ ،
ولا دائمةً له ، ولكن قد جعل الله تعالى لِعِباده فيها ساعاتٍ صدقةً منه على
النفوسِ ، تنالُ فيها ما أحلَّ لها من مخافةِ الشدةِ عليها .

فقالت البخارية : صدقت يا عمته ، ولكنَّ الله عبادٌ قد علموا وصحَّ في

هَمِيمٍ شَيْءٌ مِنْ دُخْرِ دُخْرِهِ عِنْدَهُ ، فَجَعَلُوا هَذَا الشُّكْرَ الَّذِي جَعَلَهُ ذَخِيرَةً عِنْدَهُ ، إِذْ لَمْ تَكُنِ الدُّنْيَا كَامِلَةً لَهُمْ ، وَلَا هُمْ مَسْتَقْصُونَ شَيْئاً قَدْ مَوَّهَ لِأَنْفُسِهِمْ ، وَسَكَنْتْ نَفُوسُهُمْ وَرَضِيَتْ مِنْهُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى الطَّاعَةِ لِتَنَالِ جُمْلَةَ الْكِرَامَةِ . وَإِنَّ كَلَامَكَ لَيْدُ لَتِي عَلَى أَنْ تَحْتَهُ عِلَّةٌ ، وَهُوَ الَّذِي حَمَلْتِكِ عَلَى مَنَازِلِكَ لِي عَلَى مِثْلِ هَذَا ، وَقَدْ كُنْتُ أَظُنُّ قَبْلَ الْيَوْمِ فِيكَ أَنْتَ تَأْمُرِينَ بِالْحِرْصِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ ، وَالخِدْمَةِ لَهُ ، وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ بِالْأَعْمَالِ الزَّكِيَّةِ الَّتِي تَبْلُغُ رِضَاهَ وَتَرْفَعُ عِنْدَهُ ، فَقَدْ أَصْبَحْتَ مُتَغَيِّرَةً عَنْ ذَلِكَ الْعَهْدِ الَّذِي كُنْتُ أَعْهَدُكَ عَلَيْهِ ، فَأَخْبِرْنِي بِمَا عِنْدَكَ وَأَوْضِحِي لِي مَا فِي نَفْسِكَ ، فَإِنَّ يَكُنْ لَكَ جَوَابٌ أَعْتَبْتُكَ ١ ؛ وَإِنْ يَكُنْ فِيهِ حِظٌّ تَابَعْتُكَ ، وَإِنْ يَكُنْ أَمراً بَعِيداً مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَعِظْتُكَ .

قالت : يَا بُنَيَّةُ فَاذَا نَجَّيْتِكِ بِهِ ، وَالَّذِي مَنَعَنِي مِنْ إِقْلَاقِهِ إِلَيْكَ هَيْبَتِكَ ، إِذْ بَسَطْنِي وَعَلِمْتَ أَنَّ عِنْدِي خَيْراً وَأَمْرَتْنِي بِالْقَائِهِ ، فَإِنَّ مِنْ قِصَّةِ مِلَانَ كَذَا وَكَذَا .

قالت : قَدْ ظَنَنْتُ ذَلِكَ فَأَبْلَغِيهِ مِنِّي السَّلَامَ ، وَقُولِي : أَيُّ أَخَاهُ ! إِنِّي وَاللَّهِ قَدْ وَهَبْتُ نَفْسِي لِلْمَلِكِ يَكْفَىءُ مَنْ أقرَضَهُ بِالْعَطَايَا الْجَزِيلَةِ ، وَيُعِينُ مَنْ انْقَطَعَ إِلَيْهِ وَخَدَمَهُ بِالْهِمَمِ الرَّفِيعَةِ ، وَكَيْسَ إِلَى الرَّجُوعِ بَعْدَ الْهَيْبَةِ سَبِيلٌ ، فَتَوَسَّلْ إِلَى مَوْلَاكَ وَمَوْلَايَ بِمَحَابَّتِهِ ، وَأَضْرَعْ إِلَيْهِ فِي غُفْرَانٍ مَا قَدَّمْتُ يَدَاكَ مِنْ عَمَلٍ لَمْ يَهَبْهُ فِيهِ ، وَلَمْ يَرْضَهُ ، فَهُوَ أَوْلُ مَا يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَسْأَلَهُ ، وَأَوْلُ مَا يَجِبُ عَلَيَّ أَنْ أَعْظَمَكَ بِهِ ، فَإِذَا خَدَمْتَهُ بِقَدْرِ مَا عَصَيْتَهُ طَابَ لَكَ الْفَرَاغُ مِنْ سَوَالِ شَهَوَاتِ الْقُلُوبِ وَخَطَرَاتِ الصُّدُورِ ، فَإِنَّهُ لَا يَحْسُنُ بَعِيدٍ كَانَ لِمَوْلَاهُ عَاصِياً وَعَنْ أَمْرِهِ مَوْلِياً نَاسِياً أَنْ يَنْسَى ذُنُوبَهُ وَالْإِعْتِدَارَ مِنْهَا ، وَيُلْزِمَ نَفْسَهُ مَسْأَلَةَ الْحَوَائِجِ لَعَلَّهَا دَاعِيَةٌ لَهُ إِلَى الْفِتْنَةِ إِنْ لَمْ يَتَدَارَكْهُ اللَّهُ تَعَالَى بِكَرَمِهِ ، فَاسْتَنْقِذْ نَفْسَكَ يَا أَخِي مِنْ مُهْلِكَاتِ الذُّنُوبِ ، فَإِنَّ لَهُ

١ أعتبتك : أزلت عتبك .

فَضْلًا وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ ، وَلَسْتُ مُؤَيِّسَتِكَ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ رَأَيْتَ مُتَبَتِّلًا
إِلَيْهِ ، وَمِمَّا قَدَّمْتَ يَدَاكَ مُعْتَذِرًا أَنْ يَمُنَّ بِي عَلَيْكَ ، فَإِنَّهُ الْمَلِكُ الَّذِي
يَجُودُ عَلَى مَنْ وَلَّى عَنْهُ بِكَرَمِهِ ، فَكَيْفَ مَنْ أَقْبَلَ إِلَيْهِ ، فَلَا يُشْكُ أَنْتَهُ إِذَا
جَادَ عَلَى مَنْ تَوَلَّى عَنْهُ ، يَكُونُ لِمَنْ أَطَاعَهُ مُكْرِمًا وَإِلَيْهِ وَقْتُ النَّدَامَةِ مَسْرِعًا ،
وَمَا أَبْقَيْتُ لَكَ حُجَّةً تَحْتَجُّ بِهَا ، فَلْيَكُنْ مَا أَخْبَرْتُكَ بِهِ نُصَبَ عَيْنِكَ وَلَا
تُرَادُنِّي فِي الْمَسْأَلَةِ ، فَلَا أَجِيْبُكَ وَالسَّلَامُ .

قال : فقامت المرأة من عندها ، فأنته ، فأخبرته بمقاتلتها . قال : فبكى
بكاءً شديدًا ، فقالت له العجوز : والله يا بني ما رأيت امرأةً خوفُ الله ، عزَّ
وجلَّ ، في صدرها ، مثلَ هذه المرأة ، فاعملُ بما أمرتكَ به ، فقد ، والله ،
بالفتى في النصيحة ، وأحسنَتِ الموعظة ، فلا تُلْقِ نَفْسَكَ فِي مُهْلِكَاتِ
الْأُمُورِ ، فَتَنْدَمَ حَيْثُ لَا تُغْنِي النَّدَامَةُ ، وَلَوْ عَلِمْتُ يَا بَنِي أَنْ حِيلَةَ تَنْفُذِ
غَيْرِ الَّذِي دَعَيْتَ إِلَيْهِ لِاحْتِلَتُهَا ، وَلَكَانَ عِنْدِي مِنْ ذَلِكَ مَا أَرْجُو أَنْ
مَحْتَالَةً ، وَلَكِنِّي رَأَيْتُ اللَّهَ ، عَزَّ وَجَلَّ ، قَدْ جَعَلْتَهُ نُصَبَ عَيْنَيْهَا ، فَهِيَ بِ
إِلَيْهِ نَاطِرَةٌ ، وَمَنْ جَعَلَ اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، نُصَبَ عَيْنَيْهِ ، لَهَا مِنْ زِينَةِ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا ، وَرِفْعَتِهَا ، وَاشْتَغَلَ بِمَا قَدْ جَعَلْتَهُ نُصَبَ عَيْنَيْهِ .

وجعل يبكي ويقول : كيف لي بالبلوغ إلى ما دَعَتْ إِلَيْهِ ، ومتى يكون
آخرُ المدة التي نلتقي فيها ؟ قال : فاشتدَّ وجعه ذلك ، وحال عن ذوي العقول ،
فلما نظرَ القومُ إليه في تلك الحال ، وجعلَ لَا يُقْرَهُ قَرَارًا ، حبسوه في بيتٍ ،
وأوثقوه ، وتوهمَ القومُ أن الذي به من عشقٍ ، فكان ربما أفلتَ ، فيخرج من
منزله فيجتمعُ عليه الصبيان ، فيقولون له : مُتَّ عَشَقًا ، مُتَّ عَشَقًا ! فكان يقول :

أَفْشِي إِلَيْكُمْ بَعْضَ مَا قَدْ يَهِيْجُنِي أُمُّ الصَّبْرِ أَوْلَى بِالْفَتَى عِنْدَ مَا يَلْقَى
أَوْعَدُ وَعَدًا مَا لَهُ ، الدَّهْرُ ، آخِرٌ وَأَوْمَرُ بِالتَّقْوَى ، وَمَنْ لِي بِالتَّقْوَى
سَلَامٌ عَلَى مَنْ لَا أَسْمِيَهُ بِاسْمِهِ وَلَوْ صرْتُ مِثْلَ الطَّيْرِ فِي قَفْصٍ يُلْقَى

ألا أيها الصبيان لو ذُقتُمُ الهوى لأينقتُمُ أني مُحدثُكُمُ حقًا
أحببكم من حببها ، وأراكُمُ تقولون لي : مُتْ يا شجاعُ بها عيشًا
فلَمَ تُنصِفوني ، لا ، ولا هي أنصفتُ فرِققاً رُويداً ، ويحكم بالفتى رِفققاً
فلَمَّا صحَّ ذلكَ عندَ أهلهِ وعلموا أنه عاشقٌ جعلوا يسألونه عن أمره ،
فكان لا يجيبهم ، وكتمت العجوزُ قصته ، فأخذوه فحبسوه في بيت فلم يزل
فيه حتى مات ، رحمه الله .

جفني كأس ودمني الراح

ولي من أبيات من أثناء قصيدة :

صرعتنا ألحاظُ غزلانٍ يبريدُ نَ كانَ اللّحاظُ منها رِماحُ
من ظبياءٍ في كلِّ جارحةٍ منةٌ ا لألحاظيهنَّ يُلقي جِراحُ
استحلّوا من قتلنا كلَّ محظو رِ وما قتلُ عاشقينِ مُباحُ
يا نديمي إليكَ بالكأسِ عني ، إنَّ جفنيَ كأسِي ودمني الراحُ

رأي سقراط في العشق

أخبرنا أبو القاسم علي بن أبي علي قال : أخبرنا أبو عمر بن حيويه قال : حدثنا أبو بكر
ابن المرزبان قال :

قال سقراطُ : العشقُ جنونٌ ، وهو ألوانٌ ، كما أن الجنونَ ألوان .

لا أنت تدري بي ولا أدري

أبانا أبو الحسن أحمد بن محمد العتيقي قال : أنشدنا أبو عمر محمد بن العباس قال :
أنشدنا أبو عبد الله بن عرفة لبعضهم :

يُنظَرُ في عمري فإن كان في عُمركَ فقصُ زيدَ من عمري
حتى نوافي البعثَ في ساعةٍ لا أنت تدري بي ولا أدري
أخافُ أن أظفأ ، فيدعوكَ مَنْ يهوَكَ من بعدي إلى غدري

شكوى المحبين

ولي ابتداءُ قصيدةٍ كتبتُ بها من دمشق إلى الشيخ الفقير أبي الحسن مروان
ابن عثمان النحوي الإسكندراني ، وهو بصور :

وحتى مصارعِ أهلِ الموى لروعةٍ صوتِ غُرَابِ النوى
وشكوى المحبينِ يومَ الفِرا قِ ما في قلوبهم من جوى
وقد لفَ أعناقهم موقِفٌ وقد رفَعَ البينُ فيهم لىوا
عشيّةً أجروا عيونَ العيو نِ بينَ العقيقِ وبينَ اللوى
دُموعاً كثرنَ فلو أنهُ أتاهنَّ وقدُ منى لارتوى
لقد أتمنى زماناً يُضمُّ بكَ الشملُ وهوَ لقلبي هوى

١ العقيق واللوى : موضعان .

٢ منى : موضع بمكة ، ويشير بقوله ارتوى : إلى يوم تروية الحجاج بالماء .

مجنون المربد

أخبرنا أبو القاسم علي بن المحسن إجازة قال : أخبرنا أبو عمر بن حيويه قال : حدثنا أبو بكر بن خلف قال : حدثني محمد بن الفضل قال : حدثني بعض أهل الأدب عن محمد بن أبي نصر الأزدي قال : رأيتُ بالبصرة مجنوناً قاعداً على ظهر الطريق بالمربد ، فكلّما مرّ به ركبٌ قال :
ألا أيّها الركبُ اليمّانون عرّجوا علينا ، فقدّ أمسي هوّانا يمانيا
نُسائلكم : هل سالّ نَعمانُ بعدنا فحَبَّ إلينا بطنُ نَعمانِ وآديا
قال : فسألْتُ عنه فقيل : هذا رجلٌ من أهلِ البصرة : كانت له ابنةٌ عمّ ،
وكان يحبّها فتزوجها رجلٌ من أهل الطائف فنقلّها ، فتولّه عليها .

إبراهيم بن المهدي والشعر

كتب إلي أبو غالب بن بشران من واسط قال : أخبرنا ابن دينار قال : أخبرنا أبو الفرج الأصبهاني في كتاب الأغاني قال : حدثنا محمد بن يحيى الصولي قال : حدثني الحسين بن اسحاق قال : حدثني خالد قال :

لما بُويِعَ لإبراهيمَ بنِ المهدي بالخِلافةِ طَلَبْتَنِي ، وقد كان يَعْرِفُنِي ،
وقد كنتُ متّصِلاً ببعضِ أسبابه ، فأدخلتُ إليه ، فقال : أنشِدْني يا خالدُ شيئاً
من شِعْرِكَ ! فقلتُ : يا أميرَ المؤمنين ايس من الشعر الذي قال فيه رسول الله
صلى الله عليه وسلم : إنّ من الشّعْرِ لِحِكْمًا ، وإنّما أمزحُ وأهزلُ . قال :
لا تقلّ هذا ! ها ت أنشِدْني ، فأنشِدْتُهُ :

عِشْ فَحَسْبُكَ سَرِيحاً قَاتِلِي وَالضُّبِّيَ إِنْ لَمْ تَصِلْنِي وَاصِلِي
ظَفِيرَ الشُّوقِ بِقَلْبِ دَنْفِ فَيْكَ وَالسُّقْمُ بِجِسْمِ نَاحِلِ
فَهُمَا بَيْنَ اكْتِثَابِ وَضَنْئِي تَرَكَانِي كَالْقَضِيبِ الذَّابِلِ
قال : فاستملح ذلك ووصلني .

راكب القصبة

أخبرنا أبو غالب بن بشران في ما كتب به إلينا قال: أخبرنا ابن دينار قال: أخبرنا أبو الفرج الأصبهاني قال: حدثني حمزة بن أبي سلافة الشاعر قال:

دخلتُ بغداد في بعض السنين ، فيينا أنا ماراً في الجنيبة إذا أنا برجلٍ عليه
مُبَطَّنةٌ نظيفةٌ ، وعلى رأسه قَلَنْسُوةٌ سوداءُ ، وهو راكبٌ قَصَبَةً
والصبيان يصيحون خلفه: يا خالد ، يا بارد ! فإذا أذوه حمل بالقصبة عليهم ،
فلم أزل أطردهم عنه حتى تفرقوا وأدخلته بُستاناً هُنالكَ ، فجلستُ واستراح ،
واشتريتُ له رُطباً فأكلتُ . واستشدته فأنشدني :

قد حازَ قلبي فصارَ يملكُهُ فكيفَ أسلُو وكيفَ أتركُهُ
رَطيبُ جِسمٍ كالماءِ تحسبُهُ يخطرُ في القلبِ منه مسلِكُهُ
يكادُ يجري من القميص من النعمة لولا القميصُ يُمسكُهُ
فاستردته ، فقال : ولا حرف .

الأمين وحبه للشعر

أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد العتيقي ، رحمه الله ، في ما أذن لنا في روايته قال : أخبرنا
محمد بن العباس بن حيويه قال : حدثنا العباس بن المفيرة الجوهري قال : حدثنا أبو نصر محمد
ابن موسى الطوسي قال : حدثنا عبد الله بن أحمد أبو هفان قال : حدثني أبو نواس قال :

دخلتُ على الأمين أمير المؤمنين ، وهو قاعد في قبّة له ، ومعه جارية لم أرَ
قطّ أحسنَ منها . قال : وإذا على جبينِ الجاريةِ مكتوبٌ بالغاليةِ ممّا

الغالية : أغلاط من الطيب .

عَمِلَ فِي طِرَازٍ : اللهُ ، وَعَلَى رَأْسِهَا إِكْلِيلٌ وَفِي حَجْرِهَا عُودٌ ، وَإِذَا عَلَى
الإكليلِ مَكْتُوبٌ :

وَاللَّهِ يَا طَرْفِي الْجَانِي عَلَى كَبِيدِي لِأَطْفِئَنَّ بَدْمِعِي لَوَعَةَ الْحَزَنِ
بِاللَّهِ تَطْمَعُ أَنْ أَبْلَى هَوَى وَجَوَى وَأَنْتَ تَلْتَمِذُ طَيْبَ الْعَيْشِ وَالرَّوَسَنِ
وَإِذَا عَلَى الْعُودِ مَكْتُوبٌ :

يَا أَيُّهَا الرَّاعِمُ الَّذِي زَعَمَا أَنْ الْهَوَى لَيْسَ يورِثُ السَّقَمَا
لَوْ أَنَّ مَا بِي بِكَ الْغَدَاةَ لَمَّا لُمْتَ مَحِيماً إِذَا شَكَا أَلْمَا
قَالَ : وَبَيْنَ أَيْدِيهِمَا صَبِينِيَّةٌ ذَهَبٌ . قَالَ : وَإِذَا عَلَى الصَّبِينِيَّةِ مَكْتُوبٌ :
لَا شَيْءَ أَحْسَنُ مِنْ أَيَّامِ جَلِيسِنَا إِذْ نَجْعَلُ الرُّسُلَ فِي مَا بَيْنَنَا الْخَدَقَا
وَإِذْ حَوَاجِبُنَا تَقْضِي حَوَاجِبِنَا وَشَكَلُنَا فِي الْهَوَى نَلْقَاهُ مُتَفَقِّحَا
لَيْتَ الْوُشَاةَ بَيْنَا وَالْحَاسِدِينَ لَنَا فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ مَاتُوا كُلَّهُمْ غَرَقَا
أَوْ لَيْتَ مَنْ عَابَتْنَا أَوْ ذَمَّ جَلِيسِنَا شُبِّتَ عَلَيْهِ ضِرَامُ النَّارِ فَاحْتَرَقَا
وَإِذَا عَلَى الْمَغْسَلِ مَكْتُوبٌ :

لَوْ كَانَ يَدْرِي مَالِكٌ مَا الَّذِي أَلْقَى مِنَ الْأَحْزَانِ وَالْكَرْبِ
وَمَا أَلَا فِي مِنَ الْيَمْرِ الْهَوَى عَذَّبَ أَهْلَ النَّارِ بِالْحُبِّ
قَالَ فَمَلَأَ الْكَاسَ وَأَعْطَانِي ، وَإِذَا عَلَى الْكَاسِ مَكْتُوبٌ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا قَضَى قَدْ كَانَ ذَا فِي الْقَدَرِ السَّابِقِ
مَا تَحْمَلُ الْأَرْضُ عَلَى ظَهْرِهَا أَشْقَى وَلَا أَوْثَقَ مِنْ عَاشِقِ

١ الضرام : دقيق الحطب ، أنث الفعل قبله مجازاة للمنى .

٢ مالك : هو الذي يعذب أهل الإثم بالنار .

فَبَيْنَمَا يَمْشِي عَلَى مَرْمَرٍ إِذَا بِهِ يَسْقُطُ مِنْ حَالَتِي
قال : فَشَرِبْتُ الكَأْسَ وَنَاوَلْتُهُ ، فَحَيَّانِي بِتُفَّاحَةٍ وَأُتْرُجَةٍ ١ ، وَإِذَا
عَلَى التُّفَّاحَةِ مَكْتُوبٌ بِالذَّهَبِ :

تُفَّاحَةً تَأْكُلُ تُفَّاحَةً ، يَا لَيْتَنِي كُنْتُ الَّتِي تُؤْكَلُ
فَأَلْتُمُ الثَّغَرَ ، إِذَا عَضَّيْتُ بِعِلَّةِ الأَكْلِ ، وَلَا أُؤْكَلُ
قال وَإِذَا عَلَى الأُتْرُجَةِ مَكْتُوبٌ :

يَا لَكَ أُتْرُجَةٌ مُطَيَّبَةٌ تُوقِدُ نَارَ الهَوَى عَلَى كَيْبِدِي
لَوْ أَنَّ أُتْرُجَةً بَكَتْ لَبَكَتْ لِرَحْمَتِي هَذِهِ الَّتِي بِيَسَدِي

هوى الملاح بلاه

ولي من غزل قصيدة مدحتُ بها أحد بني منقذ :

أَيْهَا الرَّاحِلُونَ مِنْ بَطْنِ خَبْتٍ ، فَرِكَابُ النَّوَى بِهِمْ تَتَرَامَى
إِنَّ أَتَيْتُمْ وَادِي الأَرَاكِ فَأَهْدُوا لَسَلِيمِي نَحِيَّتِي وَالسَّلَامَا
وَاطْلُبُوا لِي قَلْبِي وَأَيْتُهُ أَنْ تَجِدُوا فِيهِ مِنْ هَوَاهَا سِهَامَا
وَرِدُّوا مَاءَ نَاطِرِي عِوَضَ الغُدِّ رَانَ وَارْعَوْا بَيْنَ الحِشَا لِأَلْحِزَامَا
ولي أيضاً ابتداء قصيدة :

كُفَّتِي مَلَامِكِ عَنَّهُ وَالْعَدَلَا ، قَدْ ضَاقَ ذَرْعًا بِالَّذِي حَمَلَا
وَدَعِي مَدَامِعَهُ تَسِيحًا وَإِنْ لَمْ تُطْفِ مِنْ نَارِ الهَوَى شُعَلَا
١ الأترجة : ما تسميها العامة ليمونة كباد .

وَذَرِيهِ . يَرْفُلُ فِي غَلَائِلَ مِنْ نَسَجِ الْغَلِيلِ يَجْرَهُمَا وَمُؤَلَا
 يَا أُخْتِ كِنْدَةَ ! رَقْهِي كَمِيداً شَرِبْتَ مَفَاصِلَهُ الْهَوَى نَهَلَا
 لَوْ كُنْتُ شَاهِدَةً مَوَاقِفَنَا ، وَالْبَيْنُ يَضْحَكُ بَيْنَنَا جَدَلَا
 وَالْدَمْعُ قَدْ سَالَ الْكَثِيبُ بِهِ حَتَّى لَكَادَ يُسَيِّلُ الْمُقْلَا
 لَرْتَيْتِ لِلْعُشَاقِ رَاحِمَةً ؛ وَعَلِمْتَ أَنَّ هَوَى الْمِلَاحِ بَلَا

حجر من أرض لوط

أخبرنا أبو القاسم عبد العزيز بن علي بن أحمد بن الفضل الأزجي قراءة عليه قال : أخبرنا
 علي بن جعفر السيرواني الصوفي بمكة قال : سمعت المواربي يقول ، قال لي رجل
 من الحاج :

مررتُ بديارِ قومِ لوطٍ وأخذتُ حجراً مما رُجِمُوا به ، وطرحتهُ
 في محلاةٍ ، ودخلتُ مصر ، فترلتُ في بعضِ الدورِ في الطبقةِ الوسطى ، وكان
 في أسفلِ الدارِ حدثٌ ، فأخرجتُ الحجرَ من خُرْجِي ، ووضعتُهُ في رُووزنةٍ^٢
 في البيتِ ، فدعا الحدثُ الذي كان في أسفلِ الدارِ صبيّاً إليه ، واجتمعَ معه
 فسقطَ الحجرُ على الحدثِ من الرووزنةِ فقتله .

١ الملا مسهل ملاء ، الواحدة ملاءة : ثوب يلبس على الفخذين ، وريطة ذات لفتين .
 ٢ الرووزنة : الكوة في السقف .

فاسق لم يغفر له

أخبرنا أبو الحسين محمد بن عثمان بن مكي بقراءتي عليه بمصر قال : أخبرنا جدي أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن زريق قال : أخبرنا أبو العباس أحمد بن عيسى الوشا المقرئ قال : سمعت أبا عبد الله محمد بن عبد الله بن الحكم يقول : سمعت يونس بن عبد الأعلى يقول :

خَرَجْتُ حَاجًّا إِلَى مَكَّةَ فَلَمَّا كَانَ لَيْلَةَ عِرْفَاتٍ رَأَى الْإِمَامُ الَّذِي هَجَّ بِنَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ بِمِنَى مَنَامًا ، فَلَمَّا صِرْنَا بَعْدَ الْحَجِّ إِلَى مَكَّةَ ، بَعْدَ انْقِضَاءِ الْحَجِّ ، بَيْنَنَا تِلْكَ اللَّيَالِي فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَالْخَلَائِقُ جُلُوسٌ ، إِذْ سَمِعْنَا مَنَادِيًّا يُنَادِي فَوْقَ الْحَجَرِ : أَنْصِتُوا ، يَا مَعْشَرَ أَهْلِ الْحَجِيجِ ، فَأَنْصِتُوا ، ثُمَّ قَالَ : يَا مَعْشَرَ أَهْلِ الْحَجِيجِ : إِنَّ إِمَامَكُمْ رَأَى أَنَّ اللَّهَ ، عَزَّ وَجَلَّ ، قَدْ غَفَرَ لِكُلِّ مَنْ وَافَى الْعَامَ الْبَيْتَ إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا فَإِنَّهُ فَسَقَ بِغُلَامٍ .

امرأة صاحب المسحاة والمملك

أخبرنا الأمير أبو محمد الحسن بن عيسى بن المقتدر بالله قراءة عليه في ذي القعدة ، سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة ، قال : حدثنا أبو العباس أحمد بن منصور البشكري قال : حدثنا أبو عبد الله بن عرفة قال : حدثني محمد بن موسى السامي قال : حدثنا روح بن اسلم قال : حدثنا حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن أبي البختري عن سلمان قال :

كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ امْرَأَةٌ ذَاتُ جَمَالٍ ، وَكَانَتْ عِنْدَ رَجُلٍ يَعْمَلُ بِالْمَسْحَاةِ^٢ ، فَكَانَ إِذَا جَاءَ بِاللَّيْلِ قَدَّمَتْ لَهُ طَعَامَهُ ، وَفَرَشَتْ لَهُ فِرَاشَهُ ، فَبَلَغَ خَبْرُهَا مَلِكََ ذَلِكَ الْعَصْرِ ، فَبَعَثَ إِلَيْهَا عَجُوزًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَقَالَتْ لَهَا : مَا تَصْنَعِينَ بِهَذَا الَّذِي يَعْمَلُ بِالْمَسْحَاةِ ! لَوْ كُنْتُ عِنْدَ الْمَلِكِ لَكَسَاكَ

١ ١٠٤٦ م .

٢ المسحاة : كالمجرفة .

الحرير ، وفرشك الديباج ، فلما وقع الكلامُ في مسامعها جاء زوجها بالليل ، فلم تقدم له طعامه ، ولم تفرش له فراشه ، فقال لها : ما هذا الخلق يا هتاه ! فقالت : هو ما ترى . فقال : أطلقتك؟ قالت : نعم ، فطلقتها . فتروجها ذلك الملك ، فلما زفت إليه نظر إليها فعسى ، ومد يده إليها فحجفت . فرفع نبي ذلك العصر خبرهما إلى الله ، عز وجل ، فأوحى الله تعالى إليه : أعلمهما أني غير غافر لهما ؛ أما عليما أن بعيني ما عملا بصاحب المسحاة ؟

يقتل جاريته بريية

أخبرنا أبو الحسين أحمد بن علي التوزي قال : حدثنا اسماعيل بن سعيد بن سويد قال : حدثنا الحسين بن القاسم قال : حدثنا عبيد الله بن خرداذبة قال : أخبرني موسى بن المأمون قال :

كان فروحُ الزنّاء يعشق جاريةً بالمدينة يقال لها رهبة ثم اشراها فقال : يا رهبة لم يبق لي شيء أسرّ به غير الجلوس ، فتسقينني وأسقيكِ وتمزجين برين منكِ لي قدحاً ، وتشتقي بكم نفسي وأشفيكِ يا رهبة ما مستي شيء أعظم به إلا تفرّج عني حين آتيكِ قال ثم عثر على ربيّة بينها وبين جارية له ، فقفلتها ، فقال ابن الحيات المدني :

تنجدّ واستشرى على قتل كاعبٍ ، كأن فضاض المسك منها النفس^٢
فمالت على الكفين خودٌ غريرة^٣ ، كما بات بين الراح والصهب نرجس^٣

١ يا هتاه : أي يا فلانة .

٢ تنجد : ارتفع . استشرى : لج في الأمر . الفضاض : ما تفرق من الشيء عند كسره .

٣ الراح : الحمرة . الصهب ، الواحد أصهب : الذي يخالط بياضه حمرة ، ولا نعلم ما المراد به هنا .

قتيل لا يودی

أخبرنا أبو طاهر أحمد بن علي السواق قال : حدثنا أبو الفتح محمد بن أحمد بن فارس قال :
أخبرنا أبو الحسين عبد الله بن إبراهيم الزبيبي قال : حدثني أبو بكر محمد بن خلف قال :
حدثنا عبيد الله بن سعد الزهري قال : حدثنا عمي قال : حدثني أبي عن صالح بن كيسان قال :
حدثني ابنُ شهابٍ أن القاسم بن محمد أخبره أن رجلاً ضافَ ناساً من
هُدَيل ، فخرَجَتْ لهم جاريةٌ ، واتَّبَعها ذلك الرجل ، فأرادها على نفسها
فتعافسَا في الرَّمْلِ ، فرَمته بحجرٍ ، ففضَّضتُ كَبِيدَه ، فبلغَ ذلكَ عُمَرَ ، رحمه
الله ، فقال : ذلك قَتيلٌ اللهُ لا يودی^٢ أبداً .

يقتلها ويكي عليها

أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي بن محمد الجوهري قال : حدثنا أبو عمر محمد بن العباس الخزاز
قال : حدثنا أبو بكر محمد بن خلف القاضي قال : حدثني أبو عبد الله اليمامي عن العتبي عن
أبيه قال :

كان رجلٌ من العربٍ تحتَه ابنةٌ عمٍّ له ، وكان لها عاشقاً ، وكانت امرأةً
جميلةً ، وكان من عشقِه لها أنه كان يقعدُ في دهليزه معَ نُدَمائِه ، ثمَّ
يدخلُ ساعةً بعدَ ساعةٍ ينظرُ إليها ، ثمَّ يرجعُ إلى أصحابه عشقاً لها ، فطَبَنَ
لها^٣ ابنُ عمٍّ لها ، فاكثرَ داراً إلى جنبِه ، ثمَّ لم يزلُ يرأسلُها حتى أجابتهُ
إلى ما أراد ، فاحتالتُ ، فنزلت إليه ، ودخلَ الزوجُ كعادته لينظرَ إليها ،
فلَم يرَها ، فقال لامرأةٍ : أين فلانة ؟ قالت : تقضي حاجةً ، فطلَبَها في

١ تعافسا : تصارعا .

٢ يودی : تدفع ديتَه أي بدل دمه .

٣ طبن لها : طعن لها .

الموضيع ، فلم يجدها ، فإذا هي قد نزلت ، وهو ينظرُ إليها ، فقال لها : ما وراءك ؟ فوالله لتصدقني . قالت : والله لأصدقنك ، من الأمر كيت وكيت ، فأقرت له ، فسَلَّ السيفَ فضربَ عنقها ، وقتل أمها ، وهرَبَ ، وأنشأ يقول ١ :

يا طلعةً طلَعَ الحِمامُ عليها فجئني لما نَمَرَ الردى بسديها

رَويتُ من دمِها الرى ، ولطالما روى الهوى شفتي من شفيتها

حكمتُ سيفي في مجال حناقيها ، ومدامعي تجري على خديها

ما كانَ قتلِها لأني لم أكنُ أخشى إذا سقطَ الغبارُ عليها

لكن بخلتُ على العيونِ بحسنِها ، وأنفتُ من نظيرِ العيونِ إليها

قال : وزادني غيرُ أبي عبد الله : وكان لها أختُ شاعرةٌ فقالتُ تُجيبهُ :

لو كنتُ تُشفقُ أو ترقِّعُ عليها لرفعتُ حدَّ السيفِ عن ودجِها ٢

ورحمتُ عبرتها وطولَ حنينِها ، وجزعتُ من سوءِ بصيرُ إليها

مَن كانَ يفعلُ ما فعلتُ بِمثلِها ، إذ طاوعتكَ ، وخالفتُ أبويها

فتركتُها في خديرِها مقتولةً ، ظلماً ، وتبكي ، يا شقي ، عليها

١ هذه الأبيات لديك الجن .

٢ تشفق : تخاف وتخاذل . ودجها مشى ودج : عرق في العنق ينتفخ عند الغضب .

ظبيات لمن أسرى وقتلى

ولي ابتداء قصيدة :

بينَ بابِ ابرزوا ونهرِ المُعلَى ظبياتٌ لمنَ أسرى وقتلى
فنايكاتٌ حلكنَ ، يومَ التَّقِينَا ، من دمي بالإعراضِ ما ليسَ حلا
هَجَرُوا مع تصاقُبِ الدارِ ، واسنَ لَ هَوَاهُم مِـن جِسْمِي الرُّوحَ سَلَا
وَأَبُوا أَن يُسَامِحُوا بِحُبَالٍ رُبَّمَا نَقَسَ الهُمومَ وَسَلَا^١
فَعَلَيْهِم ، مع الصبي والتصابي مِـن سلامي ، مَا دَقَّ مِـنهُ وَجَلَا^٢

إهدار دم الفاسق

أخبرنا أبو طاهر أحمد بن علي السراق قال : حدثنا أبو الفتح محمد بن أحمد بن فارس قال :
حدثنا أبو الحسين بن بيان الزبيبي قال : حدثنا أبو بكر محمد بن خلف المحولي قال : حدثنا
أحمد بن زهير قال : حدثنا داود بن رشيد قال : حدثنا أبو المريح عن الزهري قال :

كان رجلٌ يهوى امرأةً ، فأرادها ، فأغلقت البابَ دونه ، فأدخلَ الرجلُ
رأسه من إسكفة الباب^١ ، فأخذتِ المرأةُ حجراً أو خشبةً ، فضربتْ رأسه
فدمغته ، فرفعَ ذلكَ إلى عبد الملك بن مروان فقال : به لا بظبي^٢ ،
وأهدرَ دمه .

١ الحبال : الامتلاء ، يقال به حبال من الشرب أي امتلاء . ولعل هذه اللفظة محرفة .

٢ إسكفة الباب : خشبته .

٣ دمغه : أصابت دماغه . به لا بظبي : مثل يقال عند نفي العدو .

عمر وابنة الشيخ الأنصاري

أخبرنا أبو طاهر بن السواق قال : حدثنا محمد بن فارس قال : حدثنا عبد الله بن إبراهيم الزبيبي قال : حدثنا محمد بن خلف قال : حدثنا أحمد بن منصور الرمادي قال : حدثنا عبد الله بن صالح قال : حدثني الليث قال :

قال عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : لَا أَهْدِرُ دَمَ أَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ . وَإِنَّهُ أُنِيَ يَوْمًا بَفْتَى أَمْرَدٍ قَدْ وُجِدَ قَتِيلًا مُلْقَى عَلَى وَجْهِ الطَّرِيقِ . فَسَأَلَ عُمَرَ عَنْ أَمْرِهِ وَاجْتِهَادِ فَلَمْ يَقِفْ لَهُ عَلَى خَيْرٍ ، وَلَمْ يُعْرِفْ لَهُ قَاتِلًا . فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، وَقَالَ : اللَّهُمَّ أَظْفِرْ تِي بَقَاتِلِهِ ، حَتَّى إِذَا كَانَ رَأْسُ الْحَوَلِ أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ وَجِدَ صَبِيًّا مَوْلُودًا مُلْقَى بِمَوْضِعِ الْقَتِيلِ ، فَأُنِيَ بِهِ عُمَرُ ، رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : ظَنَنْتُ بِدَمِ الْمُقْتُولِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، فَدَفَعَ الصَّبِيَّ إِلَى امْرَأَةٍ وَقَالَ لَهَا : قَوْمِي بِشَأْنِهِ ، وَخُدْنِي مِنْهَا نَفَقَتَهُ ، وَانظُرِي مَنْ يَأْخُذُهُ مِنْكَ ، فَإِذَا وَجَدْتِ امْرَأَةً تُقَبِّلُهُ وَتَضُمُّهُ إِلَى صَدْرِهَا ، فَأَعْلِمْنِي بِمَكَانِهَا .

فَلَمَّا شَبَّ الصَّبِيُّ ، وَطَابَ ، جَاءَتْ جَارِيَةٌ فَقَالَتْ لِلْمَرْأَةِ : إِنَّ سَيِّدَتِي بَعَثَنِي إِلَيْكَ ، لِتَبْعَنِي بِالصَّبِيِّ لِتَرَاهُ وَتَرُدَّهُ إِلَيْكَ . قَالَتْ : نَعَمْ أَذْهَبِي بِهِ إِلَيْهَا ، وَأَنَا مَعَكَ ، فَذَهَبَتْ بِالصَّبِيِّ ، وَالْمَرْأَةُ مَعَهَا ، حَتَّى دَخَلَتْ عَلَى سَيِّدَتِهَا ، فَلَمَّا رَأَتْهُ أَخَذَتْهُ فَقَبَّلَتْهُ وَضَمَّتْهُ إِلَيْهَا ، وَإِذَا هِيَ بِنْتُ شَيْخٍ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَأَخْبَرَتْ عُمَرَ خَيْرَ الْمَرْأَةِ ، فَاشْتَمَلَ عُمَرُ عَلَى سَيْفِهِ ، ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَى مَنْزِلِهَا ، فَوَجَدَ أَبَاهَا مُتَّكِنًا عَلَى بَابِ دَارِهِ فَقَالَ : يَا أَبَا فَلَانِ ! مَا فَعَلْتَ ابْنَتَكَ فُلَانَةَ ؟ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ جَزَاها اللَّهُ خَيْرًا ، هِيَ مِنْ أَعْرَفِ النَّاسِ بِحَقِّ اللَّهِ تَعَالَى ، وَحَقِّ أَبِيهَا ، مَعَ حُسْنِ صَلَاتِهَا وَصِيَامِهَا ، وَالْقِيَامِ بِدِينِهَا . فَقَالَ عُمَرُ : قَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ أَدْخُلَ عَلَيْهَا فَأَزِيدَهَا رَغْبَةً فِي الْخَيْرِ وَأَحْشَهَا عَلَى ذَلِكَ . فَقَالَ الشَّيْخُ : جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! فَقَالَ لَهُ : امْكُثْ مَكَانَكَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْكَ .

فاستأذنَ عمرُ عليها، فلَمَّا دخلَ أمرَ عمرَ كلَّ مَنْ كانَ عندها بالخروجِ،
 فخرجوا عنها ، وبقيتُ هي وعمرُ في البيتِ ليسَ معَهما أحدٌ ، فكشَفَ
 عمرُ عن السيفِ فقال : لَتَصَدُقَنِي ، وكانَ عمرُ لا يكذبُ ، فقالتُ : علي
 رَسَلِكَ يا أميرَ المؤمنين ، علي الخبيرِ وقعتُ، فواللهِ لأصِدُقَنَّ : إنَّ عجوزاً
 كانتُ تدخلُ عليَّ ، فاتخذتها أمّاً ، وكانتُ تقومُ من أمري بما تقومُ به الوالدةُ ،
 وكنْتُ لها بمنزلةِ البنتِ ، فأمضتُ بذلكَ حيناً ، ثمَّ إنَّها قالتُ : يا بُنَيَّةُ إنَّه قد
 عَرَضَ لي سفرٌ ، ولي بنتٌ في موضعٍ أتخوفُ عليها فيه أن تضيعَ ، وقد أحببتُ
 أن أضُمَّها إليك ، حتى أرجعَ من سفري ، فعمدتُ إلى ابنِ ، كانَ لها ، شاباً
 أمرَدَ قهبيَّتهُ كهبيَّاةِ الجاريةِ ، وأتني به ، وأنا لا أشكُّ أنَّه جاريةٌ ، فكان
 يرى مني ما ترى الجاريةُ من الجاريةِ ، حتى اغتفَلني يوماً وأنا نائمةٌ ، فما
 شعرتُ حتى علاني وخالطني ، فمدَدتُ يدي إلى شفرةٍ كانتُ إلى جنبِي
 فقتلتهُ ، ثمَّ أمرتُ بهِ فألقيتُ حيثُ رأيتُ ، فاشتملتُ منه على هذا الصبيِّ ،
 فلَمَّا وَضَعتهُ ألقىتهُ في موضعِ أبيه ، فهذا واللهِ خبرُهما على ما أعلمتُك .
 فقال لها عمرُ ، رحمةُ الله عليه : صدقتِ بآركَ اللهُ فيكِ إنَّهم أوصاها
 ووعظَها ، ودعا لها ، وخرجَ من عندها ، وقال لأبيها : بآركَ اللهُ في ابنتِكَ ،
 فنعمَ الابنةُ ابنتُكَ ، وقد وعظتُها وأمرتُها . فقال له الشيخُ : وصلَكَ اللهُ
 يا أميرَ المؤمنين ، وجزاكَ خيراً عن رعيتِكَ !

سوسنُ العابدة ومرآوداها

أخبرنا أبو طاهر أحمد بن علي السواق قال : حدثنا ابن فارس قال : حدثنا الزبيبي قال :
حدثنا محمد بن خلف قال : حدثني أحمد بن زهير قال : قال غيلان : حدثنا أبو عوانة عن
اسماعيل بن سالم عن أبي ادريس الأودي قال :

كان رجلاً في بني إسرائيل عابداً وكانت جارياً يُقال لها سوسن^١ ،
عابدةٌ ، وكانوا يأتون بستاناً فيستقربون فيه بقربان لهم ، فهوي العابدان
سوسن فكتّم كل واحد منهما عن صاحبه ، واختبأ كل واحد منهما
خلف شجرة ينظران إليها ، فبصر كل واحد منهما بصاحبه ، فقال
كل واحد منهما لصاحبه : ما يُقيمك هنا ؟ فأفشى كل واحد منهما إلى
صاحبه حب سوسن ، فاتفقاً على أن يرآوداها عن نفسها ، فلما جاءت
لتقرب قالوا لها : قد عرفت طواعية بني إسرائيل لنا ، فإن لم تواتينا قلنا ،
أصبتنا : إنا أصبنا معك رجلاً ، وإن الرجل فاتنا ، وإنا أخذناك ،
مالت لهما : ما كنت لأطبعكما ، فأخذها ، وأخرجها ، وقال : أخذنا
سوسن مع رجل ، وإن الرجل سبقنا وذهب ، فأقاموا سوسن على
المصطبة ، فكانوا يقيمون المذنب ثلاثة أيام ، فتترك نار من السماء ،
فتأخذها ، فأقاموا سوسن ، فلما كان اليوم الثالث جاء دانيال ، وهو
ابن ثلاث عشرة سنة ، فوضعوا له كرسيّاً ، فجلس عليه ، وقال :
قدموهما إليّ ! فجاءا كالمستهزئين ، فقال : فرقوا بين الشاهدين ! فقال
لأحدهما : خلف أي شجرة رأيتها ؟ فقال : وراء تَفَاحة ، وقال للآخر :
خلف أي شجرة رأيتها ؟ فاختلفا ، فنزلت نار من السماء ، فأحرقتهما ،
وأفليتت سوسن .

قال أبو بكر : وفي خبرٍ آخر أنها وقفت لترجم فنزل الوحي على
دانيال وهو ابن سبع سنين .

١ هي سوسنة المذكورة قصتها في نبوة دانيال في التوراة .

يخون الغازي فيقتل

أخبرنا أبو علي زيد بن أبي حيويه القاضي بمدينة تنيس في سنة خمس وخمسين واربعمائة. قال :
حدثنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن نصر قال : حدثنا أبو عمرو عثمان بن محمد بن أحمد
السمرقندي بتنيس قال : حدثنا أحمد بن شيان الموصلي قال : حدثنا مؤمل عن حماد بن سلمة
وحماد بن زيد عن أيوب :

أَنَّ رَجُلًا خَرَجَ غَازِيًا ، فَخَرَجَ رَجُلٌ مِّنْ جِيرَانِهِ فَأَبْصَرَ فِي بَيْتِهِ ذَاتَ
لَيْلَةٍ مِصْبَاحًا ، فَقَامَ قَرِيبًا مِنْ مَنزِلِهِ ، فَسَمِعَ :

وَأَشَعَّتْ غَرَّةُ الْإِسْلَامِ مِنْي خَلَوْتُ بِعِرْسِهِ لَيْلَ التَّمَامِ ٢

أَبَيْتُ عَلَى تَرَائِبِهَا وَيُضْحِي عَلَى جَرْدَاءٍ لَاحِقَةِ الْحِزَامِ ٣

كَأَنَّ مَوَاضِعَ الرَّبَلَاتِ مِنْهَا فِتَامٌ ٤ يَنْتَسِمِينَ إِلَى فِتَامِ ٤

قال : فدخل عليه فقتله ، ثم رمى به ، فلما أصبح أخبر عمرُ بـ
فقام يخطبُ الناسَ فقال : أنشدُ اللهَ رجلاً ، وأعزمُ على من علم من هذا
الرجلَ علماً إلاّ أخبرنا به . فقامَ الرجلُ فأخبره بما رأى وبما سمعَ ، فقال
عمر : اقتلُ ! قال : فعلتُ يا أميرَ المؤمنين .

١ ١٠٦٣ م .

٢ الأشمث : المغبر الشعر . ليل التمام : ليلة البدر .

٣ الترائب ، الواحدة تريبة : أعلى الصدر . الجرداء : الفرس القليلة الشعر . اللاحقة الحزام : الضامرة .

٤ الربلات ، الواحدة ربله : أصول الأفضاخ . الفتام : الجماعة من الناس .

ما أذنت إلا ذنب صحر

أنيأنا القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعي ولقيته بمدينة الرسول ، صل الله عليه وآله وسلم ، في سنة ست وأربعين وأربعمائة ١ قال : أخبرنا أبو مسلم الكاتب قال : أخبرنا ابن دريد قال : حدثنا الكلبي عن ابن أبي خالد عن المهيم عن مجالد عن الشعبي قال :

كان لقمان بن عاد بن عاديا ، الذي عُمَرَ عمرَ سبعةِ أنسُرٍ ، مُبْتَلَى بالنساء ، وكان يتزوّجُ المرأةَ فتخونهُ ، حتى تزوّجَ جاريةً صغيرةً لم تعرفِ الرجال ، ثمّ فقرّ لها بيتاً في صَفْحٍ ٢ جبل ، وجعلَ لهُ درجةً بسلاسلٍ يُنزَلُ بها ويُصعدُ ، فإذا خرّجَ رُفِعَتِ السلاسلُ ، حتى عرّضَ لها فتى من العماليقِ فوقعت في نفسه ، فأتى بني أبيه ، فقال : والله لأجنيبَ عليكم حرباً لا تقومونَ لها ! قالوا : وما ذاك ؟ قال : امرأةُ لقمان بن عاد هي أحبُّ إليّ . قالوا : فكيف نخالُها ؟ قال : اجتمعوا سيوفكم ثمّ اجعلوني بينها ، وتشدّوها حِزْمةً عظيمةً ، ثمّ اتنوا لقمانَ ، فقولوا : إننا أردنا أن نساقرَ ، ونحنُ نستودِعُكَ سيوفنا حتى نرجعَ ، وسَمّوا له يوماً ! ففعلوا وأقبلوا بالسيوفِ فدفعوها إلى لقمان ، فوضَعَهَا في ناحيةِ بيته .

وخرّجَ لقمانُ وتحرّكَ الرجلُ فخلّتِ الجاريةُ عنه ، فكان يأتيها ، فإذا أحستْ بلقمان جعلته بينَ السيوفِ حتى انقضتِ الأيامُ ؛ ثمّ جاؤوا إلى لقمان فاسترجعوا سيوفهم ، فرَفَعَ لقمانُ رأسه بعدَ ذلك فإذا نُخامةُ تنوسٍ ٣ في سَقَفِ البيتِ ، فقالَ لامرأته : من نخمَ هذه ؟ قالت : أنا ، قال : فتنخمي ! ففعلتْ ، فلم تنصنعَ شيئاً ، فقال : يا ويلتاه ! والسيوفُ دهنتي ؛ ثمّ رمى

١ ١٠٥٤ م .

٢ صفح : جانب .

٣ النخامة : ما يدفمه الانسان من صدره أو أنفه . تنوس : تتحرك .

بها من ذُرُوءِ الجبلِ فَتَقَطَّعتِ قِطْعاً ، وانحدَرَ مُغْضَباً ، فإذا ابنة له يقال لها صَحْرَ فقالت له : يا أبتاه ! ما شأنك ؟ قال : وأنت أيضاً من النساء ، فضربَ رأسها بصخرةٍ فقتلها ، فقالت العربُ : ما أذنبتُ إلاّ ذَنْبَ صَحْرَ ، فصارت مثلاً^١ .

٤ الحساء المهجورة

أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري قراءة عليه قال : أخبرنا أبو عمر بن حيويه قال : حدثنا محمد بن خلف بن المرزبان المحولي قال : حدثني عبد الله بن عمرو قال : حدثني علي بن عبد الله بن سليمان النوفلي قال : ذكر أبو المختار عن محمد بن قيس العبدي قال :

إني لبالمزْدَلِفَةِ^٢ بينَ النَّائمِ وَالْيَقْظانِ ، إذ سَمِعْتُ بكاءً متتابعاً وَنَفَساً عالياً ، فاتَّبَعْتُ الصَّوْتَ ، فإذا أنا بِجاريةٍ كأنها الشَّمْسُ حَسناً ، ومَعها عَجوزٌ ، فَلَطِطْتُ بِالْأَرْضِ لِأَنْظُرَ إِلَيْها وَأَمْتَعَ عيني بِحُسْنِها ، فَسَمِعْتُها تَقول :

دَعَوْتُكَ يا مَوْلایِ سِراً وَجَهْرَةً دعاءَ ضَعيفِ القَلْبِ عن مَحْمَلِ الحَبِّ
بُلِيتُ بِقَبائِبِ القَلْبِ لا يَعْرِفُ الهَوَى وَأَقْتَلِ خَلقِ اللَّهِ لِلهائِمِ الصَّبِّ
فإن كُنْتُ لمُ تَقْضِ المودَّةَ بَيْنَنا فلا تُخْلِ مِن حُبِّ لهُ أبدأً قَلْبِي
رَضِيتُ بهدَا في الحَيَاةِ ، فإن أُمْتُ فَحَسْبِي ثَوَاباً في المَعادِ بهِ حَسْبِي
وَجَعَلْتُ تُرَدِّدَ هذِهِ الأبياتِ ، وَتَبْكِي ، فَقُمْتُ إِلَيْها ، فَقُلْتُ : بِنَفْسِي أَنْتِ ، مَعَ هذِهِ الوَجْهِ يَمْتَنِعُ عَلَيْكِ مِن تُرِيدِينِه ؟ قالت : نعم ، وَاللَّهِ ، وَفِي قَلْبِه أَكْثَرُ مِمَّا فِي قَلْبِي ، فَقُلْتُ : إلى كَمِ هذِهِ البِكاءِ ؟ قالت : أبدأً أوْ بِصِيرَ

١ أي جوزيت ولم تذب .

٢ المزدلفة : من مناسك الحج .

الدَّمْعُ دَمًا وَتَتَلَفُ نَفْسِي غَمًّا . فقلتُ لها : إنَّ هذه لآخرُ ليلةٍ من ليالي الحَجِّ ، فلو سألتِ اللهَ التَّوْبَةَ مِمَّا أَنْتِ فِيهِ ، رَجَوْتُ أَنْ يَذْهَبَ حَبَهُ مِنْ قَلْبِكَ . فقالت : يا هذا ! عليكِ بِنَفْسِكَ فِي طَلَبِ رَغْبَتِكَ ، فَإِنِّي قَدْ قَدِمْتُ رَغْبَتِي إِلَى مَنْ لَيْسَ يَجْهَلُ بُغْيَتِي . وَحَوَّلَتْ وَجْهَهَا عَنِّي ، وَأَقْبَلَتْ عَلَيَّ بِسُكَّائِهَا وَشَعْرِهَا ، وَلَمْ يَفْعَلْ فِيهَا قَوْلِي وَعِظَتِي .

إنما يرحم الصحيح السقيما

أنشدنا أبو محمد الجوهري قال : أنشدنا ابن حيويه قال : أنشدنا عبيد الله بن أحمد قال :
أنشدني أبي لخالد الكاتب :

عِشْتُ مُسْتَهْتَرًا وَعِشْتُ سَلِيمًا ، حَيْثُ مَا كُنْتُ لَا عَدِمْتُ النَّعِيمَا
عَجَبٌ أَنْ تَسْكُونَ يَا حَسَنًا ۖ وَجْهَ رَوْفًا بِعَاشِقِيكَ رَحِيمًا
بَدَنِّي نَاحِلٌ ، وَأَنْتَ صَحِيحٌ ، إِنَّمَا يَرْحَمُ الصَّحِيحُ السَّقِيمَا
عَلِمَ الْخَلْقُ أَنَّ رُوحِي وَجِسْمِي لَقِيمًا فِي هَوَاكَ أَمْرًا عَظِيمًا

يخصي المغني

أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي ثابت الحافظ قال : حدثنا أبو نعيم الحافظ الأصبهاني بها قال :
حدثنا سليمان الطبراني قال : حدثنا محمد بن جعفر بن أعين قال : حدثنا علي بن حرب
المؤملي عن عامر بن الكلبى عن حماد الراوية قال : حدثني بعض خدم سليمان بن عبد الرحمن
قال :

خَرَجَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ يَرِيدُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ ، وَكَانَ أُغْيَرَ قُرَيْشٍ
وَأَسْرَعَهَا طَيْرَةً ، فَتَزَلَّ مَتَزِلًا مِنْ غَوْرِ الْبَلْقَاءِ بِدَيْرِ لِبَعْضِ الرُّهْبَانِ ،

فَحَفَّ بِالْدِيرِ أَهْلُ الْعَسْكَرِ ، وَكَانَ فِي مَنْ خَرَجَ مَعَهُ رَجُلٌ مِنْ كَلْبٍ ، يُقَالُ
لَهُ سِنَانٌ ، وَكَانَ فَارِسًا وَمُغْنِيًا مُحْسِنًا ، وَشُجَاعًا ، وَبَغِيرَةَ سُلَيْمَانَ بْنِ
عَبْدِ الْمَلِكِ عَارِفًا ، وَلَمْ يَكُ يُسْمَعُ لَهُ صَوْتُ فِي عَسْكَرِهِ ، فَزَارَهُ فِي تِلْكَ
الَّيْلَةِ فَتِيَّةٌ مِنْ أَهْلِهِ ، فَعَشَاهُمْ ، وَسَقَاهُمْ ، فَأَخَذَ فِيهِمُ الشَّرَابُ ، فَقَالُوا :
يَا سِنَانُ ! مَا أَكْرَمْتَنَا بِشَيْءٍ إِنْ لَمْ تُسْمِعِنَا صَوْتَكَ . فَتَرْتَمَ فَعَتَاهُمْ ، فَقَالَ :
مَحْجُوبَةٌ سَمِعَتْ صَوْتِي فَأَرَقَهَا مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ لَمَّا بَلَّهَا السَّحَرُ
تَثْقِي عَلَى فَخْذِهَا مُشْنَى مُعْصِفَرَةٌ وَالْحَلْتِي مِنْهَا عَلَى لِبَاتِهَا حَصِيرٌ
لَمْ يَحْجُبِ الصَّوْتَ أَحْرَاسٌ وَلَا غَلَّتِي فَدَمَعُهَا لَطْرُوقُ الصَّوْتِ مُنْحَدِرٌ
فِي لَيْلَةِ النِّصْفِ مَا يَدْرِي مُضَاجِعُهَا أَوْجُهُهَا عِنْدَهُ أَبْهَى أَمِ الْقَمَرُ
لَوْ خَلَيْتَ لَمَشْتِ نَحْوِي عَلَى قَدَمٍ تَسْكَادُ مِنْ رِقَّةٍ لِلْمَشِيِّ تَنْفَطِرُ
فَلَمَّا سَمِعَ سُلَيْمَانُ الصَّوْتَ قَامَ فَرِعًا يَتَفَهَّمُ مَا سَمِعَ ، وَكَانَ مَعَهُ
جَارِيَتُهُ عَوَّانٌ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهَا نَظِيرٌ فِي زَمَانِهَا فِي الْجَمَالِ وَالتَّمَامِ وَالْحَذَقِ بِالْغَنَاءِ ،
وَكَانَ يَحِبُّهَا ، فَلَمَّا فَهَمَ الصَّوْتَ ارْتَعَدَتْ فَرَأَيْتُهَا غَيْرَةً ، ثُمَّ أَقْبَلَ نَحْوَ
عَوَّانٍ ، وَهِيَ خَلْفَ سِتْرٍ ، فَكَشَفَ السِّتْرَ رُؤْيَا لِيَنْظُرَ أَنَاثِمَةً هِيَ أَمُّ
مُسْتَيْقِظَةٍ ، فَوَجَدَهَا مُسْتَيْقِظَةً ، وَهِيَ صِفَةُ الْأَيَّاتِ : عَلَيْهَا مُعْصِفَرَةٌ ،
وَحَلِيئُهَا عَلَى لِبَاتِهَا ، فَلَمَّا أَحَسَّتْ بِهِ ، وَعَلِمَتْ بِأَنَّهُ قَدْ عَلِمَ بِأَنِّهَا مُسْتَيْقِظَةٌ
قَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! قَاتِلَ اللَّهِ الشَّاعِرَ حَيْثُ يَقُولُ :

أَلَا رَبُّ صَوْتٍ جَاءَ نِي مِنْ مُشْوَةٍ قَبِيحِ الْمُحْيَا وَأَضِيعِ الْأَبِّ وَالْجَدِّ
قَصِيرِ نِجَادِ السِّيفِ جَعَدٍ بِنَانُهُ إِلَى أُمَّةٍ يُعْزَى مَعًا وَإِلَى عَبِيدِ

١ الحصر : الضيق .

٢ النصف : أي نصف الشهر ، ليلة الإبدار .

٣ تنفطر : تلتق .

فسكنَ من غضبه قليلاً ، ثمَّ قالَ لها : فقد رَاعِكَ صَوْتُهُ على ذلك ؟
 فقالت : يا أميرَ المؤمنينَ صادَفَ مني استيقاظاً ، فقال : وَيَحْكُ يا عَوَّانُ !
 كأنه ، والله ، يَرَاكَ وَيَنعَتُكَ في غنائه في هذه اللَّيْلَةِ ، وَاللهُ لأَقْطَعَنَّه أَطْباقاً
 كائناً ما كان . ثمَّ بعثَ في طلبه فبعثت عَوَّانُ خادِماً إليه سرّاً ، وقالت له :
 إن أدركتهُ فحذرتُه ، فأنتَ حرٌّ ، ولكَ ديتُه . فخرجَ سليمانُ حتى وَقَفَ
 على بابِ الدَيْرِ ، فسبَّقت رُسلُ سليمانَ ، فأتوا به إلى سليمانَ مرَبوطاً حتى
 وَقَفوه بينَ يديه ، فقال له : من أنتَ ؟ قال : أنا سنانُ الكلبيُّ فارِسُكَ يا أميرَ
 المؤمنينَ . فأنشأ سليمانُ يقول :

تَشَكَّرُ في التَّكْلِ سِناناً أُمَّهُ كانَ لها رِيحانةٌ تَشُمَّهُ
 وَخالُهُ بِشَكْلُهُ وَعَمُّهُ ذُو سَفِّهِ هِنائُهُ تَعُمَّهُ
 فقال سِنانُ : يا أميرَ المؤمنينَ :

إسْتَبَقَنِي إلى الصَّباحِ أَعْتَدِرُ إنَّ لسانِي بالشرابِ مُنْكَسِرُ
 فارِسُكَ الكلبيُّ في يومٍ نَكِيرُ ، فإنَّ يَكُنْ أَذْنَبَ ذَنْباً أوْ عَثَرَ
 فَالسَّيِّدُ العافيُّ أَحَقُّ مَنْ غَفَرَ

فقال سليمانُ : أعليَّ تَجَرِيءُ يا سِنانُ ! أما إني لأَقْتُلُكَ ، ولكني سأنْكَلُ^١
 بك نَكَالاً^٢ يوثبُكَ من تَفْحَلِكِ . فأمرَ به فحُصِيَ ، فسُمِّيَ ذلكَ الدَيْرُ
 دَيْرَ الحِصْيَانِ .

١ السفه : الجهل . أراد هيناته سيئاته .

٢ نكل به : صنع به صنيعاً يحذر به غيره ويجعله عبرة له .

تقتل حفاظاً على عرضها

أخبرنا أبو طاهر أحمد بن علي السواق قال : أخبرنا محمد بن أحمد بن فارس قال : حدثنا عبد الله بن إبراهيم الزبيني قال : حدثنا محمد بن خلف قال : حدثني اسحق بن محمد قال : حدثنا محمد بن زياد الاعرابي قال :

نَزَلَ رَجُلٌ مِنْ الْعَرَبِ بِامْرَأَةٍ مِنْ بَاهِلَةَ ، وَلَيْسَ عِنْدَهَا زَوْجُهَا ، فَأَكْرَمَتْهُ وَفَرَشَتْهُ ، فَلَمَّا لَمْ يَرَ عِنْدَهَا أَحَدًا سَأَمَهَا نَفْسَهَا ، فَلَمَّا خَشِيَتْهُ قَالَتْ لَهُ : امْكُثْ ، أَسْتَصْلِحُ لَكَ ، ثُمَّ رَاحَتْ فَأَخَذَتْ مِدْيَةَ^١ ، فَأَخْفَتَهَا ثُمَّ أَقْبَلَتْ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا رَأَتْهَا نَارَ إِلَيْهَا فَضْرَبَتْ بِهَا فِي نَحْرِهِ ، فَلَمَّا رَأَتْ الدَّمَ سَقَطَتْ مَغْشِيًا عَلَيْهَا ، وَسَقَطَ هَوَ مَيْتًا ، فَأَتَاهَا آتٍ مِنْ أَهْلِهَا ، فَوَجَدَهَا عَلَى تِلْكَ الْحَالِ ، فَأَجْلَسَهَا حَتَّى أَفَاقَتْ ؛ فَقَالَ أَعْشَى بِبَاهِلَةَ فِي ذَلِكَ :

لَعَمْرِي لَقَدْ حَفَّتْ مَعَاذَةَ^٢ ضَيْفَهَا وَسَوَتْ عَليَّهِ مَهْدَهُ^٣ ثُمَّ بَرَّتِ^١
فَلَمَّا بَغَاهَا نَفْسَهَا غَضِبَتْ لَهَا عَرُوقٌ^٤ نَمَتْ وَسَطَ الرِّى فَاسْتَقَرَّتِ^٢
وَشَدَّتْ عَلَى ذِي مِدْيَةِ الْكَفِّ مِعْصَمًا وَضَيْقًا وَعَعَرَّتْ نَفْسَهَا فَاسْتَمَرَّتِ^٣
فَأَمَّتْ بِهَا فِي نَحْرِهِ وَهُوَ يَبْتَغِي^٤ نِكَاحَ فَمَرَّتْ فِي حَشَاهُ وَجَرَّتِ^٤
فَتَشَجَّ كَأَنَّ النِّيلَ فِي جَوْفِ صَدْرِهِ ، وَأَدْرَكَهَا ضَعْفُ النِّسَاءِ فَخَرَّتِ^٥

١ حفت ضيفها : أحاطته بالاكرام . معاذة : اسم المرأة . برت : أطاعت ، أحسنت المعاملة .
٢ بغاهها نفسها : أراد راودها عن نفسها . العروق : أراد بها الأصل الكريم والشرف . استقرت : ثبتت .

٣ ذي مدية الكف : أي السكين الذي يمسك باليد . استمرت : ثبتت على حالة واحدة .

٤ أمت : قصدت . جرت : جذبت ، يريد أنها طمته في نحره ، وأخرجت السكين منه .

٥ تج : أراد تدفق الدم . خرت : أي سقطت مغشياً عليها .

هل يأتيكم نفسي؟

وأشده لخالد الكاتب :

إني إذا لم أجدُ شخصاً لأُرسلهُ وَضَاقَ بي منتهى أمري ومُلْتَمَسِي
لَمُرْسِلٍ زَفْرَةٌ من بعدها نَفْسٌ، يا كَيْتَ شِعْرِي هل يَأْتِيكُمْ نَفْسِي؟

المرأة الفاجرة والحية

أخبرنا أبو غالب محمد بن أحمد بن سهل بن بشران في كتابه إلينا من واسط العراق قال :
أخبرنا محمد بن عبد الرحيم بن دينار قال : أخبرنا أبو الفرج الأصبهاني قال : أخبرنا الحسين
ابن أحمد عن حماد عن أبيه عن المدائني عن جويرية بن أسماء عن عمه قال :
حَجَجْتُ فإني لفي رَفْقَةٍ مع قومٍ إذ نزلتُ مَتَرِيلاً ومعنا امرأةٌ ، فنامت ،
وانتَبَهتُ ، وَحِيَةٌ منطويةٌ عليها قد جَمَعَتْ رأسها وذَنَبَها بينَ ثُدْيَيْها ،
فها لنا ذلك وارْتَحَلْنَا ، فلم تزلُ منطويةٌ عليها لا تضرُّها ، حتى دخلنا أنصاب
الحَرَمِ فانسابتُ ، فدخلنا مكةَ ففَضَّيْنَا نُسُكَنَا . فرأها الغريضةُ^١ فقال : أي
شَقِيَّةٌ ما فعلتُ حَيَّتُكَ ؟ قالتُ : في النارِ ! فقال : ستعلمين مَنْ في النارِ ،
ولم أفهم ما أراد فظننتُ أنه مازحها ، واشتقتُ إلى غنائهِ ، ولم يكن بيني
وبينته ما يوجبُ ذلك عليه ، فأتيتُ بعضَ أهلِهِ ، فسألتهُ ذلكَ فقال : نَعَمْ ،
فوجهٌ إليه أن اخرج بنا إلى موضعٍ كذا وكذا ، ثم قال لي : اركبُ بنا ، فركبنا
حتى سِرْنَا قدر ميلٍ ، فإذا الغريضةُ هناكَ ، فنزلنا ، فإذا طعامٌ مُعَدٌّ ،
ومَوْضِعٌ حَسَنٌ ، فأكلنا وشربنا ، ثم قال : يا أبا يزيد هاتِ بعضَ طرائفِكِ !
فاندفعَ بَغْتِي ، ويوقَعُ بقضيبٍ :

مَرِضْتُ فلم تحفِلْ عليَّ جنوبُ ، وأدنتُ ، والمشمى إليَّ قريبُ

١ الغريضة : مفن مشهور .

فَلَا يُبْعِدِ اللهُ الشَّبَابَ وَقَوْلَنَا إِذَا مَا صَبَّوْنَا صَبْوَةً سَنَتُوبُ
فَلَقَدْ سَمِعْتُ شَيْئاً ظَنَنْتُ أَنْ الْجِبَالَ الَّتِي حَوْلَنَا تَنْطِقُ مَعَهُ شَجَا صَوْتِ
وَطَيْبِ غِنَاءٍ ، وَقَالَ لِي : أَتُحِبُّ أَنْ تَزِيدَكَ ؟ فَقُلْتُ : إِي وَاللَّهِ ، فَقَالَ لَهُ :
هَذَا ضَيْفُكَ وَضَيْفُنَا ، وَقَدْ رَغِبَ إِلَيْكَ وَاللَّيْنَا ، فَاسْعِفْهُ بِمَا يُرِيدُ .
فَانْدَفَعَ بِغُنْيِي بِشَعْرِ مَجْنُونِ بَنِي عَامِرِ :

عَقَمَا اللهُ عَنِ لَيْلَى الْغَدَاةَ ، فَإِنَّهَا إِذَا وَلِيَتْ حُكْمًا عَلِيًّا تَجُورُ
أَتْرُكُ لَيْلَى لَيْسَ بَيْتِي وَبَيْتِنَاهَا سِوَى لَيْلَةَ ؟ إِنِّي إِذَا لَصَبُورُ
فَمَا عَقَلْتُ بِمَا غَنَى مِنْ حُسْنِهِ ، إِلَّا بِقَوْلِ صَاحِبِي : نَجُورُ عَلَيْكَ
يَا أَبَا يَزِيدَ ، عَرَضَ بَأْتِي لِمَا وَلِيْتَ الْحُكْمَ عَلَيْهِ ، جُرْتُ فِي سَوَالِي إِيَّاهُ أَكْثَرَ مِنْ
صَوْتِ . فَقُلْتُ لَهُ ، بَعْدَ سَاعَةٍ ، سَرًّا : جُعَلْتُ فِدَاكَ إِنِّي أُرِيدُ الْمَضِيَّ فِي
أَصْحَابِي ، نُرِيدُ الرَّحْلَةَ ، وَقَدْ أَبْطَأْتُ عَلَيْهِمْ ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَسْأَلَهُ ،
حَاطَهُ اللهُ مِنَ السُّوءِ وَالْمَكْرُوهِ ، أَنْ يَزِيدَ لِحَنًا وَاحِدًا ، فَقَالَ : يَا أَبَا يَزِيدَ !
أَتَعْلَمُ مَا هُوَ أَشْهَى إِلَيَّ ضَيْفِنَا ؟ قَالَ : نَعَمْ ، أَرَادَكَ عَلَى أَنْ تُكَلِّمَنِي فِي
أَنْ أَعْنِيهِ . قُلْتُ : فَهَوَ وَاللَّهِ ذَلِكَ ، فَانْدَفَعَ بِغُنْيِي :

خَذِي الْعَفْوَةَ مِنِّي تَسْتَدِيمِي مَوَدَّتِي ، وَلَا تَنْطِقِي فِي سَوْرَتِي حِينَ أَعْضِبُ
فَإِنِّي رَأَيْتُ الْحُبَّ فِي الصَّدْرِ وَالْأَذَى إِذَا اجْتَمَعَا ، لَمْ يَلْبَثِ الْحُبُّ يَذْهَبُ
فَقَالَ لَهُ : قَدْ أَخَذْنَا الْعَفْوَةَ مِنْكَ ، وَاسْتَدَمْنَا مَوَدَّتَكَ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا
فَقَالَ : أَلَا أَحَدْتُكُمْ بِحَدِيثِ حَسَنِ ؟ قُلْنَا : بَلَى ! فَقَالَ : قَالَ شَيْخٌ مِنْ أَهْلِ
الْعِلْمِ وَبِقِبَّةِ النَّاسِ وَصَاحِبِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَخَلِيفَةَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ
عَلَى الْبَصْرَةِ ، أَبُو الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيُّ لَابْنَتِهِ لَيْلَةَ الْبِنَاءِ : أَيُّ بُنَيَّةٍ أَلِ النَّسَاءُ كُنَّ
بِوَصِيَّتِكَ وَتَأْدِيكِ أَحَقُّ مِنِّي ، وَلَكِنْ لَا يَدُّ مِمَّا لَا يَدُّ مِنْهُ . يَا بُنَيَّةُ : إِنْ
أَطْيَبَ الطَّيِّبُ الْمَاءُ ، وَأَحْسَنَ الْحُسْنُ الدُّهْنُ ، وَأَحْلَى الْحَلَاوَةُ الْكُحْلُ .
يَا بُنَيَّةُ لَا تُكْثِرِي مَبَاشِرَةَ زَوْجِكَ فَيَسْمَلَكَ ، وَلَا تَتَّبَاعِدِي عَنْهُ

فِيَتَجَفُّوكِ ، وَيَعْتَلِّ عَلَيْكِ . وَكُونِي كَمَا قُلْتُ لِأَمِّكَ :

خُلِدِي الْعَفْوَةَ مِنِّي تَسْتَدِيمِي مَوَدَّتِي وَلَا تَنْطِقِي فِي سَوْرَتِي حِينَ أَغْضَبُ
فَإِنِّي رَأَيْتُ الْحُبَّ فِي الصَّدْرِ وَالْأَذَى إِذَا اجْتَمَعَا لَمْ يَلْبَسِ الْحُبُّ يَذْهَبُ
فَقُلْتُ لَهُ : فِدَيْتُكَ مَا أَدْرِي غِنَاؤُكَ أَحْسَنُ أَمْ حَدِيثُكَ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ ،
وَنَهَضْتُ وَرَكِبْتُ ، وَتَخَلَّفَ الْغَرِيضُ وَصَاحِبُهُ فِي مَوْضِعَيْهِمَا ، وَأَتَيْتُ أَصْحَابِي
وَقَدْ أَبْطَأْتُ ، فَرَحَلْنَا مَنْصَرِفِينَ ، حَتَّى إِذَا كُنَّا فِي الْمَكَانِ الَّذِي رَأَيْتُ فِيهِ الْحَيَّةَ
مَنْطُويَةً عَلَى صَدْرِ الْمَرْأَةِ ، وَنَحْنُ ذَاهِبُونَ ، رَأَيْتُ الْحَيَّةَ وَالْمَرْأَةَ وَهِيَ مَنْطُويَةٌ
عَلَيْهَا فَلَمْ أَلْبَثُ أَنْ صَفَّرَتِ الْحَيَّةُ فَلِذَا لِلْوَادِي بِسِيلٍ عَلَيْنَا حَيَاتٍ ،
فَنَهَشْتَنَاهَا حَتَّى بَقِيَتْ عِظَامًا ، فَطَالَ تَعَجُّبُنَا مِنْ ذَلِكَ ، وَرَأَيْنَا مَا لَمْ نَرَ مِثْلَهُ قَطُّ ،
فَقُلْتُ لِلْحَارِيَةِ كَأَنْتُ مَعْتَنَا : وَيَحْكُ أَخْبِرِينَا عَنْ هَذِهِ الْمَرْأَةِ ! قَالَتْ : عَلَّقْتُ
ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، وَكُلَّ مَرَّةً تَلِدُ وَلَدًا ، فَلِذَا وَضَعَتْهُ سَجَرَتِ التَّنُورِ ، ثُمَّ
أَلْقَتْهُ فِيهِ ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ الْغَرِيضِ ، حِينَ سَأَلَهَا عَنِ الْحَيَّةِ فَقَالَتْ فِي النَّارِ :
سَتَعْلَمِينَ مَنْ فِي النَّارِ .

أبو نواس والغلام عند الحجر الأسود

وجدت بخط محمد بن نصر بن أحمد بن مالك يقول : حدثنا أبو بكر محمد بن الفضل بن قديد
ابن أفلح البزاز قال : حدثنا أبو الحسن بكر بن أحمد بن الفرج بن عبد الرحيم بكازرون
قال : حدثنا عباد قال :

قال الأصمعي : كنتُ مع أبي نُوَاسٍ بِمَكَّةَ ، فَلِذَا أَنَا بِغُلَامٍ أَمْرَدٍ
يَسْتَلِيمُ الْحَجَرَ ، فَقَالَ لِي أَبُو نُوَاسٍ : وَاللَّهِ لَا أُبْرِحُ حَتَّى أَقْبِلَهُ عِنْدَ الْحَجَرِ .
فَقُلْتُ : وَيَلَيْكَ ! اتَّقِ اللَّهَ ، عِزٌّ وَجَلٌّ ، فَإِنَّكَ فِي بَلَدِ اللَّهِ الْحَرَامِ ،

١ سَجَرَتِ التَّنُورِ : مَلَأَتْهُ وَقَوَدًا وَأَحْمَتَهُ .

وعند بيته . فقال : ما منهُ بدٌ . ثم دنا من الحجر، وجاء الغلامُ يستلمه، فبادرَ أبو نُواس ، فوضَعَ خدهَ على خدِّ الغلام ، وقبَّله ، والله ، وأنا أرى فقلتُ : ويلك لقد ارتكبتَ أمراً عظيماً في حرمِ الله تعالى . فقال : دع ذا عنك فإن ربي رحيم ، ثم أنشأ يقول :

وعاشِقَانِ التَّفَّ خَدَاهُمَا عندَ استِلامِ الحَجَرِ الأَسْوَدِ
فاشْتَقِيَا مِنِّ غَيْرِ أَنْ يَأْتِمَا كأنما كانا على مَوْعِدِ

الزاعِ الشاعرِ العاشقِ

أخبرنا أبو علي محمد بن الحسين الجازري بقراءتي عليه قال : حدثنا أبو الفرج المافئ بن زكريا الحريري قال : حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي قال : حدثني أبو علي محرز بن أحمد الكاتب قال : حدثني محمد بن مسلم السعدي قال :

وَجَهَ لِي يَحْيَى بْنُ أُكْشَمَ يَوْمًا ، فَصِرْتُ لِيهِ ، وَإِذَا عَنِ يَمِينِهِ قِمَظْرَةٌ^١
مَجْلَدَةٌ ، فَجَلَسْتُ ، فَقَالَ : افْتَحْ هَذِهِ الْقِمَظْرَةَ ، فَفَتَحْتُهَا ، فَإِذَا شَيْءٌ قَدْ
خَرَجَ مِنْهَا ، رَأْسُهُ رَأْسُ إِنْسَانٍ ، وَهُوَ مِنْ سُرَّتِهِ إِلَى أَسْفَلِهِ خَلْقَةٌ زَاعٍ^٢ ،
وَفِي صَدْرِهِ وَظَهْرِهِ سَلْعَتَانِ^٣ ، فَكَبَّرْتُ وَهَلَلْتُ ، وَفَزَعْتُ ، وَيَحْيَى
يَضْحَكُ ، فَقَالَ لِي بِلِسَانٍ فَصِيحٍ طَلَّقَ ذَلِكَ :

أنا الزَّاعُ أبو عَجْوَه أنا ابنُ اللَّيْثِ واللَّبْوَه
أحِبُّ الرِّاحَ والرِّيحانَ نَ والنَّشْوَةَ والقَهْوَه
فلا عَدَوَ يَدِي يُخْشِي ولا يُحذِرُ لِي سَطْوَه^٤

١ القمطرة : ما تصان فيها الكتب .

٢ الزاع : غراب صغير ريش ظهره وبطنه أبيض .

٣ سلعتان : شجتان ، أو غدتان .

٤ العدو : الظلم والاعتداء .

ولي أشياء تُستط رَفُيَتُومَ العِرسِ والدَّعْوَةِ
 فَمِنْهَا سِلْعَةٌ فِي الظَّهْرِ لا تَسْرُهَا القَرَوَةُ
 وَأَمَّا السِّلْعَةُ الأُخْرَى فَأَوُّ كَانَتْ لَهَا عُرْوَةٌ
 لَمَّا شَكَ جَمِيعُ النَّاسِ فِيهَا أَنْتَهَسَا رَكَوَهُ

ثم قال : يا كهل أنشدني شعراً غزلاً ! فقال لي يحيى : قد أنشدك
 الزَّاعُ ، فأنشده ، فأنشده :

أغررك أن أذنبت ثم تتابعت ذنوب ، فلم أهجرك ، ثم ذنوب
 وأكثرت حتى قلت ليس بصارمي وقد بصيرم الإنسان وهو حبيب
 فصاح : زاع زاع زاع ، وطار ، ثم سقط في القمطر . فقلت ليحيى :
 أعز الله القاضي ، وعاشق أيضاً ! فضحك . قلت : أيها القاضي ! ما هذا ؟
 قال : هو ما تراه ، وجهه به صاحب اليمين إلى أمير المؤمنين ، وما رآه بعد ،
 وكتب كتاباً لم أفضضه ، وأظن أنه ذكر في الكتاب شأنه وحاله .

الزاع في رواية أخرى

أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن طاهر اللحاق قال : أخبرنا الأمير أبو الحسن أحمد بن
 محمد بن المكتفي بالله قال ؛ حدثنا جحظة قال : أخبرني بعض بني الرضا قال :

قال علي بن محمد : دخلت على أحمد بن أبي دؤاد ، وعن يمينه قمطر
 مجلد ، فقال لي : اكشف وانظر العجب ! فكشفت ، فخرج علي رجلاً
 طولته شبر ، من وسطه إلى أعلاه رجلاً ، ومن وسطه إلى أسفل صورة
 الزاع ذنباً ورجلاً ، فقال لي : من أنت ؟ فانتسبت له ، فسألته عن اسمه فقال :
 أنا الزاع أبو عَجْوَه حليف الخمر والقهوه

ولي أشياء تُسْتَطَ رَفُ يَوْمَ العِرْسِ والدَّعْوَةِ
 فَمِنْهَا سِلْعَةٌ فِي الظَّهْرِ لا تَسْتُرُهَا الفِرْوَةُ
 وَمِنْهَا سِلْعَةٌ فِي الصَّدْرِ لَوْ كَانَ لَهَا عُرْوَةٌ
 لَمَا شَكََّ جَمِيعُ النَّاسِ حَقَّ أَنَّهَا رَكَوَةٌ

ثمَّ قال : أَنشِدْنِي شَيْئاً فِي العَزَلِ ، فَأَنشَدْتِهِ :

وَكَلِيلٍ فِي جَوَانِبِهِ فُضُولٌ مِّنَ الإِظْلَامِ أَطْلَسَ غِيهَبَانِي
 كَانَ نَجْمَتُهُ دَمْعٌ حَبِيسٌ تَرَقَّرَقَ بَيْنَ أَجْفَانِ الغَوَانِي

فصاح : وأبي ، وأُمِّي ! ورجع إلى القِمَطْرِ ، وسترَ نفسه . فقال ابن
 أبي دُوَادٍ : وعاشقٌ أيضاً !

الببل الناطق

أخبرنا القاضي أبو علي زيد بن أبي حيويه بتيس سنة خمس وخمسين وأربعمائة بقراءتي عليه
 قال : أخبرنا أبو محمد الحسن بن عمر بن علي بن زريق الجلباني قال : حدثنا أبو الفرج
 محمد بن سعيد بن عمران قال : حدثنا أبو بكر أحمد بن عليل بن محمد المطيري الحافظ قال :
 حدثنا سليمان بن عبد الملك قال : حدثنا مروان بن دوالة قال :

حدثنا الحارث بن عطية عن موسى بن عبيدة عن عطاء في قوله : ولقد
 همت به وهم بها . قال : كان لها بلبلٌ في قمصٍ ، إذا نظرت إليها صقرت
 لها ، فلما رآها قد دعت يوسفَ ، عليه السلام ، إلى نفسها ، ناداه بالعبرانية : يا
 يوسف لا تزني ، فإنَّ الطيرَ فينا إذا زنى تناثرَ ريشه .

١ أطلس : أغبر إلى السواد . الغيهباني : المظلم .

٢ سنة ١٠٦٣ م .

عزة وكثير

أبانا أبو محمد الحسن بن علي بن محمد قال : حدثنا محمد بن العباس بن حيويه قال : حدثنا أبو بكر محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدثني يزيد بن محمد قال : أخبرني محمد بن سلام الجهمي قال :

أرادتُ عَزَّةً أن تعرفَ ما لها عند كُثَيِّرٍ فتنكَّرتُ له ، وقامتُ به متعرِّضةً ، فقام فاتبعها ، فكلَّمها ، فقالت له : فأين حبُّك عَزَّةَ ؟ فقال : أنا الفداءُ لكِ ، لو أن عَزَّةَ أمةً لي لوهبْتُها لكِ . قالتُ : ويحك ! لا تفعل ، فقد بلغتني أنها لك في صدقِ المودَّةِ ، ومحضِ المحبَّةِ والهوى على حسبِ الذي كنتُ تُبدي لها من ذلكَ وأكثرَ ، وبعدُ ، فأين قولك :

إذا وصلتنا خِلَّةٌ كي نُزِيلها أبينا ، وقلنا : الحاجبيَّةُ أولُ فقال كُثَيِّرٌ : بأبي أنتِ وأمِّي ! أقصيري عن ذكرها ، واسمعي ما أقولُ ، ثمَّ قال :

ما وصلُ عَزَّةَ إلا وصلُ غانيةٍ في وصلِ غانيةٍ من وصلها خلفُ ثمَّ قال : هل لك في المخالَّة^١ ؟ فقالت له : كيف بما قلت في عَزَّةَ وسيرتهُ لها ؟ فقال : أقلبهُ فيتحوَّلُ إليك ، وبصيرُك . قال : فسفرتُ عن وجهها ، عند ذلك ، وقالت : أغدراً وانتكائاً يا فاسقٍ ؟ وإنك لهاهنا ، يا عدوَّ الله ! فبهتَ وأبلس^٢ ولم ينطق ، وتحيَّرَ وخجلَ ، ثمَّ إنَّها عرفتهُ أمرها ونكثهُ وغدرهُ بها ، وأعلمتهُ سوءَ فعاليه ، وقلةَ حفاظه ، ونقضه للعهد والميثاق ، ثمَّ قالت : قاتلَ اللهُ جميلاً حيثُ يقول :

لحى اللهُ من لا ينفَعُ الودُّ عندهُ ، ومن حبَّلهُ إنَّ مدَّ غيرُ متينِ

١ المخالَّة : المصادقة .

٢ أبلس : تحير .

وَمَنْ هُوَ ذُو وَجْهَيْنِ لَيْسَ بِدَائِمٍ عَلَى الْعَهْدِ حَلَّافٌ بِكُلِّ يَمِينٍ
 قال : فَأَنْشَأَ كَثِيرٌ يَقُولُ بِالْخِزَالِ وَحَصْرٍ وَانْكَسَارٍ ، يَعْتَذِرُ إِلَيْهَا ،
 وَيَتَنَصَّلُ مِمَّا كَانَ مِنْهُ ، وَيَحْتَالُ فِي دَفْعِ زَلَّتِهِ ، مُتَمَثِّلًا بِقَوْلِ جَمِيلٍ ،
 وَيُقَالُ : بَلَ سَرَقَهُ مِنْ جَمِيلٍ وَانْتَحَلَهُ لِنَفْسِهِ فَقَالَ :

أَلَا لَيْتَنِي قَبْلَ الَّذِي قَلْتُ شَيْبًا لِي مِنْ الْمُدْعِفِ الْقَاضِي سِمَامُ الدَّرَارِحِ^١
 فَمُتَّ وَلَمْ تَعْلَمْ عَلَيَّ خِيَانَةً ، أَلَا رَبَّ بَاغِي الرُّبْحِ لَيْسَ بِرَبَّاحِ
 فَلَا تَحْمِلِيهَا وَاجْعَلِيهَا خِيَانَةً ، تَرَوِّحَتْ مِنْهَا فِي مِيَاحَةٍ مَائِحِ^٢
 أَبَوُ بَدَنْبِيِّ أَتَيْتِي قَدْتُ ظَلَمْتُهَا ، وَإِنِّي بِيَاقِي سِرَّهَا غَيْرُ بَائِحِ^٣

يرى الدم حلالاً

ولي ، وهما بيتان لا غير :

إِنَّ فِي الْجَبْرِ النَّالِ الَّذِينَ اسْتَقَلُّوا مِنْ زُرُودٍ ، وَبَطْنٍ وَجِرَةٍ حَلَّوْا^٤
 لَعَزَّالًا يَرَى دِمَاءَ مَجْبِيٍّ ، حَلَّالًا لَهُ ، وَمَا الدَّمُ حَيْلٌ

١ شيب : مزج وخطط . المدحف : القاتل بسرعة . القاضي ، من قضى عليه : قتله . سم : جمع

سم . الدرارح : ضرب من السموم .

٢ مياحة : شفاعة . مائح : شافع .

٣ ابوء : أرجع .

٤ استقلوا : رحلوا . زرود وبتن وجرة : موضعان .

هني لا أبوح

أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت بالشام قال : أخبرنا أبو القاسم عبيد الله بن أحمد الصيرفي قال :
أخبرنا أبو بكر بن شاذان قال : أنشدنا أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة النحوي قال :
أنشدني بعض أصحابنا :

جَعَلْتُ مَحَلَّةَ الْبَلَوَى فُوَادِي ، وَسَلَطْتُ السُّهَادَ عَلَى رُقَادِي
وَنِمْتَ مُودِعًا وَسَهَرْتُ لَيْلًا ، أَمَا اسْتَحْيَا رُقَادُكَ مِنْ سُهَادِي؟^١
فَهَبْنِي لَا أَبُوحُ بِمَا أَلَاتِي ، أَلَيْسَ الشَّوْقُ مِنْ كَيْدِي يُنَادِي؟

ما كان قلبي حاضراً

أنشدنا أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي قال :
أنشدني قاضي القضاة أبو عبد الله الحسين بن علي بن جعفر بن ماكولا لأبي
بكر الخوارزمي الطَّبْرِي من طَبْرِيَّة الشَّام من تَشْيِيبِ قَصِيدَةِ فِي الصَّاحِبِ أَبِي
القاسم بن عباد :
يَقُولُ غَدَاً جَيْشُ النَّوَى عَسَكَرَ اللَّعَا فَرَأَيْتُكَ فِي سَحِّ الدَّمُوعِ مُوقَّفَا
وَلَمَّا رَأَيْتُ الْإِلْفَ يَعْزِمُ لِلنَّوَى عَزَمْتُ عَلَى الْأَجْفَانِ أَنْ تَنْتَرَقَرَقَا
وَحَدَّ حَجَّتِي فِي تَرْكِ جِيسِمِي سَالِمًا وَمِنْ حَقِّيهِمَا أَنْ يُخْرَقَا
يَدِي ضَعُفَتْ عَنْ أَنْ تُخْرَقَ جَيْبِيهَا ، وَمَا كَانَ قَلْبِي حَاضِرًا فَيَمْرَقَا

١ المودع : أراد في خفص عيش ، مطئنًا .

لم يبقَ إلا نفس خافت

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن علي السوري الحافظ، رحمه الله، سنة أربع وأربعمائة بقراءتي عليه، قلت له: قرأت على أبي علي الحسن بن حفص بن الحسن البهراني بيت المقدس قلت: أخبركم أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي قال: حدثنا عبد الله بن موسى قال: سمعت الحسن الصوفي الأذربيجاني يقول:

حَضِرْنَا بِبَغْدَادِ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْفُقَرَاءِ مَجْلِسَ سَمَاعٍ ، فَتَوَّجِهَدَ^٢
بَعْضُ الْمَشَائِخِ ، قَالَ : فَقُضِيَ إِلَيْهِ وَقُلْنَا : كَيْفَ تَجِدُكَ ، أَيَّدَكَ اللهُ ؟ فَقَالَ :

لَمْ يَبْقَ إِلَّا نَفْسٌ خَافَتْ ، وَمُقَلَّةٌ إِنْسَانُهَا بَاهِتٌ
ذَابَ فَمَا فِي الْجِسْمِ مِنْ مَفْصِلٍ ، إِلَّا وَفِيهِ سَقَمٌ ثَابِتٌ
عَدُوٌّ يُبْكِي لَهُ رَحْمَةً ، وَحَسْبُكُمْ ، مِنْ رَاحِمٍ ، شَامِتٌ
فَعَيْنُهُ تَبْكِي ، وَأَحْشَاؤُهُ تَضْحَكُ ، إِلَّا أَنَّهُ سَاكِتٌ

نعر يقرع ثغراً

أخبرني أبو عبد الله السوري قال: قرأت على أبي القاسم علي بن عمر بن جعفر الشيخ الصالح، رحمه الله، بالرملة قلت له:

أنشدكم أبو القاسم عني بن محمد بن زكريا بن يحيى الفقيه لبعضهم:
إِذَا نَحْنُ حَفِنَا الْكَاشِحِينَ ، فَلَمْ نُطِيقْ كَلَاماً ، تَكَلَّمْنَا بِأَعْيُنِنَا شَرَّاراً^٣

١ سنة ١٠١٣ م .

٢ تواجد: أرى من نفسه المحبة والحزن .

٣ الكاشحين، الواحد كاشح: العدو الباطن العداوة. الشر: النظر بجانب العين مع إعراض وغضب .

تَصَدَّدَ، إِذَا مَا كَاشِحٌ مَالَ طَرْفَهُ ۖ
 وَإِنْ غَفَلُوا عَنَّا رَأَيْتَ خُدُودَنَا
 تَصَافِحُ، أَوْ تُغْرَأُ قَرَعْنَا بِهِ تُغْرَأُ
 مِنَ الضَّرِّ وَالْبَلْوَى إِذَا قَذَفْتَ جَمْرًا

ابنة أبي ربيعة وأبو مسهر

أخبرنا أبو طاهر بن السواق أحمد بن علي قال : أخبرنا محمد بن أحمد بن فارس قال : حدثنا
 عبد الله بن إبراهيم الزبيبي قال : حدثنا محمد بن خلف قال : كتب إلي أبو علي الحسن بن
 عليل المزني ، ثم لقيه بعد ذلك ، فحدثني به قال : حدثني أبو شراة القيسي قال : حدثنا
 شيبان بن مالك قال :

قال حماد الراوية : أتيت مكة فجلست في حلقة فيها عمر بن أبي
 ربيعة ، فتذاكروا العذريتين وعشقهن وصبايتهن ، فقال عمر : أهدتكم
 من بعض ذلك : إنه كان لي خليل من عذرة ، وكان مستهتراً بخديث النساء ،
 يشبب بهن ، ويؤشيد فيهن على أنه لا عاهر الحلوة ولا سريع السلوة ،
 وكان يوافي الموسم كل سنة ، فإذا أبطأ ترجمت له الأخبار ، وتوكت^٢
 له السفار ، حتى يقدم ، وإنه راث عني ذات سنة خبره ، وقدم وفد
 عذرة ، فأتيت القوم أنشد عن صاحبي ، فإذا غلام قد تنفس الصعداء
 ثم قال : عن أبي المسهر تسأل ؟ قلت : عنه نشدت وإياه أردت . قال :
 هيهات أصبح ، والله ، أبو مسهر لا مؤتسأ منه فيهمل ، ولا مرجوؤا
 فيعتل ، أصبح والله كما قال :

لعمرك ما حبي لأسماء تاركي صحيحاً ، ولا أفضي به فأموت

١ المستهتر بالشيء : المولع به ولما شديداً .

٢ توكت الأخبار : تقيمتها ، وانظرت ظهورها .

قال قلت : وما الذي به ؟ قال : به مثل الذي بك من طول تهكمكما^١ في الضلال ، وجرككما أذيال الحسار ، كأن لم تسمعا بجمته ولا نار . قال قلت : من أنت منه يا ابن أخي ؟ قال : أنا أخوه . قال قلت : والله ما يمنعك من أن تركب طريق أخيك التي ركبها ، وتسلك مسلكه الذي سلك ، إلا أنك وأخاك كالوشي والبجاد^٢ ، لا يرقعك ولا ترقععه ، ثم انطلقت وأنا أقول :

أرائحة حجاج عذرة روحة ، ولما يرخ في القوم جعد بن مهجع
 خليلين نشكو ما نلاقي من الهوى ، فتي ما أقل يسمع وإن قال أسمع
 فلا يبعدنك الله خيلاً ، فإنني سألقى كما لاقيت في الحب مصرعي
 فلما حججت وفتت في الموضع الذي كنت أنا وهو تقف فيه بعرفات ،
 وإذا أنا براكب قد أقبل حتى وقف ، وقد تغير لونه وساءت هيئته ،
 فما عرفته إلا بناقته ، فأقبل حتى خالف بين عنق ناقي وناقته ، ثم
 اعتنقتي وجعل يبكي . فقلت : ما الذي دهاك وما غالك ؟ فقال : برح^٣
 العدل وطول المظلي ، ثم أنشأ يقول :

لئن كانت عذيلة ذات بث^٤ لقد علمت بأن الحب داء
 ألم تنظر إلى تغير جسمي ، وأني لا يزأليني البكاء
 وأني لو تكلفت الذي بي لعنى الكلم وانكشف الغطاء
 وإن معاشري ورجال قومي حثوفهم الصبابة واللقاء

١ تهكمكما : تجاوزكما الحد .

٢ الوشي : الثياب الموشية المنقشة . البجاد : القوب المخطط .

٣ برح به : جهده واذاه أذى شديداً .

٤ عنى : أهلك .

إذا العُدريّ ماتَ بِحَتْفِ أَنْفٍ ، فَنَدَاكَ الْعَبْدُ بِبِكَيْهِ الرَّشَاءُ^١ .
 فقلتُ : يا أبا مسهر ! إنّها ساعةٌ عظيمةٌ ، وإنّك في جمعٍ من أقطارِ
 الأرضِ ، ولو دَعَوْتَ كُنْتَ قَمِيناً أَنْ تظفَرَ بِجَاجَتِكَ ، وأن تُنصَرَ على
 عَدُوِّكَ . قال : فَجَعَلَ يَدْعُو حَتَّى إِذَا تَدَلَّتِ الشَّمْسُ لِلغُرُوبِ وَهَمَّ النَّاسُ
 بِأَنْ يُفِيضُوا سَمِعَتُهُ يُهَمِّهِمْ^٢ ، فأصَحْتُ لَهُ مُسْتَمِعاً ، فإذا هو يقولُ :
 يا رَبَّ كُلِّ غَدْوَةٍ وَرَوْحَةٍ ، من مُحْرِمٍ يشكو الضَّحَى ولُوحَهُ
 أَنْتَ حَسِيبُ الخَطْبِ يَوْمَ الدَّوْحَةِ^٣

فقلتُ له : وما يومُ الدَّوْحَةِ ؟ قال : سأخبرُكَ إذا شاءَ اللهُ ! إني امرؤُ
 ذو مالٍ كثيرٍ من نَعَمٍ وِشَاءٍ ، وإني خشيتُ على مالي التَّلَفَ ، فأتيتُ أخوالي
 من كَلْبٍ ، فأوسَعوا لي عن صدرِ المَجْلِسِ وسَقَوْنِي بِجَمَّةِ البِئْرِ^٤ ، فكانوا
 خيراً أخوالٍ حَتَّى هَمَمْتُ بِمِوَاقِعَةٍ^٥ لِإِبْلِ لي بِمَاءٍ يُقالُ لَهُ الخِرَزَاتُ ،
 فركبتُ وتعلّقتُ معي شِراباً كانَ أهْداهُ إليَّ بعضُ الكَلْبِيِّينَ ، وانطلقتُ ،
 حَتَّى إِذَا كُنْتُ بَيْنَ الحَيِّ وَمَرَعَى النِّعَمِ ، رُفِعَتْ لي دَوْحَةٌ عظيمةٌ ، فقلتُ :
 لو نزلتُ تحتَ هذه الشَّجَرَةِ ، وتروّحتُ مُبرداً^٦ ؟ فنزلتُ فَشَدَدْتُ فَرَسِي
 بِغُضُنِّ من أغصانها ثمّ جلستُ تحتَها ، فإذا بِغبارٍ قد سَطَعَ ، فَتَبَيَّنْتُ
 قَبَدَاتٍ لي شُخُوصٌ ثلاثةٌ^٧ ، فإذا رَجُلٌ يَطْرُدُ مِسْحَلاً وَأَتَاناً^٧ ، فلما قَرُبَ

-
- ١ مات حتف أنفه : أي على فراشه . الرشاء : حبل الدلو .
 - ٢ يفيضوا ، من أفاض الناس من عرفات : دفعوا ورجعوا وتفرقوا ، أو اسرعوا منها إلى مكان آخر .
 - ٣ اللوح : العطف . الدوحة : الشجرة العظيمة .
 - ٤ جمّة البئر : الماء الكثير .
 - ٥ مِوَاقِعَةٌ : مِدَانَةٌ ، مِوَاقِعَةٌ .
 - ٦ تروّحت : ذهب عند الرواح ، أي المساء . مبرداً : أي داخلاً في البرد ، أي حينما يكون قد برد الهواء .
 - ٧ المسحل : الحمار الوحشي . الأتان : أثناء .

مني إذا عليه درعٌ أصفرٌ وعمامةٌ خزرٌ سوداءُ ، وإذا هو تنالُ فروعُ شعره
كتفّيه ، فقلتُ في نفسي : غلامٌ حديثُ عهدٍ بعِرسٍ ، فأعجبتُهُ لِدَّةُ
الصَّيدِ فنسيَ ثوبه وأخذَ ثوبَ امرأتهِ . فما لبثتُ أن لحقَ بالمِسْحَلِ فصرَعَه
ثمَّ نثى طعنةَ الأتانِ فصرَعَهَا ، ثمَّ أقبلَ ، وهو يقول :

نَطَعْنُهُمْ سُلْكَى وَمَخْلُوجَةً كَرَّكَ لِأَمِينٍ عَلَى نَابِلٍ^١

قال فقلتُ : إنك قد تعبتَ وأتعبتَ . فلو نزلتَ . ففنى رجله فنزل
فشدَّ فرسهُ بِغُصْنٍ من أغصانِ الشجرةِ ثمَّ أقبلَ حتى جلسَ قريباً مني ،
فجعلَ يحدثني حديثاً ذكرتُ به قولَ الشاعر :

وإنَّ حديثاً مِنكَ ، لو تبدلَينهُ ، جنى النحلِ في ألبانِ عودٍ مطافيلٍ^٢

قال : فبينما هو كذلك إذ حكَّ بالسوطِ على ثنيتيه ، فرأيتُ ، والله ،
يا ابنَ أبي ربيعةَ ظلَّ السوطِ بينهما ، فما ملكتُ نفسي أن قبضتُ على السوطِ
فقلتُ : مه ! فقال : ولم ؟ قلتُ : إني أخافُ أن تكسِرَهُما ، فإتسما
رقيقتان . قال : هما عذبتان ، ثمَّ رفعَ عقيرته^٣ فجعلَ يُغني :

إذا قبَّلَ الإنسانُ آخرَ يشتهي ثنياهُ لم يَأْتِمْ وكانَ له أجراً

فإن زادَ زادَ اللهُ في حسناتهِ مشاقيلَ يحو اللهُ عنه بها الوزراً

ثمَّ قال لي : ما هذا الذي تعلقتَ في سرجك ؟ قلتُ : شرابٌ أهداهُ إليَّ
بعضُ أهلِكَ ، فهل لك فيه ؟ قال : وما أكرههُ . فأثبتهُ به فوضعهُ بيني

١ السلكى : الطعنة المستقيمة تلقاء الوجه . المخلوجة : الطعنة إلى جانب . كرك : دفعك بسرعة .

الأميين ، الواحد لأم : ما يوضع من الريش على السهام . النابل : صانع النبال ، وصف قومه
بسرعة الطمن وشبههم بمن يدفع الريشة إلى النبال في السرعة، وإنما يحتاج إليه في السرعة لأن الغراء
إذا برد لم يلزق ، فيستعمل حاراً .

٢ العود من النياق : المسنة . المطافل : ذوات الأطفال .

٣ عقيرته : صوته .

وبيته ، فلما شربَ منه شيئاً نظرتُ إلى عَيْنَيْهِ كأنهما عينا مَهَاة ، قد أضلَّت
 ولدأ ، أو ذَعَرَهَا قَانِصٌ ، فَعَلِمَ أَيْنَ نَظَرِي ، فَرَفَعَ عَقِيرَتَهُ يُغْنِي :
 إِنَّ الْعَيْنَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوْرٌ . قَتَلْنَا نَسْنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيِنَ قَتْلَانَا
 يَصْرَعُنَ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَاحِرَاكَ بِهِ ، وَهُنَّ أَضْعَفُ خَلْقِ اللَّهِ أَرْكَانَا
 قُلْتُ لَهُ : مِمَّنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا الشَّعْرُ ؟ قَالَ : وَقَعَ رَجُلٌ مِنَّا بِالْيَمَامَةِ
 وَأَنْشَدَنِي ، ثُمَّ قُمْتُ لِأُصْلِحَ شَيْئاً مِنْ أَمْرِ فَرَسِي ، فَرَجَعْتُ وَقَدْ جَرَّ
 الْعِمَامَةَ عَنْ رَأْسِهِ ، وَإِذَا غَلَامٌ كَأَنَّهُ الدِّينَارُ الْمَنْقُوشُ ، قُلْتُ : سُبْحَانَكَ
 اللَّهُمَّ مَا أَعْظَمَ قُدْرَتَكَ وَأَحْسَنَ صِنْعَتِكَ ! قَالَ : كَيْفَ قُلْتَ ذَلِكَ ؟ قُلْتُ :
 مِمَّا رَاعَنِي مِنْ نُورِكَ وَبَهَّرَنِي مِنْ جَمَالِكَ . قَالَ : وَمَا الَّذِي يَرُوعُكَ مِنْ
 زُرْقِ الدَّوَابِّ وَحَبِيسِ التَّرَابِ ، ثُمَّ لَا تَدْرِي أَيَنْعَمُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْ يَأْسُ .
 ثُمَّ قَامَ إِلَى فَرَسِهِ ، فَلَمَّا أَقْبَلَ بَرَّقَتْ لِي بَارِقَةُ الدَّرْعِ ، فَلِذَا ثَدَيْ
 كَأَنَّهُ حَقٌّ . قُلْتُ : نَشَدْتُكَ اللَّهُ أَمْرًا ؟ قَالَ : لِي ، وَاللَّهِ ، امْرَأَةٌ تَكْرَهُ
 الْعَهْرَ ، وَتُحِبُّ الْغَزَلَ . قُلْتُ : وَاللَّهِ وَإِنَّا كَذَلِكَ . قَالَ : فَجَلَسْتُ
 تَحْدَنِي ، مَا أَفْقِدُ مِنْ أُنْسِهَا حَتَّى مَالَتْ عَلَيَّ الدَّوْحَةُ سَكْرًا ، وَاسْتَحْسَنْتُ ،
 وَاللَّهِ يَا ابْنَ أَبِي رَيْبَعَةَ الْغَدْرَ ، وَزَيْنَ فِي عَيْنِي ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ ، عَزَّ وَجَلَّ ، عَصَمَنِي
 بِمِثْمَةٍ ، فَجَلَسْتُ مِنْهَا حَجْرَةً ، فَمَا لَبِثْتُ أَنْ انْتَبَهْتُ مَدْعُورَةً ، فَلَاثْتُ
 عِمَامَتَهَا بِرَأْسِهَا ، وَأَخَذَتِ الرَّمْحَ ، وَجَالَتْ فِي مَتْنِ فَرَسِهَا ، قُلْتُ : أَمَا
 تَزُودُنِي مِنْكَ زَادًا ؟ فَأَعْطَنِي ثِيَابَهَا ، فَشَمِمْتُ مِنْهَا كَالثِّيَابِ الْمَطُورِ ،
 ثُمَّ قُلْتُ : أَيْنَ الْمَوْعِدُ ؟ فَقَالَتْ : إِنَّ لِي إِخْوَةَ شَرَسِينَ ، وَأَبَا غَيُورًا ، وَوَاللَّهِ
 لِأَنَّ أَسْرَكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَضْرَكَ . قَالَ : ثُمَّ مَضَتْ ، فَكَانَ آخِرَ الْعَهْدِ بِهَا
 إِلَى يَوْمِي هَذَا فَهِيَ ، وَاللَّهِ ، الَّتِي بَلَغْتُ بِي مَا تَرَاهُ مِنْ هَذَا الْمَبْلَغِ ،

١ الزرق : التحجيل .

٢ حجرة : ناحية . لاثت عمامتها : لفتها وعصبتها .

وأحلّتي هذا المحلّ .

قال قلتُ : وأنتَ والله يا أبا مُسهِرٍ ما استُحسِنَ الغدرُ إلاّ بكَ ، فإذا قد اخضَلتْ لحيته بدموعه . قال قلتُ : والله ما قلتُ لكَ ذلكَ إلاّ مازحاً ، ودَاخَلتني له رِقّة ، فلمّا انقضى الموسمُ ، شَدَدتُ على ناقتي ، وشَدَدَ على ناقته ، وحمَلتُ غُلاماً لي على بعيرٍ ، وحمَلتُ عليه قُبّةَ آدمٍ خضراءَ كانت لأبي ربيعةَ ، وأخذتُ معي ألفَ دينارٍ ومُطَرَفَا خَزْرَ ، ثُمَّ خَرَجتُ حتى أتينا كلباً ، فإذا الشيخُ في نادي قومهِ ، فأتيتهُ ، فسَلَمْتُ عليه ، فقال : وعليكَ السَّلَام ، مَنْ أنتَ ؟ قلتُ : عُمَرُ بنُ أبي ربيعةَ بنِ المُغيرةِ المخزومي . قال : المعروفُ غيرُ المَجْهولِ ، فما الذي جاء بكَ ؟ فقلتُ : جئتُ خاطباً . قال : أنتَ الكفؤُ لا يُرغَبُ عن حَسَنِيهِ ، والرَّجُلُ لا يُردُّ عن حاجتهِ .

قال قلتُ : إني لم آتِكَ في نفسي ، وإن كنتُ موضعَ الرغبةِ ، ولكن أتيتُكم لابنِ أختِكُم العُدري .

قال : والله إنّه لكفي ، الحَسَبِ كَرِيمُ المنصبِ ، غيرَ أنّ بَنَاتِي لم يقعنَ إلاّ في هذا الحيِّ من قُرَيْشٍ .

قال : فعرَفَ الحزاعَ من ذلكَ في وجهي ، فقال : أما إني لم أصنعَ بكَ شيئاً لم أصنعه بغيرِكَ ، أختيرُها ما اختارتُ .

قال قلتُ له : والله ما أنصفتني . قال : وكيفَ ذلكَ ؟

قال : كنتَ تختارُ لغيري ، ووليتَ الخيارَ لي غيرَكَ .

فأوما ليّ صاحبي أن دَعَه يُخَيِّرَها . قلتُ : خَيَّرَها .

فأرسلَ إليها أن من الأمرِ كذا وكذا ، فارتأي رأيكَ . قال : فأرسلتُ

إليه : ما كنتُ لأستبدّ برأيٍ دون القُرشيِّ ، أمّا الخيارُ فقَخياري ما اختارَ .

قال : قد صَيَّرتِ الأمرَ لِيَلَيْكَ . فحمَلتُ اللهُ تعالى وصَلَّيتُ على نبيّه ،

١ الطرف : رداء نخر ذو أعلام .

وقلتُ : قد زوّجْتُها الجعدَ بنَ مَهَجَع ، وأصدقتُها هذه الألفَ دينارَ وجعلتُ
تكرمتها العبدَ والقبةَ ، وكسوتُ الشيخَ المُطْرَفَ ، فقيلَ له وسُرَّ به ،
وسألته أن يني بها من ليلته ، فأجابني إلى ذلك ، وضربتُ القبةَ وسطَ الحيِّ
وأهديتُ إليه ليلاً وبيتاً عندَ الشيخِ خيرَ مبيتٍ . فلما أصبحتُ غدوتُ ،
فقمتُ ببابِ القبةِ ، فخرجَ إليّ وقد تبينَ الجدالُ في وجهه . قال :
فقلتُ له : كيفَ كنتَ بعدي ، وكيفَ هي بعدك ؟ فقالَ : أبدتُ لي كثيراً
مما أخفتُ يومَ رأيتها . فقلتُ : ما حملَكَ على ذلكَ ؟ فأنشأ يقولُ :

كَتَمْتَ الهَوَى إني رأيتُكَ جازِعاً فقلتُ فتى بعضَ الصديقِ يُريدُ
وإنَ تطرحني أو تقولُ : فتيةٌ يُضِرُّ بها برحُ الهوى فتعودُ
فوريتُ عما بي وفي الكبيدِ الحشا من الوجدِ برحُ ، فاعلمنَّ ، شديدُ
قال فقلتُ : أقيمُ على أهلكَ ، باركَ اللهُ لكَ ! وانطلقتُ إلى أهلي ،
وأنا أقولُ :

كفيتُ أخي العُدريَّ ما كانَ نابهُ ومثلي لأنقالِ التوائبِ أحملُ
أما استحسنَتَ مني المكارمُ والعلى ، إذا اطرحتَ ، أني أقولُ وأفعلُ

ماني الموسوس وعائداته

أخبرنا القاضي أبو القاسم علي بن الحسن التنوخي قال : حدثنا أبو عمر محمد بن العباس بن
حيويه الخزاز قال : حدثنا محمد بن خلف إجازة قال :

أنشدت لماني :

سلي عائداتي كيف أبصرنَ كُرْبتي ، فإن قلتَ قد حابيني ، فأسألي الناسا
فإن لم يقولوا مات ، أو هو مَيِّتٌ ، فزيدي إذا قلبي جنوناً ووسواساً

من أشعار ماني

أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن المسلمة بقراءتي عليه قال : أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن
عمران المرزباني إجازة قال : أخبرني المظفر بن يحيى قال : أخبرنا علي بن محمد قال :

أنشدني ابن عروس لماني :

لم يَبْقَ إِلَّا نَفْسٌ خَافَتُْ وَمُقَلَّةٌ إِنْسَانُهَا بَاهِتٌ
بلى ، وما في جسمه مَفْصِلٌ إِلَّا وفيه سَقَمٌ ثَابِتٌ
فدَمَعُهُ يَجْرِي وَأَحْشَاؤُهُ تُوقَدُ إِلَّا أَنَّهُ سَاكِتٌ

وله ، أخي ماني :

مُعَدَّبٌ الْقَلْبِ بِالْفِرَاقِ قَدْ بَلَغَتْ نَفْسُهُ التَّرَاقِي
وَذَابَ شَوْقًا إِلَى غَزَالٍ أَوْضَعَ اللَّبَيْنِ بَانْطِلَاقِ ٢
لم يُبْقِ مِنْهُ السَّقَامُ إِلَّا جِلْدًا عَلَى أَعْظَمِ رِقَاقِ
لَوْلَا تَسْلِيهِ بِالتَّبَكِّي أَذْنَتِ النَّفْسُ بِالْفِرَاقِ

لحي الله يوم البين

ولي من أثناء قصيدة :

لحي الله يومَ البينِ كم دمٍ عاشقٍ أراقوا به لا يطلبونَ بِشَارِهِ

١ التراقي ، الواحدة ترقوة : مقدم الحلق في أهل الصدر حيث يترقى النفس .

٢ أوضع : أسرع .

وَعَاذِلْتَهُ أَضْحَتُ تَلُومٌ عَلَى الْهَوَىٰ أَخَا لَوْعَةٍ لَمَّا يُفْتِقُ مِنْ خُصْمَارِهِ
ومنها :

وَأُعِيدَ فِي جَيْشٍ مِنَ الْحُسْنِ أَفْتَدِي لِمَاءَهُ وَعَيْنِيهِ وَخَطَّ عِذَارِهِ
حِكْمَى الظِّيَ ظِي الرَّمْلِ جِيدًا وَمُقَلَّةً ، فَيَا لَيْتَهُ لَمْ يَحْكِهِ فِي نِفَارِهِ

لروعات الحب نيران

وجدت بخط أحمد بن محمد بن علي الآبوسي ونقلته من خطه قال : حدثنا علي بن عبد الله بن
المغيرة أبو محمد الجوهري قال : حدثنا أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد قال : حدثنا عبد
الرحمن قال : حدثنا عمي عن أبيه قال :

سمعتُ أعرابياً يقول : اشرحوا الرأي عند الهوى ، وافطموا النفوسَ عند
الصبي ، ولقد تصدّعتُ كبيدي للعاشقين من لومِ العاذلين ؛ ولروعاتِ
الحبِّ نيرانٌ على أكبادهم مع دموعٍ على الغواني كغروبِ السواني^١ .

ذو الرمة ومي

أخبرنا أبو طالب محمد بن علي البيضاوي بقراءتي عليه من أصل أبي بكر بن شاذان ، وفيه سماعه ،
قال : أخبرنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن شاذان قال : قرئ على أبي عبد الله إبراهيم
ابن محمد بن عرفة نفلويه .
قال ذو الرمة :

عَدَّتْني العَوَادِي عَنكَ يَا مِي بُرْهَةً^٢ وَقَدْ يَلْتَوِي دُونَ الْحَبِيبِ فِيهِجْرُ^٣
عَلَى أَنْتِي فِي كَقُلِّ سَيْرِ أَسِيرُهُ ، وَفِي نَظَرِي مِثْلَ نَحْوِ أَرْضِكَ أَصْدُرُ
فَمَا تُحَدِّثُ الْأَيَّامُ يَا مِي بَيْسِنَا^٣ فَلَا نَأْتُرُنُ سِرّاً وَلَا نَتَّعَبِرُ^٣

- ١ الغروب ، الواحد غرب : الماء غير المنقطع . السواني ، الواحدة سانية : الناعورة .
- ٢ عدتني : صرفتني . العوادي : عواقب الدهر . يلتوي ، أراد يلتوي الأمر : يمسر .
- ٣ نأثرن سرّاً : ننتله .

أقرأ السلام

وَأَنْشَدَ نَقَطَوِيهِ لِآخِرِ :

إِقْرَأَ السَّلَامَ عَلَى مَنْ كُنْتَ تَأْلَفُهُ ، وَقُلْ لَهُ : قَدْ أَذَقْتَ الْقَلْبَ مَا خَافَا
فَمَا وَجَدْتُ عَلَى الْإِلْفِ فُجِّعْتُ بِهِ وَجَدِي عَلَيْكَ ، وَقَدْ فَارَقْتُ أَلَا فَا

أيهما أصدق عشقاً

أنا القاضي الإمام أبو الطيب طاهر بن عبد الله الطبري قال : حدثنا القاضي أبو الفرج المعافى
ابن زكريا قال : حدثنا محمد بن يحيى الصولي قال : حدثنا محمد بن يزيد قال : حدثنا ابن عائشة
قال : حدثني أبي قال : حدثني رجل من بني عامر بن لؤي ما رأيت بالحجاز اعلم منه قال :

حَدَّثَنِي كَثِيرٌ أَنَّهُ وَقَفَ عَلَى جَمَاعَةٍ يُفِيضُونَ^١ فِيهِ وَفِي جَمِيلٍ ، وَفِي
أَيْهَمَا أَصْدَقُ عَشْقًا ، وَلَمْ يَكُونُوا يَعْرِفُونَهُ بِوَجْهِهِ ، فَفَضَّلُوا جَمِيلًا فِي عَشْقِهِ ،
فَقُلْتُ لَهُمْ : ظَلَمْتُمْ كَثِيرًا ، كَيْفَ يَكُونُ جَمِيلٌ أَصْدَقَ عَشْقًا مِنْ كَثِيرٍ ،
وَلَمَّا أَتَاهُ^٢ عَنْ بُشَيْنَةَ بَعْضُ مَا يَكْرَهُ^٣ قَالَ :

رَمَى اللَّهُ فِي عَيْنِي بُشَيْنَةَ بِالْقَلْدَى ، وَفِي الْغُرِّ مِنْ أُنْيَابِهَا بِالْقَوَادِحِ^٢
وَالْقَوَادِحُ مَا يَنْقُبُهَا وَيَعِيبُهَا ، وَكَثِيرٌ أَتَاهُ^٢ عَنْ عَزَّةٍ مَا يَكْرَهُ فَقَالَ :

هَنِيئًا مَرِيئًا غَيْرَ دَاءٍ مَخَامِيرٍ^٣ لِعَزَّةٍ مِنْ أَعْرَاضِنَا مَا اسْتَحَلَّتِ^٣
قَالَ : فَمَا انصرفوا إلا على تفضيلي .

١ يفيضون : أي يفيضون بالحديث ، يكثرونه .

٢ القلدي : ما يقع في العين من تينة ونحوها . القوادح ، الواحد قادح : أكال يقع في الأسنان .

٣ مخامر : داخل في الجوف .

يزيد بن عبد الملك وحبابة

أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد الأردستاني بقراة علي عليه بمكة في المسجد الحرام قال : حدثنا أبو عبد الرحمن السلمي قال : حدثنا العباس بن الحسين الفارسي ببغداد قال : حدثنا علي بن الحسين بن أحمد الكاتب قال : حدثنا اسماعيل بن محمد الشيمي من شيعة بني العباس قال : حدثنا عمر بن شبة عن أبي اسحاق قال :

بَلَغَنِي أَنَّ جَارِيَةَ غَنَّتْ بَيْنَ يَدَيِ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ :

وَإِنِّي لِأَهْوَاهَا وَأَهْوَى لِقَبَاءِهَا كَمَا يَشْتَهِي الصَّادِي الشَّرَابَ الْمَبْرَدَا
فَرَأَسَلْتُهَا سَلَامَةً فَنَعَتَتْ :

عَلَاقَةٌ حُبِّ كَانَتْ فِي سِنِّ الصَّبَا ، فَأَبْلَى ، وَمَا يَزْدَادُ إِلَّا تَجَدُّدَا
فَنَعَتَتْ حَبَابَةَ :

كَرِيمٌ قُرَيْشٍ حِينَ يُنْسَبُ وَالَّذِي أَقْرَبَ لَهُ بِالْفَضْلِ ، كَهَيْلًا وَأَمْرَدَا
فَرَأَسَلْتُهَا سَلَامَةً فَنَعَتَتْ :

تُرْوَى بِمَجْدٍ مِنْ أَبِيهِ وَجَدَّهُ وَقَدْ أَوْرَثَنَا بُنْيَانًا مَجْدٍ مُشِيدَا
فَطَرِبَ يَزِيدٌ وَشَقَّ حَلَّةً كَانَتْ عَلَيْهِ حَتَّى سَقَطَتْ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ قَالَ :
أَفْتَأَذَنَانِ لِي فِي أَنْ أَطِيرَ ؟ قَالَتْ لَهُ حَبَابَةُ : عَلَى مَنْ تَدْعُ الْأُمَّةَ ؟ قَالَ : عَلَيْكَ .

أبو السائب وشعر جرير

وربما سنده قال علي بن عمر بن أبي الأزر قال : حدثنا الزبير بن بكار قال : حدثنا محمد بن حسن قال :

أَنْشَدَ إِنْسَانٌ أَبَا السَّائِبِ الْقَاضِي قَوْلَ جَرِيرِ :

غَيْثُ مَنْ مَنَ عَبْرَاتِهِمْ ، وَقُلْنَ لِي : مَاذَا لَقِيتَ مِنَ الْهَوَى وَلَقِينَا ؟
وَهُوَ عَلَى بَثْرٍ فَطَرَحَ نَفْسَهُ فِي الْبَثْرِ بِشَابِهِ .

١ سنن الصبا : نهجه وطريقه .

عمر الوادي والراعي

أخبرنا أبو بكر الاردستاني بمكة قال : حدثنا ابو عبد الرحمن السلمي قال : حدثنا يوسف ابن عمر الزاهد قال : حدثنا جعفر بن محمد بن نصير قال : حدثنا الزبير بن بكار قال : حدثنا مؤمل بن طالوت قال : حدثنا مكين المذري قال :

سمعتُ عُمَرَ الوادي قال : بينا أنا أسيرُ بينَ العَرَجِ والسُّقْيَا إذ سمعتُ رَجُلًا يَتَغَنَّى ببيتينِ لم أسمعُ بمثلِهِمَا قطَّ ، وهما :

وَكُنْتُ إِذَا مَا جِئْتُ سَعْدِي بِأَرْضِهَا أَرَى الْأَرْضَ تَطْوِي لِي وَيَدُنُو بَعِيدُهَا
مِنَ الْخَفِيرَاتِ الْبَيْضِ وَدَّ جَلِيسُهَا إِذَا مَا انْقَضَتِ أَحْلُوثَةٌ لَوْ تَعِيدُهَا

قال : فكِدْتُ أَسْقَطُ عَنْ راحِلَتِي طَرَبًا ، فَسَمَتُ^١ سَمْتَهُ ، فإذا هو راعي غَنَمٍ ، فسألتهُ لإعادتهُ ، فقال : والله لو حضرني قَرِيءٌ أَقْرَبُكَ ما أعدتهُ ، ولكني أجعلهُ قِرَاكَ اللَّيْلَةِ ، فإنِّي رُبَّمَا تَغَنَّيْتُ بِهِمَا وأنا غرثان فأشبعُ ، وظمانُ فأروى ، ومُسْتَوْحِشٌ فأنسُ ، وكسلانُ فأنشطُ ، فاستعدتهُ إِيَّاهُما ، فأعادهُما حتى أخذتُهُما ، فما كان زادي حتى وردتُ المدينةَ غيرَهُما .

من عشق فعفّ دخل الجنة

أخبرنا أبو طاهر احمد بن علي السواق قال : أخبرنا أبو بكر محمد بن احمد بن فارس قال : حدثنا أبو الحسين عبد الله بن ابراهيم بن بيان قال : حدثنا محمد بن خلف قال : حدثنا زكريا ابن يحيى الكوفي قال : قال محمد بن حريث الشيباني عن ابيه عن أبي سعد البقال عن مكرمة عن ابن عباس قال :

مَنْ عَشِقَ فَعَفَّ فَمَاتَ دَخَلَ الْجَنَّةَ .

١ سميت سمته : قصدت قصده .

قتل العاشقين

ولي قطعة مفردة :

قُلْ لِلطَّيِّبِ بِيَدِي الْأَرَا كِ، إِذَا مَرَّتَ بِهِنَّ جَائِزُ
الْكُنَّ قَتْلُ الْعَاشِقِي نَ مَحَلُّ فِي الشَّرْعِ جَائِزُ
أَوْعَدْتُمْ فَوَقَيْتُمْ ، وَالْوَعْدُ مِنْكُمْ غَيْرُ نَاجِزُ
إِنَّ الَّذِي رَحَلَ الْخَلِي طُ بِقَلْبِهِ وَأَقَامَ عَاجِزُ
أَلَّا تَجَسَّمَ فِي هَوَاهُ لِثَرَاهُمْ قَطَعَ الْمَفَاوِزُ
حَتَّى يَظَلَّ يُجِيبُهُ قَلْقًا، وَيُتَمَسِّي الطَّرْفُ غَامِزُ
أَتَرَى مِنِّي أَنَا مِنْكُمْ بِوِصَالِكُمْ يَا فَوْزُ فَائِزُ
وَلَقَدْ خَلَّتْ بِهَا وَأَب حَدَّتْ الْعِدَارَى وَالْعَجَائِزُ
لَيْلًا ، فَكَانَ عَفَافُنَا مَا بَيْنَنَا وَالصَّوْنُ حَاجِزُ
حَاشَا صَحِيحَ الْحَبِّ يَوْ مَا أَنْ يَقَامَ مَقَامَ مَاعِزُ

يريد ماعز بن مالك الذي أقرَّ على نفسه بالزنا ورجمه النبي ، صلى الله

عليه وسلم .

سنان الصوفي والغلام

أخبرنا ابراهيم بن سعيد بمصر قال : أخبرنا أبو صالح السمرقندي الصوفي قال : حدثنا أبو عبد الله الحسين بن القاسم بن اليسع بالقرافة قال : حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن عمرو الدينوري قال : حدثنا أبو محمد جعفر بن عبد الله الصوفي قال : قال أبو حمزة الصوفي :

كنتُ مع سنان بن ابراهيم الصوفي فنظر إلى غلامٍ فقال : الحمدُ لله على كلِّ حال ! كنتُ أحراراً بطاعته ، فصرنا عبيداً بِمَعْصِيَتِهِ لألحاظٍ قد بَلَغَتْ بنا جهدَ البلاءِ ، وأسلمتْنا إلى طولِ الضَّاءِ ، فلبَّيْنَا معَ بلائنا وطولِ ضنائنا لا نخسرُ الآخرةَ ، كما توَلَّتْنا الدنيا ، ثمَّ بكى ، فقلتُ له : ما يُبْكِيكَ ؟ فقال : كيفَ لا أبكي ، وأنا مُقيمٌ على غُرُورٍ ومتخوِّفٌ من نزولِ محذورٍ من نظيرِ شاغِلٍ أو بلاءٍ شاملٍ أو سَخَطٍ نازلٍ ، ثمَّ شهقَ وسقطَ إلى الأرضِ .

قتيل القيان

أخبرنا القاضي أبو الحسين أحمد بن علي بن الحسين التوزي إجازة قال : أخبرنا أبو القاسم اسماعيل ابن سويد المعدل قال : حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي قال : حدثنا أبو حفص عمر بن بنان الأنماطي قال :

حدثني الحُسامُ بن قُدّامة المكي باليمن :

لا تَلُوموا فلانَ حينَ ملامته أفلتَ الحبُّ نفسه المُستَهامة
قتلتني بِشِكلِهِنَّ الجَواري ، والجواري في شكلهنَّ عرّامه
فإذا متَّ فاجمعوا الحرَمِيَّة اتِ وُصفُوا مولداتِ اليمامة
وذواتِ الحَقائِبِ المَدَنِيَّة اتِ ذواتِ المضاحكِ البسامه
ثمَّ قوموا على الحجونِ ، فقولوا : يا قتيلَ القِيانِ ، يا ابنَ قُدّامة

١ العرامة : الاشداء والخروج عن الحد . الفساد .

لا سبيل إلى وصله

أخبرنا أبو جده الله محمد بن علي الصوري في ما أجاز لنا قال : حدثنا ابن روح قال : حدثنا
 للقاضي أبو الفرج النهرواني قال : حدثنا محمد بن يحيى الصولي قال :
 أنشدنا محمد بن يزيد لأبي حيان الدارمي البصري في أبي تمام الهاشمي ،
 وكان الدارمي يتهم به :

سباك من هاشمٍ سليلٌ ليسَ إلى وصلِهِ سبيلٌ
 من يتعاطى الصفاتِ فيه ، فالقولُ من وصفه فضولٌ
 للحسنِ في وجههِ هلالٌ لأعينِ الخلقِ ما تزولُ
 وطرةٌ لا يزالُ فيها لنورِ بدرِ الدجى مقيلٌ^١
 ولا حظته العيونُ حتى تشقى به الكاعبُ البتولُ^٢
 فإن يقفَ، فالعيونُ نُصبٌ؛ وإن توتى، فهنَّ حولُ^٣

الوائق وشعر الدارمي

ويأسناده قال : أخبرنا المعاني قال : حدثنا عبد الله بن منصور الحارثي قال : حدثنا محمد بن
 زكريا الغلابي قال : حدثني الفضل ابن بنت أبي الهذيل قال :
 كنتُ مع جدِّي عند الواثق قبل أن يلي الخلافة ، فتذاكروا الشعراءَ إلى
 أن أنشدته أبو الهذيل :

برزنَ، فلا ذو اللبِّ وقرنَ عقله عليه ، ولم يُفصِحَ بيهنٍ مُريبٌ

١ الطرة : البهية والناصية .

٢ الكاعب : البكر الناهد .

٣ نصب : أي ناظرة إلى الأمام .

يقول : استوى الناس في النظر إليهن . فقال : يا أبا المذيل ، شعر
وقع إلي لا أدري لمن هو ، يقول فيه :

مَا مَرَّ فِي صَحْنِ قَصْرِ أَوْسٍ ، إِلَّا تَسَجَّيْ لَهُ قَتِيلُ
فَإِنْ يَقِفْ ، فَالْعُيُونُ تُنْصَبُ ، وَإِنْ تَوَلَّى ، فَهَنْ حَوْلُ

ما سمعت في هذا المعنى بأجود منه . فقال له : أصلح الله الأمير ، هذا الشعر
لرجل بالبصرة يُكنى بأبي حيان الدارمي ، عمارة بن حيان ، فقال : يحمل
إلينا ، فورد الكتابُ وقد مات .

الغلام وجارية المهدي

أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن طاهر بقرائي عليه قال : أخبرنا الأمير أبو الحسن
ابن محمد المكتفي بالله قال : حدثنا جملة قال : حدثني ابن اخت الحاركي

أنّ خادماً ممن خدم أباه جاءه يُخبره أن عند جارية في بعض قصوره
رجلاً ، فليس حلةً وسار إلى القصر ، فألقى عندهما غلاماً شاباً ، له ذؤابنان ،
كانه قضيب فضة ، فسأله عن دخوله وكيف كان ، وما شأنه . فقال :
إن هذه الجارية كانت لوالدتي ، وكان بيني وبينها ألفةٌ ، فلما بيعت لأمير
المؤمنين ، صرّت إلى الباب متعرّضاً لها ، فأذنت في الدخول ، فدخلتُ على
أحد أمرين : إما أن أظفر بما أريد أو أقتل فأستريح .

فأمر المهدي بإحضار سيّاط ، ونصبه بينها ، ثم ضربه عشرين سوطاً ،
ورفع عنه الضرب وقال : ما أصنع بتعديك ، ولست بباركك حياً ،
ولا تاركها ، يا غلام ، سيفٌ ونطعٌ ! فلما أتى بذلك ، وأجلس الغلام في
النطع قال : يا أمير المؤمنين ! قبل أن يُنزّل بي القتل ، وهو دون حقي ،
اسمع مني ما أقول ! قال : هات ، فأنشأ يقول :

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكَ وَالسَّيِّطُ تَنوِشُنِي عِنْدَ الإِمَامِ وساعدي مَغْلُولُ
وَلَقَدْ ذَكَرْتُكَ وَالذِّي أَنَا عَبْدُهُ وَالسيفُ بَيْنَ ذُوأَبِي مَسْلُولُ
فَأطَرَقَ المَهْدِيَّ وَتَغَرَّغَرَتَ عِينَاهُ بِالدَموعِ . ثم قال : يا غلام ، اثني
بإزار ! فَأُتِيَ بِهِ ، فقال : الففهُمَا بِهِ جَمِيعاً ، بعد أن تَنزِعَ ثِيَابَهُمَا ، وأَخْرَجَهُمَا
عَنْ قَصْرِي ، ففَعَلَ ذَلِكَ .

سيد العشاق

حدث أبو عمر بن حيويه ونقلته من خطه قال : حدثنا أبو بكر محمد بن خلف قال : حدثني
أبو بكر العامري قال : حدثني أبو عبد الله القرشي وحدثنا الدمشقي عن الزبير قال : حدثني
مصعب بن عبد الله الزبيري قال :

عَشِقَ رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ سَعِيدِ بْنِ العاصِ جاريةً مُغَنِّيَةً بالمدينة ، فهاجَمَ بِهَا
أَ ، وَهُوَ لَا يُعْلِمُهَا بِذَلِكَ ، ثُمَّ إِنَّهُ ضَجِرَ فَقَالَ : وَاللَّهِ لأَبُوحَنَ لَهَا ،
فَاتَاهَا عَشِيَّةً ، فَلَمَّا خَرَجَتْ إِلَيْهِ ، قَالَ لَهَا : يَا بِي أَنْتِ أَتَعْنِينَ :

أَنْجَزُونَ بِالوَدِّ المُضَاعَفِ مِثْلَهُ ، فَإِنَّ الكَرِيمَ مَنْ جَزَى الوَدَّ بِالوَدِّ
قَالَتْ : نَعَمْ ، وَأَعْنِي أَحْسَنَ مِنْهُ ، ثُمَّ غَنَّتْ :

لَلذِّي وَدَّنا المودَّةُ بِالضَّعْفِ ، وَقَضَلُ البادي بِهِ لا يُجَازِي
لَوْ بَدَأَ ما بَيْنَا لَكُم مَلَأَ الأَرْضَ ضَرَّ وَأَقْطَارَ شامِهَا وَالْحِجَازَا

فَاتَّصَلَ ما بَيْنَهُما ، فبَلَغَ الخَبْرُ عَمْرُ بنَ عَبْدِ العَزِيزِ ، وَهُوَ أَمِيرُ المَدِينَةِ ،
فابْتاعَهَا لَهُ وَأهداها إِلَيْهِ ، فمَسَكَتْ عِنْدَهُ سَنَةً ثُمَّ ماتَتْ ، فبَقِيَ مولاها شَهْرًا
أَوْ أَقَلَّ ثُمَّ ماتَ كَما عَلِيها ، فَقَالَ أبو السائبِ المَخْزومي : حَمزَةُ سَيِّدُ
الشُّهَداءِ ، وَهَذَا سَيِّدُ العُشاقِ ، فامضُوا بنا حَتَّى نَنحَرَ عَلَى قَبْرِه سَبْعِينَ نَحْرَةً ،
كَمَا كَبَّرَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، عَلَى قَبْرِ حَمزَةَ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، سَبْعِينَ
تَكْبِيرَةً . قَالَ : وَبَلَغَ أبا حازِمِ الخَبْرَ ، فَقَالَ : ما مِنْ مَحِبٍّ فِي اللهُ يَبْلُغُ هَذَا إلاَّ وَلِيَّ .

قتيل الهجران

أخبرنا أبو القاسم عبد العزيز بن علي الخياط قال : أخبرنا أبو الحسن علي بن عبد الله بن الحسن بمكة قال : حدثنا أحمد بن أبي عمران قال : سمعت أبا بكر الرازي قال : سمعت عبد الرحمن الصوفي يقول :

كنتُ ببغداد في سوقِ النخاسينَ ، فرأيتُ قوماً مجتمعينَ ، فدنوتُ منهم ، فرأيتُ شاباً مصروعاً مغشياً عليه ، فقلتُ لواحدٍ منهم : ما الذي أصابه ؟ فقال : سمعَ آيةً من كتابِ الله ، عزَّ وجلَّ ، فقلتُ : آيةَ آيةٍ كانتُ ؟ فقال : قوله ، عزَّ وجلَّ : ألم يأنِ للذين آمنوا أن تخشعَ قلوبهم لذكرِ الله ؟ قال : فلمَّا سمعَ أفاقَ ، وأنشأ يقول :

ألمْ يأنِ للهجرانِ أن يتصرَّما وللغصنِ ، غصنِ البانِ ، أن يتبسَّما وللعاشقِ الصبَّ الذي ذابَ وانحى ، أما أنْ أنْ يبكي عليه ويُرْحَمَا كتبتُ بماءِ الشوقِ ، بينَ جوانحي ، كتاباً حكى نقشَ الوشاةِ مُنمنما ثمَّ صاحَ صيحةً خرَّ مغشياً عليه ، فحرَّكناه فإذا هو ميتٌ .

ولما شكوت الحب

أخبرنا عبد العزيز بن علي الطحان قال : أخبرنا علي بن عبد الله الحمداني في المسجد الحرام قال : حدثني الجنيد قال :

أرسلني سري في حاجةٍ يوماً فمضيتُ فقضيتها ، فرجعتُ ، فدفع إليَّ رجلٌ رُقعةً ، وقال : ما في هذه الرُقعةِ أجرتُكَ لقضاءِ حاجتي ، ففتحتُها ، فإذا فيها مكتوبٌ :

ولما شكوتُ الحبَّ قالتُ كذبتني ألسنتُ أرى منك العظامَ كواسياً

وَمَا الْحُبُّ حَتَّى يَلْصِقَ الْكَيْدُ بِالْحَشَاءِ ، وَتَخْمُدَ حَتَّى لَا تَجِيبَ الْمُنَادِيَا
وَتَضَعُفُ حَتَّى لَا يُبْقِيَ لَكَ الْهَوَى سِوَى مُقْلَةٍ تَبْكِي بِهَا وَتُسَاجِيَا

دماء أهل الهوى هدر

ولي من أثناء قصيدة :

لَا تَطْلُبُوا بَدْمَ الْعَشَاقِ طَائِلَةً ، دِمَاءُ أَهْلِ الْهَوَى مَطْلُولَةٌ هَدْرٌ

مواقع الأنفس

أنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت قال : أخبرنا أبو الحسن علي بن أيوب القمي قال :

حدثنا محمد بن عمران قال : حدثنا ابن عرفة النحوي عن محمد بن يزيد قال :

قال أبو نواس :

يَا نَظْرَةَ سَاقَتْ إِلَى نَاطِرٍ أَسْبَابَ مَا يَدْعُو إِلَى حَتْفِهِ
مِنْ حُبِّ ظَبْيِي حَسَنَ دَلْتُهُ يُقَصِّرُ الْوَاصِفُ عَنْ وَصْفِهِ
فِي الْبَدْرِ مِنْ صَفْحَتِهِ لِمَحَّةٍ وَلِمَحَّةٍ فِي الظَّيْرِ مِنْ طَرْفِهِ
مَوَاقِعُ الْأَنْفُسِ فِي ثَغْرِهِ ، وَفِي ثَنَائِيهِ وَفِي كَفِّهِ

يجتمعان في القبر

ذكر أبو عمر بن حيويه ونقلته من خطه قال : حدثنا أبو بكر بن المرزبان قال : حدثنا

إبراهيم بن محمد قال : حدثنا الحسن بن محمد بن عيسى المقرئ قال : أخبرني محمد بن عبيد الله

المتبي قال : حدثنا ابن المنبه قال :

سَمِعْتُ أبا الْخَطَّابِ الْأَخْفَشِ يَقُولُ : خَرَجْتُ فِي سَفَرٍ فَتَزَلَّنَا عَلَى مَاءٍ
لَطِيٍّ فَبَصُرْتُ بِحَيْمَةِ مِنْ بَعِيدٍ فَقَصَدْتُ نَحْوَهَا فَإِذَا فِيهَا شَابٌّ عَلَى فِرَاشٍ

كأته الخيال ، فأنشأ يقول :

ألا ما للحبيبة لا تعودُ ؛ أبخلُ بالحبيبة أم صدودُ
مرضتُ فعادني عوادُ قومي ، فما لك لم تُرَي في من يعودُ
فلو كنتِ المريضة ، ولا تكوفي ، لعدتكم ، ولو كثر الوعيدُ
ولا استبطأتُ غيرك ، فاعلميه ، وحو لي من ذوي رحي عديدُ

قال : ثم أغمي عليه ، فمات . فوقعَت الصيحةُ في الحي ، فخرَجَ من آخر
الماء جاريةٌ كأنها فلقمةٌ قمرٍ ، فتخَطَّتْ رقابَ الناسِ حتى وقفتُ عليه
فقبَلته ، وأنشأت تقولُ :

عداني أن أعودك ، يا حبيبي ، معاشِرُ فيهمُ الواشي الحسودُ
أذاعوا ما علمت من الدواهي ، وعابونا وما فيهمُ رشيدُ
فأما إذ حلت بطن أرضٍ وقصرُ الناسِ كلهمُ الأحدُ^١
فلا بقيت لي الدنيا فواقاً ، ولا لهم ، ولا أثرى ، عديدُ^٢

قال : ثم شهقت شهقةً فخرت ميتةً منها ، فخرَجَ من بعض الأخبية
شيخٌ فوقفَ عليهما ، فرحمَ عليهما ، وقال : والله لئن كنت لم أجمعَ بينكما
حين لأجمعنَ بينكما ميتين ! فدفنهما في قبر واحد احتفراه لهما ، فسأله ،
فقال : هذه ابنتي وهذا ابن أخي .

١ قصر الناس : غايهم .

٢ الفواق : ما بين الحلبتين من الوقت ، وأرادت زمناً قليلاً .

ردّ فوّادي

أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد العتيقي في ما أجاز لنا قال : حدثنا أبو عمر بن حيويه قال :
أنشدنا أبو عبد الله التّوبّخّي :

قَلْتُ لَهُ: رُدِّ فَوّادِي، فَقَدَّ أَبْلَيْتَ بِالْهَجْرِ نَوّاحِيه
فَقَالَ لِي مُبْتَسِمًا ضاحِكًا : قَدَّ غَلَقَ الرَّهْنُ بِمَا فِيهِ^١

حديث عاشقين

أبانا أبو بكر أحمد بن علي الحافظ قال : أخبرنا علي بن أيوب قال : حدثنا أبو عبيد المرزباني
قال : حدثني أحمد بن محمد الجوهري قال : حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال :
رأيتُ عاشقين اجتمعما ، فجعلتا يتحدّثان من أوّل الليلِ إلى الغدّاءِ .

أموت بدائي

أخبرنا عبد العزيز بن علي الأزبي قراءة عليه قال : أخبرنا أبو الحسن علي بن عبد الله الهمداني
بمكة قال :

أنشدنا محمد بن عبد الله ليحيى بن معاذ :

أموتُ بدائي لا أصيبُ مداويا ولا فَرَجًا ممّا أَرَى من بَلائيا
إذا كانَ هذا العَبْدُ رِقًّا مَلِيكِهِ، فمَنْ دونه يَرجو طبيبًا مداويا
معَ اللهِ يَمضي دهرُهُ مُتَلَدًّا^٢، مطيعاً له ما عاش أم كان عاصياً^٢

١ غلق الرهن : لم يستطع الراهن أن يفكه .

٢ متلداً : متحيراً .

مصارع العشاق

أخبارنا أبو بكر أحمد بن علي الحافظ بالشام قال : حدثنا علي بن أيوب قال : حدثنا أبو عبيد الله محمد بن عمران قال : أخبرني محمد بن يحيى قال :

قال علي بن الجهم :

نُوبُ الزَّمانِ كَثِيرَةٌ ، وَأَشَدُّها شَمَلٌ تَحَكَّمَ فِيهِ يَوْمُ فِرَاقِ
يا قلبِ لِمَ عَرَضْتَ نَفْسَكَ لِلهُوى ، أوما رَأَيْتَ مِصْراعَ العُشاقِ ؟

غريقا الهوى

أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري بقراة علي بن أبي حمزة وأربعمائة قال : أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس بن حيويه قال : حدثنا محمد بن أحمد الكاتب قال : حدثنا ميمون بن هارون الكاتب قال : حدثني عبد الرحمن بن اسحاق القاضي قال :

انحدرتُ من سُرٍّ مَنْ رَأى مع محمد بن إبراهيم أخي إسحاق ، ودجلة
تَزخُرُ من كَثرةِ مائِها . فلَمّا أن سَرنا ساعة قال : ارفِقْ بِنّا ، ثمّ دعا
بِطعامِهِ ، فأكلنا ، ثمّ قال : ما تَرى في النَّبِيذِ ؟ قلتُ له : أعزُّكَ اللهُ أَيْها
الأميرُ ، هذه دجلةُ قد جاءتْ بِمَدِّ عَظيمٍ يُرعبُ مثلهُ ، وبَيْنَكَ وبينَ
منزلكِ مَبِيئُ لَيْلَةٍ ، فلو شِئتَ أَخَرْتَهُ . قال : لا بدّ لي من الشُّربِ ،
فَضْرِبَتْ ستارةً ، واندَفَعَتْ مُغْنِيَةً تَغني ، واندَفَعَتْ أُخرى فَغَنَّتْ :

يَسا رَحِمَعا للعاشِقِينا ما إن أرى لهمُ مُعِينا
كَمَ يُشْتَمونَ ويضربونَ نَ ويُهَجرونَ فيصبرونَ

١ سنة ١٠٤٩ م .

فَقَالَتْ لَهَا الْمُغْنِيَّةُ الْأُولَى : فَيَصْنَعُونَ مَاذَا ؟ قَالَتْ : يَصْنَعُونَ هَكَذَا ،
فَرَفَعَتِ السُّتَارَةَ ، وَقَدَفَتْ بِنَفْسِهَا فِي دِجْلَةٍ ، وَكَانَ بَيْنَ يَدَيْ مُحَمَّدٍ غُلَامٌ^١
ذُكِرَ أَنَّهُ شَرَاهُ بِالْفِ دِينَارٍ ، وَبِيَدِهِ مِذْبَةٌ^٢ ، لَمْ أَرَّ أَحْسَنَ مِنْهُ ، فَوَضَعَ
الْمِذْبَةَ ، وَقَدَفَ بِنَفْسِهِ فِي دِجْلَةٍ ، وَهُوَ يَقُولُ :

أَنْتِ الَّتِي غَرَّقْتِنِي بَعْدَ الْقَضَا لَوْ تَعَلَّمِينَا

فَأَرَادَ الْمَلَّاحُونَ أَنْ يَطْرَحُوا أَنْفُسَهُمْ خَلْفَهُمَا ، فَصَاحَ بِهِمْ مُحَمَّدٌ : دَعَوْهُمَا
يَغْرَقَا إِلَى لَعْنَةِ اللَّهِ ! قَالَ : فَرَأَيْتُهُمَا ، وَقَدْ خَرَجَا مِنَ الْمَاءِ مُتَعَانِقَيْنِ ثُمَّ غَرَّقَا .

التطير من البكاء

أَنشَدَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ الْخَلَّالِ قَالَ : أَنشَدَنَا أَبُو الْحَسَنِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُوسَى قَالَ :

أَنشَدَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ الْأَنْبَارِيِّ قَالَ :

أَنشَدَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنِ لَقِيْطٍ :

يَا شَوْقَ الْفَيْنِ حَالَةَ النَّأْيِ بَيْنَهُمَا فَعَايَصَاهُ عَلَى التَّوْدِيْعِ فَاغْتَنَقَا^١
لَوْ كُنْتُ أَمْلِكُ عَيْنِي مَا بَكَيْتُ بِهَا تَطْطِيرًا مِنْ بُكَائِي بَعْدَهُمْ شَفَقًا

ما لقتيل الحب قود

ولي من أثناء قصيدة :

وطالبٍ بدمي ثأراً ، فقلت له : هيهات ما لقتيل الحب من قودٍ^٣
للهِ قلبي لقد أضحي ، غداة غدت حمولتهم ، للجوى حلفاً وللكمدِ

١ المذبة : ما يطرد به اللباب .

٢ عايشاه : صارعاه .

٣ القود : القصاص ، قتل القاتل بالقتيل .

الحب حلو ومر

أبانا الشيخ أبو جعفر محمد بن أحمد بن المسلمة أن أبا عبيد الله محمد بن عمران المرزبان أخبرهم
اجازة قال : أخبرنا عبيد الله بن أحمد الكاتب قال : حدثنا أبو بكر بن الأثباري قال :

أنشدني إبراهيم بن عبد الله الورّاق لمحمد بن أبي أمية :

وَصَاحِكٌ مِنْ بُكَائِي حِينَ أَبْصِرُهُ لَوْ كَانَ جَرَّبَ مَا جَرَّبْتُ أَبْكَاهُ
لَا يُرْحَمُ الْمُبْتَلَى مِمَّا تَضَمَّنَهُ إِلَّا فِي مُبْتَلَى قَدْ ذَاقَ بَلَوَاهُ
مَا أَسْرَعَ الْمَوْتَ إِنْ تَمَّتْ عَزِيمَتُهُمْ عَلَى الْقَطِيعَةِ إِنْ لَمْ يُرْحَمِ اللهُ
الْحَبُّ حَلْوٌ وَمُرٌّ فِي مَدَاقَتِهِ ، أَمْرُهُ هَجْرُكُمْ وَالْوَصْلُ أَحْلَاهُ

لم يفتها جواره ميتاً

أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن طاهر اللعاق بقراءتي عليه قال : أخبرنا الأمير أبو الحسن
أحمد بن محمد المكتفي بالله قال : حدثنا ابن دريد قال : حدثنا السكن بن سعيد عن العباس بن
هشام عن أبيه عن جده قال : حدثني مصدع بن غلاب الحميري وكان مخضرمًا ، وأدركته وهو
ابن ثمانين سنة ومائة سنة وما في وفرة ولحيته بيضاء ، قال : حدثني أبي غلاب قال :

كان بلدًا ماراً فتى من حمير ، من أهل بيت شرف يقال له : زرعة
ابن رقيم ، وكان جميلًا شاعرًا لا تراه امرأة إلا صبت إليه ، وكان في
ظهير ذمار رجل شيخ كثير المال ، وكانت له بنت تسمى مفنداة ، بارعة
الجمال ، حصيفة اللب ، ذات لسان مصلق^١ ، تفتح البلبيخ ، وتخرس
المنطيق ، وكان زرعة يتحدث إليها في فتية من الحي ، وكان ممن

١ ذمار : بلدة على مرحلتين من صنعاء .

٢ المصلق : البلبيخ .

بِتَحَدَّثُ إِلَيْهَا فَتَى مِنْ قَوْمِهَا يُقَالُ لَهُ حَيِّيَّ ، ذُو جَمَالٍ وَعَمَافٍ وَحَيَاءٍ ،
فَكَانَتْ تُرَكِّنُ إِلَى حَدِيثِهِ ، وَتَشْمِئُزُ مِنْ زُرْعَةٍ لِرَهَقِهِ ١ ، فَسَاءَ ذَلِكَ زُرْعَةً
وَأَحْزَنَهُ ، فَاجْتَمَعَا ذَاتَ يَوْمٍ عِنْدَهَا فَرَأَى إِعْرَاضَهَا عَنْهُ وَإِقْبَالَهَا عَلَى حَيِّيَّ ،
فَقَالَ :

صُدُودٌ وَإِعْرَاضٌ وَإِظْهَارٌ بَغْضَةٍ ، عِلَامٌ وَكَلِمٌ يَا بِنْتَ آلِ الْعُدَافِرِ ؟
فَقَالَتْ :

عَلَى غَيْرِ مَا شَرِّ ، وَلَكِنَّكَ أَمْرٌ عُرِفْتَ بِغُلِّ الْمَوَاسِمِ الْعَوَافِرِ ٢
فَقَالَ حَيِّيَّ :

جَمَالُكَ يَا زَرَعَ بْنَ أَرْقَمٍ إِنَّمَا تُنَاجِي الْقُلُوبَ بِالْعَيُونِ النَّوَاطِرِ
فَقَالَ زَرَعٌ :

فَإِنْ يَكُ مِمَّا خَسَّ حَظِّي لِأَنْتِي أَصَابِي فَتُصْبِي عَيُونُ الْقَصَائِرِ ٣
وَإِنِّي كَرِيمٌ لَا أَزْنَ بِرِيْبَةٍ وَلَا يَنْعَرِي ثَوْبِي رَيْنٌ الْمَعَايِرِ ٤
فَقَالَتْ الْمُقَدَّاةُ :

كَذَلِكَ فَكُنْ ، بِسَلْمٍ لَكَ الْعِرْضُ ، إِنَّهُ جَمَالُ أَمْرِيءَ أَنْ يَرْتَدِي عِرْضَ طَاهِرٍ
فَقَالَ حَيِّيَّ :

حَيَاءٌ كَمَا لَا تَعْصِيَاهُ ، فَإِنَّمَا يَكُونُ الْحَيَاءُ مِنْ تَوْقِي الْمَعَايِرِ

١ رهقه : خفة عقله وجهله .

٢ أرادت بغل المواسم : أنه يدخل على المواسم ويعاشرهن .

٣ خس حظي : صار خسيساً . القصائر ، الواحدة قصيرة : المحبوسة التي لا يسمح لها أن تخرج من بيتها .

٤ أزن : أوسم . الرين . الدنس .

فانصرفَ زَرَعُهُ وقد خامرَهُ من حَبِّهَا ما غَلَبَ على عقلِهِ ، فغَبِرَ^١
أَيَّاماً عنها ، وامتنَعَ من الطعام والشراب والقرار ، وأنشأ يقول^٢ :

يا بُغِيَّةَ أَهَدَتِ إلى القلبِ لَوْعَةَ^٣ لقد خُبِّتْ لي منك إحدى الدهارسِ^٤
وما كنتُ أدري والبلايا مُظِلَّةٌ بأنَّ حِمَامِي تحتَ لحظِ مُخَالِسِ
جَلَسْتُ على مَكْتُوبَةِ القلبِ طائِعاً ، فيأ طَوَّعَ مَجْبُوسٍ لأَعْتَفِ حَابِسِ
فَشَاعَ هذا الشعرُ في الحَيِّ وبلغَ المُفْدَاةَ ، فاحتَجَبَتْ عنه ، وامتنَعَتْ
من مُحَادَثَةِ الرِّجَالِ ، فامتنَعَ من الحركة والطعام ، فغَبِرَ على ذلكِ حَوَالِ ،
وماتَ عَظِيمٌ من عَظَمَاءِ القَبَائِلِ فَبَرَزَ مَاتِمُ النِّسَاءِ ، فبلغَ زَرَعَةَ أن
المُفْدَاةَ في المَاتِمِ ، فاحتَمَلَ حتى تَنَاءَى نَشْرَأُ ، واجتمعَ إِلَيْهِ لِدَاتُهُ
يُفَسِّدُونَ رَأْيَهُ وَيَعْدُلُونَهُ ، فأنشأ يقول :

لمْ يَلْمُ في الوَفَاءِ مَن كَتَمَ الذُّ حُبَّ وَأَغْضَى على فُؤَادِ لَهَيْدِ^٥
صَابِنَا ذاكِ لاسمٍ من جلبِ السِّمِّ مَ عَلَيْهِ ونَفْسُهُ في الوَرِيدِ^٤
ثمَّ شَهَقَ ، فماتَ ، وتَصَابَحَ أصحابُهُ ونسأوه ، وبلغَ المُفْدَاةَ
خبرُهُ ، فقامتْ نحوهُ حتى وَقَفَتْ عَلَيْهِ ، وقد تَعَفَّرَ وجهُهُ ، وأهلُهُ يَنْضَحُونَهُ
بالماءِ ، فَهَمَّتْ أن تُلْقِي نَفْسَهَا عَلَيْهِ ، ثمَّ تَماسَكَتْ ، وبادرتْ خِباءَها ،
فَسَقَطَتْ تائِهَةَ العَقْلِ ، تُكَلِّمُ فَلَ تَجِيبُ ، سَحَابَةً يَوْمِهَا ، فلما جَنَّ
عَلَيْهَا اللَّيْلُ رَفَعَتْ عَقِيرَتَهَا فقالت :

بِنَفْسِي يَا زَرَعَ بَنِ أَرْقَمَ لَوْعَةَ^٥ طَوَّيْتُ عَلَيْهَا القلبَ والسِّرُّ كَاتِمٌ^٥

١ غير : امتنع .

٢ الدهارس : الدواهي .

٣ الهيد : الحسير .

٤ الوريد : عرق في العنق .

٥ كاتم : أي مكتوم ، مجاز عقلي .

لثين^١ لم أمت حزنًا عليه فلنسي لألام^٢ من نيطت عليه التمام^١
لثين^٢ فتني حيًا فليس بفنائي جوارك ميتًا حيث تبلى الرمام^٢
ثم تنفست نفسًا نبتة من حولها فإذا هي ميتة فدُفنت إلى جنبه .
وقالت امرأة^٣ من حيمر أشبكت^٣ على ولدها بعد زوجها :
وفيت لابن مالك بن أرطاه كما وقت لزرة المنداه
والله لا خست^٤ به أو ألقاه حيث يُلَاقِي وامق^٤ من يهواه^٤
من ممتط^٥، ناحية^٥، شمرداه^٥ وعائير^٥ قد خدلتته رجلاه^٥
تريد قول الجاهلية : إن الناس يحشرون^٦ ركبانًا على البلايا ، ومُشاة^٦
إن لم تُعقر^٦ مطاياهم على قبورهم ، وهذا شيء كان من فعل الجاهلية .

تفارق قومها باكية

حدث شيخنا أبو علي بن شاذان قال : حدثني أبي أحمد بن إبراهيم بن شاذان قال : حدثنا أبو
عبد الله أحمد بن سليمان بن داود بن محمد الطوسي قال : حدثنا الزبير بن بكار قال : حدثنا
هارون بن موسى قال : حدثني عبد الله بن عمرو الفهري عن عمه الحارث بن محمد عن عيسى
ابن عبد الأعلى قال :

كانت بالمدينة جارية لآل أبي رُمائة ، أو لآل أبي تَفَاحَة ، يقال لها :
سلامة . قال : فكُتِبَ فيها يزيدُ بن عبد الملك لتُشترى له ، فاشترىته

١ نيطت : ربطت . التمام : التماويد ، الواحدة تميمه .

٢ الرمام : العظام البالية .

٣ أشبكت المرأة على اولادها : قامت عليهم بعد وفاة زوجها .

٤ خست به : أنقصت من حقه . الوامق : المحب .

٥ شمرداة : لم نجد هذه اللفظة في المعاجم ، ولعلها تصحيف شمرداة : الناقة الحسنة الخلق .

٦ البلايا ، الواحدة بلية : الناقة التي كانت تعقل في الجاهلية عند قبر صاحبها فلا تلعف ولا تسقى
حتى تموت . تعقر : تقطع قوائمها بالسيف .

بعشرين ألف دينار، فقال أهلها: لا تخرج حتى نُصَلِّحَ من شأنها ، فقالت
 الرّسلُ : لا حاجةَ لكم بذلك ! معننا ما يُصَلِّحُها . قال : فخرجَ بها حتى
 أتى بها سقايةَ سُلَيْمان ، قال : فأنزَلها رسلُه فقالت : لا والله لا أُخرِجُ
 حتى يأتيني قومٌ كانوا يدخلونَ عليّ فأستلمَ عليهم ، قال : فامتلاً ذلك
 الموضعُ من الناس ، قال : ثمَّ خرجتُ فوقفَتُ بينَ الناس ، وهي تقول :

فارقوني وقد علّمتُ يَمِيناً ما لمَن ذاقَ فُرقةً من إيابِ
 إنَّ أهلَ الحِصَابِ قد تركوني في وُلوغٍ يذكو بأهلِ الحِصَابِ
 سكنوا الجِرْعَ وهو جِرْعُ أبي مو سى إلى النخلِ من صفيِّ الشبابِ
 أهلُ بَيْتٍ تتابعوا للمنايا ، ما على الدهرِ بعدهم من عتابِ
 قال : فمما زالتُ على ذلك تبكي ويكونَ حتى راحت ، ثمَّ أرسلتُ إليهم
 بثلاثةِ آلافِ درهمٍ .

يزيد يموت حزناً على حيابة

حدث أبو علي بن شاذان قال : حدثني أبي أحمد بن إبراهيم بن شاذان قال : حدثنا أبو عبد
 الله أحمد بن سليمان الطوسي قال : حدثنا الزبير بن بكار قال : حدثني هارون بن موسى قال :
 حدثني موسى بن جعفر بن أبي كثير وعبد الملك بن الماجشون قال :
 لما ماتَ عمر بنُ عبد العزيز قال يزيدُ : والله ما عمر بأحوجَ إلى الله مني .
 قال : فأقامَ أربعينَ ليلةً يسيرُ بسيرةِ عُمَرَ ، فقالتُ حيابةُ لخصيِّ له
 كان صاحبَ أمرِهِ : ويحكُ قُمُ بي حيثُ يسمعُ كلامي ولكَ عليّ عشرةُ
 آلافِ درهمٍ ، فلما مرَّ يزيدُ بها قالتُ :

بَكَيتُ الصَّبِيَّ جهلاً فمن شاءَ لامني ومن شاءَ آسى في البُكاءِ وأسعدنا
 ألا لا تلتئمهُ اليومَ أن يتبَلَدنا فقد مُنِعَ المَحزُونُ أن يتَجَلَدنا

١ هو يزيد بن عبد الملك .

وَمَا الْعَيْشُ إِلَّا مَا تَلَكَّدْتُ وَتَشْتَهِي وَإِنْ لَمْ فِيهِ ذُو الشَّئَانِ وَقَنَدًا
 إِذَا كُنْتَ عِزْهَاءَ عَنِ النَّهْوِ وَالصَّبِيِّ فَكُنْ حَجْرًا مِنْ يَابِسِ الصَّخْرِ جَلْدًا
 قَالَ أَبُو مُوسَى : وَهَذَا الشَّعْرُ لِلْأَحْوَصِ ، فَلَمَّا سَمِعَهَا قَالَ لِلخَصِيِّ :
 وَيْحَكَ ! قُلْ لِصَاحِبِ الشُّرْطِ يُصَلِّتِي بِالنَّاسِ . وَقَالَ يَوْمًا : وَاللَّهِ إِنِّي
 لَأَسْتَحْيِي أَنْ أَخْلُوَ بِهَا ، وَلَا أَرَى أَحَدًا غَيْرَهَا ، وَأَمْرَ بِيُسْتَانٍ ، وَأَمْرَ بِمَاجِيهِ
 أَنْ لَا يُعْلِمَهُ بِأَحَدٍ .
 قَالَ : فَبَيْنَمَا هُوَ مَعَهَا أَسْرَ النَّاسِ بِهَا ، إِذْ حَذَفَهَا بِحَبَّةِ رُمَّانٍ ، أَوْ
 بِعَيْنَبَةٍ ، وَهِيَ تَضْحَكُ ، فَوَقَعَتْ فِي فِيهَا فَتَشْرَقَتْ فَمَاتَتْ ، فَأَقَامَتْ
 عِنْدَهُ فِي الْبَيْتِ حَتَّى جِيَفَتْ ، أَوْ كَادَتْ تَجِيَفُ ، ثُمَّ خَرَجَ فدفنَهَا ، وَأَقَامَ
 أَيَّامًا ، ثُمَّ خَرَجَ ، وَعَلَيْهِ الْمَهْمُ بَادِيًا ، حَتَّى وَقَفَ عَلَى قَبْرِهَا فَقَالَ :
 فَإِنْ نَسَلُ عَنْكَ النَّفْسُ أَوْ تَدَعَ الصَّبِيَّ فَبِالْيَأْسِ أَسْلُوْا عَنْكَ لَا بِالتَّجَلُّدِ
 وَكُلُّ خَلِيلٍ لَامَتِي فَهُوَ قَائِلٌ مِنْ أَجْلِكَ هَذَا هَامَةٌ الْيَوْمِ أَوْ غَدٍ
 ثُمَّ رَجَعَ فَمَا خَرَجَ مِنْ مَتْرَلِهِ حَتَّى خَرَجَ بِنَعْشِهِ .

الصوفي المتعفف

أخبرنا إبراهيم بن سعيد بقرائي عليه بصر قال : أخبرنا أبو صالح محمد بن أبي عدي
 السمرقندي قال : حدثنا أبو عبد الله الحسين بن القاسم بن اليسع بالقرافة قال : حدثنا أبو
 بكر أحمد بن محمد بن عمرو الدينوري قال : حدثنا أبو محمد جعفر بن عبد الله الصوفي الحافظ
 قال : قال أبو حمزة الصوفي :

رَأَيْتُ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ فِتْنَى مِنَ الصُّوفِيَّةِ يَصْحَبُ غُلَامًا مُدَّةً طَوِيلَةً ،
 فَمَاتَ الْفَتَى ، وَطَالَ حَزْنُ الْغُلَامِ عَلَيْهِ ، حَتَّى صَارَ جَلْدًا وَعَظْمًا مِنَ الْفَتَى

١ ذُو الشَّئَانِ : الْمُبْغِضُ . فَتْدٌ : لَامٌ .

٢ الزَّهَاءُ : الزَّاهِدُ فِي النَّهْوِ وَالنَّسَاءُ . الْجَلْدُ : الصَّلْبُ الْقَاسِيُ .

٣ الْهَامَةُ : الْحَمَّةُ .

والكَمَدِ . فقلتُ له يوماً : لقد طالَ حزنُكَ على صديقِكَ حتى أظنُّ أنَّكَ لا تسلو بَعْدَهُ أبداً . فقال : وكيفَ أسلو عن رجلٍ أجلَّ اللهُ تعالى أنْ يعصِيَه معي طرفَةَ عينٍ وصانِيَه عن نجاسةِ الفسوقِ في طولِ صُحْبِي له وخَلَوَاتِي مَعَه في الليلِ والنهارِ .

هويت شادناً

أخبرنا أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي إجازة قال : أخبرنا أبو عمر بن حيويه قراءة عليه قال : أخبرنا أبو بكر محمد بن خلف قال : قال عمر بن أبي ربيعة :

طَبِيبِي دَاوَيْتُمَا ظَاهِرًا ، فَمَنْ ذَا يُدَاوِي جَوِّي بَاطِنًا
فَعُوجًا عَلَى مَنزِلٍ بِالغَمِّ مِ ، فَلِي هَوِيْتُ بِهِ شَادِنًا

دهر يشت ويجمع

أخبرنا أبو الحسين محمد بن أحمد الترمي قال : أخبرنا أبو حاتم محمد بن أحمد الرازي قال : أنشدني أبو مضر ربيعة بن ميسرة بن علي البزار بقزوين لبعضهم :
فلا تحسبي أني تبدلتُ خِلَةً سواكِ ولا أني بغيركِ أفتعُ
ولا عن قِلي كان القطيعةُ بينننا ، ولكنهُ دهرٌ يشيت ويجمعُ

١ الشادن : الغزال الصغير .

لو بدلت مساكنها

أخبرنا أبو الحسين أحمد بن علي التوزي بقراءتي عليه قال : أخبرنا أبو محمد عبيد الله بن محمد الجراذي الكاتب قال : حدثنا أبو بكر بن دريد قال : حدثني المكلي عن المدائني قال :
أنشد الحارث بن خالد المخزومي عبیدَ الله بن عُمَرَ :

إني وما نَحَرُوا غَدَاةَ مِنِّي عِنْدَ الْجِمَارِ يُوودُهَا الْعَقْلُ^١
لَوْ بَدَّلْتُ أَعْلَى مَسَاكِينِهَا سَفَلًا ، وَأَصْبَحَ سِفْلُهَا يَعْلُو
لَعَرَفْتُ مَعْنَاهَا بِمَا احْتَمَلْتُ مِنِّي الضَّلُوعُ لِأَهْلِهَا قَبْلُ

الفرزدق والبدوية الحسنة

أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن طاهر اللقاق قال : أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن المكشي بالله قال : حدثنا ابن دريد قال : أخبرني الرياشي ، يرفعه عن الفرزدق ، قال :

أَبِيَّ غُلَامٌ لِرَجُلٍ مِّنْ نَّهْشَلٍ فَخَرَجْتُ فِي طَلْبِهِ أُرِيدُ الْيَمَامَةَ ، وَأَنَا
عَلَى نَاقَةٍ لِي عَيْسَاءُ^٢ ، فَلَمَّا صِرْتُ عَلَى مَاءٍ لِبَيْتِي حَنِيفَةً ارْتَفَعَتْ سَحَابَةٌ
فَرَعَدَتْ وَبَرَقَتْ وَأَرَحَتْ عَزَالِيهَا ، فَعَدَلْتُ إِلَى بَعْضِ دِيَارِهِمْ ، فَسَأَلْتُهُمْ
الْقِرَى ، فَأَجَابُوا ، فَأَنْحَتُ نَاقَتِي ، وَجَلَسْتُ تَحْتَ بَيْتٍ لَهُمْ مِنْ جَرِيدِ النَّخْلِ ،
وَفِي الدَّارِ جُوَيْرِيَّةٌ سَوْدَاءٌ ، وَفَتَاةٌ كَأَنَّهَا فَلَقَةٌ قَمَرٌ ، فَسَأَلْتُ السَّوْدَاءَ :
لِمَنْ هَذِهِ الْعَيْسَاءُ ؟ فَأَشَارَتْ إِلَيَّ وَقَالَتْ : لِضَيْفِكُمْ هَذَا . فَعَدَلْتُ إِلَيْ
فَسَلَّمْتُ ، وَقَالَتْ : مِمَّنِ الرَّجُلُ ؟ قُلْتُ : مِنْ بَنِي تَمِيمٍ . قَالَتْ : مِنْ أَيِّهِمْ ؟
قُلْتُ : مِنْ بَنِي نَهْشَلٍ . قَالَتْ : فَأَنْتُمْ الَّذِينَ يَقُولُ لَكُمْ الْفَرَزْدَقُ :

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتًا دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ

١ منى : من مناسك الحج . الجمار : الحصى التي يرميها الحجاج .

٢ العيساء : الناقة الكريمة .

بَيْتُ زَرَارَةَ مَحْتَبٍ بِفِنَائِهِ وَمُجَاشِعٌ وَأَبُو الْفَوَارِسِ نَهْشَلٌ
قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ : فَضَحِكْتُ ، وَقَالَتْ : فَإِنَّ جَرِيرًا هَدَمَ عَلَيْهِ
بَيْتَهُ حَيْثُ يَقُولُ :

أَخْرَى الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ مُجَاشِعًا وَأَحَلَّ بَيْتَكَ بِالْحَضِيضِ الْأَوْهَدِ
قَالَ : فَأَعْجَبَنِي ، فَلَمَّا رَأَتْ ذَلِكَ فِي عَيْنِي قَالَتْ : أَيْنَ تَوْمٌ ؟ قُلْتُ :
الْيَمَامَةَ . فَتَنَفَّسَتِ الصُّعْدَاءُ ثُمَّ قَالَتْ :

تَذَكَّرْتُ الْيَمَامَةَ ، إِنَّ ذِكْرِي بِهَا أَهْلَ الْمُرُوءَةِ وَالْكَرَامَةِ
أَلَا فَسَقَى الْمَلِكُ أَجَشٌ جَوْنًا يَجُودُ بِسَحِّهِ تِلْكَ الْيَمَامَةَ ١
أُحْيِي بِالسَّلَامِ أَبَا نَجِيدٍ ، وَأَهْلُ التَّحِيَّةِ وَالسَّلَامَةِ
قَالَ : فَأَنِسْتُ بِهَا ، فَقُلْتُ : أَذَاتُ خَدَيْنِ أَنْتِ أَمْ ذَاتُ بَعْلِ ؟ فَقَالَتْ :
إِذَا رَقَدَ النَّيَامُ فَإِنَّ عَمْرًا هُوَ الْقَمَرُ الْمُنِيرُ الْمُسْتَنِيرُ
وَمَا لِي فِي التَّبَعْلِ مِنْ مِرَاحٍ ٢ وَلَوْ رُدَّ التَّبَعْلُ لِي أُسِيرُ ٣
ثُمَّ سَكَتَ كَأَنَّمَا تَسْمَعُ كَلَامِي فَانْشَأَتْ تَقُولُ :

تَخِيلَ لِي ، أبا كعب بن عمرو ، بِأَنَّكَ قَدْ حُمِلْتَ عَلَى سَرِيرٍ
فَإِنَّ يَكُ هَكَذَا ، يَا عَمْرُو ، إِنِّي مُبَكَّرَةٌ عَلَيْكَ إِلَى الْقُبُورِ
ثُمَّ شَهَقَتْ شَهَقَةً فَمَاتَتْ . فَقِيلَ لِي : هِيَ عَقِيلَةُ بِنْتُ النَّجَادِ بْنِ النَّعْمَانِ
ابْنِ الْمُنْدَرِ ، وَسَأَلْتُ عَنْ عَمْرُو فَقِيلَ لِي : ابْنُ عَمَّهَا ، وَكَانَ مُغْرَمًا بِهَا ،
وَهِيَ كَذَلِكَ ، فَدَخَلْتُ الْيَمَامَةَ ، فَسَأَلْتُ عَنْ عَمْرُو ، فَإِذَا بِهِ قَدْ مَاتَ فِي ذَلِكَ
الْيَوْمِ مِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ .

١ أجش جون : سحاب راعد ، سود .

٢ المراح : الفرح ، والسرور . التبعل : الزواج . معنى العجز غامض .

العشق شغل قلب فارغ

أبانا أبو بكر احمد بن علي الحافظ قال : حدثنا أبو الحسن علي بن أيوب القمي الكاتب بقراءتي عليه قال : أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عمران المرزباني قال : أخبرني احمد بن يحيى قال : حدثنا أبو العيلاء قال : حدثنا ابن عائشة قال :

قلت لطبيب كان موصوفاً بالحذق : ما العشق ؟ قال : شغل قلب فارغ .
وأنشد لبعضهم :

وقائلة جدد لعينيك نظرةً تُسكّنُ ما بالقلب من ألم الوجدِ
فقلت لها : يكفيك ما بي من الهوى ، تُريدن أن أزداد جهداً على جهدي

يتهدد بالهجر

أنشدنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري قال : أنشدنا طلحة الشاهد قال : أنشدنا أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح قال :

أنشدني إسحق بن عمار لسلم الحاسر :

ولما رأى شوقي إليه وحسرتي عليه وأني لست أقوى على الهجرِ
تهددتني بالهجر حتى كأنما رأني مُدلاً بالعزاء وبالصبرِ

١ المدل : الواثق من محبته عند من يهواه .

لا جسم ولا قلب

أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب بدمشق قال : أخبرنا أبو بكر عبد الله بن علي ابن حمويه بن ابرك الهمداني بها قال : أخبرنا احمد بن عبد الرحمن بكثير ازي قال : أخبرنا أبو الحسين محمد بن علي التميمي قال : حدثنا احمد بن علي الناقد قال : حدثنا احمد بن محمد ابن يحيى بن جرير قال : قال أبو بكر محمد بن فرخان :

لَقِيْتُ غَوْرَكَ المَجْنُونَ ، وَفِي عُنُقِهِ حَبْلٌ قَصِيرٌ ، وَالصَّبِيَّانُ يَقْوَدُونَهُ ،
فَقَالَ لِي : يَا أَبَا بَكْرٍ ! بِمَ يَعْذَبُ اللهُ أَهْلَ جَهَنَّمَ ؟ قُلْتُ : بِأَشَدِّ العَذَابِ .
قَالَ : صِفْ لِي ، قُلْتُ : وَمَنْ يَصِفُ عَذَابَ رَبِّ العَالَمِينَ ؟ قَالَ : أَنَا فِي أَشَدِّ مَنْ
عَذَابِهِ ، ثُمَّ رَفَعَ ثَوْبَهُ عَن جَسَدِهِ ، فَإِذَا هُوَ نَاحِلٌ الجِسْمِ دَقِيقَ العَظْمِ ،
فَقَالَ لِي :

انظُرْ إِلَى مَا فَعَلَ الحَبُّ ، لَمْ يَبْقَ لِي جِسْمٌ وَلَا قَلْبٌ
أَنحَلَ جِسْمِي حَبًّا مَن لَمْ يَزَلْ مِنْ شَأْنِهَا المِجْرَانُ وَالعَتَبُ
مَا كَانَ أَغْنَانِي عَن حَبِّ مَن مِّنْ دُونِهَا الأَسْتَارُ والحُجْبُ

الحب أعظم من الجنون

أخبرنا أبو اسحاق ابراهيم بن عمر بن احمد البرمكي قال : أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس بن حيويه الخزاز قال : حدثنا محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدثنا زكريا بن موسى قال : حدثني شعيب بن السكن عن يونس النحوي قال :

لَمَّا خُوِّلِطَ قَيْسُ بن المُلَوِّحِ وَزَالَ عَقْلُهُ وَامْتَنَعَ مِنَ الأَكْلِ والشَّرْبِ
صَارَتْ أُمُّهُ إِلَى لَيْلِي فَقَالَتْ لَهَا : إِنَّ ابْنِي جُنٌّ مِنْ أَجْلِكَ ، وَذَهَبَ حُبُّكَ
بِعَقْلِهِ ، وَقَدْ امْتَنَعَ مِنَ الطَّعَامِ والشَّرَابِ ، فَإِن رَأَيْتِ أَنْ تَصِيرِي مَعِي إِلَيْهِ
فَلْعَلَّكَ ، إِذَا رَأَيْتِ ، يَسْكُنُ بَعْضُ مَا يَجِدُ . فَقَالَتْ لَهَا : أَمَا نَهَارًا فَمَا يُمْكِنُنِي

ذلك ، وإن عَلِمَ أهلُ الماءِ لم آمنَهُم على نفسي ، ولكن سأصيرُ إليهِ في الليل. فلما كان الليل صارت إليهِ ، وهو مُطْرِقٌ يهذي ، فقالت له : يا قيسُ ! إنَّ أمكَ تزعمُ أنَّك جُنِنْتَ على رأسي ، وأصابك ما أصابك ؟ قال : فرقعَ رأسه فنظَرَ إليها وتنفَّسَ الصُّعداءَ ، وأنشأ يقول :

قالتَ جُنِنْتَ على رأسي ، فقلتُ لها : الحُبُّ أعظمُ مما بالمجانينِ
الحُبُّ ليسَ يُفنيقُ الدَّهرَ صاحِبُهُ ، وإنَّما يُصرَعُ المَجنونُ في الحينِ

كثيرٌ على قبرِ عزة

أخبرنا أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي بقراءتي عليه قال : أخبرنا أبو الحسن علي بن عيسى الرمانني النحوي قال : أخبرنا أبو بكر بن دريد قال : أخبرنا عبد الأول بن مربد قال : أخبرني حماد بن اسحاق عن أبيه قال :

خرَجَ كُثَيِّرٌ يريدُ عبدَ العزيرِ بن مروان فأكرمه ، ورَفَعَ منزلته ، وأحسنَ جائزته ، وقال : سلني ما شئتَ من الخواج ! قال : نعم ، أحبُّ أن تنظُرَ لي مَنْ يَعْرِفُ قَبْرَ عَزَّةَ ، فيُوقِنِي عَلَيهِ . فقالَ رجلٌ من القومِ : إني لَعَارِفٌ به . فوثبَ كُثَيِّرٌ فقال لعبد العزير : هي حاجتي أصلحك الله . فانطلقَ به الرجلُ حتى انتهى به إلى مَوْضِعِ قَبْرِهَا فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ ، ودَمَعَهُ يَجْرِي ، وهو يقول :

وَقَفْتُ عَلَى رَبْعِ لِعَزَّةَ نَأَقَتِي ، وفي البُرْدِ رَشَاشٌ من الدَّمَعِ يَسْفَحُ
فَيَا عَزَّ أَنْتِ البَدْرُ قَدْ حَالَ دُونَهُ رَجِيْعُ التَّرَابِ والصَّفِيحُ المِضْرَحُ^١
وقد كنتُ أبكي من فِرَاقِكِ حِقْبَةً ، فأنتِ لَعَمْرِي اليَوْمَ أنأى وأنزَحُ

١ الصفيح : الحجارة العريضة . المضرح : أراد النبي ضرباً ، قرأ .

فَهَلَا فَنَدَاكَ الْمَوْتُ مَنَ أَنْتِ زَيْنُهُ ، وَمَن هُوَ أَسْوَأُ مِنْكَ حَالًا وَأَقْبَحُ
أَلَا لَا أَرَى بَعْدَ ابْنَةِ النَّضْرِ لَذَّةً لِشَيْءٍ ، وَلَا مِلْحًا لِمَن يَتَمَلَّحُ
فَلَا زَالَ وَادِي رَمَسٍ عَزَّةً سَائِلًا بِهِ نِعْمَةً مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَسْفَحُ
فَإِنَّ الَّتِي أَحْبَبْتُ قَدْ حَالَ دُونَهَا طَوَالَ اللَّيَالِي وَالضَّرِيحُ الْمَصْفَحُ
أَرْبَ بَعَيْنِي الْبُكَاءَ ، كُلَّ لَيْلَةٍ ، فَقَدْ كَادَ مَجْرَى دَمْعِ عَيْنِي يَقْرَحُ
إِذَا لَمْ يَكُنْ مَاءٌ تَحَلَّبَتْنَا دَمًا ، وَشَرُّ الْبُكَاءِ الْمُسْتَعَادُ الْمَسْتَحُ

الموت أيسرُ محملاً

أخبرنا القاضي أبو الحسين أحمد بن علي التوزي بقراتي عليه قال : أخبرنا أبو محمد عبيد الله
ابن محمد بن علي الجراي الكاتب قال :

أنشدني بعضُ أصحابنا لأبي تمام :

إِلَوِ شَهَدْتَ مَوَاقِفَ الْعُشَاقِ وَمَدَامِعاً تَجْرِي مِنَ الْأَمَاقِ ٣
تَسْتَنُّ مِنْ سَيْلِ الْجَفُونِ مَعَ الدَّمَا ، حَتَّى تَتَكَادُ تَسِيلُ بِالْأَحْدَاقِ ٤
لَمَّا تَقَارَبَتِ النُّفُوسُ لِفُرْقَةٍ وَالتَّقَتِ الْأَعْنَاقُ بِالْأَعْنَاقِ
وَرَأَيْتُ كُلًّا سَائِلًا لِحَبِيبِهِ : أَرِيفَ النَّوَى فَمَتَى يَكُونُ تَلَاقِ ؟
لَحَلَفْتَ أَنَّ الْمَوْتَ أَيْسَرَ مُحْمَلًا مِنْ يَوْمِ تَوَدِيعِ وَيَوْمِ فِرَاقِ ٥

١ أرب بالمكان : أقام فيه ولزمه ، أراد لزم البكاء عينيه .

٢ المينح : أراد غير المنقطع .

٣ إلو : مؤلفة من ادغام إن في لو .

٤ تستن : تنصب .

٥ لخلفت : جواب لو في البيت الأول .

العينان القاتلتان

أخبرنا أبو الحسين أحمد بن علي قال : أخبرنا أبو محمد عبيد الله بن محمد الحرادي قال :
أنشدنا أبو العباس أحمد بن سهل لبعض المحدثين :

يا ذا الذي في الحبّ يلحى أما والله لو حُمِلتَ مني كما ،
حُمِلتُ من حُبِّ بديعٍ لما لُمتَ على الحبِّ فدعني وما ،
ألقي فلني لستُ أدري بما قُتِلتُ ، إلاّ أنتي بينما ،
أنا بيبابِ الدارِ في بعضِ ما أطلُبُ من دارهم إذ رمى ،
ظببي فوادي بسهامٍ ، فما أخطأ سَهْمَاهُ وَلَكِنَّمَا ،
سَهْمَاهُ عَيْنَاهُ التي كُتِمَا أرادَ قَتلي بهما سَلَمَا

مات على قبر حبيبته

أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن طاهر الدقاق بقرآتي عليه قال : أخبرنا الأمير أبو الحسن
أحمد بن محمد بن المكثفي بالله قال : حدثنا ابن دريد قال : أخبرني الرياشي عن الأصمعي عن
جبر بن حبيب قال :

أقبلتُ من مَكَّةَ أريدُ اليمامةَ فنزلتُ بجحِّي من عاميرٍ ، فأكرموا مشواي ،
فإذا فتني حسنُ الهيئَةِ قد جاءني ، فسَلِّمَ عليّ ، فقال : أينَ يريدُ الراكبُ؟
قُلْتُ : اليمامةَ . قال : ومن أينَ أقبلتَ ؟ قلتُ : من مَكَّةَ . فجلسَ إليّ ،
فحدّثني أحسنَ الحدِيثِ ثمّ قال لي : أتأذنُ في صُحبتِكَ إلى اليمامةِ ؟
قلتُ : أحبُّ خيرَ مَصْحُوبٍ ، فقام ، فما لبِثَ أن جاءَ بناقَةٌ كأنها قَلْعَةٌ
بيضاءُ ، وعليها أداةٌ حَسَنَةٌ ، فأناخها قريباً من مَبِيتي ، وتوسّدَ ذراعها ،

١ قوله التي : وصف المني بالمفرد . وفي الأبيات المتقدمة كلها تضمين ، وهو تعلق قافية البيت
بالبيت الذي بعده .

فلما هممت بالرحيل أيقظته فكانته لم يكن نائماً ، فقام فأصلح رحله
فركب وركبت ، فقصر عليّ يومي بصحبته ، وسهلت عليّ وعود^١
سفري ، فلما رأينا بياض قصور اليمامة تمثّل :

وأعرضت اليمامة واشمخرت^٢ كأسياف^٣ بأيدي مصلتيننا^٤

وهو في ذلك كله لا ينشديني إلاّ بيتاً مُعجباً في الهوى ، فلما قربنا
من اليمامة مال عن الطريق إلى أبيات قريبة منا ، فقلت له : لعلك تحاول
حاجة في هذه الأبيات ؟ قال : أجل ! قلت : انطلق راشداً . فقال : هل أنت
مؤف حقّ الصُحبة ؟ قلت : أفعل . قال : ميل معي ! فملت معه ، فلما
رآه أهل الصرم^٣ ابتدروه ، وإذا فتيان لهم شارة^٥ ، فأناخوا بنا وعقلوا
ناقتينا ، وأظهروا السرور ، وأكثروا البرّ ، ورأيتهم أشدّ شيء له تعظيماً ،
ثم قال : قوموا إن شئتم ، فقام ، وقمت لقيامه ، حتى إذا صرنا إلى قبر
حديث التطيين ألقى نفسه عليه ، وأنشأ يقول :

لئن منّوني في حياتي زيارةً أحامي بها نفساً تملكها الحبُّ

فلئن يَمَنّوني أن أجاورَ لحدّها فيجمعَ جسميننا التجاورُ والثربُ

ثمّ أنّ أنات ، فمات . فأقمت مع الفتيان حتى احتفروا له ودفنوه .
فسألت عنه ، فقالوا : ابن سيّد هذا الحيّ ، وهذه ابنة عمّه ، وهي إحدى
نساء قومه ، وكان بها مُغرماً ، فماتت منذ ثلاث ، فأقبل إليها وقد رأيت
ما آل إليه أمره . فركبت وكأنتي والله قد شككتُ حميماً .

١ وعود ، الواحد وعت : السفر الشاق .

٢ أعرضت : ظهرت . اشمخرت : ظهرت مستطيلة .

٣ الصرم : جماعة البيوت .

قبور العشاق

وجدت في مجموع سمّاه جامعُه زهرَ الربيع قال : أنشدتُ عبدَ الله بن المعتز :

مَسَاكِينُ أَهْلِ الْعِشْقِ ، حَتَّى قُبُورِهِمْ عَلَيْهَا تُرَابُ الدَّلِّ بَيْنَ الْمَقَابِرِ
فَقَالَ لِي : لَعَنَ اللَّهُ صَاحِبَ هَذَا الشَّعْرِ ، لَا وَاللَّهِ مَا أَذَلَّ اللَّهُ تُرَابَ قَبْرِ
عَاشِقٍ قَطًّا ، بَلْ أَجَلَّتْ وَشَرَّفَتْهُ وَنَضَّرَتْهُ وَحَسَّنَتْهُ .

قال ابن المعتز : ولي في هذا المعنى أملحُ من قول هذا البارد ، وأنشدني
لنفسه :

مَرَرْتُ بِقَبْرِ مُشْرِقٍ وَسَطَ رَوْضَةٍ عَلَيْهِ مِنَ الْأَنْوَارِ مِثْلُ الشَّقَائِقِ
فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا؟ فَقَالَ لِي الثَّرَى: تَرَحَّمْ عَلَيْهِ إِنَّهُ قَبْرُ عَاشِقٍ

ما ضرَّهم

ولي وهي قطعة مفردة :

بَانَ الْخَلِيطُ فَأَدْمَعِي وَجَدَا عَلَيْهِمْ تَسْهِيلُ
وَحَدَا بِهِمْ حَادِي الْفَرَا قِ عَنِ الْمَنَازِلِ فَاسْتَقَلُّوا
قُلُ لِّلْسَدِينِ تَرَحَّلُوا عَنْ نَاطِرِي وَالْقَلْبَ حَلَّوْا ،
وَدَمِي بَلَا جُرْمٍ أَتَيْتُ غَدَاةً بَيْنَهُمْ اسْتَحَلُّوا ،
مَا ضَرَّهُمْ لَوْ أَنَّهُلُوا مِنْ مَاءٍ وَصَلِيهِمْ وَعَلَّوْا

١ الأنوار ، الواحد نور : الزهر .

تعلل ساعة

وجدت بخط أحمد بن محمد الأبنوسي حدثنا أبو محمد بن المغيرة الجوهري قال : حدثنا أحمد بن اسحاق الطفائي قال : حدثنا عبد الله بن محمد قال : حدثني سليمان بن عياش السعدي قال : حدثني أبي قال :

سِرتُ في بلادِ بني عَقِيلٍ أَطْلُبُ ضالَّةً لي ، فرأيتُ فتاةً تَدَافِعُ في مِشيتها كَتَدافِعِ الفَرَسِ السابقِ المختالِ . قال : فأسرعتُ المشيَ في إثرها ، حتى أدركتها ، وقد كادتُ تَلِجُ حِباءَها ، فاستوقفتُها ، فوقفْتُ ، فجعلتُ أسألُها ، وأكلمُها ، والله ما يَقَعُ بصري على شيءٍ منها إلاَّ ألهاني عن غيره . قال : فصاحتُ بي عجوزٌ : ما يُوقِفُكَ على هذا الغزالِ النجدي ، فوالله ما تنالُ منه طائلاً . فقالتُ لها الفتاةُ : دَعِيه يا أُمَّتاه يكونُ كما قال ذو الرِّمَّةِ :

فإنَّ لم يَكُنْ إلاَّ تَعَلَّلُ ساعةٍ قَلِيلٍ فإني نافعٌ لي قَليلُها

فتاة مراد وخطيبها البكري

أخبرنا أبو الحسن علي بن صالح بن علي الروذباري بقراءتي عليه بمصر قال : أخبرنا أبو مسلم الكاتب في ما أجاز لنا قال : حدثنا ابن دريد قال : حدثنا أبو حاتم قال : أخبرنا أبو عبيدة قال :

خَطَبَ رجلٌ من بكر بن وائل إلى رجلٍ من مُرَّادِ ابنته فهمَّ أن يُزَوِّجَهُ ، فبينما الجاريةُ يوماً تَلْعَبُ مع الجوّاري ، إذ جاء الخاطِبُ فقلن لها : هذا خاطيبُكِ ؟ فقالتُ : ما رجلٌ هو أحبُّ إليَّ أن أكونَ قد رأيتُه منه . فلما رأتَهُ رأت رجلاً كبيرَ السنِّ قبيحَ الوجه ، فقالتُ : أو قد رَضِيَ أبي به ؟ قلن : نَعَمْ ! فدَخَلتِ البَيْتَ ، فاشتَمَلتُ على السيفِ وشدَّتْ عَليهِ ،

فَسَبَقَهَا عَدَوًا ، وَنَالَتهُ بِضَرْبَةٍ ، فَقَالَ هَمَامُ السُّلُوبِي ، وَهُوَ يَشْتَبُّ بِأَمْرَأَةٍ :
 أَخَافُ بِأَنْ تَجْزِي المُحِبَّ كَمَا جَزَتْ فَتَاةُ مُرَادٍ شَيْخَ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ
 فَلَوْ لَمْ يَرُغْ رَوْغَ الحِيَارَى تَفْتَحَتْ ذَوَائِبُهُ مِنْهَا بِأَبْيَضٍ قَاصِلٍ^١
 وَلَا ذَنْبَ لِلحَسَنَاءِ لَمَّا بَدَا لَهَا ضَعِيفٌ كَخَيْطِ الصَّوْفِ رِخْوًا المَفَاصِلِ

التبسمُ النمامُ

أخبرني أبو عبد الله بن أبي نصر الأندلسي بدمشق قال :

أَشْدُ بِحَضْرَةِ بَعْضِ مَلُوكِ الأَنْدَلُسِ قِطْعَةً لِبَعْضِ أَهْلِ المَشْرِقِ وَهِيَ :
 وَمَاذَا عَلَيهِمْ لَوْ أَنَابُوا فَسَلَّمُوا ، وَقَدْ عَلِمُوا أَنِي المَشُوقُ المُتَيْمُ^٢
 سَرَوَا وَنَجُومُ اللَّيْلِ زُهْرٌ طَوَالِيعُ عَلَى أَتْهَمُ بِاللَّيْلِ لِلنَّاسِ أَنْجُمُ^٣
 وَأَخْفَوَا عَلَى تِلْكَ المَطَايَا مَسِيرَهُمْ ، فَنَمَّ عَلَيْهِمْ فِي الظَّلَامِ التَّبَسُّمُ^٤
 فَأَفْرَطَ بَعْضُ الحَاضِرِينَ فِي اسْتِحْسَانِهَا ، وَقَالَ : هَذَا مَا لَا يَقْدِرُ أُنْدَلُسِي
 عَلَى مِثْلِهِ ، وَبِالْحَضْرَةِ أَبُو بَكْرٍ يَحْيَى بْنُ هَذَا فَقَالَ بَدِيهَا :

عَرَفْتُ بِعَرَفِ الرِّيحِ أَيْنَ تَيْمَمُوا ، وَأَيْنَ اسْتَقَلَّ الطَّاعِنُونَ وَخَيَّمُوا^٥
 خَلِيلِي رَدَّانِي إِلَى جَانِبِ الحِمَى ، فَلَكَسْتُ إِلَى غَيْرِ الحِمَى أَتَيْمَمُ^٤
 أَيْتِ سَمِيرَ الفَرْقَدِينَ كَأَنَّمَا وَسَادِي قَتَادُ ، أَوْ ضَجِيعِي أَرْقَمُ^٥

١ يرغ ، مضارع راغ : حاد ، ذهب ههنا وههنا .

٢ أنابوا : جازوا وكافأوا ، وربما أراد هنا : عادوا .

٣ العرف : الرائحة الطيبة .

٤ أتيمم : أقصد .

٥ القتاد : الشوك . الأرقم : الحية .

وأحورَ وسنانَ الجفونِ كأنه قضيبٌ من الرِّيحانِ لدنٍ مُنعمٍ
 نظرتُ إلى أجفانهِ أولَ الهوى فأيقنتُ أني لستُ منهنَّ أسلمٌ
 كما أن إبراهيمَ أولَ مرّةٍ رأى في الدراري أنه سوفَ يسقمُ

مي الغادرة

أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي بن محمد الجوهري في ما أذن لنا أن نرويّه عنه قال : أخبرنا أبو
 عمر بن حوييه محمد بن العباس قال : حدثنا محمد بن خلف قال : أخبرني أحمد بن شداد قال :
 حدثنا عبد الله بن أبي كريم قال : أخبرنا ميسرة بن عبد الله بن الجارث قال : أخبرني أبي
 قال :

كانَ رجلٌ من بني سُلَيْمٍ يقال له عمرو بن مُسَلِّمٍ ، وكانت له امرأة
 يُقال لها مَيّ ، وكانت تُبغِضُهُ ، ولم يكن يعلمُ ذلك ، وكان من أشدّ الناس
 حُبًّا لها ، فدخلَ عليهما ذاتَ يومٍ ، وهي تقرأ في المصحفِ . فقال : يا مَيّ
 أسألكِ بِمَا أنزلَ اللهُ تعالى في هذا المصحفِ أتُحِبِّينِي أو تُبغِضِينِي ؟ فقالت :
 لا والله لا أخبرتُكِ إلاّ أن تُعطينِي سُؤْلَةَ أسألكِها . فقال : وأي شيءٍ
 سُؤْلَتُكِ ؟ قالت : تجعلُ أمري في يدي . قال : نَعَمْ ، وظنّ أنّها مازحةٌ ،
 قالت : فلا والله وما أنزلَ فيه ما أحببتُكِ ساعةً قطّ . فلما جعلَ أمرها
 بيدها اختارتُ نفسها ، فكادَ يموتُ أسفاً عليها ، وأنشأ يقول :

هيا ربّ أدعوك العشيّةَ مُخلِصاً ، دعاءَ امرئٍ عمّتْ بلبلُه الصّدرِ
 فإنّك إن تجمّع بِمَيّ لُبائِتي مع الناسِ قبل الموتِ أحدثُ لك الشكرَ
 فتجمّع بها شملَ امرئٍ لم تدعْ له فؤاداً ، ولم يرزقْ على نأيها صبراً
 إلى الله أشكو أنّ مَيّاً تحكّمتْ بعقليّ مظلوماً وولّيتها الأمرَ

١ الدراري : الكواكب العظام .

خطاءٌ مِنَ الرَّأْيِ الضَّعِيفِ، ولم يَخْفُ
 وَبَاتَتْ تَجْدُّ الحَبْلَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا؛
 وَخَانَتْ خَلِيلًا لم يَخُنْهَا ولم يُرِدْ
 عَشِيَّةَ أَلْوِي بِالرَّدَاءِ عَلَى الحَشَا
 عَشِيَّةَ أَبْكَى، والبكى هَوْنٌ مَا أَرَى،
 فَرِحْتُ بِهَا لَوْلَا كِتَابٌ وَمُدَّةٌ
 تَحَسَّنَتْ الدُّنْيَا بِمَيِّ لِيَالِيَا
 مَرَارَاتُ صَابٍ حِينَ وَكَلْتُ وَعَلَقَمْتُ،
 لَمِيَّةَ غَدْرًا، وَاسْتَخَارَتْ بِي الغَدْرَا
 هَنِيئًا لَهَا إِذِ حَمَلَتْ نَفْسَهَا الإِصْرَا
 بِهَا بَدَلًا فِي النَّاسِ شَفْعًا وَلَا وِتْرَا
 كَأَنَّ قَمِيصِي مُشْعِلٌ تَحْتَهُ جَمْرَا
 وَدَاعِي الفَتَى عَمْرًا، وَهَيْهَاتَ لَا عَمْرَا
 مُوَجَّلَةٌ مَا عِشْتُ خَمْسًا وَلَا عَشْرَا
 قَلَائِلَ ثُمَّ اسْتَبَدَلْتُ جُرْعًا كُدْرَا
 تَحَسَّيْتُ مِنْ غُصَاتِهَا جُرْعًا حُمْرَا

اللصّ والمرأة التي أحبها

أخبرنا أبو طاهر أحمد بن علي بن محمد السواق قال : أخبرنا محمد بن أحمد بن فارس قال :
 حدثنا أبو الحسين بن بيان الزبيبي قال : حدثنا محمد بن خلف قال : أخبرني أحمد بن زهير
 قال : حدثنا أبو سعيد الأشج قال : حدثنا ابن ادريس عن الأعمش قال :

كان في بني إسرائيل رجلٌ لَصٌّ يُقَالُ لَهُ بَرَزِينَ المَنَاقِيبِ ، فتاب ،
 وكان يُحَدِّثُ النَّاسَ عَمَّا كَانَ فِيهِ ، فَقَالَ : أَعْجَبْتَنِي امْرَأَةٌ فِي نَاحِيَةِ مَنْ
 نَوَاحِي الكُوفَةِ ، فَأَخَذْتُ سَيْفِي وَخَرَجْتُ فِي السَّحَرِ ، فَلَقِيتُ بَعِيرَ سَقَاءِ ،
 فَضَرَبْتُ عُنُقَهُ ، ثُمَّ تَوَجَّهْتُ نَحْوَهَا فَتَسَوَّرْتُ عَلَيْهَا ، فَعَابَلْتُهَا ، فلم
 أَقْدِرْ عَلَيْهَا ، وَامْتَنَعَتْ أَنْ تَدْخَلَ مَعِيَ فِي الحَرَامِ ، فَجَمَعْتُ يَدِي فِي السَّيْفِ
 ثُمَّ ضَرَبْتُ بِهِ وَسَطَ رَأْسِهَا ثُمَّ انصرفتُ ، فَقُلْتُ : لَأَنْظُرَنَّ إِلَى أَثَرِ سَيْفِي .

١ تجل : تقطع . الإصر : اللذ .

فَعُدْتُ إِلَى مَوْضِعِ الْبَعِيرِ فَإِذَا الْبَعِيرُ مُلْقَى وَرَأْسُهُ نَاحِيَةَ ، ثُمَّ أَتَيْتُهَا بَعْدُ لِأَعْلَمَ الْخَبَرَ ، فَإِذَا هِيَ وَسَطُ النِّسَاءِ تَحَدَّثُ وَتَقُولُ : وَاللَّهِ لَضُرْبَ وَسَطِ رَأْسِي ، فَمَا أَخْطَأُ مِنْهُ شَعْرَةً .

أبو دهبِل والمرأة الشامية

أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي بن محمد الجوهري قال : أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس قال : حدثنا محمد بن خلف قال : حدثني أبو العباس أحمد بن يحيى قال : حدثنا الزبير بن أبي بكر قال : حدثني عمي مصعب بن عبد الله قال : حدثني إبراهيم بن أبي عبد الله قال :

خَرَجَ أَبُو دَهْبِلِ الْجُمَحِيِّ يُرِيدُ الْغَزْوَ وَكَانَ رَجُلًا جَمِيلًا صَالِحًا ، فَلَمَّا كَانَ يَجِيرُونَ جَاءَتْهُ امْرَأَةٌ فَأَعْطَتْهُ كِتَابًا ، فَقَالَتْ لَهُ : اقْرَأْ هَذَا ! فَقَرَأَهَا لَهَا ، ثُمَّ ذَهَبَتْ ، فَدَخَلْتُ قَصْرًا ، ثُمَّ خَرَجْتُ إِلَيْهِ ، فَقَالَتْ لَهُ : لَوْ بَلَغْتَ مَعِيَ إِلَى هَذَا الْقَصْرِ فَقَرَأْتَ الْكِتَابَ عَلَى امْرَأَةٍ فِيهِ كَانَ لَكَ أَجْرٌ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ . فَبَلَغَ مَعَهَا الْقَصْرَ ، فَلَمَّا دَخَلَ ، إِذَا فِيهِ جَوَارٍ كَثِيرَةٌ ، فَأَغْلَقْنَ عَلَيْهِ بَابَ الْقَصْرِ ، فَإِذَا امْرَأَةٌ جَمِيلَةٌ قَدْ أَتَتْهُ فَدَعَتْهُ إِلَى نَفْسِهَا ، فَأَبَى ، فَأَمَرَتْ بِهِ فَحُبِسَ فِي بَيْتٍ مِنَ الْقَصْرِ ، وَأُطْعِمَ وَسُقِيَ قَلِيلًا قَلِيلًا حَتَّى ضَعُفَ وَكَادَ يَمُوتُ ، ثُمَّ دَعَتْهُ إِلَى نَفْسِهَا ، فَقَالَ : أَمَا فِي الْحَرَامِ فَلَا يَحُونُ ذَلِكَ أَبَدًا ، وَلَكِنْ أَتَزَوَّجُكَ . قَالَتْ : نَعَمْ ! فَتَزَوَّجَهَا ، وَأَمَرَتْ بِهِ فَأَحْسِنَ إِلَيْهِ حَتَّى رَجَعَتْ نَفْسُهُ إِلَيْهِ ، فَأَقَامَ مَعَهَا زَمَانًا طَوِيلًا لَمْ تَدْعِهِ يَخْرُجُ مِنَ الْقَصْرِ ، حَتَّى يَتَسَّ مِنْهُ أَهْلُهُ وَوَلَدُهُ ، وَزَوْجَ أَوْلَادِهِ بَنَاتِهِ وَاقْتَسَمُوا مِيرَاثَهُ .

وَأَقَامَتْ زَوْجَتُهُ تَبْكِي ، وَلَمْ تُقَاسِمَهُمْ مَالَهُ ، وَلَا أَخَذَتْ مِنْ مِيرَاثِهِ شَيْئًا ، وَجَاءَهَا الْخُطَّابُ ، فَأَبَتْ وَأَقَامَتْ عَلَى الْحُزْنِ وَالْبُكَاءِ عَلَيْهِ ، قَالَ : فَقَالَ أَبُو دَهْبِلِ لَامْرَأَتِهِ يَوْمًا : إِنَّكَ قَدْ أَثِمْتَ فِيَّ وَفِي وَلَدِي ، فَأَذْنِي لِي أَنْ أَخْرُجَ إِلَيْهِمْ ، وَأَرْجِعَ إِلَيْكَ . فَأَخَذَتْ عَلَيْهِ أَيْمَانًا أَلَّا يُقِيمَ إِلَّا سَنَةً

حتى يعودَ إليهما ، وأعطته مالا كثيرا ، فخرجَ من عندها بذلك المال حتى
 قدِمَ على أهله ، فرأى زوجته ، وما صارت إليه من الحزن ، ونظَرَ إلى
 ولده ممَّن اقتسمَ ماله ، وجاؤوه فقال : ما بيني وبينكم عمل ! أنتم
 ورثتموني وأنا حيّ ، فهوَ حظكم ، والله لا يشركُ زوجتي أحدٌ في ما قدِمْتُ
 به . وقال لزوجته : شأنكِ بهذا المال فهوَ كله لكِ ، ولستُ أجهلُ ما كان
 من وفائكِ ، وأقامَ معها وقال في الشاميّة :

صاحِ ! حيّ الإلهُ حيّاً ودوداً عندَ أصلِ القنّاةِ من جيرونِ^١
 فبتلكَ اغتربتُ بالشامِ حتى ظنّ أهلي مرجّماتِ الظنونِ^٢
 وهي زهراءُ مثلُ لؤلؤةِ الغوّ اصِ ميّزتُ من لؤلؤِ مكنونِ
 وفي هذه القصيدة يقولُ أبو دهبَل :

ثمّ فارقتُها على خيرٍ ما كا نَ قرينٌ مقارناً لقرينِ
 وبكتُ خشيةَ التفرّقِ والبيّ نِ بكاءَ الحزينِ نحوَ الحزينِ
 فأسألي عنْ تذكّري واكتتابي جلّ أهلي إذا همُ عدلوني
 وقد رويَ هذا الشعرَ لعبدِ الرّحمنِ بنِ حسانَ ، وليسَ بصحيحٍ . قال :
 فلما جاءَ الأجلُ أرادَ الخروجَ إليها ففاجأهُ موتُها ، فأقامَ .

١ جيرون : دمشق ، أو بابها الذي بقرب الجامع .

٢ المرجمات : ما لا يوقف على حقيقتها .

الصوفي وغلّامه

أخبرنا أبو اسحاق إبراهيم بن سعيد الحبال بمصر قال : أخبرنا أبو صالح محمد بن أبي حنيفة السمرقندي قال : أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن القاسم بن اليسع قال : حدثنا أبو بكر أحمد ابن محمد بن عمرو الدينوري قال : حدثنا أبو محمد جعفر بن عبد الله الصوفي الخياط قال : قال أبو حمزة الصوفي :

رأيتُ معَ أحمدَ بنِ علي الصوفي بيّبتَ المقدسَ غلاماً جميلاً ، فقلتُ : مُدَّكم صَحْبِكَ هذا الغُلامُ ؟ فقال : مُنذُ سنين ، فقلتُ : لَو صِرْتُما إلى بَعْضِ المَنازِلِ فَكُنْتُما فيه بِحيثُ لا يَراكمُ الناسُ كانَ أَجملَ بِكمُما منَ الجِلسِ في المَساجِدِ والحديثِ فيها . فقال : أخافُ احتيَالَ الشيطانِ عليّ فيه في وقتِ خلوتي به ، وإني لأكره أن يَراني اللهُ معهُ على مَعْصِيَةٍ فيُفَرِّقَ بيني وبينه يَومَ يَظفَرُ المَحبونَ بأحبابِهِم .

يكره الخلو بالغلّام

أنبأنا أحمد بن علي بن ثابت بالشام قال : حدثنا ابن أيوب القمي قال : أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال : حدثني أبو عبد الله الحكيمي قال : حدثنا أحمد بن إبراهيم قال : حدثنا أبو اسامة قال :

كُنّا عندَ شَيْخٍ يُقْرَأُ ، فبَقِيَ عنده غُلامٌ يقرأُ عليه ، وأردتُ القيامَ فأخذَ بثوبي وقال : اصبر حتى يَفرغَ هذا الغُلامُ ، وكرهَ أن يخلوَ هو والغلامُ .

على طريقة ابن مدرك الشيباني

أخبرنا أبو علي محمد بن الحسين الجازري بقراءتي عليه قال : حدثنا أبو الفرج المعافى بن زكريا قال :

كنتُ في الحداثة أنشأتُ كَلِمَةً مَسْمُوتَةً^١ على نحو قصيدة مُدرك الشيباني في عمرو النَّصراني ، فكان مما ذكرته في كَلِمَتِي هذه عند صِفَةِ عَيْنِ إنسانٍ وتَسِيَتُ الكَلِمَةَ به :

سُقْمٌ أَوْى أَحْسَنَ عَيْنٍ تَطَرَفُ تَقْوَى به وللقلوبِ تُضْعِفُ
كالسم في الأفعى بفي من يحصِفُ ، يحيا به ، وللنفوس يُتْلِفُ^٢
ثم قلتُ :

دواءٌ مَنْ أَقْصَدَهُ بِسَهْمِهِ تَكَرَّرُهُ نَحْوَ مَرَامِي سَهْمِهِ
كالإفْعَوَانِ يُشْتَفَى مِنْ سَمِّهِ بِشَرْبِ دِرْيَاقِ كَثْرِيهِ لِحَمِيهِ
قال المعافى بن زكريا ولنا أيضاً في كلمة :

وسقاني بسُقْمٍ مُقْلَةٍ ظَهْرِي قدَّ قلبي منه بأحسنٍ قَدَّ
سُقْمُهَا لِي شِفَاءٌ دَائِي ، إِذَا جَا دَتُّ وَدَاءٌ إِذَا تَصَدَّتْ لَصَدَّ

وأنا أستغفرُ الله تعالى من مساكنةِ ما يَشْغَلُ عن عِبَادَتِهِ ، ومما يُضَارِعُ ما وصفنا في هذا الفصل من وجه قول ابن الرومي :

عَيْنِي لِعَيْنِكَ حِينَ تُبْصِرُ مَقْتَلُ لَكِنَّ عَيْنَكَ سَهْمٌ حَتَفٍ مُرْسَلُ
ومن العجائبِ أَنَّ مَعْنَى واحداً هُوَ مِنْكَ سَهْمٌ ، وَهُوَ مِنِّي مَقْتَلُ

١ المسمطة : هي التي يتفرد كل يمين منها بقافية وحرف روي يكرنان في صدر البيت وعجزه .
٢ يحصِفُ : يصيبه جرب يابس ، ولا تدري ماذا أراد .

عناية الله بخائفيه

أخبرنا أبو طاهر أحمد بن علي السواق قال : حدثنا محمد بن أحمد بن فارس قال : حدثنا
عبد الله بن إبراهيم الزبيبي قال : حدثنا محمد بن خلف قال : أخبرني أحمد بن جرب قال :
حدثني عبد الله بن محمد قال : حدثني أبو عبد الله البلخي :

أنَّ شاباً كان في بني إسرائيل لم يُرَ شابٌ قطُّ أحسنَ منه ، قال : وكانَ
يَبِيعُ القِفافَ ، قال : فبينما هوَ ذاتَ يومٍ يطُوفُ بِقِفافِهِ ، إذ خَرَجَت
امرأةٌ من دار ملك من ملوك بني إسرائيل ، فلما رآته رجعت مبادرة فقالت
لابنة الملك : يا فلانةُ ، إني رأيتُ شاباً بالبابِ يَبِيعُ القِفافَ لم أرَ شاباً
قطُّ أحسنَ منه . قالتُ : أدخلِهِ ! فخرَجَتُ إليه ، فقالتُ : يا فتى ادخلُ
تَشترِ منك ! فدخَلَ ، فأغلقتِ البابَ دونَه ثم قالت : ادخل ، فدخَلَ
فأغلقتُ باباً آخرَ دونَه .

ثمَّ استقبلته بنت الملك كاشفةً عن وجهها ونحرها ، فقال لها : اشترِ
عافاك الله ، فقالتُ : إنَّ لمْ نَدْعُكَ لهذا ، إنَّما دعوناك لكذا ، تعني تراوده
عن نفسه ، فقال لها اتقي الله ! قالت له : إنَّك إن لم تطاوعني على ما أريد أخبرتُ
الملكَ أنَّك إنَّما دخلتَ عليَّ تُكايِرني على نفسي . قال : فأبى ، ووَعظَها ، فأبَت ،
فقال : ضَعوا لي وضوءاً ! فقالتُ : أعليَّ تَعَلَّلُ ؟ يا جارِيةُ ! ضَعِي له وضوءاً
فوقَ الجوسقِ^١ ، مَكَانٌ لا يَسْتَطِيعُ أن يَفِرَّ منه ، ومن الجوسقِ إلى الأرضِ
أربعونَ ذراعاً .

قال : فلما صارَ في أعلى الجوسقِ قال : اللهمَّ إني دُعِيتُ إلى مَعْصِيَتِكَ
وإني أختارُ أن أصبِرَ نفسي ، فألقِها من هذا الجوسقِ ، ولا أركبُ المعصيةَ ،
ثمَّ قال : بسمِ الله ، وألقى نفسه من أعلى الجوسقِ فأهبطَ الله ، عزَّ
وجلَّ ، مسلماً من الملائكة ، فأخذَ بضبعيه ، فوَقَعَ قائماً على رجلَيْه ،

١ الجوسق : القصر .

فلما صارَ في الأرض قال : اللهمَّ إنَّكَ إن شِئْتَ رَزَقْتَنِي رِزْقاً يَغْنِينِي عن بَيْعِ
هذه القِفافِ . قال : فأرسلَ اللهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، إِلَيْهِ جَرَّاداً من ذَهَبٍ ،
فأخَذَ منه حتَّى مَلَأَ ثوبَهُ ، فلما صارَ في ثوبه قال : اللهمَّ إن كان هذا رِزْقاً
رَزَقْتَنِيهِ في الدنْيَا فبارِكْ لي فيه ، وإن كان يُنْقِصُنِي ممَّا لي عندَكَ في الآخِرَةِ
فلا حاجة لي به . قال : فَبَنُودِي : إن هذا الذي أعطَيْناكَ جُزءٌ من خمسةٍ
وعشرين جزءاً لصَبْرِكَ على إلقاءكَ نَفْسِكَ من هذا الجوسقِ ، قال : فقال :
اللهمَّ لا حاجة لي في ما يُنْقِصُنِي ممَّا لي عندَكَ في الآخِرَةِ . قال : فرُفِعَ .

المجنون الأديب

أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد الاردستاني في المسجد الحرام بباب الندوة قال : حدثنا أبو القاسم
الحسن بن محمد بن حبيب قال : سمعت أبا سعيد أحمد بن محمد بن رميح الزبيدي يقول : سمعت
محمد بن ابراهيم الارجاني يقول : سمعت محمد بن يعقوب الازدي عن أبيه قال :

دَخَلْتُ دِيرَ هِرَقْلٍ ، فرأيتُ مُجَنوناً مُكَبِّلاً ، فكَلَّمْتُهُ ، فوجَدْتُهُ أديباً ،
فقلتُ له : ما الذي صَبَّرَكَ إلى ما أرى ؟ فقال :

نَظَرْتُ إِلَيْهَا فاستَحَلَّتْ بِنَظَرَتِي دمي ، ودَمِي غالٍ ، فأرَخَصَهُ الحُبُّ
وَعَالَيْتُ في حُبِّي لها ، ورَأَتْ دَمِي رَخِيصاً ، فَمِنْ هذَيْنِ داخَلَها العُجْبُ

أربع نسوة وأربعة غربان

أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن أحمد العتيقي قال : أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس بن حيويه الخزاز قال : حدثنا محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدثني محمد بن عبد الله الأهوازي قال : أخبرني بعض أهل الأدب ان بعض البصريين أخبره قال :

كنا لئمةً نجتَمِعُ ولا يفارقُ بعضُنا بعضاً، وكنا على عدد أيامٍ عند أحدنا، فضَجِرْنَا من المقامِ في المنازلِ ، فقال بعضنا : لو عَزَمْتُمْ فَخَرَجْنَا إلى بعض البساتين ، فخرَجْنَا إلى بستانٍ قريبٍ منا ، فَبَيْتْنَا نحنُ فيه إذ سَمِعْنَا ضَجَّةً رَاعَتُنَا ، فقلتُ للبستاني : ما هذا ؟ فقال : هؤلاء نسوةٌ لهنَّ قِصَّةٌ ، فقلتُ له أنا دون أصحابي : وما هي ؟ قال : العِيَانُ أكبرُ من الخبرِ ، فقمُ حتى أريكَ وحدك . فقلتُ لأصحابي : أقسمتُ ألاَّ يبرحَ أحدٌ منكم حتى أعود . فنهضتُ وحدي ، فصعدتُ إلى موضعٍ أشرفَ عليهنَّ ، وأراهنَّ ، ولا يرينني ، فرأيتُ نسوةً أربعاً كأحسنِ ما يكونُ من النساءِ وأشكليهنَّ ، ومعهنَّ خدَمٌ لهنَّ وأشياءٌ قد أصلحتُ من طعامٍ وشرابٍ وآلةٍ ، فلما اطمأنَّ بهنَّ المجلسُ ، جاءَ خادمٌ لهنَّ ، ومعه خمسة أجزاء من القرآن ، فدفعَ إلى كلِّ واحدةٍ منهنَّ جزءاً ووَضَعَ الجزءَ الخامسَ بينهنَّ ، فقرآنَ أحسنَ قِراءةٍ ، ثمَّ أخذنَ الجزءَ الخامسَ فقرأت كلِّ واحدةٍ منهنَّ ربعَ الجزءِ ، ثمَّ أخرجنَ صورةً معهنَّ في ثوبٍ ديبقي فبَسَطْنَهَا بينهنَّ فبَكَينَ عَلَيْهَا ودعَوْنَ لها ، ثمَّ أخذنَ في النوحِ ، فقالتِ الأولى :

خلسَ الزَّمانُ أعزَّ مختلَسِ ، ويبدُ الزَّمانُ كثيرةَ الخلتَسِ
 لله هالكةٌ فُجِعْتُ بهما ، ما كانَ أبعدَها من الدتَسِ
 أنتِ البِشَارَةُ والنَّعيُّ بهما ، يا قُرْبَ ما تممها من العُرسِ

ثم قالت الثانية :

ذَهَبَ الزَّمَانُ بِأَنْسِ نَفْسِي عَنَوَةً ،
أودى بملكٍ ولو تُفادى نَفْسُهَا ،
ظَلَلْتُ تُكَلِّمَنِي كَلَامًا مُطْمَعًا ،
حتى إذا فَرَّ اللِّسَانُ وَأَصْبَحَتْ
وَتَسَهَّلَتْ مِنْهَا مَحَاسِنُ وَجْهِهَا ،
جَعَلَ الرَّجَاءُ مَطَامِعِي يَأْسًا كَمَا

ثم قالت الثالثة :

جَرَّتْ عَلَى عَهْدِهَا اللَّيَالِي ،
فَاعْتَضْتُ بِالْيَأْسِ مِنْكَ صَبْرًا ،
فَلَسْتُ أَرْجُو ، وَلَسْتُ أَخْشَى
فَلْيَلِغِ الدَّهْرُ فِي مَسَاتِي ،
وَأُحْدِثْتُ بَعْدَهَا أُمُورُ
فَاعْتَدَلِ الْيَأْسُ وَالسُّرُورُ
مَا أُحْدِثْتُ بِعَدِكَ الدَّهْرُ
فَمَا عَسَى جُهْدُهُ بِضَيْرٍ^٢

ثم قالت الرابعة :

عَلِقْتُ نَفِيسٌ مِنَ الدُّنْيَا فُجِيعَتْ بِهِ ،
وَيَحَ الْمَتَايَا أَمَا تَنْفَكُ أَسْهُمُهَا
يَبْلَى الْجَدِيدَانِ ، وَالْأَيَّامُ بِالْيَمَةِ^٣ ،
ثُمَّ قَمْنٌ فَقَلْنٌ بِصَوْتٍ وَاحِدٍ :

١ ملك : يجب أن يكون اسم الميتة .

٢ مساتي : مسهل مساتي . يضير : يضر .

٣ الجديدان : الليل والنهار .

كنا من المساعده ، نحيًا بنفسٍ واحده١
فما نِصْفُ نفسي حينَ تَوَى في الرّمسِ
فما بقائي بعده وشطْرُ نفسي عنده
فهل سَمِعْتُمْ قَبلي في مَنْ مَضَى بِمِثلي
عاشَ بِنِصْفِ رُوحِ في بَدَنِ صَحِيحِ

ثمَّ تَنَحَّيْنَ وَقُلْنَ لِبَعْضِ الخَدَمِ : كم عندك منهنَّ؟ قال : أربعة .
قلن : ائتِ بهنَّ ، فلمْ أَلْبَثْ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى طَلَعَ بِقَقْصٍ فِيهِ أَرْبَعَةُ غِرْبَانِ
مُكْتَفَّةٍ ، فَوَضَعَ القَقْصَ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ ، فدَعَوْنَ بِعِيدَانِ ، فأخَذَتْ كُلُّ
واحدةٍ مِنْهُنَّ عودًا فَغَنَّتْ :

لَعَمْرِي! لقد صَاحَ الغُرَابُ بِبَيْنِهِمْ ، فأوجَعَ قلبي بالحديثِ الذي يُبدي
فقلتُ له : أفصحتَ لا طِرتَ بعدها ، بِرِيشٍ ، فهل للقلبِ ويحكُ من رَدٍّ!
ثمَّ أخذنَ واحدًا من الغِرْبَانِ فَتَنَقَّنَ ريشه حتى تركته كأن لم يكن
عليه ريش قطُّ ، ثمَّ ضَرَبَنَّهُ بِقُضْبَانٍ مَعَهُنَّ لا أدري ما هي حتى قَتَلَنَّهُ ،
ثمَّ غَنَّتْ :

أشأقتك ، والليلُ ملقي الجِرَانِ ، غُرَابٌ يَنُوحُ على غُصْنِ بانٍ^٢
أحصُ الجَنَاحِ ، شديدُ الصِّيَاحِ ، يَبكي بِعَيْنَيْنِ ما تَهملانِ
وفي نَعَبَاتِ الغُرَابِ اغترابٌ؛ وفي البانِ بَيْنَ بعيدُ التَّداني

ثمَّ أخذنَ الثاني فشَدَدْنَ في رجليه خِيَطَيْنِ وباعدنَ بَيْنَهُمَا وجعلنَ
يَقُلْنَ له : أتبكي بلا دمعٍ وتُفَرِّقُ بَيْنَ الأُلُوفِ ، فَمَنْ أَحَقُّ بالقتلِ مِنْكَ؟

١ المساعدة : قوم النسوة .

٢ ألقى الليل جرائه : أقبل .

ثم فَعَلَنَ بِهِ مَا فَعَلَنَ بِصَاحِبِيهِ . ثم غَنَّتِ الثَّالِثَةَ :

أَلَا يَا غُرَابَ الْبَيْنِ لَوْنُكَ شَاحِبٌ ، وَأَنْتَ بِلَوَاعَاتِ الْفِرَاقِ جَدِيرٌ
فَبَيَّنْ لَنَا مَا قُلْتَ ، إِذْ أَنْتَ وَاقِعٌ ؛ وَبَيِّنْ لَنَا مَا قُلْتَ حِينَ تَنْطِيرُ
فَإِنَّ يَكُ حَقًّا مَا تَقُولُ ، فَأَصْبَحْتَ هُمُومُكَ شَتَّى ، وَالْجَنَاحُ كَسِيرٌ
وَلَا زِلْتَ مَكْسُورًا عَدِيمًا لِنَاصِرٍ ، كَمَا لَيْسَ لِي مِنْ ظَالِمِي نَصِيرٌ
ثم قَالَتْ لَهُ : أَمَّا الدَّعْوَةُ فَقَدْ اسْتُجِيبَتْ ، ثُمَّ كَسَرْتَ جَنَاحِيهِ ،
وَأَمَرْتَ فَفَعِلَ بِهِ ذَلِكَ ، ثُمَّ غَنَّتِ الرَّابِعَةَ :

عَشِيَّةَ مَا لِي حِيلَةٌ غَيْرَ أَنْتِي بِلِقَاطِ الْحَصَى ، وَالْخَطُّ فِي الدَّارِ مَوْلَعٌ
أُحِطُّ وَأُحْوَى كُلُّ مَا قَدْ خَطَطْتُهُ بِدَمْعِي وَالْغُرْبَانُ فِي الدَّارِ وَقَعٌ
ثم قَالَتْ لِأَخْوَاتِهَا : أَيِّ قَتْلَةٍ أَقْتُلُهُ ؟ فَقُلْنَ لَهَا : عَلَقِيهِ بِرِجْلَيْهِ وَشَدِّي
فِي رَأْسِهِ شَيْئًا ثَقِيلًا حَتَّى يَمُوتَ ، فَفَعَلْتَ بِهِ ذَلِكَ ، ثُمَّ وَضَعْنَ
عِيدَانَهُنَّ ، وَدَعَوْنَ بِالْغَدَاءِ ، فَأَكَلْنَ ، وَدَعَوْنَ بِالشَّرَابِ ، فَشَرِبْنَ ،
وَجَعَلْنَ كُلَّمَا شَرِبْنَ قَدْحًا شَرِبْنَ لِلصُّورَةِ مِثْلَهُ ، وَأَخَذْنَ عِيدَانَهُنَّ ،
فَغَنَّيْنَ ، فَغَنَّتِ الْأُولَى كَأَنَّهَا تُوَدِّعُ بِهِ :

أَبْكِي فِرَاقَكُمْ عَيْنِي فَأَرْقِهَا ، إِنَّ الْمُحِبَّ عَلَى الْأَحْبَابِ بِكَاءُ
مَا زَالَ يَدْعُو عَلَيْهِمْ رَبُّ دَهْرِهِمْ حَتَّى تَفَانَوْا ، وَرَبُّ الدَّهْرِ عَدَاءُ
ثم غَنَّتِ الثَّانِيَةَ :

أَمَّا وَالَّذِي أَبْكِي وَأَضْحَكَ ، وَالَّذِي أَمَاتَ وَأَحْيَا ، وَالَّذِي أَمَرُهُ الْأَمْرُ
لَقَدْ تَرَكَتْنِي أَحْسَدُ الْوَحْشِ أَنْ أَرَى أَلْيَفَيْنِ مِنْهَا لَا يَرُوعُهُمَا الذَّعْرُ

ثم غنّت الثالثة :

سأبكي على ما فات منك صبايةً وأندبُ أيامَ الأمانِ الذّواهِبِ
أحيانَ دتّا من كنتُ أرجو دنوّه رمتني عيونُ الناسِ من كلِّ جانبِ
فأصبحتُ مَرَحوماً، وكنتُ مُحَسِّداً؛ فصبراً على مكروهٍ مرّ العواقبِ

ثم غنّت الرابعة :

سأفني بكَ الأيامَ حتى يسُرّي بك الدهرُ، أو تَفنى حياتي مع الدهرِ
عزاءً وصبراً! أسعداني على الهوى، وأحمدُ ما جرّيتُ عاقبةَ الصبرِ
ثم أخذت الصورة فعانقتها ، وبكت ، وبكين ، ثم شكّونَ إليها
جميع ما كنّ فيه ، ثم أمرنَ بالصورة ، فطويتُ ، ففرقتُ أن يتفرّقنَ قبل
أن أكلمهنَّ ، فرفعتُ رأسي إليهنَّ فقلتُ : لقد ظلمتُنَّ الغريبانَ .
فقلتُ ١ : لو قضيتَ حقَّ السلام ، وجعلته سبباً للكلام ، لأخبرناك بقصةِ
الغريبان . قال قلتُ : إنّما أخبرتكُنَّ بالحقّ . قلن : وما الحقّ في هذا ،
وكيف ظلمناهنَّ ؟ قلتُ : إنّ الشاعرَ يقول :

نعبَ الغرابِ برؤيةِ الأحبابِ ، فلذلك صيرتُ أحبَّ كلِّ غرابِ
قالتُ : صحفتُ وأحلتَ المعنى ، إنّما قال : يفرقةِ الأحبابِ ،
فلذلك صيرتُ عدوّ كلِّ غرابِ . فقلتُ لهنّ : فبالذي خصصكُنَّ بهذا
المجلس ، وبحقّ صاحبةِ الصورة ، لا خبرتني بخبركُنَّ ؟ قلن : لولا أنّك
أقسمتَ علينا بحقّ من يجبُ علينا حقه ما أخبرناك .

كنّا صواحبَ مجتمعاتٍ على الألفة ، لا تشربُ مناّ وأحدة الباردَ دونِ
صاحبتها ، فاخترمتُ صاحبةِ الصورة من بيننا ، فتحنُ نصنعُ في كلِّ
موضعٍ نجتمعُ فيه مثل الذي رأيتَ ، وأقسمنا أن نقتلَ في كلِّ يومٍ نجتمعُ

١ قالت : يريد إحداهن .

فيه ما وجدنا من الغريبان لعلّة كانت . قلت : وما تلك العلّة؟ قلن : فرق بينها وبين أنسٍ كان لها ، ففارقَت الحياة ، فكانت تدمهنّ عندنا ، وتأمُرُ بقتلهنّ ، فأقلّ ما لها عندنا أن نمتثلَ ما أمرت به ، ولو كان فيك شيء من السواد لفعَلنا بك فعلنا بالغريبان .

ثمّ نهضنّ فمَضَيْنَ ، ورجعتُ إلى أصحابي فأخبرتهم بما رأيتُ ، ثمّ طلبتُهُنّ بعد ذلك ، فما وقعتُ لهنّ على خبر ، ولا رأيتُ لهنّ أثراً .

أبو السائب والغراب

أخبرنا أبو الحسن علي وأبو منصور أحمد ابنا الحسن بن الفضل الكاتب في ما أجازاه لي قالاً : حدثنا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن عبد الله بن خالد الكاتب من لفظه قال : أخبرنا أبو محمد علي بن عبد الله بن العباس بن المغيرة الجوهري قال : حدثنا أحمد بن سعيد الدمشقي قال : حدثنا الزبير بن بكار قال : قال الخليل بن سعيد :

مررتُ بسوق الطير ، فإذا الناس قد اجتمعوا يركبُ بعضهم بعضاً ، فإذا أبو السائب قائماً على غرابٍ يُباعُ قد أخذ طرفَ رِدايه وهو يقول للغراب : يقول لك قيس بن ذريح :

ألا يا غرابَ البينِ ، قد طرّرتَ بالتذي أحاذرُ من لُبني ، فهل أنتَ واقِعٌ؟
ثمّ لا تَقَع ، ويضربه بردائه والغراب يصيح .

لبنى صاحبة قيس بن ذريح والغريبان

أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري قال : أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس بن حيويه قال : حدثنا محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدثني عبد الجبار بن عبد الأعلى قال : قال خندف بن سليم : حدثني أحمد بن هود أن لُبني أمرتُ غلاماً لها فاشترى لها أربعة غريبان ، فلما رأتهنّ بككتُ وصرختُ ، وكتفتُهُنّ ، وجعلتُ تضربُهُنّ بالسوط

حتى متنّ جميعاً ، وجعلت تقول بأعلى صوتها :

لقد نادى الغُرَابُ بَيْنَ لُبْنَى فطارَ القلبُ من حَذَرِ الغُرَابِ
فَقُلْتُ : غَدَاً تَبَاعِدُ دَارُ لُبْنَى وَتَنَائِي بَعْدَ وَدِّىَ وَاقْتِرَابِ
فَقُلْتُ : تَعَيْتَ وَيَحْمَلُكَ مِنْ غُرَابِ أَكُلُ الدَّهْرِ سَعْيُكَ فِي تَبَابِ
لَقَدْ أُولِعْتَ ، لَا لَأَقَيْتَ خَيْرًا ، بِتَفْرِيقِ المَحِبِّ عَنِ الحَبَابِ
فدخل زوجها ، فرآها على تلك الحال ، فقال : ما دعاكِ إلى ما أرى ؟
قالت : دعاني أن ابن عمي وحيبي قيساً أمرهن بالوقوع فلم يقعن
حيث يقول :

ألا يا غُرَابَ البين ، قد طرّرت بالذي أحاذرُ من لُبْنَى ، فهل أنتَ وأقعُ ؟
فأليتُ أن لا أظفرَ بغُرَابٍ إلا قَتَلْتُهُ ، قال : فغَضِبَ ، وقال : لقد
هممتُ بتخليئة سبيلك ، فقالت : لو ددتُ أنكِ فَعَلْتَ ، واني عمياء ،
فوالله ما تزوجتُكَ رغبةً فيكَ ، ولقد كنتُ آليتُ أن لا أتزوج بعد قيسٍ
أبدًا ، ولكنني غلبتني أبي على أمري .

قلي باكي

أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن المسلمة في ما أجاز لنا قال : أخبرنا أبو سعيد الله محمد بن
عمران المرزباني إجازة قال :

أنشدنا نَفْطَوِيَه :

أعادُ من حُبِّكَ لا من ضنِّي وأكثرُ العوادِ أشراكي^١
ولستُ أشكوكِ إلى عائدٍ ، أخافُ أن أشكو إلى شاكِي
إن كنتُ لا أبكي حذارَ العدى ، فإنّ قلبي أبداً باكي

١ أشراكي : شركائي .

قاتل الله للرقيب

ولي من قصيدة أولها :

إذا كنتُ من أسرى الهوى غيرَ مُنْفَكِّ ، فدعُ جسدي يفتني ودعُ مقلتي تبكي

وفيها :

ألا قاتلَ اللهَ الرقيبَ وموقِفاً بكيئنا به، والبينَ يفتُرُ بالضحكِ
وغربَ غربانِ النوى، حينَ بشرتُ، نعيباً من البينِ المفرِّقِ بالوشكِ
فيما ويحَ للعشاقِ أمستَ دماؤهم تُطلِّ غراماً وهي هينَةُ السفكِ

معبد المغني وغلّامه

أخبرنا أبو الفتح عبد الواحد بن أحمد بن الحسين بن شيطا وأبو الحسين أحمد بن علي التوزي
قالا : أخبرنا أبو القاسم اسماعيل بن سويد المعدل قال : أخبرنا الحسين بن القاسم الكوكبي
قال : حدثنا أحمد بن أبي طاهر قال : حدثني حماد بن اسحاق عن أبيه قال :

كانَ لمعبده مملوكٌ ربّاه وأحسنَ أدبه، فمرّ به فتّى ، فاستظرفَ الغلامَ ،
فاشتراه منه ، فلما رحل سمعَ الفتى الغلامَ يبكي ، ويقول :

وما كنتُ أخشى معبداً أن يبيعني بشيء ولو أضحتُ أنا مِلهُ صيفراً
أخوكُم ومولّاكُم، وصاحبُ سرّكم ، ومنّ قد نشأ فيكم، وعاصرکم دهرًا
فقال له مولاه : الحقّ بأهلكَ ، فهمُ في حِلٍّ من ثَمَنِكَ .

الفضل بن الربيع يهوى غلاماً

وبالإسناد قال : أخبرنا الحسين بن القاسم قال : حدثنا أبو محمد عبد الله بن عمر الوراق قال :
أخبرني دوست انطراساني قال :

اشترى خُزَّامُ صاحبُ دوابِّ المعتصم خادماً نظيفاً ، وكان عبدُ الله بن العباس
ابن الفضل بن الربيع يتعشقه ، وقد نَسَبَ في ابْتِياعِهِ^١ ، فسأله هَيْبَتَهُ له ،
أو بَيْعَهُ منه ، فلم يَقْعَلْ ، فصنَعَ أَيْبَاتاً ، وعمل فيها لِحْناً ، واتَّصَلَ خَبْرُهَا
بِخُزَّامِ ، وخافَ أن يتَّصَلَ الخَبْرُ بالمعتصم فيأتني عليه ، فوجَّهَ به إليه ،
وهذه هي الأبيات :

يَوْمُ سَبْتٍ فَصَرَّفَا لِي الْمُدَامَا واسْقِيَانِي لَعَلِّي أَنْ أَنَامَا
شَرَّدَ النَّوْمَ حُبُّ ظَبِّي غَرِيرٍ ، ما أَرَاهُ يَرَى الْحَرَامَ حَرَامَا
اشْتَرَاهُ فَتَى بِقَضْمَةِ يَوْمٍ أَصْبَحْتُ غَيْبَهُ اللُّوَابُ صِيَامَا

دمعة هطلت في ساعة البين

وبالإسناد أيضاً قال : أخبرنا الحسين بن القاسم قال : حدثني محمد بن عجلان قال :
أخبرني ابنُ السَّكَيْتِ أنَّ عبدَ الله بنَ طاهر عَزَمَ على الحجِّ ، فَنَخَّرَجَتْ
إليهِ جاريةٌ شاعرة ، فَبَبَّكَتْ لَمَّا رَأَتْ آلَةَ السفرِ ، فقال محمد بن عبد الله :

دَمْعَةٌ كَاللَّوْلُو الرِّطِّ بِ عَلَى الخَدِّ الأَسِيلِ
هَطَلَتْ فِي سَاعَةِ البَيْتِ نِ مِنَ الطَّرْفِ الكَحِيلِ

١ نَسَبَ في ابْتِياعِهِ : اشْتَرَاهُ .

ثمّ قال لها : أجزبي ، فقالت :

حِينَ هَمَّ الْقَمَرُ الزَّاهِرُ عَنَّا بِالْأَفُولِ^١
إِنَّمَا يَفْتَضِحُ الْعُشَاقُ فِي يَوْمِ الرَّحِيلِ

حَنّ شَوْقًا وَأَنَّ

ولي من نسيب قصيدة :

وَأَخِي لَوَعَةٍ لَقَيْتُ فَمَا زَا لَ بِمَاءِ الْجُفُونِ يُبْكِي الْجَفْنَآ
يَسْتَكِي وَجَدَهُ إِلَيَّ وَأَشْكُو مَا يَقَاسِي قَلْبِي الْمَشُوقُ الْمَعْنَى
ثُمَّ لَمَّا كَفَّتْ دَمُوعُ مَا قَدِ هِ وَمَلَّ الْمَكَانُ مِمَّا وَقَفْنَا
قَالَ لِي، وَالْعُدَّالُ قَدْ يَتَّسُوا مِنِّي هُ وَمَنِي ، وَحَنّ شَوْقًا وَأَنَا:
قَدْ أَفَاقَ الْعُشَاقُ مِنْ سَكْرَةِ الْبَيْتِ نِ جَمِيعًا ، فَمَا لَنَا مَا أَفَقْنَا ؟
قُلْتُ: جَارَ الْهُوَى عَلَيْنَا، فَلَوْ كُنَّا أ غَدَاةَ الْفِرَاقِ مُتَنَا اسْتَرَحْنَا

إِيَّاسُ وَابْنَةُ عَمِّهِ صَفْوَةَ

أخبرنا أبو القاسم علي بن المحسن بن علي التنوخي في ما أجاز لنا قال : أخبرنا أبو عمر محمد
ابن العباس بن حيويه الخزاز قراءة عليه قال : أخبرنا محمد بن خلف أجازة قال : حدثنا قاسم
ابن الحسن قال : حدثنا العمري قال :

أخبرتني الهيثم بن عديّ أن إياسَ بنَ مُرَّةَ بنِ مُصْعَبِ الْقَيْسِيِّ كَانَ
لَهُ أَخٌ يُقَالُ لَهُ فِيهِرٌ ، وَكَانَا يَنْزِلَانِ الْحَيْرَةَ ، وَأَنَّ فِيهِرًا ارْتَحَلَ بِأَهْلِهِ وَوَلَدَهُ ،

١ الأفول : الغياب .

فَنَزَلَ بِأَرْضِ السَّرَاقِ ، وَأَقَامَ مَرَّةً بِالْحَيْرَةِ ، وَكَانَتْ عِنْدَ مَرَّةٍ امْرَأَةٌ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ ، فَلَبِثَتْ مَعَهُ زَمَانًا لَمْ يُرْزَقْ مِنْهَا وَلَدًا ، حَتَّى إِتَمَّ مِنْ ذَلِكَ . ثُمَّ أَتَى فِي مَنَامِهِ ، لَيْلَةً مِنْ ذَلِكَ ، فَقِيلَ لَهُ : إِنَّكَ إِنْ بَاشَرْتَ زَوْجَتَكَ مِنْ لَيْلَتِكَ هَذِهِ رَأَيْتَ سُرُورًا وَغَيْبَةً ، فَانْتَبَهَ ، فَبَاشَرَهَا فَحَمَلَتْ ، فَلَمْ يَزَلْ مَسْرُورًا إِلَى أَنْ تَمَّتْ أَيَّامُهَا ، فَوَلَدَتْ لَهُ غُلَامًا ، فَسَمَّاهُ إِيَّاسًا ، لِأَنَّهُ كَانَ إِيَّاسًا مِنْهُ ، فَتَنَشَأُ الْغُلَامُ مَنَشَأً حَسَنًا .

فَلَمَّا تَرَعَرَخَ ضَمَهُ أَبُوهُ إِلَيْهِ ، وَأَشْرَكَهُ فِي أَمْرِهِ ، وَكَانَ إِذَا سَافَرَ أَخْرَجَهُ مَعَهُ لِقَلَّةِ صَبْرِهِ عَنْهُ ، فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ يَوْمًا : يَا بُنَيَّ ، قَدْ كَبُرَتْ سِنِي ، وَكُنْتُ أَرْجُوكَ لِثَلْثِ هَذَا الْيَوْمِ ، وَبِي إِلَى عَمِّكَ حَاجَةٌ ، فَأُحِبُّ أَنْ تَشْخَصَ فِيهَا . فَقَالَ لَهُ إِيَّاسٌ : نَعَمْ يَا أَبِي ، وَنِعْمَ عَيْنٌ وَكِرَامَةٌ ، فَإِذَا شِئْتُ فَأَنَا لِحَاجَتِكَ . فَأَعْلَمَهُ الْحَاجَةَ ، فَخَرَجَ مُتَوَجِّهًا حَتَّى أَتَى عَمَّهُ ، فَعَظَّمُ سُرُورَهُ بِهِ وَسَأَلَهُ عَنْ سَبَبِ قُدُومِهِ ، وَمَا الْحَاجَةُ فَأَخْبَرَهُ بِهَا ، وَوَعَدَهُ بِقَضَائِهَا ، فَأَقَامَ عِنْدَ عَمِّهِ أَيَّامًا ، يَتَنَظَّرُ فِيهَا قَضَاءَ الْحَاجَةِ .

وَكَانَ لِعَمِّهِ بِنْتُ يُقَالُ لَهَا صَفْوَةٌ ، ذَاتُ جَمَالٍ وَعَقْلٍ ، قَبِيلِنَا هَرَّ ذَاتَ يَوْمٍ جَالِسٌ بِبِنَاءِ دَارِهِمْ ، إِذْ بَدَتْ لَهُ صَفْوَةٌ زَائِرَةٌ بَعْضَ أَخَوَاتِهَا وَهِيَ تَهَادَى بَيْنَ جَوَارِيهَا ، فَتَنَظَّرَ إِلَيْهَا إِيَّاسٌ نَظْرَةً أَوْرَثَتْ قَلْبَهُ حَسْرَةً ، وَظَلَّ نَهَارَهُ سَاهِيًا ، وَبَاتَ وَقَدْ اعْتَكَّرَتْ عَلَيْهِ الْأَحْزَانُ ، يَتَنَظَّرُ الصَّبَاحَ ، يَرْجُو أَنْ يَكُونَ فِيهِ النَّجَاحُ ، فَلَمَّا بَدَأَ لَهُ الصَّبَاحُ خَرَجَ فِي طَلَبِهَا يَتَنَظَّرُ رُجُوعَهَا ، فَلَمَّ يَلْبِثُ أَنْ بَدَتْ لَهُ ، فَلَمَّا نَظَرَتْ إِلَيْهِ تَنَكَّرَتْ ثُمَّ مَضَتْ فَأَسْرَعَتْ ، فَمَرَّ يَسْعَى خَلْفَهَا ، يَأْمَلُ مِنْهَا نَظْرَةً ، فَلَمَّ يَصِلُ إِلَيْهَا ، وَفَاتَتْهُ فَانصَرَفَ إِلَى مَنَزَلِهِ ، وَقَدْ تَضَاعَفَ عَلَيْهِ الْحُزْنُ وَاشْتَدَّ الْوَجْدُ ، فَلَبِثَ أَيَّامًا ، وَهُوَ عَلَى حَالِهِ ، إِلَى أَنْ أَعْقَبَهُ ذَلِكَ مَرَضًا أَضْنَاهُ وَأَنْحَلَّ جِسْمَهُ ، وَظَلَّ صَرِيحًا عَلَى الْفِرَاشِ .

فَلَمَّا طَالَ بِهِ سَقْمُهُ وَتَخَوَّفَ عَلَى نَفْسِهِ بَعَثَ إِلَى عَمِّهِ لِيَتَنَظَّرَ إِلَيْهِ

ويوصيه بما يُريد ، فلَمَّا رآه عَمَهُ وَنَظَرَ إِلَى مَا بِهِ سَبَقَتُهُ الْعِبْرَةُ إِشْفَاقاً عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ إِيَّاسُ : كَفَّ ، جُعِلْتُ فِدَاكَ يَا عَمُّ ، فَقَدْ أَفْرَحْتَ قَلْبِي . فَكَفَّفَ عَنْ بَعْضِ بُكَائِهِ ، فَشَكَا إِلَيْهِ إِيَّاسُ مَا يَجِدُ مِنَ الْعِلَّةِ . فَقَالَ لَهُ : عَزَّ ، وَاللَّهِ ، عَلِيٌّ يَا ابْنَ أُخِي ، وَلَنْ أَدَعَ حِيلَةَ فِي طَلَبِ الشِّفَاءِ لَكَ . فَانصَرَفَ إِلَى مَنْزِلِهِ ، وَأرْسَلَ إِلَى مَوْلَاةٍ لَهُ كَانَتْ ذَاتَ عَقْلٍ فَأَوْصَاهَا بِهِ ، وَبِالتَّعَاهُدِ لَهُ ، وَالْقِيَامِ عَلَيْهِ .

فَلَمَّا دَخَلَتْ الْمَوْلَاةُ عَلَيْهِ فَتَأَمَّلَتْهُ عَلِمَتْ أَنَّ الَّذِي بِهِ عِشْقٌ ، فَتَعَدَّتْ عِنْدَ رَأْسِهِ ، فَأَجْرَتْ ذَكَرَ صَفْوَةَ لِتَسْتَيِّقِنَ مَا عِنْدَهُ ، فَلَمَّا سَمِعَ ذِكْرَهَا زَقَرَ زَقْرَةً ، فَقَالَتْ الْمَرْأَةُ : وَاللَّهِ مَا زَقَرَ إِلَّا مِنْ هَوَى دَاخِلِهِ وَلَا أَظُنُّهُ إِلَّا عَاشِقًا . فَأَقْبَلَتْ عَلَيْهِ كَالْمَازِحَةِ لَهُ فَقَالَتْ لَهُ : حَتَّى مَنَى تُبْلِي جِسْمَكَ ، فَوَاللَّهِ مَا أَظُنُّ الَّذِي بَكَ إِلَّا هَوَى . فَقَالَ لَهَا إِيَّاسُ : يَا أُمَّةَ ، لَقَدْ ظَنَنْتَ بِي ظَنًّا سَوْءًا ، فَكُفِّي عَنْ مُزَاحِكَ . فَقَالَتْ : إِنَّكَ وَاللَّهِ لَنْ تُبْدِيَهُ إِلَى أَحَدٍ هُوَ أَكْتَمُ لَهُ مِنْ قَلْبِي . فَلَمْ تَزَلْ تُعْطِيهِ الْمَوَائِقَ وَتُقْسِمُ عَلَيْهِ إِلَى أَنْ قَالَتْ لَهُ : بِحَقِّ صَفْوَةَ ! فَقَالَ لَهَا : لَقَدْ أَقْسَمْتَ عَلَيَّ بِحَقِّ عَظِيمٍ لَوْ سَأَلْتَنِي بِهِ رُوحِي لَدَفَعْتُهَا إِلَيْكَ ، ثُمَّ قَالَ : وَاللَّهِ يَا أُمَّةَ مَا أُعْظِمُ دَائِي إِلَّا بِالاسْمِ الَّذِي أَقْسَمْتَ عَلَيَّ بِحَقِّهِ ، فَاللَّهُ اللَّهُ فِي كِتْمَانِهِ وَطَلَبِ وَجْهِ الْحِيلَةِ فِيهِ .

فَقَالَتْ : أَمَا إِذْ أَطْلَعْتَنِي عَلَيْهِ ، فَسَأَلْتُ فِيهِ رِضَاكَ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، فَسُرَّ بِذَلِكَ ، وَأرْسَلَ مَعَهَا بِالسَّلَامِ إِلَى صَفْوَةَ . فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهَا ابْتَدَأَتْهَا صَفْوَةُ بِالسَّأَلِ عَنِ الَّذِي بَلَغَهَا مِنْ مَرَضِهِ وَشِدَّةِ حَالِهِ ، فَاسْتَبَشَّرَتْ الْمَوْلَاةُ بِذَلِكَ ، ثُمَّ قَالَتْ : يَا صَفْوَةَ مَا حَالَةُ مَنْ يَبِيْتُ اللَّيْلَ سَاهِرًا مَحْزُونًا يَرعى النُّجُومَ وَيَتَمَتَّى الْمَوْتَ ؟ فَقَالَتْ صَفْوَةُ : مَا أَظُنُّ هَذَا عَلَى مَا ذَكَرْتَ بِسَاقٍ ، وَمَا أَسْرَعَ مِنْهُ الْفِرَاقُ .

ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَى الْمَوْلَاةِ فَقَالَتْ : إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ شَيْءٍ فِيحْتَمِي عَلَيْكَ لَمَّا أَوْضَحْتَهُ . فَقَالَتْ : وَحَقِّكَ إِنْ عَرَفْتَهُ لَا كَتَمْتُكَ مِنْهُ شَيْئًا .

قالتُ : فهَلْ أُرْسَلَكِ إِيَّاسَ إِلَى أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ وَدَّهِ فِي حَاجَةٍ ؟ فقالت المولاة :
 وَاللَّهِ لِأَصْدُقَنَّكَ ، وَاللَّهِ مَا جُلُّ دَائِهِ وَعِظَمُ بَلَاءِهِ إِلَّا بِكَ ، وَمَا أُرْسَلَنِي
 بِالسَّلَامِ إِلَّا إِلَيْكَ ، فَأَجِيبِيهِ إِنْ شِئْتَ ، أَوْ دَعِي . فقالتُ : لا شفاءَ اللهُ ،
 وَاللَّهِ لَوْلَا مَا أُوجِبَ مِنْ حَقِّكَ لِأَسَاتُ الْإِيكِ ، وَزَجَرْتَهَا ، فَخَرَجَتْ مِنْ
 عِنْدِهَا كَثِيبَةً ، فَأَتَتْهُ فَأَعْلَمَتْهُ فَازدادَ عَلَى مَا كَانَ بِهِ مِنْ مَرَضِهِ ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ :
 كَتَمْتُ الْهُوَى حَتَّى إِذَا شَبَّ وَاسْتَوَتْ قُوَاهُ ، أَشَاعَ الدَّمْعُ مَا كُنْتُ أَكْتُمُ
 فَلَمَّا رَأَيْتُ الدَّمْعَ قَدْ أَعْلَنَ الْهُوَى خَلَعْتُ عِذَارِي فِيهِ ، وَالخَلْعُ أَسْلَمُ
 فَيَا وَيْحَ نَفْسِي كَيْفَ صَبَرِي عَلَى الْهُوَى وَقَلْبِي وَرُوحِي عِنْدَ مَنْ لَيْسَ بِرَحْمٍ
 قال : ثُمَّ إِنَّ عَمَّهُ دَخَلَ عَلَيْهِ لِيَعْرِفَ خَبْرَهُ ، فَقَالَ لَهُ : يَا عَمُّ ،
 إِنِّي مَغْبُوكٌ بِشَيْءٍ لَمْ أَخْبِرْكَ بِهِ حَتَّى بَرَحَ الْخَفَاءُ وَلَمْ أُطِيقْ لَهُ مَحْمَلًا ، فَأَخْبِرْهُ
 الْخَبْرَ ، فَزَوَّجَهُ فَأَفَاقَ وَبَرَأَ مِنْ عِلَّتِهِ .

إِبْلِيسُ يَغْنِي

أَخْبَرَنَا الْقَاضِي أَبُو الطَّيِّبِ طَاهِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الطُّبْرِيُّ فِي مَا أَجَازَ لَنَا قَالَ : أَخْبَرَنَا الْقَاضِي أَبُو
 الْفَرَجِ الْمَعْقُوقِيُّ بْنُ زَكَرِيَّا قَالَ : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ الْقَاسِمِ الْكُوكَبِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي الرَّبِيعِيُّ قَالَ :
 قَالَ إِبْرَاهِيمُ الْقَارِي :

رَأَيْتُ إِبْلِيسَ فِي النَّوْمِ شَيْخًا أَيْبَضَ الرَّأْسَ وَاللَّحْيَةَ ، وَهُوَ يُغْنِي
 بِصَوْتِ شَجَرٍ :

أَسَهَرْتَ لَيْلَ الْمُسْتَهَامِ ، وَنَفَيْتَ عَنْ عَيْنِي الْمَنَامَ
 وَهَجَرْتَنِي مُتَعَمِّدًا ، مَا هَكَذَا فِعْلُ الْكِرَامِ

محنة العاشق

أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي الحافظ قال : أخبرنا علي بن أيوب القمي قال : أخبرني أبو حنيفة
محمد بن عمران قال : أخبرني الصولي قال :

قال أبو تمام :

أنتَ في حلٍّ فزِدني سَقَمًا ، افنِ صَبْرِي واجعلِ الدمعَ دما
وارضَ لي الموتَ بهَجْرِكَ فإنَّ أَلِمْتَ نَفْسِي، فزِدْني أَلَمًا
محنةُ العاشِقِ ذلٌّ في الهَوَى ، فلِذَا استودِعَ سِرًّا كَتَمًا
ليسَ مِنَّا مَنْ شكا عِلَّتَه ، مَنْ شكا ظَلَمَ حَبِيبٍ ظَلَمًا

المأمون والعباس بن الأحنف

أخبرنا أبو الحسين محمد بن علي بن الجاز القرشي بالكوفة بقراعتي عليه سنة احدى واربعين
وأربعمائة ، وأنا متوجه إلى مكة، قال : حدثنا أبو محمد عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن سعيد
ابن اسحاق البرزاز في ما كتب به إلينا قال : حدثنا أبو هريرة أحمد بن عبد الله قال : حدثنا
الحسن بن محمد بن اسماعيل بن موسى قال :

رَأَيْتُ فِي كِتَابِ الْأَخْبَارِ لِأَبِي أَنْ الْمَأْمُونُ لَمَّا نَخَرَاجَ إِلَى خُرَّاسَانَ كَانَ فِي
بَعْضِ اللَّيْلِ جَالِسًا فِي لَيْلَةٍ مُقَمِّرَةٍ إِذْ سَمِعَ مُغْتَبًا يَغِي مِنْ خِيَمَةٍ لَهُ :

قَالُوا: خُرَّاسَانَ أَقْصَى مَا تَحَاوَلُهُ، وَدُونَ ذَلِكَ، فَقَدْ جُرْنَا خُرَّاسَانَ
مَا أَقْدَرَ اللَّهَ أَنْ يُدْنِي بَعِزَّتِيهِ سُكَّانَ دِجْلَةَ مِنْ سُكَّانِ جَيْحَانَ^١
عَيْنًا أَظُنُّ أَصَابَتْنَا، فَلَا نَنْظُرَتْ، وَعَدَّتْ بِصُنُوفِ الْهَجْرِ الْوَانَا
مَتَى يَكُونُ الَّذِي أَرْجُو وَأَمَلُهُ، أَمَا الَّذِي كُنْتُ أَحْشَاهُ فَقَدْ كَانَ

١ جيحان : نهر في المواسم .

فخرج المأمونُ من موضِعِهِ حتى وقفَ على الحَيمةِ ، وعَلِمَها ، فلمّا كان من الغدّ وجّهَ فأحضَرَ صاحبَ الحَيمةِ ، وهو شابٌّ ، فسألته عن اسمِهِ ، فقال : العباسُ بنُ الأحنفِ . قال : أنتَ الذي كنتَ تقولُ :

مَنى يكونُ الذي أرجو وأملُهُ ، أمّا الذي كنتُ أخشاهُ فقد كانا قال : نَعَمْ . قال : ما شأنُكَ ؟ قال : يا أميرَ المؤمنين تزوّجتُ ابنةَ عمِّ لي ، فننادى مُناديكَ يومَ أسبوعي في الرَّحيلِ إلى خُرّاسانَ ، فخرّجتُ ، فأعطاه رزقَ ستّةِ ، وردّه إلى بَغدادَ ، وقال : أقيمُ إلى أن تُنفِقَها ، فإذا نَفِدتِ رجعتِ .

مهجور لا مسحور

أبانا أبو سعيد سمود بن ناصر السخري ، وقد قدم علينا ببغداد ، قال : أبانا أبو القاسم منه ابن عمر ببغداد قال :

أنشدنا أبو علي الحسن بن عبد الله الزنجاني لبعضهم :
قال الطيّبُ لأهلي حينَ أبصرتني : هذا فتاكُم ، وحقُّ الله ، مسحورُ
فقلتُ : ويحك ! قد قاربتَ في صيفي عينَ الصوابِ ، فهلّا قلتُ : مهجورُ

صيرت لحظها سلاحاً

أخبرنا أبو سعيد أيضاً قال : حدثني أبو غانم حميد بن مأمون همدان قال : حدثنا أبو بكر أحمد ابن عبد الرحمن الشيرازي قال : أخبرني أبو العباس الوليد بن بكر اللندلي قال :
أنشدنا أبو عمر يوسف بن عبد الله المُلقَّبُ بأبي رمال ، على البديهة ،
إذ عبَرَ عليه حَبِيبُهُ :

بُحْتُ بَوَجْدِي، وَلَوْ غَرَامِي يَكُونُ فِي جَلْمَدٍ لَبَاحَا
أَضَعْتُمْ الرُّشْدَ فِي مُحِيبٍ لَيْسَ يَرَى فِي الْهُوَى جُنَاحَا
لَمْ يَسْتَطِعْ حَمَلًا مَا يَلَاقِي، فَشَقَّ أَثْوَابَهُ وَنَاحَا
مُحِيرًا الْمُفْلَتَيْنِ قُلُّ لِي: هَلْ شَرِبْتَ مُقْلَتَاكَ رَاحَا؟
نَفْسِي فِدَا لِمَةٍ وَوَجْهِ قَدْ كَمَلَا اللَّيْلَ وَالصَّبَاحَا
وَمُقْلَةٍ أُولِعْتُ بِقَتْلِي، قَدْ صَيَّرْتُ لِحْظَهَا سِلَاحَا
وَعَقْرَبٍ سُلْطَتْ عَلَيْنَا، تَمَلَّأُ أَكْبَادَنَا جِرَاحَا

جمال يلبي الناس

خبرنا ابراهيم بن سعيد بمصر في سنة خمس وخمسين وأربعمائة بقراعي عليه قال : حدثنا
أبو صالح السمرقندي الصوفي قال : حدثنا الحسين بن القاسم بن أليبع قال : حدثنا أبو بكر
احمد بن محمد بن عمر الدينوري قال : حدثنا أبو محمد جعفر بن عبد الله الصوفي قال : قال
أبو حمزة :

كان كامل بن المخارق الصوفي من أحسن ما رأيتُهُ من أحداث الصوفية
وجهاً، وكان قد لزمَ مَنزِلَه، وأقبلَ على العِبَادَة، فكان لا يخرجُ إلاّ من جمعة
إلى جمعة ، فإذا خرَجَ يُريد المسجد ، وقف له الناس ، ورموه بأبصارهم
ينظرونَ إليه ، فقدم به علينا حَجَّارُ بن قيس المكي دمشقي ، وكان أحد
الفصحاء العقلاء ، وكان لي صديقاً ، فكلمني جماعة من أصحابه أسأله أن
يجلسَ لهم مجلساً يتكلمُ عليهم فيه ، ويسألونه، فكلمته فوعدهم
يوماً ، فاتعدنا لذلك اليوم ، ودعا الناسُ بعضهم بعضاً .

فلما أن كان يوم الجمعة وصلى الناس الغداة ، أقبلوا من كل ناحية ،

١ سنة ١٠٦٣ م .

فَوَقَّفَ يَتَكَلَّمُ عَلَيْنَا ، فَبَيَّنَا هُوَ كَذَلِكَ ، إِذْ أَقْبَلَ كَامِلُ بْنُ الْمُخَارِقِ ،
فَلَمَّا رَأَتْهُ النَّاسُ رَمَوْهُ بِأَبْصَارِهِمْ ، وَشُغِلُوا بِالنَّظَرِ إِلَيْهِ عَنِ الْإِسْتِمَاعِ مِنْهُ ،
وَفُطِنَ بِهِمْ حَجَّارٌ ، فَفَقَطَعَ كَلَامَهُ ، وَقَالَ : يَا قَوْمُ ! مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ اللَّهَ
وَقَارَأَ ، أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ، وَجَعَلَ الْقَمَرَ
فِيهِنَّ نُورًا ، وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ، فَوَاللَّهِ لِمَا تَنْظُرُونَ مِنْهُمَا عَلَى بُعْدِهِمَا
أَعْجَبُ إِلَيَّ مِنْ نَظَرِكُمْ إِلَى هَذَا ، فَاحْذَرُوا أَنْ تَعُودَ عَلَيْكُمْ النُّفُوسُ بِعَوَائِدِ
حِكْمِهَا ، إِذَا حَالَتْ الْقُلُوبُ فِي غَامِضِ فِكْرِهَا ، أَنْتَظِرُونَ إِلَى جَمَالِ
تُحْوَلُ عَنْهُ نُضْرَتُهُ ، وَوَجْهَهُ تَتَخَرَّمُهُ الْحَادِثَاتُ بَعْدَ خُبْرَتِهِ ؟ مَا هَذَا نَظَرَ
الْمُشْتَاكِينَ ، أَيْنَ تَدَهَبُ بِكُمْ الشَّهَوَاتُ ؟ لَقَدْ عَرَضَتْكُمْ لِحِنَّةٍ عَظِيمَةٍ
عَلَى أَنْتُمْ لَا تَبْلُغُونَ مِنْهَا مَحْبُوبَ نَفُوسِكُمْ وَمُطَالَبَةَ قُلُوبِكُمْ إِلَّا بِإِحْدَى
ثَلَاثٍ : إِمَّا بِتَوْبَةٍ يَتَلَفَّأُكُمْ اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، بِهَا ، أَوْ عِصْمَةٍ يَتَّقَمِدُكُمْ
بِرَحْمَتِهِ فِيهَا ، أَوْ يُطَلِّقَكُمْ وَمَا تَطْلُبُونَ ، فِيمَا أَنْ تَحُولَ أَقْدَارُهُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ
شَهْوَا تِكُمْ ، وَإِمَّا أَنْ تَبْلُغُوا مِنْهَا إِرَادَتَكُمْ فَتُسَخِّطُوهُ عَلَيْكُمْ ، أَمَا سَمِعْتُمُوهُ ،
تَعَالَى ذِكْرُهُ ، يَقُولُ : ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ ،
فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ؟ ثُمَّ أَخَذَ فِي كَلَامِهِ ، فَأَحْصَيْتُ مِنْ أَحْرَمٍ مِنْ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ
الْيَوْمَ نَيْفَ عَلَى سَبْعِينَ بَيْنَ رَجُلٍ وَغُلَامٍ .

مجنون مصفد بالحديد

أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد الأردستاني بمكة في المسجد الحرام سنة ست وأربعين وأربعمائة
قال : أخبرنا الحسن بن محمد بن حبيب المذكر قال : حكى لي عن حبيب بن محمد بن خالد
الواسطي قال :

دخلت يوماً على علي بن عثام ، فوجدته باكياً حزيناً ذاهب النفس ،
فأنكرته ، فسألته عما دهاه ، فقال : اعلم أي مررت بالخريفة فرأيت مجنوناً

١ سنة ١٠٥٤ م .

مصَفِّدًا فِي الْحَدِيدِ يَتَمَرَّغُ فِي التَّرَابِ وَيَقُولُ :

أَلَا لَيْتَ أَنْ الْحَبِّ يَعِشُقُ مَرَّةً ، فَيَعْرِفَ مَاذَا كَانَ بِالنَّاسِ يَصْنَعُ
يَقُولُونَ فَزُ بِالصَّبْرِ لِإِتِّكَ هَالِكٌ ، وَلِلصَّبْرِ مِنِّي ، إِنْ أَحَاوِلْتَهُ ، أَجْزَعُ

إِذَا مَاتَ أَوْ حَيَاةً

أَبَانَا أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْجَوْهَرِيِّ قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو عَمْرِو بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْعَبَّاسِ قَالَ : حَدَّثَنَا
مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ قَالَ :

أَنْشَدَنِي لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ أَحْمَدَ الشَّيْبَانِيِّ لِقَيْسِ بْنِ ذَرِيحٍ :

لَقَدْ عَنَيْتَنِي يَا حُبَّ لُبِّي ، فَفَقَّعَ إِذَا بِمَوْتٍ أَوْ حَيَاةٍ
فَلِإِنَّ الْمَوْتَ أَيْسَرُ مِنْ حَيَاةٍ مِنْغَصَّةٍ لَهَا طَعْمُ الشَّتَاتِ
وَقَالَ الْآمِرُونَ : تَعَزَّزْ عَنْهَا ، فَقُلْتُ : نَعَمْ ، إِذَا حَانَتْ وَفَاتِي !

عَاشِقَانِ يَصَلِّيَانِ

أَبَانَا أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي بَكْرٍ قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ
بْنُ عِمْرَانَ قَالَ : حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ الْجَوْهَرِيِّ قَالَ : حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْعِزِّيُّ قَالَ :
رَأَيْتُ عَاشِقَيْنِ اجْتَمَعَا ، فَجَعَلَا يَتَحَدَّثَانِ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ إِلَى الْغَدَاةِ ،
ثُمَّ قَامَا إِلَى الصَّلَاةِ .

الحياء المانع

قال محمد بن عمران وأخبرنا الصولي قال :

أنشدنا محمد بن القاسم :

كم قد خلّوتُ بمن أهوى فيمنعني منه الحياءُ ، وقد أودى بِمَعْقُولِي
يأبى الحياءُ وشيبي أن أَلِمَّ بِهِ ، وَخَشْيَةً بَعْدُ مِنْ قَالٍ وَمِنْ قِيلِ

العشاق الأعماء

قال وأنشدنا إبراهيم بن محمد بن عرفة لنفسه :

كم قد ظفرتُ بمن أهوى فيمنعني منه الحياءُ وخوفُ الله والحدْرُ
وكم خلّوتُ بمن أهوى فيفنعني منه الفكاهةُ والتحديثُ والنظرُ
كذلكَ الحبُّ لا إتيانَ معصيةٍ ، لا خيرَ في لذةٍ مِنْ بَعْدِهَا سَقَرُ
وللعطوي من أبيات :

إن أكنُ عاشقاً فإني عفيفُ إلا حَظِي وَالْفَظِي عَنْ رُكُوبِ الْحَرَامِ
كنتُ ماراً بين تيماء ووادي القري ، وأظنه في سنة اثنتين وأربعين
وأربعمئة^١ ، صادراً من مكة ، فرأيتُ صخرةً عظيمةً ملساءَ فيها تزيغُ
يقدر ما يجلسُ عليها النَّقَرُ كالدكة^٢ ، فقال بعضُ مَنْ كان معنَا من
العرب ، وأظنه جهنيّاً : هذا مجلسُ جميلٍ وبُئينةَ فاعرفه .

١ سنة ١٠٥٠ م .

٢ الدكة : بناء يسطح أملاه للجلوس .

سيوف البين

أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي بن محمد الجوهري قال : أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس بن حمويه قال : أخبرنا محمد بن القاسم الأنباري قال : أنبأني أبي قال :
أنشدنا أحمد بن عبيد :

ضَعُفْتُ عن التَّسْلِيمِ يَوْمَ فِرَاقِهَا ، فَوَدَّعْتُهَا بِالطَّرْفِ وَالْعَيْنُ تَدْمَعُ
وَأَمْسَكْتُ عن رَدِّ السَّلَامِ ، فَمَنْ رَأَى حَيًّا بِطَرْفِ الْعَيْنِ قَبْلِي يُودِّعُ
رَأَيْتُ سِوْفَ الْبَيْنِ عِنْدَ فِرَاقِهَا ، بِأَيْدِي جُنُودِ الشُّوقِ ، بِالْمَوْتِ تَدْفَعُ
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ مِنْ مِضَاعَفَاءُ ، إِلَى أَنْ تَغِيْبَ الشَّمْسُ مِنْ حَيْثُ تَطْلُعُ

لقاء في الجنة

أخبرنا أحمد بن علي بن محمد السواق قال : أخبرنا محمد بن أحمد بن فارس قال : حدثنا عبد الله ابن إبراهيم الزبيبي قال : حدثنا محمد بن خلف قال : حدثنا عبد الله بن عبيد قال : حدثني محمد بن الحسين في أسناد لا أحفظه قال :

علق فتى من الحي بنت عم له ، فخطبها إلى أبيها ، فرغب بها عنه ، فبلغ ذلك البخارية ، فأرسلت إليه : قد بلغني حبك إيتي ، وقد أحببتك لذلك لا لغيره ، فإن شئت خرجت إليك بغير علم أهلي ، وإن شئت سهلت لك المعجىء . فأرسل إليها : كل ذلك لا حاجة لي فيه ، إني أخاف أن يلقيني حبك في نار لا تطفأ وعذاب لا ينقطع أبداً . فلما جاءها الرسول بككت ، ثم قالت : لا أراك راهباً ، والله ، ما أحد أولى بهذا الأمر من أحد ، إن الخلق في الوعد والوعيد مشتركون .

قال : فتدرعت الشعر^١ وأقبلت على العباداة ، فكبر ذلك على أهلها

١ تدرعت الشعر : لبست درعاً من الشعر ، والدرع : ثوب تلبسه المرأة في بيتها .

وعلى أبيها، فلم تزل تتعبده حتى ماتت . فكان الفتي يأتي قبرها كل ليلة،
فيسدعو لها ويستغفر وينصرف . فأخبرنا أنه رآها في المنام فقال لها : فلانة ؟
قالت : نعم ، ثم قالت :

نعم المحبة ، يا سولي، محبتكم ، حبٌ يجر إلى خير وإحسان
إلى تميم وعيش لا زوال له ، في جنة الخلدِ جلدٍ ليس بالفاني

قال : فقلت لها : أيتها الحبيبة ، أفتذكرينني هُنَاك ؟ قال : فقالت :
والله إني لأتمسك على مولاي ومولاك ، فأعيتني على نفسك بطاعته ، فلعمركه
يجمعُ بيني وبينك في داره ، ثم ولت ، فقلت لها : متى أراك ؟ قالت :
ترآني قريباً إن شاء الله . قال : فلم يكبث الفتي بعد هذه الرؤيا إلا قليلاً
حتى مات فدفن إلى جانبها .

صخر بن الشريد وزوجته

أخبرنا أبو علي محمد بن الحسين الجازري بقرآني عليه قال : حدثنا المعاني بن زكريا قال : حدثنا
محمد بن الحسن بن دريد قال : حدثنا أبو حاتم قال : حدثنا الأصمعي قال :

التقى صخر بن عمرو بن الشريد السلمي ورجلٌ من بني أسد، فطعنَ
الرجلُ صخرًا، فقيل لصخر: كيف طعنك ؟ قال : كان رُحْمُه أطولَ
من رُحْمِي بأنبوب، فضمنَ صخرٌ منها ، وطالَ مرضُه ، وكانت أمه إذا
سئلت عنه ، قالت : نحنُ بخير ما رأينا سوادَه بيننا ، وكانت امرأته ،
إذا سئلت عنه ، قالت : لا هوَحي فيرجي ، ولا ميتٌ فيُنعي ، فقال صخر :
أرى أمَّ صخرٍ لا تملَّ عيادتي ، ومَلتْ سُلَيْمِي مضجعي ومكاني

١ ضمن منها : مرض .

إذا ما امرؤ سَوَى بِأَمِّ حَلِيلَةٍ ، فَلَا عَاشٍ إِلَّا فِي شَقَا وَهَوَانِ
لِعَمْرِي لَقَدْ أَبْقَظتِ مِنْ كَانَ نَائِماً ، وَأَسْمَعتِ مَنْ كَانَتْ لَهُ أَذُنَانِ
بَصِيرًا بَوَجْهِ الْحَزْمِ لَوْ اسْتَطِيعَهُ ، وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الْعَيْرِ وَالتَّرْوَانِ^١
قال المُعافَى بن زكريّا ويروي : أهُمَّ بِأَمْرِ الْحَزْمِ لَوْ اسْتَطِيعَهُ . وقول
أُمِّ صَخْر : ما رأينا سواده أي شَخْصه . قال الشاعر : بَيْنَ الْمُخَازِمِ^٢ يَرْتَقِبُنَّ
سَوَادِي ، أَي شَخْصِي .

نوم الفهد

أخبرنا أبو الحسن علي بن صالح الروذباري بقراوتي عليه بمصر ، سنة خمس وخمسين وأربعمائة^٣ ،
قال : أخبرنا أبو مسلم الكاتب لإجازة قال : حدثنا ابن دريد قال : أخبرنا عبد الرحمن عن
صه قال :

مريضَ أعرابي من بني نمير يقال له : حنيف بن مساور ، وكانت له
امرأة من قومه يقال لها زرة بنت الأسود ، وكان لها محباً . فلما اشتدَّ وجعُه
جَلَسَتْ عِنْدَ رَأْسِهِ ، فَأَنْشَأَ يَقُولُ :
يَا زَرَّعَ دُومِي وَاحْفَظِي لِي عَهْدِي ، كَمِّ مِنْ مَنِيرٍ بَيْنَتَنَا مَسْدِي^٤
وَكَاشِحِ ، يَا زَرَّعَ ، بَادِي الْحِقْدِ ، يَا زَرَّعَ إِنْ وَسَدْتَنِي فِي لِحْدِي
وَجَاءَكَ الْخَاطِبُ بَعْدَ الْوَقْدِ ، وَقَلتِ : عَبْدٌ بَدَلٌ مِنْ عَبْدِ

١ حيل بين العير والتزوان : مثل يراد به انه صار عاجزاً عن الأمر الذي يريد .

٢ المخازم : الطرق في الجبال ، الواحد مخزم .

٣ سنة ١٠٦٣ م .

٤ قوله : منير بيننا مسدي ، هكذا في الأصل .

فَخَصَّكَ اللهُ بِفَدْرٍ وَغَدْرٍ يَنْتَامُ فِي بَيْتِكَ نَوْمَ فَهْدٍ^١
 قال : فَمَاتَ ، فَوَاللهِ مَا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا ، إِلَّا رِيْشًا تَزَوَّجْتَ ،
 فَكَأَنَّهُ كَانَ يَرَى زَوْجَهَا ، وَهُوَ كَمَا وَصَفَ .

لم يفوا ولم يرحموا

أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد الاردستاني بمكة في المسجد الحرام قال : أخبرنا الاستاذ أبو القاسم
 الحسن بن محمد بن حبيب المذكر قال : سمعت أبا الفوارس بن حنيف بن أحمد بن حنيف
 الطبري قال : سمعت أبا الحسن العيشي المؤدب يقول :
 انْحَدَرْتُ مِنَ الْبَلْسِ^٢ أُرِيدُ الْعِرَاقَ ، فَدَخَلْتُ الْمَوْصِلَ ، فَأَقَمْتُ بِهَا أَيَّامًا ،
 فَبَيْنَمَا أَنَا مَارٌّ فِي بَعْضِ أَرْقَتَيْهَا ، إِذَا صَيْحَاً وَجَلْبَةً^٣ ، فَسَأَلْتُ عَنْهَا فَقِيلَ :
 ههنا دار المجانين ، وهذا صوتُ بعضهم ، فدَخَلْتُ ، فإذا شابٌ مَشْدُودٌ
 مَتَشَحِّطٌ فِي الدَّمِ ، فَسَلَّمْتُ ، فَرَدَّ السَّلَامَ ، وَقَالَ : مَنْ أَيْنَ تَجِيءُ ؟ قُلْتُ :
 مِنَ الْبَلْسِ . قَالَ : وَأَيْنَ تَرِيدُ ؟ قُلْتُ : الْعِرَاقَ . فَقَالَ : أتعرفُ بني فلانٍ ؟ وَأشارَ
 إِلَى أَهْلِ بَيْتٍ . قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ : لَا صَنَعَ اللهُ لَهُمْ وَلَا خَارَ لَهُمْ ، هُمُ الَّذِينَ
 أَدَهَشُونِي وَتَيَّمُونِي وَأَحَلَّوْنِي هَذَا الْمَحَلَّ . قُلْتُ : وَمَا فَعَلُوا ؟ قَالَ :
 زَمُّوا الْمَطَايَا وَاسْتَقَلُّوا ضُحَىً ولم يُبَالُوا قَلْبَ مَنْ تَيَّمُوا
 مَا ضَرَّهُمْ ، وَاللهُ يَرْعَاهُمْ ، لو دَعَوْا بِالطَّرْفِ أَوْ سَلَّمُوا
 مَا زِلْتُ أَذْرِي الدَّمَاعَ فِي إِثْرِهِمْ ، حتَّى جَرَى مِنْ بَعْدِي دَمِي دَمٌ
 مَا أَنْصَفُونِي ، يَوْمَ بَانُوا ضُحَىً ، ولم يفوا عهدي ولم يرحموا

١ الفد : الفرد . وأراد بنوم الفهد : النوم الثقيل .

٢ بالس : بلد بشط الفرات .

ضجيج الكواكب

أبانا محمد بن أبي نصر بدمشق قال :

أنشدني علي بن أحمد ليحيى بن هذيل :

إذا حبستُ على قلبي يدي بيدي، وصيحتُ في الليلة الظلماءِ وا كيدي
ضججتُ ككواكبٍ ليلى في مطالعِها، وذابتِ الصخرةُ الصماءُ من كمندي

الهوى حلو ومر

أخبرنا أبو علي محمد بن الحسين الحازري بقراءتي عليه قال : حدثنا الماعق بن زكريا الحريري
قال : حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي قال : حدثنا ابن أبي الدنيا قال : حدثني أبو الوضاح
عن الواقدي عن أبي الجحاف قال :

إني لفي الطوافِ وقد مضى أكثرُ الليلِ وخفّ الحاجُّ إذا امرأةٌ قد أقبلتْ
كأنها شمسٌ على قضيبِ غرسٍ في كثيبٍ ، وهي تقول :
رأيتُ الهوى حلواً إذا اجتمع الوصلُ ، ومراً على الهجرانِ ، لا بل هو القتلُ
ومن لم يدقْ للهجرِ طعماً ، فلأنه إذا ذاقَ طعمَ الحبِّ لم يدْرِ ما الوصلُ
وقد ذقتُ من هذين في القربِ والنوى ، فأبعده قتلٌ وأقربه خبيلٌ

زليخا ويوسف

أخبرنا القاضي أبو علي زيد بن أبي حيويه قال : حدثنا أبو محمد الحسن بن عمر بن علي الجلباني قال : حدثنا محمد بن سعيد قال : حدثنا ابن عليل المطيري قال : حدثنا ابن الدروقي قال : حدثنا سلمة بن شبيب قال : حدثنا اسماعيل بن عبد الكريم عن عبد الصمد بن معقل عن وهب قال :

لَمَّا خَلَّتْ زُلَيْخَا بِيُوسُفَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، ارْتَعَدَ يُونُسُ . فَقَالَتْ زُلَيْخَا :
 مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تُرْعَدُ ، إِنَّمَا جِئْتُ بِكَ لِتَأْكُلَ وَتَشْرَبَ وَتَشْتَمَّ رَائِحَتِي ،
 وَأَشْتَمَّ رَائِحَتَكَ . قَالَ : يَا أُمَّةَ اللَّهِ ، لَسْتُ لِي بِجُرْمَةٍ . قَالَتْ : فَمِنْ أَيِّ
 شَيْءٍ تَفْرَعُ ؟ قَالَ : مِنْ سَيِّدِي . قَالَتْ : السَّاعَةَ ، إِذَا نَزَلَ مِنَ الرَّكُوبِ ،
 وَأَخَذْتُ بِيَدِي الْكَأْسَ الْمُدَّهَبَ وَالْإِبْرِيْقَ الْمُنْفَضَّ ، سَقَيْتَهُ شُرْبَةً مِنْ
 السَّمِّ ، وَأَلْقَيْتُ لَحْمَهُ عَنْ عَظْمِهِ . قَالَ لَهَا : لَا تَفْعَلِي ، فَكَلَسْتُ مِمَّنْ يَبْقَتُلُ
 الْمُلُوكَ ، وَإِنَّمَا أَخَافُ مِنْ إِلَهِ السَّمَاءِ . قَالَتْ لَهُ : فَعِنْدِي مِنَ الذَّهَبِ
 وَالْفِضَّةِ وَالْجَوْاهِرِ وَالْعَمِيقِ مَا أَفْدِيكَ مِنْهُ . قَالَ : هُوَ لَا يَقْبَلُ الرِّشَاءَ . قَالَتْ :
 دَعْ عَنكَ هَذَا ! قُمْ اسْقِ أَرْضِي . قَالَ : لَا أَزْرَعُ أَرْضَ غَيْرِي . قَالَتْ :
 فَارْفَعْ رَأْسَكَ انظُرْ إِلَيَّ ! قَالَ : أَخَافُ الْعَمَى فِي آخِرِ عَمْرِي . قَالَتْ :
 فَمَا زِحْتِي تُرْجِعُ إِلَيَّ نَفْسِي . قَالَ : يَا أُمَّةَ اللَّهِ ! لَسْتُ لِي بِجُرْمَةٍ فَمَا زِحْتِكَ .
 قَالَتْ : فَلَا صَبْرَ لِي عَنْ هَذِهِ الذَّوَابَةِ الَّتِي بَلَغْتَ إِلَى قَدَمَيْكَ ، لَيْتَنِي وَسَمْتُهَا
 مَرَّةً وَاحِدَةً . قَالَ : أَخْشَى أَنْ تُحْتَسِيَ مِنْ قَطْرَانِ جَهَنَّمَ ، يَا هَذِهِ ، هُوَذَا
 الشَّيْطَانُ يُعِينُكَ عَلَى فِتْنَتِي ، لَا تَشْوَهِي بِحَلْقِي ذَا الْحَسَنِ الْجَمِيلِ ، فَأَدْعِي
 فِي الْخَلْقِ زَانِيًا ، وَفِي الْوَحُوشِ خَائِنًا ، وَفِي السَّمَاءِ عَبْدًا كَفُورًا .
 قَالَ وَهَبٌ : وَلَانَ مِنْ يُونُسَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، مِقْدَارُ جَنَاحِ بَعُوضَةٍ ،
 فَارْتَفَعَتِ الشَّهْوَةُ إِلَى وَجْهِهِ ، فَاسْتَنَارَتْ ، وَكَانَ سِرْوَالَهُ مَعْقُودًا تِسْعَ عَشْرَةَ

١ ترجمه : أي ترجمه خروفاً .

عقدة ، فحلّ أولَ عقدة ، وإذا قائلٌ يقول من زاوية البيت : إن الله كانَ عليكم رقيباً ! ثم حلّ العقدة الثانية ، فإذا قائلٌ يقول : ولا تقرّبوا الفواحشَ ما ظهرَ منها وما بطن . فأوحى الله ، عزّ وجلّ ، إلى جبريل : الحقّه ، فإنه المعصومُ في ديوان الأنبياء ! فانفرجَ السقفُ في أقلّ من الملح فنزلَ جبريلُ ، عليه السلام ، فضربَ صدره ضربَةً ، فخرّجتْ شهوته من أطرافِ أنامله فنقصَ منه ولدٌ ، فولدَ لكلّ رجلٍ من أولاد يعقوب ، عليه السلام ، اثنا عشر ولداً ، ما خلا يوسف ، عليه السلام ، فإنه ولدَ له أحدَ عشر . فقال : يا ربّ ماذا خبري ؟ لم ألحقَ بإخوتي في الولد ، فأوحى الله ، عزّ وجلّ ، إليه : إن الشهوةَ التي خرّجتْ من أناملكَ حاسبتكَ بها .

وإسناده قال وهبٌ : لما أرادَ الله بيوسفَ الخيرَ قامتْ زليخا إلى طاقٍ لها ، فأرختْ عليه سيراً ، وكان لها في الطاق صتمٌ من خشبٍ تعبده ، فقال لها يوسف ، عليه السلام : ماذا صنعتِ ؟ قالتُ : استحييتُ من الهي أن يراني أصنعُ الفاحشةَ . قال : فأنتِ تستحيينَ من إلهٍ من خشبٍ لا يضرُّ ولا ينفعُ ولا يخلقُ ولا يسمعُ ولا يبصرُ ، فأنا أستحيي ممّن أكرمَ مشواي ، وأحسنَ مأواي ، واستبقا البابَ . قالت زليخا : يا يوسف ، بليتُ منكَ بحصلتيني : ما رأيتُ بشراً أحسنَ منك ، والثانية زوجي عنينٌ . فلما تزوّجها يوسف ، عليه السلام ، فأبصرَ بعينيها حولاً قال : يا زليخا ! أوجّولاء ؟ قالت له : ما علمتَ ؟ قال : لا والله ! قالت : ما استحلتُ أن أملأَ عيني منك .

قال وهب بن منبه : وكانت زليخا ممنوعةً من الشقاء ، وكانت أجملَ من بطشابع صاحبة داود ، عليه السلام .

انتظري الدهر

أخبرنا أبو علي محمد بن الحسين الجازري بقراوتي عليه قال : حدثنا القاضي أبو الفرج المعافى بن زكريا قال : حدثنا عبد الله بن جعفر بن اسحاق الجاهري الموصلي بالبصرة قال : حدثنا محمد ابن ياسر الكاتب كاتب ابن طولون قال : حدثني أبي قال : حدثنا علي بن اسحاق قال :

اشترى عبد الله بن طاهر جاريةً بخمسةٍ وعشرين ألفاً على ابنةِ عمته ،
فوجدت عليه ، وقعدت في بعض المقاصير ، فمكثت شهرين لا تكلمه ،
فعمل هذين البيتين :

إلى كم يكون العتبُ في كل ساعةٍ ؛ وكم لا تمكين القطيعةَ والهجرًا
رؤيدك ! إن الدهرَ فيه كفايةٌ لتفريقِ ذاتِ البينِ ، فانتظري الدهرًا
قال : وقال للجارية : اجلسي على بابِ المقصورة فتغتي به ! قال : فلما
غنت البيتَ الأول لم تر شيئاً ، فلما غنت البيتَ الثاني ، إذا هي قد خرّجت
مشقوقةَ الثوبِ حتى أكبت على رجله فقبلتها .

هبوا ساعةً

أخبرني أبو عبد الله الحافظ الاندلسي بدمشق قال :

أنشدني أبو عبد الله بن حزم لنفسه :

صِلُوا رَاحِلًا عَنْكُمْ بِتَأْنِيْسٍ لَيْلَةً ، فَسَوْفَ يَغِيْبُ الْمَرْءُ عَنْكُمْ لَيْلِيًّا
هَبُوا سَاعَةً يَسْتَرْجِعُ الطَّرْفُ ضِعْفَهَا ، فِدَى لَكُمْ نَفْسِي وَأَهْلِي وَمَالِيَّا
وَلَا تَحْسَبُوا عَوْنَ الزَّمَانِ ، فَإِنَّهُ لَنَا وَلَكُمْ يُمْسِي وَيَضْحَى مُعَادِيَّا

الله يحب التوايين

أخبرنا أبو الحسن علي بن صالح بن علي بقرأتي عليه بمصر ، في سنة خمس وخمسين وأربعمائة ،
قال : أخبرنا أبو مسلم محمد بن أحمد الكاتب في ما أجاز لنا قال : حدثنا ابن دريد قال :
أخبرنا الحسن بن خضر قال : أخبرني رجل من أهل بغداد عن أبي هاشم المذكر قال :

أردتُ البصرة ، فجيئتُ إلى سفينة أكرهها ، وفيها رجلٌ ومعه جاريةٌ .
فقال الرجل : ليس ههنا موضعٌ ! فسألته الجاريةُ أن يحملي ، فحملكني ،
فلما سرتنا ، دعا الرجلُ بالغداء ، فوَضِعَ ، فقال : انزلوا بذلك المسكين
ليتغدى ؛ فأنزلتُ على أتني مسكينٌ ، فلما تغدنا ، قال : يا جاريةُ
هاتي شرابك ، فشربت ، وأمرها أن تسقيني ، فقلتُ : رحيمك الله ،
إن للضيفِ حقاً ، وهذا يؤذي . قال : فتركتي ، فلما دب فيه النبذ قال :
يا جاريةُ هاتي العودَ وهاتي ما عندك ، فأخذت العودَ ، ثم غنت :

وكنّا كعصمتي بانه ليسَ واحدٌ يزولُ على الحالاتِ عن رأي واحدٍ
تبدلَ بي خيلاً فخالكتُ غيرهُ ، وخالتيه لما أرادَ تباعدني
فلو أن كفتي لم تُردني أبنتها ، ولم يَصْطَحِهَا ، بعدَ ذلك ، ساعدي
ألا قبَحَ الرحمنُ كلَّ مذاقٍ يكونُ أخاً في الخفضِ لا في الشدائدِ

ثم التفتَ إليّ فقال : أتُحسِنُ مثل هذا ؟ فقلتُ : أحسنُ خيراً منه ،
فقرأتُ : إذا الشمسُ كُوِّرتُ ، وإذا النجومُ انكدرتُ ، وإذا الجبالُ
سُيرتُ . فجعل يكي ، فلما انتهيتُ إلى قوله : وإذا الصُّحفُ نُشِرتُ ،
قال : يا جاريةُ اذهبي ، فأنتِ حرّةٌ لوجه الله ، عزّ وحلّ ، وألقى ما معه
من الشرابِ في الماء ، وكسرَ العودَ ، ثم دنا إليّ ، فاعتنقني وقال : يا أخي

١ المذاق : الذي لم يخلص الود . الخفض : سعة العيش .

أُتِرَى اللهُ يَقْبَلُ تَوْبَتِي؟ فقلتُ : إن الله يحب التَّوَّابِينَ ، ويحب المتطهِّرين ، قال : فأخيتُه بعد ذلك أربعين سنة حتى مات قبلي ، فرأيتُه في المنام فقلتُ : إلامَ صِرتَ بعدي؟ فقال : إلى الجنة . فقلتُ : يا أخي بِمِ صِرتَ إلى الجنة؟ قال : بِقِرَاءَتِكَ عَلَيَّ : وإذا الصُّحُفُ نُشِرت .

رجل لا يملك دمه

أخبرنا إبراهيم بن سعيد اجازة قال : حدثنا أبو صالح السمرقندي قال : حدثنا أبو عبد الله الحسين بن القاسم بن أليسع بالقرافة قال : حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن عمرو الدينوري قال : حدثنا أبو محمد جعفر بن عبد الله الصوفي قال : قال أبو حمزة الصوفي ، وحدثني أبو الفمر حسام بن المضاء المصري قال :

غَزَوْتُ فِي زَمَنِ الرَّشِيدِ فِي بَعْضِ الْمَرَائِبِ فَلَنَجَّجْنَا فِي الْبَحْرِ ، فَاكْتَسَرْنَا بِنَا فِي بَعْضِ جَزَائِرِ صِغْلِيَّةَ ، فَخَرَجَ مَنْ أَفَلَّتْ ، وَخَرَجْتُ مَدَّ فَرَأَيْتُ فِي بَعْضِ الْجَزَائِرِ رَجُلًا لَا يَمْلِكُ دَمَهُ مِنْ كَثْرَةِ الْبُكَاءِ ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ حَالِهِ ، وَقُلْتُ لَهُ : أَرَفَقَ بِعَيْنَيْكَ ، فَإِنَّ الْبُكَاءَ قَدْ أَضْرَبَ بِهِمَا . قَالَ : إِلَّا ذَلِكَ . فَقُلْتُ : وَمَا جُنَايَتُهُمَا عَلَيْكَ حَتَّى تَتَمَنَّى لهُمَا الْبَلَاءَ؟ فَقَالَ : جُنَايَةٌ لَا أَزَالُ مُعْتَدِرًا مِنْهَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَيَّامَ حَيَاتِي . قُلْتُ : وَمَا هِيَ؟ قَالَ : سُرْعَةُ نَظَرِيهِمَا إِلَى الْأُمُورِ الْمَحْظُورَةِ عَلَيْهِمَا ، وَلَقَدْ أَوْقَعْتَانِي فِي ذَنْبٍ نَظَرْتُ إِلَيْهِ ، لَوْلَا الرَّجَاءُ لِرَحْمَةِ اللَّهِ لَأَيْسْتُ أَنْ يَعْفُوَ لِي عَنْهُ . وَبِاللَّهِ لَوْ صَفَّحَ اللَّهُ لِي عَنْهُ وَأَدْخَلْتَنِي الْجَنَّةَ ثُمَّ تَرَأَى لَأَسْتَحْيِيَّتُ أَنْ أَنْظُرَ إِلَيْهِ بِعَيْنَيْنِ عَصَتَاهُ ، ثُمَّ صُغِقَ وَسَقَطَ مَعْشِيًّا عَلَيْهِ .

حنين المغنية الحسنة إلى بغداد

أخبرني أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الأندلسي بمصر، وكتبه لي بخطه قال : أخبرني أبو محمد اليزيدي قال : حدثنا الزبير قال : حدثني أبو علي بن الأشكري المضرى قال :

كنتُ من جُلّاسِ تَمِيمِ بنِ أوفى، وممنَ يخفّ عليه، فبَعَثَ بي إلى بَغداد، فابْتَعْتُ له هُنَاكَ جَارِيَةً رَائِعَةً جِدًّا، فلَمَّا حَصَلَتْ عنده أقامَ دعوةً بِلُحْسائِهِ، قال : وأنا فيهِم، ثمَّ وُضِعَتِ السَّتَّارَةُ، وأمرَها بِالغِنَاءِ لِيَسْمَعَ غِنَاءَها، ويُحَاسِنَ الحَاضِرِينَ بها، فَغَنَّتْ :

وبدا له من بعد ما اندمل الهوى برقٌ تآلقَ موهناً لمعائنه
يبدو كحاشية الرداء، ودونه صعبُ الذرى متمتعُ أركانه
فالنارُ ما اشتملتُ عليه ضلوعه، والماءُ ما سمحتَ به أجفانه

قال : فأحسنتُ ما شئتُ، وطربَ تميمَ وكلَّ من حضر، ثمَّ غننتُ :

سيِّسليكَ عمّاتِ دولةٍ مُفضِّلِ أوائلِهِ مَحمودَةَ وأواخرِهِ
نبي الله عِطْفِيهِ وألْفَ شَخْصِهِ، على البرِّ، مذ شدتْ عليه مآزرُهُ

قال : فطربَ تميمٌ ومن حضرَ طرباً شديداً، ثمَّ غننتُ :

أستودع الله في بَغدادَ لي قَمَرًا بالكُرُخِ من فلكِ الأزرارِ مَطْلِعُهُ

قال : فاشتدَّ طربُ تميمٍ، وأفرطَ جِداً، ثمَّ قال لها : تمنّي ما شِئتِ، فلكِ مُتَمَنَّاكِ . فقالت : أتمنّي عافيةَ الأميرِ وبقائه . فقال : والله لا بدَّ لكِ أن تَحْمَنِّي . فقالت : على الوفاءِ أيُّها الأميرُ بما أتمنّي ؟ فقال : نعم ا فقالت له : أتمنّي أن أُغنيَ بهذه النوبةِ ببغداد . قال : فاستنقعَ لَوْنُ تَمِيمٍ، وتغيَّرَ وجهُهُ، وتكدَّرَ المَجْلِسُ، وقامَ وقُمنَّا كُلُّنَا .

قال ابن الأشكري : فلحقتني بعضُ خدَمِهِ، وقال لي : ارجعْ فالأميرُ

يدعوك، فرجعتُ ، فوجدتهُ جالساً ينتظرني ، فسَلَّمْتُ وجَلَسْتُ ، فقال :
ويحك أَرَأَيْتَ ما امْتَحِنًا به؟ قلتُ : نعم أيها الأمير . فقال : لا بدَّ من الوفاء لها ،
وما أتيتُ في هذا بغيرك ، فتأهب لتحميلها إلى بغداد ، فإذا غنتُ هناكَ
فاصرفها . فقلتُ : سَمِعاً وطاعة . قال : ثم قُمتُ وتأهبتُ وأمرها بالتأهبِ
وأصحابها جاريةً سوداءَ تخدمها ، وأمرَ بِناقيةٍ ومحمل ، فأدخلتُ فيه ،
وجعلتها معي ، ثم دخلنا الطريق إلى مكة مع القافلة ، فقَضِينَا حَجَّنا ،
ثم دخلنا في قافلة العراق ، فلما وردنا القادسية ، أتتني السوداءُ عنها ،
فقلت : تقول لك سيدي : أين نحن ؟ فقلتُ لها : نحنُ نزلُ بالقادسية .
فانصرفتُ إليها وأخبرتها ، فلم أنشب أن سمعتُ صوتها قد اندفعَ
بالغناء :

لما وردنا القادسية ة حيثُ مجتمَعَ الرفاقِ
وشممتُ من أرضِ الحجا ز نسيمِ أنفاسِ العراقِ
أيقنتُ لي ولمن أحـ ب يجمع شملِ واتفاقِ
وضحكك من فرح اللقا ء كما بكيتُ من الفراقِ

فتصايح الناسُ من أقطار القافلة : أعيدي بالله ! أعيدي بالله ! فما سَمِعَ
ها كلمة . قال : ثم نزلنا بالياسرية ، وبينها وبين بغداد قريبٌ في بساتين
متصلة من الناس فيبيتون ليلتهم ، ثم يبكرون لدخولِ بغداد ، فلما
كانَ قربُ الصبحِ ، إذا أنا بالسوداءِ قد أتتني مكهوفةً . فقلتُ : ما لك ؟ فقالت :
إن سيدي ليستَ حاضرةً ! فقلتُ : وأين هي ؟ قالتُ : والله ما أدري .
قال : فلم أحسَّ لها أثراً ، فدخلتُ بغداد ، وقضيتُ حوائجي بها ، وانصرفتُ
إلى تميم فأخبرته الخبر ، فعظمَ ذلكَ عليه ، ثم ما زال بعد ذلك ذاكرًا لها
واجماً عليها .

الأسود المتيم بالله

أخبرنا أبو الحسن علي بن محمود الزوزني شيخ الرباط بقراءتي عليه قال : سمعت محمد بن محمد ابن ثوابة يقول :

حكيت لي عن الشبلي أنه دخل إلى مارستان ، فإذا هو بأسود ، إحدى يديه مغلولة إلى عنقه ، والأخرى إلى سارية ، وهو مقيد بقيدتين . قال : فلما رأيته قال لي : يا أبا بكرٍ قل لربك أما كفاك أن تيمتني بجبك حتى قيدتني؟ ثم أنشأ يقول :

على بُعدك لا يصبر من عادته القرب

وعن قريبك لا يصبر من تيمه الحب

فإن لم ترك العين فقد أبصرك القلب

قال : فزَعَقَ الشبلي ، وأغميَ عليه ، فلما أفاق رأى الغلَّ مطروحاً والقيدَ والأسودَ مفقودين .

الشبلي وشعر المجنون

أخبرنا أبو الحسن الزوزني أيضاً على أثره قال :

قال لي علي بن المشتى : دخلت على أبي بكر جحدَر بن جعفر الملقب بالشبلي في داره يوماً ، وهو يهيجُ ويقول :

على بُعدك لا يصبر من عادته القرب

ولا يقوى على حجبك من تيمه الحب

لئن لم ترك العين فقد يبصرك القلب

سأل الله أن يتليہ

حدثنا أبو طاهر محمد بن محمد بن علي العلاف الواعظ من حفظه قال : سمعت أبا الحسين محمد ابن احمد بن سمون الواعظ شيخنا يقول : سمعت أبا عبد الله الغلفي ، أو قال لي أبو عبد الله الغلفي بطرسوس صاحب أبي العباس بن عطاء يقول : سمعت أبا العباس بن عطاء يقول :
 قرأتُ القرآنَ ، فما رأيتُ اللهَ ، عزَّ وجلَّ ، ذكرَ عبداً فأثني عليه حتى ابتلاه ، فسألتُ اللهَ تعالى أن يبتليَّني ، فقلتُ : اللهمَّ ابتليَّني واحفظني في ما تبتليَّني ، فما مضتِ الأيامُ والليالي حتى خرجَ من داري نيفاً وعشرون ما رجعَ منهمُ أحدٌ ، وذهبَ ماله ، وذهبَ عقله ، وذهبَ ولدهُ وأهلُه .
 قال أبو عبد الله الغلفي : فمَكَثَ بحُكمِ الغلبَةِ سبعَ سنينَ أو نحوها ، فما رأيتُ أحداً صحا بعد غلبَةِ فَنَطَقَ بالحِكْمَةِ أحسنَ من أبي العباس بن عطاء ، فكان أولُ شيءٍ قال بعد صحوه من غلبته :

حقاً أقولُ لقد كَلَّفَني شَطَطاً حملي هَوَاك وصبري ذانِ تعجيبُ
 جمعتَ شيئينِ في قلبٍ له خطرٌ ، نوعينِ ضدَّينِ : تبريدٌ وتلهيبُ
 نارٌ تُقلِّبُني ، والشوقُ يُضرمُها ، فكيفَ قد جُمِعَا ، والعقلُ مسلوبُ
 لا كنتُ إن كنتُ أدري كيفَ يُسلمني صبري إليك كما قد ضرَّ أيتوبُ
 لما تطاولَ بلواه اقشعرَّ لها ، فصاح ، من حملها ، غرثانُ مكروبُ :
 قد مسَّني الضرُّ والشیطانُ ينصبُ بي ، وأنتَ ذو رحمةٍ ، والعبدُ منكوبُ

قال لنا شيخنا أبو طاهر بن العلاف : قال لنا أبو الحسين بن سمون ، رحمه الله :
 أظنُّ كان بقي عليه من الغلبة شيءٌ فقال : لقد كَلَّفَني شَطَطاً ، وأنا أقولُ : لقد حملتني عَجَباً .

١ ينصب بي : يعاديني .

ريحانة ناطقة

أخبرنا أبو حفص عمر بن محمد المكي صاحب قوت القلوب بقراءتي عليه قال : حدثنا أبو الفتح يوسف بن عمر القواس إملاء قال : حدثنا أحمد بن الحسن بن محمد بن سهل الواظ قال : حدثنا محمد يعني ابن جعفر قال : حدثنا إبراهيم بن الجعيد قال : حدثنا محمد بن الحسين قال : حدثنا روح بن منصور قال : قال عباد العطار :

قُئِمْتُ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ اكسُ وجهي منك حَيَاءً ، فَصَرَخْتُ
ريحانة: ادعوك بإسقاط العرى ، أنت مرآة ، وتدعو بالحياء ؟ الورع أولى
بك من ذا ، وأنشأت تقول :

تَعَوَّدُ سَهَرَ اللَّيْلِ ، فَإِنَّ النَّوْمَ خُسْرَانُ
وَلَا تَرْمِكُنْ إِلَى الذَّنْبِ ، فَعُقْبِي الذَّنْبَ نِيرَانُ
وَكُنْ لِلْوَحْيِ دَرَّاسًا ، فَلْيَقْرَأَنَّ أَخْدَانُ
إِذَا مَا اللَّيْلُ فَجَاهُمُ ، فَهَمَّ فِي اللَّيْلِ رُهْبَانُ
يَمِيلُونَ كَمَا مَالَتْ ، مِنَ الْأَرْوَاحِ ، أَغْصَانُ

قال : فبكيت حتى اشتفيت .

عيسى بن مريم والأسد

أنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري قال : أخبرنا أبو القاسم اسماعيل بن سويد الشاهد قال : حدثنا الحسين بن القاسم بن جعفر الكوكبي قال : حدثنا أبو يوسف الضخم قال : حدثنا عبد الله بن مقوم التنوخي قال : أخبرنا عبد المنعم عن أبيه قال :

خَرَجَ عَيْسَى بْنُ مَرْيَمَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فِي لَيْلَةٍ شَاتِيَةٍ فِي سِيَاحَتِهِ فَأَخَذَتْهُ
السَّمَاءُ بِالْمَطَرِ وَالرَّيْحِ ، فَأَتَى كَهْفًا لِيَسْكُنَ فِيهِ ، فَإِذَا هُوَ بِسَبْعٍ قَدْ خَرَجَ
إِلَيْهِ يُبْصَبِصُ ، فَلَمَّا رَأَاهُ عَيْسَى رَجَعَ وَقَالَ : أَنْتَ أَحَقُّ بِمَوْضِعِكَ ،
وَجَعَلَ يَقُولُ : يَا رَبُّ لِكُلِّ ذِي رُوحٍ مَلْجَأٌ يَسْكُنُ إِلَيْهِ ، وَلَيْسَ لِعَيْسَى

مَسْكَن ، فأوحى الله ، عزَّ وجلَّ ، إليه : استَبَطَّأْتَنِي ، وَعِزَّتِي لِأَزْوَاجِنِكَ ،
يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، حَوْرَاءَ ، ولأَوْلَمَنَ عَلَيْكَ أَرْبَعَةَ آلَافِ سَنَةٍ .

كَمُونِ الْحَبِّ فِي الْحَشَا

أخبرنا أبو الحسين أحمد بن علي الوكيل قال : حدثنا الحسن بن حسين بن حكمان قال : حدثنا
أبو الفتح البصري قال : حدثنا إبراهيم بن محمد الصوفي قال : حدثنا أبو العباس بن عطاء قال :
حكى لنا عن الأصمعي قال :

دخلتُ بعضَ أحياءِ العَرَبِ فإذا بِقَوْمٍ شُحِبِ أَلْوَانُهُمْ ، فقلتُ في
نفسي : إن هؤلاء قد وقَعوا على داء ، فأنا أُخْرَجُ مِنْ بَيْنِهِمْ .
قال : فذهبتُ لأُخْرَجُ فإذا بعضهم يقول لي : إلى أين ، يا أبا العَرَبِ ؟
فقلتُ : أطلبُ لِدَائِكُمْ دواءً . فقال : ارجع ، عافاك الله ، فإنَّا قومٌ ليسَ
لِدَائِنَا دواءٌ ، نحنُ قومٌ فَشَّتْ في قلوبِنَا حِبَّةُ الله ، فَتَخَيَّرَتِ أَلْوَانُنَا .
قال الأصمعي : فأعجبتني ما سمعتُ لأتني ما سمعتُ مثله قطَّ . قال : فرجعتُ
إلى الحبيِّ ، ولم أزل أدورُ فرأيتُ خباءَ شَعْرٍ منقَرِداً عن البيوتِ ، فقصدته ،
فاطلعتُ فيه ، فإذا أنا بفتى حسنِ الوجهِ في عنقه سِلْسِلَةٌ مشدودةٌ إلى
سِكَّةٍ في الأرضِ ، قال : فهالني ما رأيتُ منه ، فقلتُ : يا فتى ما شأنك ؟ فقال :
يا ابن عمي ! يقولون إني مجنون ! فقلتُ : أهو كما يقولون ؟ فقال لي : لا والله
ما أنا بمجنون ، ولكني بحبِّ الله مَفْتُونٌ .

قال : قلتُ فصيفُ لي الحبِّ ! فقال : إلیکَ عني ، يا أبا العَرَبِ ، جلَّ
عن أن يُحدِّدَ ، وخفي أن يُرى ، كمن في الحشا كُمُونُ النارِ في الحَجَرِ ،
إن قدحته أورى ، وإن تركته تواری ، ثمَّ صَفَّقَ وَأَنشَأَ يقول :

أَأَنْتَ الَّذِي أَصْفَيْتَ مِنْكَ مَوَدَّةً قَلَائِعُهَا فِي سَاحَةِ الْقَلْبِ تُغْرَسُ
وإن كان لي من فقد قلبي موحشٌ ، فقد ظلَّ لي من فكرتي فيك مؤنسٌ
أناجيكَ بالإضمارِ حتى كأتني أراك بعيني فكرتي ، حين أجلسُ

كل حبّ عليل

أخبرنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن حسنون النرسي بقراءتي عليه قال : حدثنا أبو حاتم محمد ابن عبد الواحد الرازي قال : أخبرني محمد بن هارون الثقفني قال : أنشدنا المسروقي قال :
أنشدنا بعضُ أصحابنا :

ونفسُ محبِّ الله نفسٌ عليلَةٌ ، وأيُّ محبٍّ لا تراه عليلًا ؟

المكفوف المجذوم

أنبأنا أحمد بن علي بن ثابت الحافظ قال : حدثنا عبد الرحمن بن فضالة النيسابوري قال : أخبرنا محمد بن عبد الله بن شاذان المزكي قال : سمعت طيباً المخملي بالبصرة يقول : سمعت علي بن سعيد العطار يقول :

مَرَرْتُ بِعَبَادَانِ بِمَكْفُوفٍ مَجْذُومٍ ، وَإِذَا الزَّبُورُ يَقَعُ عَلَيْهِ ، فَيَقْطَعُ
لَحْمَهُ . فَقُلْتُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاهُ ، وَفَتَحَ مِنْ عَيْنِي مَا أَغْلَقَ
مِنْ عَيْنِيه !

قال : فبينما أنا أردد الحمد إذ صرّع ، فبينما هو يتخبّط نظرتُ إليه ،
فإذا هو مُقْعَدٌ ، فَقُلْتُ : مَكْفُوفٌ يُصْرَعُ ، وَمُقْعَدٌ مَجْذُومٌ ؟ قال : فما استممت
كلامي حتى صاحَ : يَا مُكَلِّفُ ! مَا دَخَوْلِكَ فِي مَا بَيْنِي وَبَيْنَ رَبِّي ؟ دَعَهُ يَعْجَلُ
بِي مَا شَاءَ . ثُمَّ قَالَ : وَعِزَّتِكَ وَجَلَالِكَ لَوْ قَطَّعْتَنِي لِأَرْبَابٍ ، وَصَبَّيْتَ عَلَيَّ
الْعَذَابَ صَبًّا ، مَا زِدْتُ لَكَ إِلَّا حُبًّا .

زوجتان من الحور العين^١

أخبرنا أبو طالب محمد بن محمد بن إبراهيم بن غيلان قرامة عليه، غير مرة، في سنة تسع وثلاثين وأربعمائة قال : حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الله الشافعي إمامنا قال : حدثنا إبراهيم الحربي قال : حدثنا الحسن بن عبد العزيز عن الحارث بن الربيع عن ابن وهب قال :

حدثني بكر بن مضر أن عبد الكريم بن الحارث حدثه عن رجل منهم كانوا مرابطين في حصن ، فخرج رجلان إلى الجيش ، فقال أحدهما لصاحبه : هل لك أن تغتسل لعل الله أن يعرّضنا للشهادة ؟ فقال صاحبه : ما أريد أن أغتسل ، فاغتسل صاحبه ، فلما فرغ سقط حجر من الحصن فأصاب الرجل ، فمردت بهم ، وهم يجرّونه إلى خيامهم ، فسألهم ما شأنه ؟ فأخبروني الخبر ، فانصرفت إلى أصحابي ، ثم رجعت إليهم ، فأقمت عندهم ، وهم يشكون هل مات أو عاد إليه الروح .

فبينما هو كذلك إذ ضحك فقلنا : إنه حي ، ثم مكثت ملياً ، ثم ضحك ، ثم مكثت ملياً ، ثم بكى ، ففتحت عينيه . قلنا : ابشر يا فلان ، فلا بأس عليك ، لقد رأينا منك عجباً ، كنا نظن أنك قد مت إذ ضحكك ، ثم مكثت ملياً . قال : إني لما أصابني ما أصابني أتاني رجل فأخذ بيدي فمضى بي إلى قصر من ياقوته ، فوقف بي على الباب ، فخرج إلي غلمان مشمرين لم أر مثلهم ، فقالوا : مرحباً بيسيدنا ! فقلت : من أنتم ، برك الله فيكم ؟ قالوا : نحن خلقنا لك .

ثم مضى بي حتى أتى بي قصر آخر ، وخرج إلي منه غلمان مشمرين هم أفضل من الأولين فقالوا : مرحباً وأهلاً بيسيدنا ! فقلت : من أنتم ،

١ الحور ، الواحدة حوراء : التي اشتد بياض بياض عيناها وسواد سوادها . العين ، الواحدة عيناء : التي عظم سواد عيناها مع سعة ، وقيل للنساء الحور العين تشبيهاً لمن بالظباء أو بقر الوحش في جمال أعينها .
٢ سنة ١٠٤٧ م .

بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ؟ فقالوا: نحنُ خَلَقْنَا لَكَ .

ثم مضى بي إلى بيتٍ لا أدري من ياقوتٍ أو زبرجدٍ أو لؤلؤٍ ، فخرَجَ إليَّ غِلْمَانٌ مشمَرين سوى الأولين فقالوا مثل ما قال الأولون ، وقلتُ لهم مثلَ ذلك ، فوقفَ بي على بابِ البيتِ ، فإذا بيتٌ مَبْسُوطٌ فيه فرُشٌ موضوعةٌ بعضها فوقَ بعضٍ ونمارقٌ مَبْسُوطَةٌ ، فأدخلتني البيتَ ، وفيه بابان ، فألقيتُ نفسي بين الوسادتين ، فقال: أقسمتُ عليكِ إلا ألقىتَ نفسك فوقَ هذه الفرُشِ ، فإنك قد نُصِبتَ في يومك هذا . فقمْتُ فاضطجعتُ على تلكَ الفرش على وِطاءٍ لم أضعُ جنبِي على مثله قط .

فبينما أنا كذلك إذ سمعتُ حساً من أحدِ البابين ، فإذا أنا بامرأةٍ لم أرَ مثلَ جمالها ، وعليها حليٌ وثيابٌ لم أرَ مثلها ، وأقبلتُ حتى وقفتُ عليّ ، ولم تتخطَ تلكَ النمارقَ ، ولكن أقبلتُ بين السماطين حتى وقفتُ وسلّمت ، فرددت عليها السلام . فقلتُ : من أنت ، بَارَكَ اللهُ فيك ؟ فقالت : أنا زوجتُك من الحور العين ، فضحكُ فرحاً بها ، فأقامتُ تحدثني ، وتذكرني أمرَ نساء أهل الدنيا ، كأن ذلك معها في كتاب .

فبينما أنا كذلك إذ سمعتُ حساً من الشقِّ الآخر ، فإذا أنا بامرأةٍ لم أرَ مثلها ولا مثلَ حليها وجمالها ، فأقبلتُ ، حتى وقفتُ كنجوٍ ما صنعتُ صاحبيتها ، ثم مكثتُ تحدثني ، فأقصرت الأخرى ، فأهويتُ بيدي إلى إحداهما ، فقالت : تأنّ لم يأن لك ، إن ذلك مع صلاة الظهر ، فما أدري أقالتهُ ذلك أم رُميَ بي إلى صحراء ، فلم أرَ منهم أحداً ، فبكيتُ عند ذلك .

فقال الرجل : فما صليتُ الظهرَ أو عندَ الظهرِ ، حتى قبضه الله ، عز وجل .

الشهداء في قباب ورياض

أخبرنا أبو طالب محمد بن محمد بن غيلان أيضاً قال : أخبرنا أبو بكر الشافعي قال : حدثنا محمد بن يونس بن موسى قال : حدثنا يعقوب بن اسحاق الحضرمي قال : حدثنا يزيد بن ابراهيم التستري عن أبي هارون الفنوي عن مسلم بن شداد عن عبيد الله بن عمير عن أبي بن كعب قال : الشهداءُ يومُ القيامةِ بفناء العرش ، في قبابٍ ورياضٍ بين يدي الله ، عزَّ وجلَّ .

عيناء الجنة

أخبرنا أبو طالب محمد بن محمد بن غيلان قال : حدثنا أبو بكر الشافعي قال : حدثنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار قال : حدثنا الحسن بن الصباح البزاز قال : حدثنا اسحاق ابن بنت داود ابن أبي هند قال : أخبرنا عباد بن راشد البصري عن ثابت البناني قال : كنتُ عندَ أنس بن مالك ، إذ قدمَ عليهِ ابنٌ له من غزاة ، يقال له أبو بكر ، فسأله ، فقال : ألا أُخبرُكَ عن صاحِبِينَا فلان ؟ بيئنا نحنُ قائلون في غزاتِنَا إذ ثار ، وهو يقول : وأهلاه ، وأهلاه ، فثُرْنَا إليهِ ، وظننَّا أن عارضاً عرَضَ لهُ ، فقلنَا : ما لك ؟ فقال : إني كنتُ أحدثُ نفسي ألا أتزوِّجَ حتى أستشهد ، فيزوِّجني الله تعالى من الحور العين ، فلما طالت عليَّ الشهادة قلتُ في سفرتي هذه : إن أنا رجعتُ ، هذه المرة ، تزوجتُ ، فأتاني آتٍ في المنام قال : أنتَ القائلُ إن رجعتُ تزوجتُ ؟ قم ، فقد زوّجك الله العيناء ، فانطلقَ بي إلى روضة خضراء مُعشبة ، فيها عشرُ جوارٍ .

(وذكّر الحديثَ وقطعَ الحديثَ ، بسبب ما وقع في الجامع ، وذلك أنه تكلم رجلٌ في المذهب ، فعاونه رجلٌ فضوليٌّ في رواقِ الجامع ، وأخرجوه فقتلوا وانشقَّ عَنَّا الحديثُ ، وقبرَ في غُد في قبر معروف ، فسئِل الشافعيّ

أن يُحلي تمامَ هذا الحديث ، في يوم الجمعة لسبعِ خَلَونَ من جمادى الأولى ،
فأمله عَليْنَا) ويبد كلّ واحدةٍ صَنعةٌ تَصنَعُها ، لم أرَ مثلهُنَّ في الحسنِ
والجمال . فقلتُ : أفِيكُنَّ العِيَناءُ ؟ فقلُنَّ : نحنُ مِنِ خَدَمِها ، وهي أَمامِك .
فمَضَيْتُ ، فإذا روضةٌ أعشَبُ من الأولى ، وأحسنُ ، فيها عِشرونَ جاريةً
في يد كلِّ واحدةٍ صَنعةٌ تَصنَعُها ، وليس العشرُ إليها بشيءٍ في الحسنِ
والجمال ؛ قلتُ : أفِيكُنَّ العِيَناءُ ؟ قلُنَّ : نحنُ مِنِ خَدَمِها ، وهي
أَمامِك .

فمَضَيْتُ ، فإذا بروضةٍ وهي أعشَبُ من الأولى والثانية في الحسنِ والجمال ،
فيها أربعونَ جاريةً في يد كلِّ واحدةٍ منهنَّ صَنعةٌ تَصنَعُها وليس العشرُ
والعشرونَ إليهنَّ بشيءٍ في الحسنِ والجمال ، قلتُ : أفِيكُنَّ العِيَناءُ ؟ قلُنَّ :
نحنُ مِنِ خَدَمِها ، وهي أَمامِك .

فمَضَيْتُ فإذا أنا ببيّاقوتةٍ مُجَوِّفةٍ فيها سريرٌ عليهِ امرأةٌ قد فَضَلَ جَسَباها
عن السرير ، فقلتُ : أأنتِ العِيَناءُ ؟ قالت : نَعَمْ ! مرحباً بك ، فأردتُ أن
أضعَ يدي عليهما ، قالت : مَه ، إنَّ فيكَ شيئاً من الروحِ بعد ، ولكن تُفَطِرُ
عندنا اللَّيلة ، قال : فانتَبَهت .

قال : فما فَرَعَ الرَّجُلُ من حديثه ، حتى نادى المَنادي : يا خيلَ الله اركبي ؛
قال : فركبتُ فصافَ الرَّجُلُ العدوَّ ؛ وقال : فإني لأنظِرُ الرَّجُلَ ، وأنظِرُ إلى
الشمس ، وأذكرُ حديثه ، فما أدري رأسه سقطَ أم الشمسُ سقطت .

جارية تزور في المنام

أخبرنا أبو الحسين أحمد بن علي بن الحسين التوزي بقراقي عليه، في سنة أربعين وأربعمائة، قال : حدثنا أبو القاسم اسماعيل بن محمد بن سويد قال : حدثنا أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري قال : أخبرنا عبد الله بن خلف قال : حدثنا أبو بكر محمد بن سماعة قال : حدثنا محمد بن الحسين قال : حدثنا محمد بن عبد العزيز القرشي قال : حدثني اسماعيل بن أبي خالد قال :

كان عندنا فتى باليمن بطالٌ مسرفٌ على نفسه . وكان مع ذلك ذا مال وجمال ، فرأى ليلةً ، في نومه ، جاريةً ، قد أقبلت إليه ، وعكبيها ثوبٌ من اللؤلؤ تتشنى أطرافه ، وبسدها كتابٌ من حريرٍ أخضرٍ مكتوبٌ بالذهب ، فقالت له : بأبي أنت اقرأ لي هذا الكتاب ، فقرأه فإذا هو :

مِنَ الَّتِي صَاغَهَا الرَّحْمَنُ فِي عُرْفٍ ، مِنْ مِسْكَةٍ عَجِنَتْ فِي مَاءِ نِسْرِينَ
إِلَى الَّذِي حَبَّه فِي الْقَلْبِ مَحْتَبَسٌ ، وَقَلْبُهُ عَنَّهُ فِي لَهْوٍ وَتَفْتِينِ
يَا سَهْلُ بَادِرٍ ، فَقَدِ أَوْرَثْتَنِي حَزَنًا ، كَمْ عَنكَ مَا لَا أُحِبُّ ، الدَّهْرَ ، يَا تَيْبِي
أَلَسْتَ تَشْتَاقُ أَنْ تَكْهُو عَلَى فُرْشٍ مَوْضُونَةٍ مَعَ جَوَارِ خُرْدٍ عَيْنِ ؟
قال : فأصبح الفتى تاركاً لكل ما كان عليه من البطالة والصبي ، ولم يزل مُتَنَسِّكاً أَحْسَنَ تَنَسُّكٍ حَتَّى مَاتَ . قال : وكان اسمه سهلاً . قال أبو بكر بن الأنباري : الخُرْدُ الحسان . والموضونة : المنسوجة بالذهب . والعين : الحسانُ الأعين .

خود في قصر زبرجد

أخبرنا أبو الحسين أحمد بن علي قال : حدثنا أبو الحسن أحمد بن محمد البراز قال : حدثنا عثمان بن أحمد قال : حدثنا أحمد بن محمد الطوسي قال : حدثنا أبو الطيب بن الشهورى قال : حدثني زريق الصوفي قال : أخبرني محمد بن الحسين عن حبيب الفارسي قال :

دخلتُ يوماً إلى الرّجان^١ ، فإذا بمجنون يقال له أبنا . قال : فهاجَ على قلبي آيةٌ من كتابِ الله ، عزّ وجلّ ، فقرأتُ : حورٌ مقصُوراتٌ في الخيام ، لم يطمئننَّ إنسٌ قبلهم ولا جانٌ . قال : فهاجَ ثمّ أنشأ يقول :

مِنْ حُبِّ سَيِّدَةٍ تَبَوَّأَ جَنَّةً قَدْ حَقَّقَتْ أَهَارَهَا بِخِيَامِ
مَعَ خَوْدَةٍ فِي جَوْفِ قَصْرِ زَبْرَجْدٍ مَسْكُونَةٍ فِي خَدْرِهَا كَغَلَامِ
وَرَصَانَةٍ فِي قَوْلِهَا وَحَدِيثِهَا ، لَا تَأَيَّسَنَّ بِرَأْقِدِ نَوَامِ

الجارية المجنونة والزرع

أخبرنا القاضي أبو الحسين أحمد بن علي التوزي بهذا الإسناد عن زريق الصوفي عن عبد الواحد قال : قال عتبة الغلام :

خَرَجْتُ مِنَ الْبَصْرَةِ وَالْأُبُلَّةِ ، فَإِذَا أَنَا بِخِيَاءِ أَعْرَابٍ قَدْ زَرَعُوا ، وَإِذَا أَنَا بِخِيَمَةٍ ، وَفِي الْخِيَمَةِ جَارِيَةٌ مَجْنُونَةٌ عَلَيْهِا جِبَّةٌ صُوفٍ لَا تُبَاعُ وَلَا تُشْتَرَى ، فَدَنَوْتُ فَسَلَّمْتُ ، فَلَمْ تُرُدِّ السَّلَامَ ، ثُمَّ وَلَيْتُ فَسَمِعْتُهَا تَقُولُ :

زَهَيْدَ الزَّاهِدُونَ وَالْعَابِدُونَ ، إِذْ لَمَوْلَاهُمْ أَجَاعُوا الْبَطُونَا
أَسْهَرُوا الْأَعْيْنَ الْقَرِيحَةَ فِيهِ ، فَسَمَضَى لِيْلَهُمْ ، وَهُمْ سَاهِرُونَ
حَيَّرَتْهُمْ مَحَبَّةُ اللَّهِ حَتَّى عَلِمَ النَّاسُ أَنَّ فِيهِمْ جُنُونَا

١ الرّجان : لعلها تعني المارستان .

هم ألبا ذوو عقول، ولكن قد شجاهم جميع ما يعرفونا
قال : فدنوتُ إليها فقلتُ : لمن الزرع ؟ فقالت : لنا إن سلم ، فتركها
وأتيتُ بعضَ الأخبيية ، فأرختِ السماء كأفواه القرب فقلتُ : والله لا تبينها
فأنظرَ قصتها في هذا المطر ، فإذا أنا بالزرع قد غرق ، وإذا هي قائمة نحوه
وهي تقول : والذي أسكنَ قلبي من طرف سحرٍ بصفيٍّ محبةً اشتياقك ، إن
قلبي ليوقن منك بالرخصا ، ثم التفتت إليّ فقالت : يا هذا ! إنه زرع ،
فأبنته ، وأقامه ، فسبلكه ، وركبته ، وأرسلَ عليه غيثاً فسقاه ، واطلعَ
عليه فحفظه ، فلما دنا حصاده ، أهلكه ، ثم رفعت رأسها نحو السماء
فقالت : العبادُ عبادك ، وأرزاقهم عليك ، فاصنع ما شئت ! فقلتُ لها :
كيف صبرك ؟ فقالت : اسكُتْ يا عبته .

إنّ إلهي لتغنيّ حميد ، في كل يومٍ منه رزقٌ جديد
الحمدُ لله الذي لم ينزلْ يفعل بي أكثر مما أريد
قال عبته : فوالله ما ذكرتُ كلامها إلاّ هتجني .

دعاء ریحان المجنون

وحكى الصقرُ بن عبد الرحمن الزاهد قال : كان ریحانُ المجنونُ يقول في
دعائه : اللهم قصدتك آمالي ، الطمعُ رغبتني فيك ، وولّيت بك جوارحي
لمواصلات الوداد إليك . ثم يقول :

كُتِبَ الناسكُ بالدمِّ حِ إلى الحورِ كِتَاباً
لا بأفلامٍ ولكنْ خَطَّ بالدمعِ سَحَاباً
من فتى ألقته الشوُّ قُ وأضنى وأذاباً

١ ألبا ، الواحد لبيب : العاقل .

لا تمرض ولا تهرم ولا تموت

أخبرنا أبو اسحاق إبراهيم بن سعيد الجبال بقراءتي عليه بمصر ، في سنة خمس وخمسين وأربعمائة ، قال : أخبرنا أبو صالح محمد بن أبي عدي السمرقندي الصوفي قراءة عليه قال : أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن القاسم بن أليسع بن عاصم البزاز الصوفي قراءة عليه بالقرافة قال : حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن عمرو الدينوري قراءة عليه قال : أخبرنا أبو محمد جعفر بن عبد الله الصوفي الخياط قال : قال أبو حمزة محمد بن إبراهيم الصوفي :

كنتُ مع محمد بن الفرج السائح ، فنظرتُ إلى جاريةٍ جميلةٍ تُعرضُ على رجلٍ ليشتريها ، فقال : بكم تُبَاعُ هذه البخارية ؟ فقيلَ له : بألف دينار ، فرفعَ رأسه إلى السماء وقال : اللهم ! إنك تعلمُ أني لا أملكُها ، ولا تنالُها يدي ، وإني لأعلمُ من كرمِكَ أني لو سألتُك إياها لم تردَّني عنها ولم تمنعني منها ، تفضلاً منكَ عليّ وإحساناً إليّ ، وإني أسألكَ ما هو أنفَسُ عندي منها ، بادنةً^١ لا تمرضُ ولا تهرمُ ولا تموتُ ، ومهرُها أن لا تراني نائماً بليل ، ولا طاعماً بنهار ، ولا ضاحكاً إلى أحدٍ من خلقك أبداً ، وأنا أجدُ في الشهرِ من وقتي هذا ، فأنجِزُ لي ، إذا لقيتُك ، ما سألتُك يا كريمُ . قال : فما رأيناه نائماً بليل ، ولا طاعماً بنهار ، ولا ضاحكاً إلى أحدٍ من الناس حتى لحقَ بالله ، عزَّ وجلَّ .

الغلام الشهيد

أخبرنا أبو اسحاق إبراهيم بن سعيد بقراءتي عليه بمصر بإسناده قال : قال أبو حمزة محمد بن إبراهيم الصوفي :

كنتُ مع عبَّيد الله بن محمد الاسكندراني ببلاد الروم فنظرتُ إلى غلامٍ جميلٍ يحمِلُ على عِليجٍ من الروم ، ويرجع عنه أحياناً ، فدنا منه ، وقال : فدتك

١ سنة ١٠٦٢ م .

٢ البادقة : الكثيرة اللحم ، وأراد بها إحدى حور الجنة .

النفسُ أما تَشْتاقُ إلى أن تَرىَ وجهاً هوَ أحسنُ من وجهك وأبهجُ من شخصيكَ ؟ فقال: بلى، والله يا عمّ . فقال: والله ما بينك وبين أن تَرىَ الله ، عزّ وجلّ ، إلا أن يَقتُلَكَ هذا العليجُ ، فصاحَ الغلامُ ، وحَمَلَ عَليهِ ، فقتَلَهُ العليجُ ، فكان عبِيدَ الله بن محمد يقول بعد ذلك إذا ذكره : رحمةَ الله عَلَيْنَا وَعَليهِ ، إني لأرجو أن يكونَ الله ، عزّ وجلّ ، قد ضَحِكَ إلى وجهِهِ الحسنِ الجميلِ بِما بَدَلَ له من مُهَجَّةِ نفسه .

ابن جويرية والغلام الجميل

وياسناده قال : قال أبو حمزة وحديثي اسماعيل بن هرثة الواقص قال : حدثنا الأسود بن مالك الفزاري قال : حدثني أبي قال :

حَضَرْتُ أبَا مسلم سَعِيدَ بن جُوَيْرِيَةَ الخُشُوعِيَّ ، وَقَدْ نَظَرَ إلى غُجَمِيلٍ فَأطَالَ النَّظَرَ إِلَيْهِ ، ثُمَّ قرَأَ : إنَّ في خَلْقِ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ واختلافِ اللَّيْلِ والنَّهَارِ آيَاتٍ لِّأُولِي الأَبْصَارِ ، سُبْحَانَ اللهِ ، مَا أَهْجَمَ طَرَفِي على مَكْرُوهِ نَفْسِي ، وَأَقْدَمَهُ على سَخَطِ سَيِّدِي ، وَأَغْرَاهُ بِمَا قَدْ نَهَى عَنهُ ، وَأَلْهَجَهُ بِالأَمْرِ الَّذِي حَدَّرَ مِنْهُ ، لَقَدْ نَظَرْتُ إلى هَذَا نَظْرًا لا أَحْسِبُهُ إلاَّ أَنَّهُ سَيُفْضَحُنِي عِنْدَ جَمِيعِ مَنْ عَرَفَنِي في عَرِصَةِ القِيَامَةِ ، وَلَقَدْ تَرَكْنِي نَظْرِي هَذَا ، وَأَنَا أَسْتَحْيِي مِنَ اللهِ ، عزّ وجلّ ، وَإِنْ غَفَرَ لي ، وَأَرَانِي وَجْهَهُ ، ثُمَّ صُعِقَ .

يُحْن بِالْجِنَانِ

أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد الأردستاني بقراءتي عليه في المسجد الحرام بباب الندوة قال :
أخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب المذكر قال : حدثنا أبو الفضل العباس بن هزار
ابن محمد بن هزار الخطيب بمروالروذ قال : حدثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز
قال : حدثنا علي بن الجعد قال : حدثنا شعبة قال :

بَلَّغْتَنِي عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ النَّخَعِيِّ أَنَّهُ كَانَ يُصَلِّي
فِي مَسْجِدٍ عَلَى عَهْدِ عُمَرَ فَقَرَأَ الْإِمَامُ ذَاتَ لَيْلَةٍ : وَلَمَّا خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ
جَنَّتَانِ ، فَقَطَعَ صَلَاتَهُ وَجُنَّ ، وَهَامَ عَلَى وَجْهِهِ ، فَلَمْ يَوْقِفْ لَهُ عَلَى أَثَرٍ .

العظة القاتلة

أخبرنا أبو اسحاق إبراهيم بن سعيد بقراءتي عليه بمصر ، سنة خمس وخمسين^١ ، قال : أخبرنا
أبو صالح السمري قال : حدثنا أبو عبد الله الحسين بن القاسم بن أليسع قال : حدثنا أبو
بكر أحمد بن محمد بن عمرو قال : حدثنا أبو محمد جعفر بن عبد الله الصوفي قال : قال أبو
حمزة الصوفي : حدثني محمد بن مصعب بن الزبير المكي قال : حدثني أبي قال :

حدثني رجلٌ من أهل المدينة ، ونحن ببلاد الروم في سرية^٢ عليهما محمد
ابن مُصْعَبِ الطرطوسي قال :

كان بالمدينة غلامٌ من بني مخزوم موصوف ببراءة الجمال ، فإذا كان في
أيام الحج حَجَّبه أبوه عن الخروج إلى المسجد حتى يصدُرَ آخرُ الحاجِّ
إشفاقاً عليه من أعين الناس وحَدَّرَا عليه منهم ، فاشتَهَرَ بِجَمَالِهِ وَوُصِفَ
بِكَمَالِهِ ، فَكَانَتْ الرَّفَاقُ تَتَحَدَّثُ بِحَدِيثِهِ ، فَقَدِمَ عَلَيْنَا رَجُلٌ من
الصفوية عند انقضاء عُمَرَتِهِمْ ، وقد رجعوا من الحج لزيارة قبر النبي ، صلى

١ يريد ٤٥٥ أي سنة ١٠٦٣ م .

٢ السرية : القطعة من الجيش .

الله عليه وآله وسلم ، وما بالمدينة يومئذ أحدٌ من الحاج غيرهم ، فخرج
المخزومي في ذلك اليوم ، فأتى قبر النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فسلم عليه ،
ثم قعد في الروضة ينتظر الصلاة ، فوقف عليه طلحة ينظر إليه ملياً ،
فرأى شيئاً لم ير مثله قط ، ثم قال : يا فتى اسمع عني مقالتي واعرض على
قلبك كلامي ، وافهم مني عظيمي ، فإني قد بدأتك بالنصيحة لما أملت
لك من الله ، عز وجل ، فيها من حسن الجزاء ، وجميل الثناء .

يا حبيبي أتدري من يراك ، ومن يشهد عليك ؟ قال : ومن هما
يا عم ؟ قال : الله تعالى يراك ، ونبيه ، صلى الله عليه وسلم ، يشهد عليك ،
فلإتاك وإقرار المعاصي بحضرة نبيك ، صلى الله عليه وسلم ، فإنك
لا تأتي أمراً في هذه البلدة يكون عليك فيه تبعه ، إلا والله تعالى له حفيظ ،
والنبي ، صلى الله عليه وسلم ، عليك به شهيد ، وأصحابه لك خصوم ،
وكفى خصماً أن يكون القاضي عليه خالفه ، والشاهد عليه نبيه .
الله عليه وسلم ، والخصوم له خيرة الله من خلقه الصالحون من عباده .
فانتفض الغلام وسقط مغشياً عليه ، واجتمع الناس فاحتلموه إلى
منزله ، فما أتى عليه ثلاثة أيام حتى مات .

خليلان في الجنة

أخبرنا أبو اسحاق إبراهيم بن سعيد بمصر بقراة عليه قال : حدثنا أبو صالح السمرقندي الصوفي
قال : حدثنا أبو عبد الله الحسين بن القاسم بالقرافة قال : حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن
عمرو الدينوري قال : حدثنا أبو محمد جعفر بن عبد الله الصوفي قال : حدثنا أبو حمزة
الصوفي قال : حدثنا محمد بن الاحوص الثقي قال : حدثني أبي قال : حدثني رجل من
أصحابنا قال :

كان محمد بن الحسين الضبي وعبد العزيز بن الشاه التيمي كأنهما
هيلان أو درتان من حسنيهما وجمالهما ، فسما كلام أبي عبد الله

الديلمي ، وكان من أحسن الناس كلاماً وأظهرهم خشوعاً وأكثرهم صلاة واجتهاداً ، فصحابه ، وكانا معه لا يأمن عليهما أبواهما أحداً غيره ، فكان يحجّ بهما في كل عام ، ويرابطُ معهما في السواحل سائر سنينه ، حتى أخذنا منه ، ووعياً عنه ، وتأسياً بأخلاقه ، واحتديا على طريقته ، وكانا مُقبلين على طلبِ الخيرِ والجهاد ، فخرَجَ بهما فرآهما رجلٌ من الجُند ، فرأى شيئاً لم ير مثله ، فأراد أخذهما منه ، فحالَ بينه وبينهما ، وأعانه الناس على ذلك ، وكان مشهوراً بالنسك والعتاف ، فاغتاله الجندي فقتلته ، وقبضَ على العُلامين ، فامتنعاً عليه ، واستغاثا بالناس ، فجاؤوا فنظروا إلى أبي عبد الله الديلمي مقتولاً ، فأخذوا الجندي ، وأتوا به السلطان فقتلته .

قال أبي : فحدثني هذا الرجل قال : كنتُ حاضراً لهما ، وقد دفنناه ورجعا عن قبره ، يُعرفُ الحزنُ عليهما ، والكآبةُ فيهما ، فسمعتُ أحدهما يقول لصاحبه : ما ترى ، يا أخي ؟ قال : أرى أن يكون على عزيمتنا أمر يمضي على ما عقدناه من نيتنا حتى نقضي رباطنا ، ونرجع إلى بلادنا ، فقال له الآخر : لستُ أرى رأيك ولا ما أشرت به ، ولكن مُصيبتنا بهذا الرجل ليست بصغيرة ولا حقه علينا يسير ؛ له علينا حق الوالد بالشفقة ، وحق التعليم وطول الصحبة ، وطهارة العشرة ، وحسن المرافقة ، قال : فما ترى ؟ قال : أرى أن نقيم على قبره مقدار رباطنا نستغفرُ له ، ثم ننصرف ، فإن عزمنا أن نرابط بعد فعلنا ، وإن أحببت أن نرجع صدرنا . قال : قد قلت قولاً لن أخالفك عليه ، فسألني الإسعاد لهما على ذلك ، فأقمتُ معهما نيفاً على عشرين يوماً ، فاعتلَّ محمد بن الحسن ، فاشتدت علته ، ففلقَ عبدُ العزيز قَلْباً شديداً ، وجزعَ جزعاً لم أره من أحد قط ، فقلتُ : ما هذا الجزعُ يا أخي ؟

قال : أفلا يحق لي أن أجزع على أخٍ شقيقٍ وحبيبٍ شقيقٍ ؟
فسمعنا محمد فقال : يا عبد العزيز لا تجزع فإن الجزع لا يُغني عني

شيئاً مما نزلَ بي من الموت ، واعلمَ يا أخي أنكَ أرفعُ عندَ الله ، عزَّ وجلَّ ، درجَةً مِنِّي .

فقال : وبِمَ ذاكَ ؟

قال : بِمُصَابِكَ بِي ، فَبَكَى عَبْدُ الْعَزِيزِ حَتَّى أَلْصَقَ خَدَّهُ بِالْأَرْضِ وَأَبَكَى مَنْ حَضَرَ مِنَ النَّسَاكِ وَغَيْرِهِمْ ، فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدٌ : يَا أَخِي لَا تَبْكُ فَإِنِّي فِي أَمْرٍ عَظِيمٍ ، وَعَلَى خَطَرٍ جَسِيمٍ هُوَ أَكْبَرُ عِنْدِي وَأَجَلٌ فِي قَلْبِي مِنْ بُكَائِكَ ، وَقَدْ شَغَلَتِي الْفِكْرُ فِيكَ وَفِي وَحْدَتِكَ بَعْدِي عَنْ بَعْضِ مَا أَنَا فِيهِ مِنَ أَلَمِ الْعِلَّةِ ، وَقَدْ تَزَايَدَتِ عَلَيَّ لِمَا أَرَاهُ فِي وَجْهِكَ مِنَ الْحُزْنِ وَالغَمِّ ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَحْتَسِبَنِي عِنْدَ اللَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ ، فَافْعَلَنَّ ، وَلَا تُطَلِّقَنَّ عَلَيَّ عِبْرَةً وَلَا تُذَرِّينَ بَعْدِي دَمْعَةً ، فَإِنِّي مَتَقُولٌ إِلَى رَحْمَةٍ وَصَائِرٌ إِلَى نِعْمَةٍ ، وَلَوْ كَانَ أَحَدٌ أَحَقَّ بِالْبُكَاءِ مِنْ أَحَدٍ لَكُنْتُ أَحَقُّ بِهِ لِمَا نَزَلَ بِي مِنَ الْمَوْتِ وَشِدَّةِ كَرْبِهِ وَحَيَاءِ مَا حَضَرَنِي مِنَ مَلَائِكَةِ رَبِّي .

فَصَبَعَتْ عَبْدُ الْعَزِيزِ ، وَخَرَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ ، فَدَنُوْتُ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ ، فَقُلْتُ : أَلَاكَ حَاجَةٌ أَوْ أَمْرٌ تَوْصِيَنِي بِهِ ؟

فقال : أَوْصِيكَ بِإِيثارِ تَقْوَى اللَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ ، عَلَى جَمِيعِ الْأُمُورِ ، وَحَاجَتِي أَنْ تَحْفَظَنِي فِي أَخِي هَذَا ، فَإِنَّهُ مِنْ أَمَمٍ مِنْ أَتْرَكُ بَعْدِي .
فقال له أَبُو الْمَغَلَسِ الصُّوفِي ، وَكَانَ يُشَبَّهُهُ خُشُوعَهُ بِخُشُوعِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الدِّيلَمِيِّ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ! قَدْ عِشْتُمَا مُصْطَحِبَيْنِ مِنْذُ كُنْتُمَا صَغِيرَيْنِ ، لَا نَعْرِفُ لِأَحَدٍ مِنْكُمَا خِزْيَةَ وَلَا نَحْفَظُ عَلَيْكُمَا زَلَّةً ، فَنَشَأْتُمَا عَلَى أَمْرٍ وَاحِدٍ لَمْ تَتَهَاجَرَا ، وَلَمْ تَخْتَصِمَا ، وَلَمْ تَتَفَرَّقَا ، وَقَدْ تَكَلَّمْتَ بَعْضُ النَّاسِ فِيكُمَا بِكَلَامٍ قَدْ رَفَعَ اللَّهُ أَقْدَارَكُمَا عَنْهُ لِمَا بَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى الْيَوْمَ مِنْ أُمُورِكُمَا ، وَنَشَرَّ مِنْ حُسْنِ طَوِيَّتَيْكُمَا ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أَوْلَاكُمَا مِنْ ذَلِكَ . وَقَدْ تَذَكَرَ أَنَّ أَعْلَامَ الْمَوْتِ إِلَيْكَ قَدْ أَقْبَلَتْ ، وَالْمَلَائِكَةُ مِنْكَ قَدْ اقْتَرَبَتْ ، وَإِنِّي أَثِقُ بِفَهْمِكَ ، لِمَا أَعْلَمُ مِنْ حُسْنِ عَقْلِكَ ، فَهَلْ تَرَى أَحَدًا مِنْهُمْ ؟

فقال : إني أرى صُوراً تُقبِلُ ولا أُبَيِّتُها على حَقِيقَةِ النَّظَرِ .

قال : فما تجد ؟

قال : أجدُ أُلماً لو قُسِمَ على جميعِ الخَلَائِقِ لكانوا في مثلِ حالي .

قال : صفه لي .

قال : وما عسى أن أصِفَ لكَ منه ؟ أجدُ نَفْسي كأنَّها بينَ جَبَلَيْنِ قد اصْطَلَكَا عليّ ، وكانَّ أَسِنَّةً تُوَحِّزُ في بَدَنِي ، وكانَّ ناراً تُوقِدُ في عيني ، وأجدُ لَهَاتِي قد بَيَّسَت ، فما أجدُ فيها شيئاً من رِيقِي .

فقال له أبو المغلِّس : إني قرأتُ في بعض الأخبار ، وما رُوي في الآثار :

حتى يرى مَقْعده من النار ، أو الجنة . فهل رأيت شيئاً من ذلك ؟

قال : أمّا في وقتي هذا فلا .

فلما اشتدَّ به الأمر وكاد أن يَغْلِبَهُ الكَرْبُ أوماً بيَّده إلى أبي المغلِّس ،

فأصغى بأذنه إليه ، فقال : إنك سألتني عن مقعدي ، وهذه الروح قد خرجت من بعض جَسَدِي ، وارتفعت إلى حقوي ، وقد رأيت مقعدي .

قال : وأين رأيتَه ؟

قال : رأيتُه في جَنَّةِ عَمَدٍ .

قال : فهل رأيتَ أبا عبد الله الدِّلمي ؟

قال : إنَّ روحه لشرِّفُ عليّ ، وقد رأيتُ مَقْعده أفضلَ من مقعدي ،

ودرَجَتَه أفضلَ من درَجَتِي ، ولا أحسبُ أنه قال إلاَّ بالعلم الذي سبقَ إليه قبلي ، أو بالشهادة التي اختصَّه الله تعالى بها دوني ، وهذه روحه تُبشِّرُ رُوحِي بما أعدَّه الله تعالى لي ممّا لم يبلِّغْه عملي ، ولا أحاط به فهمي ، ولا استحققتَه بِفِعْلي ممّا يعجزُ عن صِفَتِهِ قول ، ثمَّ مَدَّ يده وغمضَ عَيْنِيه ، وقضى ، رحمةُ الله عليه .

ثمَّ إنَّ عبد العزيزَ أفاقَ بعد طویلِ فحَصَرَ غِسلَه وجهازه ، ودَفَنَه ،

ورجع ، ورجعنا معه ، فمَكَثَ أياماً لا يَطْعَمُ ولا يَتَكَلَّمُ ، وحضرتُ

صلاة الغداة ، فقام إلى جانبي في الصف ، فسمعتُه يدعو بعدما فرغ من الصلاة ، وهو يقول : اللهم لا تجمع عليَّ كرب الدنيا وعذاب الآخرة ، وعجل خروجي عن الدنيا سالماً منها إلى رضاك ومغفرتك ، وارحم غربي ، وأجيب دعوتي ، واجمع بيني وبين من أحببتي فيك ، وأجبتُه لك ، ولا تفرق بيني وبينه ، واجعل اجتماعنا في محلِّ الفائزين .

ثم قال : أقسمتُ عليك ألاَّ فعلت . ثم خرَّ ساجداً فظننتُ أنه قد سجّد وأطال السجود ، فدنوتُ منه ، فحرّكته ، فإذا هو قد قضى ، فدفتُه إلى جنب صاحبه ، فكنّا حيناً من الدهر نتحدّثُ بحدِيثِهِمْ ، وبما وهبَ اللهُ ، عزّ وجلّ ، لهم من الاجتماع في الدنيا والآخرة ، وبما أفضوا إليه من الكرامة والرحمة .

قال : فمكثتُ سنين أتمنى أن أرى واحداً منهم في مقام ، فرأيتُ عبدَ العزيز بن الشاه ، وعليه ثيابٌ خضراءُ ، وهو يطيرُ بين السماء والأرض ، فناديتُه ، فوقف ، فقلتُ : ما فعلَ اللهُ بك ؟

قال : غفّر لي .

قلتُ : بماذا غفّر لك ؟

قال : بقول الناس فيّ ما لا يعلمون ويرميهم إيتاي بالإفك والظنون . قلتُ : فما فعل محمد بن الحسن ؟

قال : جمَعَ اللهُ بيني وبينه ، وأنا وهو في درجةٍ واحدة .

قلتُ : فما فعل أبو عبد الله الديلمي ؟

قال : هبّات ! ذاك رجلٌ أبيع له الجنة ، فهو يسرح فيها ، ويحلب منها حيثُ يشاء .

قلتُ : وبمَ ذاك ؟

قال : بما سبقَ له من السعادة ، وبفضلِ أجرِ الشهادة ، وبحفظِهِ لفرجه عن الحرام ، وطرفِهِ ولسانه عن الآثام .

قلْتُ : كيفَ وجدتَ الموتَ ؟

قال : هوتهُ اللهَ عليّ لِمَا عَلِمَ من ضعفي وطولِ حزني .

قلتُ : هل رأيتَ جهنَّمَ ؟

قال : وهل الصِّراطُ إلاّ عليّها ، والورودُ إلاّ إليها ؟ نعمَ قد رأيتهاُ ووردتهاُ ، فما ألمي حزها ، ولا أفزعني زفيرُها .

قلتُ : فكيفَ كان ممسكاً على الصِّراطِ ؟

قال : كما يجري الفرسُ الجوادُ على الأرض البسيطة التي ليسَ فيها حجرٌ يُخافُ أن يُعثرَ به .

قلتُ : هل رأيتَ مُنكدرًا الشّعْراني ؟

قال : رأيتُهُ وسَلَّمْتُ عليه ، وما أقربَ درجتهُ من درجَةِ أبي عبد الله

الديلمي .

قلتُ : وبِمَ أعطي ذلكَ ؟

قال : بِغَضِّهِ لَطَرْفِهِ وحِفْظِهِ لِفَرَجِهِ .

قلتُ : فهَلْ رأيتَ مُغْلَسًا الصّوّفيّ ؟

قال : نعمَ ، رأيتُهُ على فرسٍ من ياقوتٍ أحمرَ ، يطيرُ به في الجنةِ .

فقلتُ له : أين تُريدُ ؟

فقال : أريدُ أن أستقبِلَ أرواحَ قومٍ قُتِلوا في البَحْرِ .

قلتُ : وكيفَ أعطي ذلكَ ؟

قال : بِفَضْلِ رَحْمَةِ اللهِ .

قلتُ : قد عَلِمْتُ أَنَّهُ إِنَّمَا نَالَ ذَلِكَ بِفَضْلِ اللهِ تَعَالَى وَبِرَحْمَتِهِ .

قال : بِكَثْرَةِ الْبُكَاءِ وَمُلَازِمَةِ الدَّعَاءِ وَطُولِ الظَّمَاءِ وَصَبْرِهِ عَلَى الْبَلَاءِ .

الهارب إلى ربه والآبق من ذنبه

أخبرنا القاضي أبو الحسين أحمد بن علي بن الحسين التوزي بقراعتي عليه قال : أخبرنا أبو الفتح يوسف بن عمر بن مسرور الزاهد القواس ، رحمه الله ، قال : حدثنا أبو الفضل محمد بن أحمد ابن محمد بن سهل إملاء سمعته من لفظه قال : حدثنا سعيد بن عثمان بن عباس الخياط قال : حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى الاسكندراني وأصله مصيصي قال : حدثني منصور بن عمار قال :

بَيْنَا أَنَا سَائِرٌ فِي بَعْضِ طُرُقَاتِ الْبَصْرَةِ ، إِذَا أَنَا بِقَصْرِ مُشَيَّدٍ ، وَخَدَمٍ وَعَبِيدٍ ، وَبُسْمُرِ الْقِنَا مَسْنُوبَةٍ وَقِيَابِ الْأَدَمِ مَضْرُوبَةٍ ، وَإِذَا حَاجِبٌ قَدْ جَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّ مِنْ حَدِيدٍ ، وَثَنِي رِجْلًا عَلَى رِجْلِ ، كَأَنَّهُ جَبَّارٌ عَنِيدٌ ، فَهَمَمْتُ بِأَنْ أَدْنُو مِنَ الْقَصْرِ ، فَصَاحَ بِي تَجَبَّرًا وَتَحَكَّمَ : وَيَحْك ! أَمَا كَانَ لِكَ قَصْدٌ غَيْرَ هَذَا الطَّرِيقِ إِلَى غَيْرِهِ ؟ قُلْتُ : هَذَا مَلِكٌ يَمُوتُ وَالْحَيُّ فِي السَّمَاءِ مَلِكٌ لَا يَمُوتُ ، وَاللَّهِ لِأَدْنُونَ مِنَ الْقَصْرِ ، فَأَنْظَرَلَمَنْ هُوَ .

فَدَنَوْتُ مِنْ وَرَائِهِ فَلِذَا أَنَا بِمَتَابِرِ طِوَالِ مَشْبَكَةِ بَقُضْبَانِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، وَإِذَا بِغُلَامٍ جَالِسٍ عَلَى كُرْسِيِّ مِنْ ذَهَبٍ مَرَّصَعٍ بِأَنْوَاعِ الْجَوْهَرِ ، كَأَنَّهُ غُضْنٌ بَانٍ أَوْ مَشَقُّ قُضَيْبِ رِيحَانٍ ، أَخْضَرَ الشَّارِبِ صَلَتِ الْجَبِينِ ، سَهْلِ الْخُدَيْنِ مَقْرُونِ الْحَاجِبِينَ ، كَأَنَّ لَبَّتَهُ صَفْحَةً فِضَّةً ، وَخَدَّهُ أَشْبَهُ بِخُدُودِ النِّسَاءِ مِنْ خُدُودِ الرِّجَالِ ، قَدْ حَزَقَ فِي الْفَتَكِ وَالسَّمُورِ^١ ، وَرَقِيقِ الْكُتَّانِ ، وَهُوَ يَنَادِي بِحَنِينٍ جَرِيمِهِ : يَا نَشْوَانُ ! فَمَا لَبَسْتَ أَنْ خَرَجْتَ عَلَيَّ جَارِيَةً كَأَنَّهَا خُوطٌ بَانٍ أَوْ مَشَقُّ قُضَيْبِ رِيحَانٍ ، عَلَيْهَا مِرْطُ^٢ حَرِيرٍ أَخْضَرَ ، قَدْ لَصِقَ عَلَى رُطُوبَةِ جِسْمِهَا ، تَمْشِي عَلَى فَاضِلِ شَعْرِهَا تَطْرُقُ بِنَعْلَيْهَا ، وَتَقْتَنُ ، وَاللَّهِ مَنْ رَأَاهَا ، فَلَا أُدْرِي ، وَاللَّهِ ، الْجَارِيَةُ كَانَتْ

١ حَزَقَ : عَصَبٌ ، وَضَفَطَ . الْفَتَكُ : جِنْسٌ مِنَ الثَّمَالِبِ صَغِيرِ الْقَدِ ، وَفُرُوتُهُ مِنْ أَحْسَنِ الْفَرَاءِ .
السَّمُورُ : حَيَوَانٌ يَشْبَهُ ابْنَ عَرَسٍ لَوْنُهُ أَحْمَرٌ مَائِلٌ إِلَى السَّوَادِ يَتَخَذُ مِنْ جِلْدِهِ فَرَاءً ثَمِينَةً .
٢ الْخُوطُ : الْفِصْنُ الطَّرِيقِي . الْمِرْطُ : كُلُّ ثَوْبٍ غَيْرِ مَخِيْطٍ .

أَحْسَنَ أُمِّ الْغُلَامِ ، فَخَشِيْتُ أَنْ تَغْشَانِي ، فَفَتَحَتِ الْأَبْوَابَ ، فَخَرَجَ
الْغُلَامَانُ فَتَلَبَّبُونِي^١ وَقَالُوا : وَيْحَكَ ! مَا كَانَ لَكَ قَصْدٌ غَيْرَ هَذَا الطَّرِيقِ
إِلَى غَيْرِهِ حَتَّى نَظَرْتَ إِلَى حَرَمَةِ الْمَلِكِ .

فَقُلْتُ : لِمَنْ يَكُونُ هَذَا الْقَصْرُ ؟

فَقَالُوا : لِلْمَلِكِ الْبَصْرَةِ ، وَابْنِ سَيِّدِهَا .

فَدَخَلْتُ إِلَيْهِ فَانْظَرْتُ إِلَيْهِ وَأَجَالَ حَمَالِيْقَ عَيْنَيْهِ ، كَأَنَّهُمَا عَيْنَا طَبِي
تَتَفَرَّسُ^٢ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لِي : لَقَدْ اجْتَرَأْتَ عَلَيَّ إِذْ نَظَرْتَ إِلَى حَرَمِي .

فَقُلْتُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ! جُدْ بِعَقْوِكَ عَلَيَّ ضِعْفِي ، وَبِحَلْمِكَ عَلَيَّ جَهْلِي ،
فَلِإِنِّي رَجُلٌ طَبِيبٌ ، وَلَا يُرَى فِي كِتَابِ الْحُكَمَاءِ قَتْلُ الطَّبِيبِ ، وَإِنِّي لَأَرَى
فِي جِسْمِكَ هَذَا مَدْخَلًا قَدْ التَوَتُّ عَلَيْهِ الضَّلُوعُ وَالْأَعْضَاءُ ، وَهُوَ رَقِيقٌ^٣
فِي الضَّمِيرِ ، مَا بَيْنَ الْأَحْشَاءِ . يَا غُلَامُ قَدْ حَزِنْتُ فِي الْفِتْنَةِ وَالسَّمُورِ ، هَلْ
لَكَ صَبْرٌ عَلَى مَقْطَعَاتِ النَّيْرَانِ ، وَسَرَابِيلِ الْقَطْرِ^٤ ، وَصَوْتِ مَالِكٍ وَعَرَضِ
الرَّحْمَنِ ؟ أَمَا سَمِعْتَ أَنَّهُ يَنَادِي بِالنَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَرْبَعَةِ أَصْوَاتٍ : يَا نَارُ
كُلِّي وَلَا تَقْتُلِي ، يَا نَارُ أَحْرَقِي ، يَا نَارُ أَنْضَجِي ، يَا نَارُ اشْتَقِي ، فَإِذَا سَمِعْتَ
النَّارُ يَا نَارُ كُلِّي ، أَكَلْتُ بَوَهَجِ النَّهَبِ مِنْ بَيْنِ أَطْبَاقِهَا ، فَوَيْلٌ^٥ لِلطَّبِيقَةِ
السُّفْلَى مِنَ الطَّبِيقَةِ الْعُلْيَا كَيْفَ يَتْرَاكِبُ عَلَيْهِمِ الصَّدِيدُ كَالزَّيْتِ الْمَغْلِيِّ ،
وَوَيْلٌ^٦ لِلطَّبِيقَةِ الْعُلْيَا مِنَ الطَّبِيقَةِ السُّفْلَى كَيْفَ يَتْرَاكِبُ عَلَيْهِمِ الدِّخَانُ مِنْ
بَعْدِ مَهَاوِيهَا ، وَقَدْ شُدُّوا فِي سَلْسَلِهَا وَقُرِنُوا مَعَ شَيْطَانِهَا ، وَأُرْسِلَتْ
عَلَيْهِمْ حَيَاتُهَا وَعَقَارِبُهَا .

فَصَرَخَ الْغُلَامُ صَرَخَةً ، ثُمَّ قَالَ : يَا طَبِيبُ قَتَلْتَنِي ، وَبَأْسَهُمُ الْمَنَابِيَا
رَشَقْتَنِي ، فَمَا أَحْطَأْتُ صَمِيمَ كَبِدِي ، وَيْحَكَ يَا طَبِيبُ ، مَا أَحْرَمَ مَكَوَيْكَ ،

١ تَلْبِيهِ : أَخَذَهُ بِتَلْبِيهِهِ أَيَّ بِطَوَقِهِ وَجَرَهُ .

٢ الْمُقْلَعَاتُ : الْقَصَارِمُ مِنَ الشَّيَابِ ، الْوَاحِدَةُ مَقْلَعَةٌ . الْمَرَابِيلُ ، الْوَاحِدُ مَرَابِيلٌ : الْقَمِيصُ .

وَأرْشَقَ نَبْلَكَ .

فقلتُ له : حبيبي قد أعجبتك نشوانٌ ، فلو نظرتَ إليها بعد ثلثة من وفاتها ، وقد تمعّطَ شعرُها ، وسالَ صديدها ، وبليَ بدنُها ، إذن لمقتتها ، أفلا أصفُ لك نشوانَ الجنان التي ذكرها الله تعالى في القرآن : إننا أنشأناهنّ إنشاءً ، فجعلناهنّ أبقاراً عربياً أتراباً لأصحابِ اليمين ، جاريةٌ إذا خطرتَ مالتِ الأشجارُ إلى حسنِ وجهها ، وصفرتِ الطيرُ إلى جمالِها طرباً ؛ وإذا وقفتَ وقفَ جاري الماءِ لوقوفِها ، وإذا مشتَ تبسمتِ الحضرةُ من تحتِ زمامِ نعلِها ، ويكادُ ينطوي من رطوبةِ جسمِها ، جاريةٌ خلقتُ من الزعفرانِ والمسكِ الأذفر ، بلا تعبٍ ولا نصبٍ ، فترى مجرى الدم منها كما ترى الحمرةَ في الزجاجَةِ البيضاء . قال لها باري النسم : كوني فكانتُ .

قال : فصاحَ الغلامُ : يا طبيبُ قتلتني ، وبسهمِ المنايا رشقتني ، ثم ضربَ بيده إلى أقبيتِه فشققها ، ورمى بسيفِه ومنطقته ، ووثب قائماً على قدميه يرتعدُ كالسعة في يوم ريح عاصفٍ ، ثم قال : يا قصرُ ! عليك السلامُ قد هربني هذا الطبيبُ الشفيقُ الرقيقُ .

قال منصورُ : فصرختُ نشوانُ صرخةً من داخلِ القصر ، وقالتُ : يا مولاي والله ما تُنصِفني ، تهربُ وترُكني ، رويداً مكانك ، فخرجتُ عليّ نشوانُ ، وقد قصرتُ من شعرِها ، ثم قالتُ : يا مولاي ! من أرادَ السفرَ إلى بلدٍ قفر هيباً الزادَ ، ومن أرادَ التوبةَ شمّر لها .

قال منصورُ : ثم هرباً جميعاً ، فخرجتُ إلى بابِ القصر ، فإذا أنا بالقبابِ قد نُزعتُ ، وبالحيامِ قد رُفعتُ ، وبالحُجُبِ قد نُحيتُ ، فوقفْتُ فتناديتُ بأعلى صوتي : يا أيّها الهارب إلى ربّه ، والآبقُ من ذنبِه ، لقد هربتَ إلى أكرمِ الأكرمين .

١ العرب ، الواحدة عروب : الضحاكة .

قال منصور : فلما كان بعدَ حَوْلَتَيْنِ كَامِلَتَيْنِ حَجَّجْتُ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ، فَبَيْنَمَا أَنَا فِي الطَّوَافِ إِذْ سَمِعْتُ صَوْتَ مَحْزُونٍ مَكْرُوبٍ مَغْمُومٍ ، وَهُوَ يَقُولُ : إِلَهِي وَسَيِّدِي ! نَحَلْ جِيسَمِي وَدَقَّ عَظْمِي وَرَقَّ جِلْدِي وَخَرَجْتُ مِنْ مَالِي رَجَاءً أَنْ تُرِيَّتِي وَجَهَكَ الْكَرِيمَ الْجَمِيلَ ، وَتَجْمَعَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَشْوَانَ فِي الْجِنَانِ .

قال منصور : فدنوتُ منه فقلتُ : يَا غُلَامُ مَا أَقَلَّ حَيَاءَكَ ! يَا بَأَيَّ حَقٍّ تَطْلُبُ مِنْ رَبِّكَ نَشْوَانَ الْجِنَانِ؟ فَتَنْظَرُ إِلَيَّ وَبَكَى وَقَالَ لِي : رِفْقًا يَا طَيِّبُ ! رِفْقًا ! هَكَذَا تَضْرِبُ بِسَوْطِكَ جِيسَمًا عَلِيلاً ، ثُمَّ لَا تَعْرِفُهُ؟ أَنَا وَاللَّهِ مَلِكُ الْبَصْرَةِ وَابْنُ سَيِّدِهَا .

قال منصور : فوالله ما عَرَفْتُهُ إِلَّا بِخَالٍ كَانَ فِي وَجْهِهِ ، وَقَدْ نَحَلَّ وَذَابَ جِيسَمُهُ ، فَقُلْتُ لَهُ : حَبِيبِي مَا فَعَلْتَ نَشْوَانُكَ؟ فَبَكَى وَقَالَ : يَا ابْنَ عَمَّارٍ ، وَاللَّهِ لَوِ رَأَيْتَهَا مَا عَرَفْتَهَا ، قَدْ ذَهَبَ الْبُكْيُ بَيْصَرِهَا ، وَنَحَّتِ الدَّمُوعُ مَحَاسِينَ وَجْهِهَا .

فقلتُ له : حَبِيبِي ! مَا كَانَ أَحْوَجَنِي إِلَى رُؤْيَيْهَا ، فَأَخَذَ بِيَدِي ، فَأَوْقَفَنِي إِلَى بَابِ خَيْمَةِ مِنَ الشَّعْرِ ، فَقُلْتُ : أَحْبَبْتِي ! بَعْدَ الْقُصُورِ صِرْتُمْ إِلَى خَيْمَامِ الشَّعْرِ ، لَقَدْ أَبْلَغْتُمْ فِي الْعِبَادَةِ .

فخرَجْتُ نَشْوَانُ مِنْ دَاخِلِ الْخَيْمَةِ فَقَالَتْ : بِاللَّهِ ! أَنْتَ مَنْصُورُ بْنُ عَمَّارٍ؟ فَقُلْتُ لَهَا : نَعَمْ ! فَقَالَتْ لِي : يَا مَنْصُورُ أَتَرَى رَبِّي يُسْكِنُنِي الْجِنَانَ وَيُرِيَنِي نَشْوَانَ الْجِنَانِ؟ فَقُلْتُ لَهَا : جُدِّي فِي الطَّلَبِ، وَأَحْسِنِي الْمُعَامَلَةَ ، تَخْدُمُكَ الْوَالِدَانُ ، وَتَسْكُنُنِي الْجِنَانُ ، وَتُرِي نَشْوَانَ الْجِنَانِ ، وَتَزُورِي اللَّهَ ، عَزَّ وَجَلَّ ، الْمَلِكَ الدِّيَّانَ .

قال منصورُ بْنُ عَمَّارٍ : فَشَهَقْتُ شَهَقَةً خَرَّتْ مِنْهَا مَيِّتَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ ، قَالَ : فَبَكَى الْغُلَامُ وَقَالَ : يَا أَبِي وَاللَّهِ مَنْ كَانَتْ مَسَاعِدِي عَلَى الشَّدَّةِ وَالرَّخَاءِ!

ولم يتمالك الغلامُ أن شهقَ أيضاً شهقةً خرَّ منها ميتاً .
 قال منصورٌ : فأخذنا في جهازِهِما ، وغسلناهُما وكفناهُما ، وصلينا
 عليهِما ، ودفناهُما ، رحمهما الله .

الدب المنقطع إلى الله

أخبرنا أبو القاسم عبد العزيز بن علي الخياط قال : حدثنا أبو الحسن علي بن جهم بمكة قال :
 حدثنا أحمد بن محمد بن سالم قال : قال سهل يعني ابن عبد الله :

أولُ ما رأيتُ من العجائبِ والكراماتِ أني خرجتُ يوماً إلى موضعٍ خالٍ
 وطابَ لي المقامُ ، وكأني وجدتُ من قلبي قُرْبَةً إلى الله، عزَّ وجلَّ ، وحضرتُ
 الصلاةَ ، وأردتُ الطهورَ ، وكانتُ عادتي من صباي أن أجددَ الوضوءَ عندَ
 كلِّ صلاةٍ ، وكأني اغتممتُ لِفَقْدِ الماءِ ، فَبَيْنَا أنا كذلكُ إذا دُبَّ يمشي
 على رجليه ، كأنه إنسانٌ ، ومعه جرةٌ خضراءُ مُمسكٌ بيده عليها .

قال سهلٌ : فلما رأيتُه من بعيدٍ توهمتُ أنه آدميٌّ ، حتى إذا دنا مني
 وسلمَ عليَّ ووَضَعَ الجرةَ بينَ يديَّ قال : أبو محمد ؟ فجاءني العلمُ يعترضُ ،
 وذلك من شريطةِ الصِّحةِ ، فقلتُ في نفسي : هذه الجرةُ ، والماءُ من أين هو ؟
 فنطقَ الدبُّ ، وقال : يا سهلُ ! إننا قومٌ من الوحشِ قد انقطعنا إلى الله ،
 عزَّ وجلَّ ، بعزمِ التَّوَكُّلِ والمَحَبَّةِ ، فَبَيْنَا نحنُ نَتَكَلَّمُ مع أصحابينا
 في مسألةٍ إذ نُودينا : ألا إنَّ سهلَ بنَ عبد الله يُريدُ ماءً للوضوءِ ،
 فوضعتُ هذه الجرةَ في يدي ، وبجَنبِي مَلَكٌ ، حتى دنوتُ منكَ فصَبَّ فيها
 هذا الماءَ من الهواءِ ، وأنا أسمعُ خريرَ الماءِ .

قال سهلٌ : فغشني عليٌّ ، فلما أفقتُ إذا أنا بالجرةِ موضوعةٍ ، ولا
 عِلْمَ لي بالدبِّ أين ذهبَ ، وأنا متحسّرٌ إذ لم أكلّمه ، فتوضأتُ ، فلما

فَرَعْتُ أَرَدْتُ الشَّرْبَ مِنْهُ ، فَنُودِيْتُ مِنَ الْوَادِي : يَا سَهْلُ ! لَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَشْرَبَ هَذَا الْمَاءَ بَعْدُ . فَبَقِيَّتِ الْجُرَّةُ ، وَأَنَا أَنْظَرُ إِلَيْهَا تَضَطْرِبُ ، فَلَا أُدْرِي أَيْنَ مَرَّتْ .

تصفيق القناديل

أخبرنا عبد العزيز بن علي قال : أخبرنا علي بن عبد الله الهذلي بمكة قال : حدثني محمد بن إبراهيم ابن أحمد الاصبهاني بطرسوس قال : سمعت أبا طالب يقول :
كُنْتُ مَعَ سَمْنُونَ ، وَهُوَ يَتَكَلَّمُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْمَحَبَّةِ ، وَقَنَادِيلُ مَعْلَقَةٌ ، فَرَأَيْتُ الْقَنَادِيلَ تُصَفِّقُ حَتَّى تَكْسَرَتْ .

المشتاق إلى الجنة

أخبرنا القاضي أبو الحسين أحمد بن علي المحتسب قال : حدثنا أبو القاسم اسماعيل بن محمد بن سويد قال : حدثنا أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري قال : حدثنا الكديمي قال : حدثنا اسماعيل ابن نصر العبدي قال :
صَاحَ صَاحٌ فِي مَجْلِسِ صَالِحِ الْمُرِّي : لِيَقْسُمَ الْبَكَائُونَ الْمَشْتَاقُونَ إِلَى الْجَنَّةِ ! فقام أبو جهير . فقال : يا صالح ، اقرأ ! فقرأ : وقدمنا إلى ما عملوا من عمل ، فجعلناه هباءً منثوراً ، أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلاً . فقال : أعدها يا صالح ، فأعادها ، فما انتهى حتى مات أبو جهير .

أشعر من قال في منى

أخبرنا أبو علي الحسن بن محمد بن عيسى القيسي بقرامتي عليه بمصر في سنة خمس وخمسين وأربعمائة
قال : حدثنا أبو الحسن محمد بن مفضل بن جعفر السراي قال : حدثنا القاضي أبو الطاهر محمد
ابن أحمد بن عبد الله بن نصر الدهلي قال : أنشدنا ثعلب قال :

وَسُئِلَ جَعْفَرُ بْنُ مُوسَى اللَّيْثِيُّ: مَنْ أَشْعَرُ مَنْ قَالَ فِي مِئِنِّي وَعَرَفَاتٍ
وَالْحَجِّ؟ فَقَالَ: مَا قَالَ أَحَدٌ مَا قَالَ أَصْحَابُنَا الْقُرَشِيِّونَ ، وَلَقَدْ أَحْسَنَ الْمَلْحِي ،
يعني كثيراً ، حين يقول :

تَفَرَّقَ أَنْوَاعُ الْحَجِيجِ عَلَى مِئِنِّي وَفَرَّقَهُمْ، شَعْبَ النَّوَى، مِئِنِّي أَرْبَعٌ^١
فَلَمْ أَرْ دَاراً مِثْلَهَا دَارَ غَيْبَةِ ، وَمَلَقْتِي إِذَا التَّفَّ الْحَجِيجُ بِمَجْمَعِ
أَقْلَ مُقِيمًا رَاضِيًا بِمَقَامِهِ ، وَأَكْثَرَ جَارًا ظَاعِنًا لَمْ يُودَّعِ
فَشَاقُوكَ لَمَّا وَجَّهُوا كُلَّ وَجْهَةٍ سِرَاعًا، وَخَلَّتُوا عَن مَنَازِلَ بَلْقَعِ
فَرِيقَانِ مِنْهُمْ سَالِكٌ بطنَ نَخْلَةٍ ، وَآخَرُ مِنْهُمْ سَالِكٌ خَبْتِ يَفْرَعِ^٢

أعين الإنس لا أعين الجن

أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد الأردستاني بمكة في المسجد الحرام قال : أخبرنا الحسن بن محمد
ابن حبيب المذكر قال : سمعت أبا علي الحسين بن أحمد البيهقي القاضي يقول : سمعت أبا
بكر بن الأنباري يقول : سمعت العباس بن سالم الشيباني يقول : سمعت ابن الأعرابي قال :

ومن جيد شعره ، يعني مجنون بني عامر :

وَجَاؤُوا إِلَيْهِ بِالتَّعَاوِذِ وَالرُّقَى ، وَصَبَّوْا عَلَيْهِ الْمَاءَ مِنْ أَلْمِ النُّكْسِ
وَقَالُوا بِهِ مِينَ أَعْيُنِ الْجِنِّ نَظْرَةً ، وَلَوْ عَقَلُوا قَالُوا: بِهِ أَعْيُنِ الْإِنْسِ

١ الشعب : التفريق . النوى : البعد . مئني أربع : أي سبب أربع ليال فرقمهم تفريق البعد .

٢ بطن نخلة وخبث يفرع : موضعان .

قميص سعدون

أخبرنا أبو بكر الادرستاني محمد بن أحمد بمكة قال : حدثنا أبو القاسم بن حبيب المذكر قال : سمعت الحاكم الحسين بن محمد يقول : سمعت إبراهيم بن فاتك يقول : سمعت يوسف ابن الحسين يقول : سمعت ذا النون المصري يقول :

خَرَجْتُ يَوْمًا بُكْرَةً إِلَى مَقَابِرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكٍ فَرَأَيْتُ شَخْصًا مَقْنَعًا كُلَّمَا رَأَى قَبْرًا مَنْخَسِفًا وَقَفَ عَلَيْهِ ، فَإِذَا هُوَ سَعْدُونَ ، فَقُلْتُ : أَيُّ شَيْءٍ تَصْنَعُ هَهُنَا ؟ فَقَالَ : لِأَنَّمَا يُسْأَلُ عَمَّا أَصْنَعُ مَنْ أَنْكَرَ مَا أَصْنَعُ ، فَأَمَّا مَنْ عَرَفَ مَا أَصْنَعُ ، فَمَا يُغْنِي سَوَالَهُ ، فَقُلْتُ : يَا سَعْدُونَ تَعَالَى نَبِيكَ عَلَى هَذِهِ الْأَبْدَانِ قَبْلَ أَنْ تَبْلَى ! فَقَالَ : الْبُكْيُ عَلَى الْقُدُومِ عَلَى اللَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ ، أَوْلَى بِنَا مِنَ الْبُكْيِ عَلَى الْأَبْدَانِ ، فَإِنْ يَكُنْ عِنْدَهَا خَيْرٌ ، فَخَيْرُهَا عِنْدَ رَبِّهَا أَكْثَرُ مِنْ بِلَاهَا ، وَإِنْ يَكُنْ عِنْدَهَا شَرٌّ ، فَشَرُّهَا عِنْدَ رَبِّهَا شَرٌّ مِنْ بِلَاهَا فِي الْقُبُورِ ، فَلَيْتَهَا تُرَكَّتْ تَبَلَى فِي الْقُبُورِ ، وَلَمْ تُبْعَثْ لِلْحِسَابِ .

يَا ذَا النُّونِ إِنَّكَ إِنْ تَدْخُلَ النَّارَ فَلَا يَنْفَعُكَ فِي النَّارِ دُخُولُ غَيْرِكَ الْجَنَّةِ . وَإِنْ تَدْخُلَ الْجَنَّةَ لَا يَضُرُّكَ دُخُولُ غَيْرِكَ النَّارِ .
ثُمَّ قَالَ : يَا ذَا النُّونِ ! وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ، ثُمَّ صَاحَ : وَاعْتَوَاهُ بِاللَّهِ ، مَاذَا نَقَابِلُهُ فِي الصُّحُفِ ؟ قَالَ : فَعَشِيَّ عَلَيَّ غَمَشِيَّةٌ ، فَلَمَّا أَفَقْتُ إِذَا هُوَ يَمْسَحُ وَجْهِي بِكُمِّهِ ، وَيَقُولُ : يَا ذَا النُّونِ ! مَنْ أَشْرَفُ مِنْكَ إِنْ مِتَّ مَكَانَكَ هَذَا ؟

قال محمد بن الصباح : وقرأتُ على قميصِ سعدون :

عَيْنِ فَا بَكِي عَلَيَّ ، قَبْلَ انْطِلَاقِي ،
بِدُمُوعٍ تَمَلَّ مِنْهَا الْمَآءِي
وَانظُرِي مِصْرَعِي ، فَقَدْ قَضِيَ الْأَمْرُ
رُ وَنُوحِي عَلَيَّ قَبْلَ الْفِرَاقِ

ذو النون الصوفي والمشتاقون

أخبرنا أبو القاسم عبد العزيز بن علي الأزجي قال : أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد المجلاني
بمكة قال : سمعت أبا بكر محمد بن علي قال : حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى قال : حدثنا
يوسف بن الحسين قال :

وَصَفَّ ذُو النُّونِ الْمُشْتَاقِينَ فَقَالَ : سَقَاهُمْ مِنْ صِرْفِ الْمَوَدَّةِ شُرْبَةً ،
فَمَتَّاتَتْ شَهْوَاتُهُمْ فِي الْقُلُوبِ مِنْ خَوْفِ عَوَاقِبِ الذُّنُوبِ ، وَذَهَلَتْ أَنْفُسُهُمْ
عَنِ الْمَطَاعِمِ مِنْ حَذَرِ فَوْتِ الْمَنَاعِمِ ، قَدْ أَنْحَلُوا الْأَبْدَانَ بِالْجُوعِ وَصَفَّقُوا الْقُلُوبَ
مِنْ كُلِّ كَدَّرٍ ، فَهِيَ مَعْلَقَةٌ بِمَوَاصِلَةِ الْمَحْبُوبِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا حُسْنَ
غِرَاسِ الْأَشْجَانِ فِي رِيَاضِ الْكِتْمَانِ ! وَذَكَرَ كَلَاماً ثُمَّ تَنَفَّسَ وَقَالَ :
شَوْقٌ أَضْرَّ بِمُهْجَةِ الْمُشْتَاقِ فَجَرَّتْ سَوَابِقُ عَبْرَةِ الْأَمَاقِ
لَعِبَتْ يَدُ الْعَبْرَاتِ فِي وَجَنَاتِهِ وَكَذَا بِهِ لَعِبَتْ يَدُ الْأَشْوَاقِ

يا من يعز علي !

أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد الأرمني بمكة بقراءتي عليه ، في المسجد الحرام ، بباب
الندوة قال : حدثنا أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي قال : حدثنا يوسف بن عمر
الزاهد قال : قرأت على جعفر بن محمد الخواص حديث إبراهيم بن محمد المروزي قال :

رَأَيْتُ الْوَلِيدَ بْنَ عَثْبَةَ قَدْ سَمِعَ صَوْتاً وَهُوَ يَقُولُ : يَا مَنْ يَعِزُّ عَلِيَّ
مَا لِي أَهْوَنُ عَلَيْكَ ؟ ثُمَّ صَاحَ وَوَقَعَ فِي الطَّيْنِ فَتَبَقِي أَرْبَعِينَ يَوْماً مَرِيضاً .

كل كريم طروب

أخبرنا الاردستاني بمكة قال : حدثنا أبو عبد الرحمن السلمي قال : سمعت الإمام أبا سهل محمد ابن سليمان بن روزبة يقول : سمعت أبا محمد السوري يقول : سمعت أبا العباس محمد بن يزيد يقول :

حدثت أن معاوية قال لعمر بن العاص : امض بنا إلى هذا الذي قد تشاغل باللهو في هدم مروءته ، نبتقي عليه فعله ، يريد عبد الله بن أبي طالب ، فخلا عليه وعنده سائب خاسر ، وهو يلقي على جوار له ، فأمر عبد الله الجواري أن يتنحين لدخول معاوية ، وتنحى عبد الله عن سريره لمعاوية ، فرقع معاوية عمراً ، فأجلسه إلى جنبه ، ثم قال لعبد الله : عد إلى ما كنت عليه ! فأمر بالكراسي فألقيت ، وأمر الجواري أن يخرجن ، فخرجن فجلسن على الكراسي ، فتغنى سائب :

ديارُ التي كنا ونحنُ نزورها تعفتُ بأرياحِ الصبا والجنائبِ

ومضى في الشعر ورددت الجواري عليه النغم الطيب ، وحرك معاوية يديه ، وتحرك في مجلسه ، ثم مدّ رجله ، فجعل يضرب وجه السرير . فقال له عمرو : اتئد فإن الذي جيئت تلحاه أحسنُ حالاً منك ، وأقلّ حركةً . فقال معاوية : اسكت ، لا أباك ، فإن كل كريم طروب .

عروة بن حزام

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن علي السوري اجازة قال : أخبرنا أبو الحسين بن روح قراءة عليه قال : حدثنا أبو الفرج المعافى بن زكريا قال : حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي قال : حدثني ابن فهم قال : حدثنا عبد الله بن شبيب عن سليمان بن عبد العزيز قال : حدثني خارجة المكي قال :

حدثني من رأى عروة بن حزام يُطافُ به حولَ البيتِ قال : فدنوتُ منه ، فقلتُ : من أنت ؟ قال : أنا الذي أقول :

أني كلَّ يومٍ أنتَ رامٍ بِبلادِها بعينينِ إنساناهُما غرقانِ
ألا فاحمِلاني، باركَ اللهُ فيكما، إلى حاضِرِ الرِّوحاءِ ثمَّ ذراني
قلتُ : زدني . قال : لا والله ولا حرفاً واحداً .

جفون وجفون

أبانا أبو بكر أحمد بن علي الحافظ قال : أخبرنا علي بن أيوب القمي قال : أنشدنا أبو عبد الله محمد بن عمران المرزباني قال : أنشدني محمد بن أحمد الكاتب قال :

أنشدني محمد بن موسى البربري :

يا جفوناً سواهِراً أعدمتها لذةَ النومِ والرقادِ جفونُ
إنَّ لله في العبادِ متايا سلطتها على القلوبِ العيونُ

القائلات الضعائف

- أنبأنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن المسلمة قال : أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عمران المرزباني إجازة قال : حدثنا ابن دريد قال : حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه عن أبي عمرو بن العلاء قال :

لَقِيتُ أَعْرَابِيًّا بِمَكَّةَ ، فَاسْتَنْطَقْتُهُ فَوَجَدْتَهُ ظَرِيفًا ، فَاسْتَنْسَبْتُهُ ، فَأَخْبَرَ أَنَّهُ عُنْدِي . فَقُلْتُ : إِنَّكُمْ لَقَبِيلَةٌ قَدْ شَاعَ عَنْكُمْ فِي الْعَرَبِ مَا شَاعَ مِنْ رِقَّةِ الْقُلُوبِ وَصِدْقِ الْمَقَّةِ^١ مَعَ الْعَفَافِ ، وَتَجَنُّبِ الْمَأْثَمِ ، فَهَلْ صَحِبْتَ شَبِيبَتَكَ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ؟ فَقَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَصْحَبُ الشَّبَابَ بِالتَّضَائِبِ ، وَأَتَحَدَّثُ إِلَى الْعَقَائِلِ . فَقُلْتُ : فَهَلْ قُلْتَ فِي ذَلِكَ شَيْئًا ؟ فَأَنْشَدَنِي :

تَتَبَّعَنَ مَرْمَى الْوَحْشِ حَتَّى رَمَيْنَا مِنْ التَّبَلِ لَا بِالطَائِشَاتِ الْخَوَاطِفِ^٢
بِئْ يَقْتُلْنَ الرِّجَالَ بِإِلَا دَمٍ ، فَيَا عَجَبًا لِلْقَائِلَاتِ الضَّعَائِفِ
وَالْعَيْنِ مَلْهُى فِي التَّلَادِ وَلَمْ يَقْدُ هَوَى النَّفْسِ شَيْءٌ كَأَقْيَادِ الطَّرَائِفِ^٣

١ المقة : المحبة .

٢ الخواطف ، الواحد خاطف : السهم الذي يقع على الأرض ثم يسرع إلى الهدف . والسهم الطائش : هو الذي يحمي عن الهدف .

٣ الطرائف ، الواحدة طريفة : الشيء الغريب النادر . والطرائف : الحديث المستحسن .

الزوجة الفارك

أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي بن محمد الجوهري اجازة قال : حدثنا أبو عمر بن حيويه قال :
حدثنا محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدثني عبد الله بن المهاجر قال : حدثني محمد بن يزيد
قال :

تَزَوَّجَ رَجُلٌ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، وَكَانَتْ ذَاتَ جَمَالٍ وَظَرْفٍ ،
فَكَانَتْ نَجِيَّةً وَتَذَهَبُ وَتَتَمَثَّلُ بِهَذَا الْبَيْتِ :

سَتَنْدَمُ حِينَ تَفْقِدُنِي وَتَطْلُبُنِي فَلَا تَجِدُ

قال : فكان الزوجُ يتطيرُ من قولها ، ويقول : تعِدُنِي بالذهبِ ، قال :
وكان لها محباً ، قال : فأصبحَ ذاتَ يومٍ يطلبُها ، فلم يقدر عليها حتى الساعة .

لابسة السواد

حدث أبو عمر محمد بن العباس قال : حدثنا أبو بكر محمد بن خلف قال : حدثني أبو صالح
الأزدي قال : حدثني محمد بن الحسين قال : أخبرني محمد بن ساعدة القرشي قال :

أَخْرَجْتُ مِنْ مَاتٍ مِنَ الْعِشْقِ عَلِيَّ بْنَ أَدِيمٍ مَوْلَى الْجَعْفِيِّ ، وَكَانَ خَرَّازاً ،
مَرَّ بِكُتَّابٍ بِالْكُوفَةِ فِي بَيْتِ عَبَسَ ، فَرَأَى جَارِيَةً يُقَالُ لَهَا مُنْهَلَةٌ ، فَعَشَقَهَا ،
وَكَانَ رَأَاهَا فِي سَوَادٍ ، فَقَالَ :

إِنِّي إِذَا يَتَعَادَى مِنْ حَبِّ لَابِسَةِ السَّوَادِ
فِي فِتْنَةٍ وَبَلِيَّةٍ مَا إِنْ يُطِيقُهُمَا قُودِي
فَبَقِيْتُ لَا دُنْيَا أَنَا لُؤْفَانِي طَلَبُ الْمَعَادِ

قال : وأصابه عليها شبيهُ الجنونِ ، فَجَمَعَ أبوه التَّجَّارَ ، فَتَحَمَّلَ
بِهِمْ عَلَى الْعَبْسِيَّةِ مَوْلَاةِ الْجَارِيَةِ ، وَأَعْطَاهَا مَالاً كَثِيراً ، فَأَبَتْ ، فَخَرَجَ الْفَتَى إِلَى

أمّ جَعْفَر ، فَكَتَبَ إِلَيْهَا قِصَّةً يَجْرُهَا فِيهَا بِخَبْرِهِ وَحَالِهِ ، فَأَمَرَتْ أَنْ تُشْتَرَى لَهُ ، فَبَيْنَمَا هُوَ يَتَنَجَّزُ ذَلِكَ إِذْ خَرَجَتْ جَارِيَةٌ مِنَ الْقَصْرِ فَقَالَتْ : أَيْنَ هَذَا الْعَاشِقُ ؟ فَأَوْمَأَ لَهَا إِلَيْهِ ، فَقَالَتْ : أَنْتَ عَاشِقٌ وَبَيْنَكَ وَبَيْنَ مَنْ تَحِبُّ الْجَسُورُ وَالْمَفَاوِزُ وَالْقَنَاطِرُ ، وَلَا تَدْرِي مَا يَكُونُ ؟ قَالَ : صَدَقْتَ ، وَقَامَ مِنْ مَجْلِسِهِ مُبَادِرًا ، فَكَتَبَ بَعْلًا ، فَمَاتَ يَوْمَ دَخُولِهِ الْكُوفَةَ .

ما لليالي وما لي

أنشدني أبو عبد الله الحسين بن عبد الله بن الشويح الارموي الفقيه بمصر
لنفسه :

ما لليالي وما لي يَطْلُبُنَ رُوحِي وَمَالِي
قد جِئْتَنِي بِمَحْلُوبٍ لم تَمُضْ يَوْمًا بِيَالِي
لَمَّا عَرَقْنَ عِظَامِي سَأَلْتَنِي كَيْفَ حَالِي
فَقُلْتُ قَوْلًا وَجِيزًا : الْحَالُ مَنِي بِحَالِي

يا جارة الحي

ولي من ابتداء قصيدةٍ نَظَمْتُهَا بِالشَّامِ فِي بَيْتِ أَبِي عَقِيلٍ ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ :
أَلَا هَلْ لِمَنْ أَضْنَاهُ حَبْلُكَ إِفْرَاقُ وَهَلْ لِلدَّيْغِ الْبَيْنِ عِنْدَكَ دِرْيَاقُ
وَهَلْ لِأَسِيرٍ سَامَهُ قَتْلَ نَفْسِهِ هَوَاكَ ، وَقَدْ زُمْتَ رِكَابُكَ ، إِطْلَاقُ

١ الخلوب : الخادعة بلطيف الكلام .

أيا جارةَ الحَيِّ الذين تَرَحَّلوا ، فليلعيس وَّخذُ بالخُمولِ وإعناقُ^١
 أَلْمَا تخافي الله في قتلِ عاشقٍ هجرته حتى في الكرى وهو مُشتاقُ
 فقالت، ورَوَعاتُ النَّوى تَسْتَحِثُّهَا ودَمَعُ ما قِيها على النَّحرِ مِهْرَاقُ :
 هو البينُ فالبس جنةَ الصِّبرِ، أو فمُتُ ببداءِ الهوى، قد ماتَ قَبْلَكَ عَشاقُ

رابعة العدوية الصوفية ونامها

أخبرنا القاضي أبو الحسين أحمد بن علي بن الحسين التوزي بقراءتي عليه قال : أخبرنا محمد بن
 عبد الله القطيبي قال : حدثنا الحسين بن صفوان قال : حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن
 محمد القرشي قال : حدثنا محمد بن ابن الحسين قال : حدثني عصام بن عثمان الحلبي قال :
 حدثني مسعم بن عاصم قال :

قالت لي رابعةُ العَدَوِيَّةُ : اعتلكتُ علَّةً قطعَتني عن التهجدِ وقيامِ
 الليلِ ، فَمَسَكْتُ أَيْمًا أقرأُ جزئي ، إذا ارتفعَ التَّهَارُ ، لما يُذكر فيه أنه
 يُعَدَّلُ بِقِيَامِ الليلِ . قالت : ثمَّ رَزَقَتني اللهُ، عزَّ وجلَّ ، العافيةَ فاعتادَتني
 فترةٌ في عقيبِ العَلَّةِ ، وكنتُ قد سَكَنْتُ إلى قراءةِ جزئي بالنهار ، فانقطعَ
 عني قيامُ الليلِ . قالت : فَبَيَّنَا أنا ذاتَ ليلةٍ راقدةٌ أُرِيتُ في مَنامي كأنِّي
 رُفِعْتُ إلى رَوْضَةٍ خضراءَ ، ذاتَ قصورٍ ونبتٍ حَسَنٍ ، فَبَيَّنَا أنا أجولُ
 فيها أتَعْجَبُ من حُسْنِها ، إذا أنا بطائرٍ أخضرٍ ، وجاريةٍ تُطاردهُ ،
 كأنَّها تريدُ أخذه ، قالت : فشغلتني حُسْنُها عن حُسْنِها ، فقلتُ : ما تريدن منه؟
 دعيه ، فوالله ما رأيتُ طائراً قطَّ أحسنَ منه .

قالت : بلى ، ثمَّ أخذت بيدي فأدارت بي في تلك الروضة حتى انتهت
 بي إلى بابٍ قصرٍ فيها ، فاستفتحت ، ففتِّحَ لها ، ثمَّ قالت : افتحوا لي

١ الرغد والاعناق : ضربان من السير .

بيتَ لَمَنقَةَ ، قالت : ففُتِحَ لها بابٌ شاعَ منه شعاعٌ استنارَ من ضوءِ نوره ما بين يديّ وما خلفي ، وقالت لي : ادخلي ، فدخلتُ إلى بيتِ يحارُ فيه البصرُ تَلالُواً وحسناً ، ما أعرفُ له في الدنيا شيئاً أشبههُ به .

فبينما نحنُ نجولُ فيه إذ رُفِعَ لنا بابٌ يُنفذُ منه إلى بُستانٍ ، فأهوتُ نحوه أنا معها ، فتلقنا فيه وُصفاءُ كأنَّ وُجوهَهُم اللؤلؤُ ، بأيديهِم المِجامرُ ، فقالتُ لهم : أين تُريدونَ ؟ قالوا : نريدُ فلاناً قُتِلَ في البَحْرِ شهيداً . قالت : أفلا تُجَمِرُونَ هذه المرأةَ ؟ قالوا : قد كان لها في ذلك حظٌّ فركتته . قالت : فأرسلتُ يديها من يدي ، ثمَّ أقبلتُ عليّ فقالت :

صَلَاتُكَ نُورٌ وَالْعِبَادَةُ رُقُودٌ وَنَوْمُكَ ضِدٌّ لِلصَّلَاةِ عِنْدُ
وَعَمْرُكَ غَنَمٌ إِنْ عَقَلْتَ وَمَهْلَةٌ يَسِيرٌ وَيَفْنَى دَائِماً وَيَبِيدُ

ثمَّ غابتُ من بينِ عينيَّ ، واستيقظتُ حينَ تبدَّى الفجرُ ، فواللهِ ما ذكرتها فتوهَّمتُها إلاَّ طاشَ عَقلي ، وأنكرتُ نفسي . قال : ثمَّ سقطتُ رابعةً مغشياً عليها .

معاذة وغايتها من صلاتها

أخبرنا أبو الحسين أحمد بن علي قال : حدثنا محمد بن عبد الله قال : حدثنا الحسين قال : حدثنا عبد الله قال : حدثنا محمد بن الحسين قال : حدثنا يحيى بن بسطام قال : حدثنا عمران بن خالد قال : حدثني أم الأسود بنت زيد المدوية ، وكانت معاذة قد أرضعتها ، قالت :

قالتُ لي معاذة ، لما قُتِلَ أبو الصَّهْبَاءِ وقُتِلَ ولدُها : واللهِ يا بُنَيَّةُ ! ما محبتي للبقاء في الدنيا للديدِ عيشٍ ، ولا لروحِ نسيمٍ ، ولكني واللهِ أحبُّ البقاءَ لأتقربَ إلى ربي ، عزَّ وجلَّ ، بالوسائلِ لعلَّه يجمعُ بيني وبين أبي الصَّهْبَاءِ ووالده في الجنة .

١ تجمرون : تبحرون بالطيب .

معاذة تبكي وتضحك عند احتضارها

ويأسناده قال : حدثنا محمد بن الحسين قال : حدثني روح بن سلمة الوراق قال :

سمعتُ عُمَيْرَةَ العابِدةَ تقول : بَلَغَتْنِي أَنْ مَعَاذَةَ العَدَوِيَّةَ ، لَمَّا احْتَضِرَتْ ، بَكَتْ ، ثُمَّ ضَحِكَتْ ، فَقِيلَ لَهَا : بَكَيْتَ ثُمَّ ضَحِكْتَ ، فَمِمَّ البُكَاءِ وَمِمَّ الضَّحْكِ ، رَحِمَكَ اللهُ ! قالت : أَمَّا البُكَاءُ فإِني ، وَاللهِ ، ذَكَرْتُ مُفَارَقَةَ الصَّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالذِّكْرِ ، فَكانَ البُكَاءُ لذلكِ . وَأما الَّذي رَأَيْتُمْ مِنْ تَبَسُّمِي وَضِحْكِ ، فَإِني نَظَرْتُ إلى أَبِي الصَّهْبَاءِ ، وَقَدْ أَقْبَلَ في صَحْنِ الدَّارِ ، وَعَلَيْهِ حُلَّتَانِ خَضِرَاوَانِ ، وَهُوَ في نَفْسٍ ، وَاللهِ ما رَأَيْتُ لَهُمْ في الدُّنْيَا شَبِهاً ، فَضَحِكْتُ لِئَلَيْهِ ، وَلا أَراني أُدْرِكُ بَعْدَ ذلكِ قَرَضاً . قال : فماتت قبل أن يدخل وقت الصلاة .

ذو الرثمة ومي

أبانا أبو جعفر محمد بن أحمد بن المسلمة قال : أبانا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال : حدثني محمد بن أحمد الكاتب قال : حدثنا أحمد بن أبي خيثمة عن محمد بن زياد الاعرابي قال : حدثني أبو صالح الفزاري قال :

ذُكِرَ ذُو الرِّثْمَةِ في مَجْلِسٍ فيه عِدَّةٌ مِنَ الأعرابِ ، فقال عَصْمَةُ بن مالِكِ الفَزاري شَيْخٌ مِنْهُمُ ، بَلَغَ مائةٍ وَعَشْرينَ سَنَةً : إِيَّايَ فَسَلَّوا عَنهُ ! كانَ حُلُوَ العَيْنينِ ، حَسَنَ المَضْحَكِ ، بَرَّاقَ السَّنابِيا ، خَفِيفَ العارِضينِ ، إِذا نازَعَكَ الكَلامَ لا تَسامَ حَدِيثَهُ ، وَإِذا أَنشَدَ أَبْرَّ وَحَسُنَ صَوْتُهُ . جَمَعَتِي وَإِياهُ مَرَبِعٌ مَرَّةً ، فَأَتاني فقال : هياَ عَصْمَةُ ! إِنَّ مِياً مَنقَرِيَّةً ، وَمِنقَرٌ أَحَبُّ حَيٍّ وَأَقوفُهُ لِأَثَرِ ، وَأَبْتُهُ في نَظَرِ ، وَأَعلمَهُ بِبَصَرِ ، وَقَدْ
.....
١ قاف الأثر : تتبَّعَهُ .

عرفوا آثارَ إيلي ، فهل من ناقمةٍ نردارُ عليها ميةً ؟ قال : إي والله ، الجودُ ذُرُّ بنتِ يمانية . قال : فعَلَيْنَا بِهَا ! فَجِئْتُ بِهَا ، فركبَ وَرَدَفْتُهُ ، ثمَّ انطَلَقْنَا حَتَّى نَهَيْطَ عَلَى مِيٍّ ، وَإِذَا الْحَيَّ خُلُوفٌ ، فَلَمَّا رَأَيْنَا النَّسْوَةَ عَرَفْنَا ذَا الرَّمَّةِ ، فَتَقَوَّضْنَا مِنْ بِيوتِهِنَّ حَتَّى اجْتَمَعْنَا ، وَأُنخْنَا قَرِيبًا ، وَجِئْنَا هُنَّ ، وَجَلَسْنَا ، فَقَالَتْ ظَرِيفَةٌ مِنْهُنَّ : أَنشِدْنَا يَا ذَا الرَّمَّةِ ، فَقَالَ لِي : أَنشِدْ هُنَّ ، فَأَنشَدْتُ قَوْلَهُ :

وَقَفْتُ عَلَى رَبْعٍ لَمِيَّةٍ نَاقَتِي ، فَمَا زِلْتُ أَبْكِي عِنْدَهُ ، وَأَخَاطِبُهُ
فَلَمَّا انْتَهَيْتُ إِلَى قَوْلِهِ :

نَظَرْتُ إِلَى أَظْعَانِ مِيٍّ كَأَنَّهَا ذُرَى النَّخْلِ ، أَوْ أَثْلٌ تَمِيلُ ذَوَائِبُهُ^١
فَأَسْبَلَتِ الْعَيْنَانِ وَالْقَلْبُ كَاتِمٌ بِمُغْرُورِقٍ نَمَّتْ عَلَيَّ سَوَاكِيهُ^٢
بَسْكَى وَآمِقٌ ، جَاءَ الْفِرَاقُ ، وَلَمْ يُجَلِّ جَوَائِلَهَا ، أَسْرَارُهُ أَوْ مَعَاتِبُهُ^٣
قَالَتْ الظَّرِيفَةُ : لَكِنِ الْيَوْمَ فليُجَلِّ ، ثُمَّ مَضَيْتُ . فَلَمَّا انْتَهَيْتُ إِلَى قَوْلِهِ :

وَقَدُّ حَلَكْتُ بِاللَّهِ مِيَّةٌ مَا الَّذِي أَحَادِيثُهَا إِلَّا الَّذِي أَنَا كَاذِبُهُ^١
إِذَنْ ، فَرَمَانِي اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَا أَرَى ، وَلَا زَالَ فِي أَرْضِي عَسَدٌ وَأَحَارِيهُ^٢
قَالَتْ مِيٍّ : وَيَحْكُ يَا ذَا الرَّمَّةِ خَفُّ عَوَاقِبِ اللَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ ، ثُمَّ مَضَيْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى قَوْلِهِ :

إِذَا سَرَحْتَ مِنْ حُبِّ مِيٍّ سَوَارِحٌ عَلَى الْقَلْبِ آتَتْهُ جَمِيعًا عَوَازِيهِ^٣

١ الاثل : شجر . ذوائبه : أراد أغصانه .

٢ لم يجل جوائلها : أي أن أسرارها ومعاتبه لم تنل مرادها .

٣ عوازيه : أي ذكرياته الماضية .

فقال الظريفة : قتلته قتلَكَ اللهُ ! فقالت مية : ما أصحّه وهنيئاً له .
قال : فتنفّسَ ذو الرّمة تنفّسةً كادَ جَرُّها يَطيّرُ بلحيتهِ ، ثمّ مضيتُ حتى
انتهيتُ إلى قوله :

إذا نازعتك القولَ ميةٌ أو بدداً لك الوجهُ منها أو نضاً الدرّعَ سالبه^١
فيساً لك من خددٍ أسيلٍ ومنطقٍ رحيمٍ ومن خلقٍ تعللَ جاذبه^٢
فقال الظريفة : هذا الوجهُ قد بدداً ، وهذا القولُ قد تُنزعُ ، فمن
لنا بأن يتنصّبَ الدرّعَ سالبه ؟ فالتفتتُ إليها ميّ فقالت : ما لك ، قاتلك
اللهُ ، ماذا تجنّين به ؟ فتصاحكت النسوةُ ، فقالت الظريفة : إنّ لهُذينِ
لشأناً ، فقمُ بنا عنهُما ، فقمُنِ ، وقمتُ فصرتُ إلى بيتٍ قريبٍ منهما
أراهُما ، ولا أسمعُ كلامهُما إلاّ الحرفَ بعد الحرفِ ، فوالله ما رأيتُهُ
برح مكانه ، ولا تحرك . وسمعتها تقول : كذبتَ والله ، فوالله ما أدري
ما الذي كذبتَه فيه ، فتحدّثنا ساعةً ، ثمّ جاءني ومعه قويريرةٌ فيها
دُهْنٌ طيبٌ ، فقال : هذه دُهْنَةٌ أتحمّفتنا بها ميّ ، فشأنك بها . وهذه
قلائدُ زوّدتناها للجوْذُرِ ، فلا والله لا قلّدتُهُنَّ بغيرِ أبدأ . ثمّ عقدهنّ
في ذؤابةٍ سيفه .

قال : فانصرفنا ، فلم نزلْ نختلفُ إليها ، مرّبتنا ، حتى انقضى .
ثمّ جاءني يوماً فقال : يا عصمةُ ! قد طعنّت ميّ ، فلم يبقَ إلاّ الديارُ ،
والنظرُ في الآثارِ ، فانهضُ بنا ننظرُ إلى آثارِها ، فخرّجنا حتى وقفنا على
ديارِها ، فجعلَ ينظرُ ثمّ قال :

ألا ، فاسلّمي يا دارَ ميّ على البلي ، ولا زالَ مُنهلًا بجرعائك القطرُ^٣

١ نضا : خلع . الدرّع : ثوب المرأة .

٢ الجرعاء : رملة مستوية لا تثبت شيئاً .

فإن لم تَكُونِي غيرَ شَامٍ بِقَفْرَةٍ ، يَجْرُ بِهَا الأَذْيَالُ صَيْفِيَّةٌ كُدْرًا
 ثمَّ انتَضَحَتْ عَيْنَاهُ بِعَبْرَةٍ ، فقلتُ : مَهْ ! فقال : إني لِحَلْدٌ ، وإن
 كَانَ مِنِّي مَا تَرَى ، فَمَا رَأَيْتُ صَبَابَةً قَطُّ ، وَلَا تَجَلَّدًا أَحْسَنَ مِنْ صَبَابَتِهِ
 وَتَجَلَّدَهُ يَوْمئِذٍ ، ثمَّ انصَرَفْنَا ، فَكَانَ آخِرَ العَهْدِ بِهِ .

تآلفا في الحياة وفي الممات

أَبَانَا ابو بكر أحمد بن علي بن ثابت قال : حدثنا علي بن أيوب القمي قال : حدثنا أبو عبيد الله
 محمد بن عمران قال : حدثنا عبد الله بن محمد بن أبي سعيد قال : حدثني اسحاق بن محمد
 النخعي قال : حدثني معاذ بن يحيى الصنماني قال :

خَرَجْتُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى صَنْعَاءَ ، فَلَمَّا كَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ صَنْعَاءَ خَمْسُ
 سَاعَاتٍ رَأَيْتُ النَّاسَ يَنْزِلُونَ عَنْ مَحَامِلِهِمْ وَيَتْرَكُونَ دَوَابَّهُمْ ، فَقُلْتُ :
 أَيْنَ تَرِيدُونَ ؟ قَالُوا : نُرِيدُ أَنْ نَنْظُرَ إِلَى قَبْرِ عَفْرَاءَ وَعَرُورَةَ ، فَانزَلْتُ عَنْ
 مَحْمَلِي وَرَكِبْتُ حِمَارِي ، وَاتَّصَلْتُ بِهِمْ ، فَاثْتَهَيْتُ إِلَى قَبْرَيْنِ مُتَلَاصِقَيْنِ ،
 قَدْ خَرَجَ مِنْ كِلَا الْقَبْرَيْنِ سَاقُ شَجْرَةٍ ، حَتَّى إِذَا صَارَا عَلَى قَامَةِ التَّفَا ،
 فَكَانَ النَّاسُ يَقُولُونَ : تَأَلَّفَا فِي الحَيَاةِ وَفِي المَمَاتِ .

الهوى إله معبود

وِبِإِسْنَادِهِ قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى قَالَ : حَدَّثَنَا عُونَ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ : حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ الْمَوْصِلِيُّ
 قَالَ : قَالَ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ :

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : الهَوَى إله معبود ! فَقِيلَ لَهُ : أَتَقُولُ ذَلِكَ ؟ فَقَالَ :
 قَالَ اللهُ تَعَالَى : أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ .

١ الشام ، الواحدة شامة : الخلال ، فكتة سوداء في الوجه . شبه دار مية بها . الصيفية الكدر :
 السحابة التي تطلع في الصيف منكدرة . اراد سحائب صيفية كدر .

عمر بن عون وحيلته يا

أخبرنا أبو طاهر أحمد بن علي السواق قال : حدثنا محمد بن أحمد بن فارس الحافظ قال : أخبرنا أبو الحسين الزبيبي قال : حدثنا محمد بن خلف بن الرزياني قال : حدثنا أبو الفضل المروزي قال : حدثني أبو عبد الله محمد بن صالح قال :

كان فتى من بني مرة يُقال له عمر بن عون ، وكان يُحبّ جارية من قومه يُقال لها بيا بنت الرُكَيْن ، فتزوجها رجل من قومه يُقال له دُهَيْم ، وأبت بيا إلا حُبَّ عُمَرَ بن عون ، وأبى عمر إلا حُبَّها وقول الشعر فيها ، فخرجَ زوجها بها هارباً منه حتى وقع باليمن في بني الحارث ابن كعب ، فطلبها عمر ، فخطبَ عليه أمرها ، ولم يعلم موضعها ، فمكثَ حيناً يبكي ويبكي له من عرفه ؛ ثم خرجَ حاجباً على ناقة له ، ومعه صحابة له ، وقال : لعلي أتعلقُ بأستارِ الكعبة ، أسألُ الله ، فعتى أن يرحمسي ، فيردّها عليّ ، أو يذهبَ بقلي عن حُبِّها .

فلما كان بعيني نظرتُ إليه فتى من بني الحارث بن كعب ، فأعجبته ، فجلستُ إليه يتحدّثُ معي ، وأنشدَهُ عُمَرُ بعضَ شعره في بيا ، وشكّنا إليه بعضَ ما هو فيه من البلاء ، فرقّ له ، فقال الفتى ، وسأله عن صفتها وصيفة زوجها ، فوصفها له ، فقال الفتى : عندي خبرُ هذه المرأة ، وهذا الرجل ، منذُ سنّوات ، فخرّ عُمَرُ لله تعالى ساجداً ، ثمّ سأله عن حالها ، فذكرَ له أنّها سالمة ، وأنّها باكيةٌ حزينةٌ لا يهنؤنها شيءٌ من العيش . فقال له عمر : هل لك في صنيعةٍ عند من يُحسِنُ الشكْرَ ؟ فقال له الفتى : أفلُ ماذا ؟ قال عمر : تخلفُ عن أصحابك ، وأتخلفُ عن أصحابي حتى لا يكونَ عند أحدٍ منّا عليمٌ ، ثمّ أمضي معك مُتكرراً . فقال الفتى : ذلك لك في عُنقي .

فلما كان النفرُ تخلفَ كل واحدٍ منهما عن صاحبه ، وأقاما بمكة

أياماً ثلاثة أو أربعة حتى ارتحل الحاج ، ثم مضى حتى وصل الفتي إلى أهله ، فأدخله مع امرأته وأخته في منزلهما ، ومضى إلى بيا ، وأخبرها ، فكانت تبيته كل يوم فيتحدثان ويشكوان ما كانا فيه من البلاء والوحشة .
 واستراب زوجها بغشيانها ذلك البيت ، ولم تكن من قبل تغشاه ، ولا تقرب أهلها ، واستراب بطيب نفسها ، وأنها ليست كما كانت ، فخرج في رقة إلى نجران على أن يغيب عشر ليال ، فأقام ليلتين مختفياً في موضع ، ثم أقبل راجعاً في الليلة الثالثة ، وقد أمته عمر ، وظن أنه قد ذهب فاتاها ، ففرشت له بساطاً قدام البيت ، فتحدثتا ثم غلبهما النوم ، وهي مضطجعة على جانب البساط ، وعمر على جانبه الآخر ، فأقبل الزوج ، فوجدتهما على تلك الحال ، فنظر في وجه عمر ، فعرقه فأبته ، وانتبه عمر ، فوثب بالسيف فرعاً . فقال له الزوج : ويلك يا عمر ما يُنجيني منك بر ولا بحر .

فقال عمر : يا ابن عمي ! ما أنا على ريبة ، وما يسألني الله تعالى عن أهلك عن قبيح قط ، ولكن نشأت أنا وهي فألفتها وألفتني ، ونحن صبيان ، فلست أعطى عنها صبراً ، وما بيننا شيء أكثر من هذا الحديث الذي ترى .

قال له الزوج : أمّا أنا فلم أهرب إلى هذه البلاد إلا منك ، فأما بعد أن صحّ عندي من عفتك وصدق قولك فإني لا أهرب منك أبداً .
 فأقاموا سنّوات ، وهم على تلك الحال ، فمات عمر وجداً بها ، فكانت تبكي عليه الدماء ، فضلاً عن الدموع ، ثم مات دهميم بعد ذلك وعمرت هي .

التقي عزيز^١

وياسناده قال : وأخبرني محمد بن سعد قال :

أنشدني رجُلٌ من النِّسَّاكِ :

ما للتَّصَبَّرِ ، ما أعلاهُ من عَمَدٍ ، قد يُورِثُ الصَّبْرُ أهلَ الصَّبْرِ إحسانا
كم عاشِقٍ ماتَ شَوْقاً في تَعَدَّ به ، وَعَاشِقٍ حالَ مَنْ يَهْوَاهُ أحياناً
لا شيءَ أعلى من التَّقْوَى وصُحبتِها ، إنَّ التَّقِيَّ عَزِيزٌ حَيْثُ ما كانا

لا تنفع الرقي

ولي من أثناء قصيدة :

يا لَهْفَ قَلْبِي اليَوْمَ ما بَالُهُ ، يُعَاوِدُ النُّكْسَ ، إذا فُرِّقا
هلْ سَلْوَةٌ؟ هَيْهَاتَ لا سَلْوَةٌ ، قد بَلَغَ السَّيْلُ الزُّبِّيَ وارْتَقَى^١
لا تَرَقِيًّا في حُبِّه ذَا هَوَى ، فَالْحُبُّ لا تَنْفَعُ فِيهِ الرُّقَى^٢

١ الزبي، الواحدة زبية : الراية لا يعلوها ماء، وبلغ السيل الزبي مثل معناه: إن الأمر قد اشتد وانتهى إلى غاية بعيدة .

٢ ترقيا: تستملا الرقية وهي أن يستمان على أمر بقوى تفوق القوى الطبيعية في زعمهم أو وهمهم .

ماتت على القبر

أخبرني أبو عبد الله محمد بن أبي نصر قال : حدثني الفقيه أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد
الاندلسي قال : أخبرنا القاضي أبو محمد عبد الله بن الربيع قال : حدثنا أبو علي القالي اسماعيل
ابن القاسم قال : حدثنا ابن دريد قال : حدثنا عبد الرحمن عن عمه قال :

رَأَيْتُ بِالْبَادِيَةِ امْرَأَةً عَلَى رَاحِلَةٍ تَطُوفُ حَوْلَ قَبْرِ وَهْيَ تَقُولُ :
يَا مَنْ بِمَقْلَتِهِ زَهَى الدَّهْرُ ، قَدْ كَانَ فِيكَ تَضَاءَلِ الْأَمْرُ
زَعَمُوا قَتَلْتِ ، وَمَا لَمْ خَبِرْ ، كَذَبُوا ، وَقَبْرِكَ ، مَا لَمْ عُدُّوا
يَا قَبْرَ سَيِّدِنَا عَلَيْكَ رِضًا ، صَلَّى إِلَيْنِهِ عَلَيْكَ يَا قَبْرُ
مَا ضَرَّ قَبْرًا قَدْ سَكَنْتَ بِهِ ، إِلَّا يَمُرُّ بِأَرْضِهِ الْقَطْرُ
فَلْيَنْبَعْنَ جُودُكَ فِي تَرْبِهِ ، وَلْيُورِقَنَّ بِقُسْرِكَ الصَّخْرُ
وَإِذَا غَضِبْتَ تَصَدَّعَتْ فَرْقًا ، مِنْكَ الْجِبَالُ ، وَخَافَكَ الذُّعْرُ
وَإِذَا رَقَدْتَ ، فَأَنْتَ مُنْتَمِيهِ ، وَإِذَا انْتَبَهْتَ ، فَوَجْهَكَ الْبَدْرُ
وَاللَّهِ ! لَوْ بِيكَ لَمْ أَدَعْ أَحَدًا ، إِلَّا قَتَلْتُ لِفَاتِي السُّوْتْرُ
قال : فدنوتُ منها لأسألها عن أمرها فإذا هي ميتة .

إسحاق وزهر الأعرابية

وربما سنده قال : حدثنا القالي قال : حدثني جسطة قال : حدثني حماد بن إسحاق الموصلي قال :

حدثني أبي قال :

كُتِبَ إِلَيَّ زَهْرُ الْأَعْرَابِيَّةِ ، وَقَدْ غَابَتْ عَنِّي ، كِتَابًا فِيهِ :

وَجَدِي يَجْعَلُ ، عَلَيَّ أَنْتِي أَجْمَعِيهِ ، وَجَدُ السَّقِيمِ بِبُرْءٍ بَعْدَ إِزْفَافٍ

١ الوتر : الثار .

٢ الإزفاف لملها من قولهم : هو يزفرف من الحمى أي يرتعد ، لأن الإزفاف السرعة ، ولا معنى له هنا .

أَوْ وَجَدُ تُكَلِّي أَصَابَ الْمَوْتُ وَاحِدَهَا ، أَوْ وَجَدُ مُشْتَعِبٍ مِنْ بَيْنِ الْأَفْرِ
 قَالَ حَمَّادٌ : قَالَ لِي أَبِي ، فَكَبَيْتُ إِلَيْهَا :
 اقْرَأِ السَّلَامَ عَلَى زَهْرٍ إِذَا شَحَطْتَ ، وَقُلْ لَهَا : قَدْ أَذَقْتُ الْقَلْبَ مَا خَافَا
 أَمَا أَوَيْتَ لِمَنْ قَدْ بَاتَ مُكْتَشِبًا ، يُنْزِرِي مَدَامِعَهُ سَحًّا وَتَوَكَّافًا
 فَمَا وَجَدَتْ عَلَى الْإِنْفِ أَفَارِقُهُ ، وَجَدِي عَلَيْكَ ، وَقَدْ فَارَقْتُ آلاَفَا

الضيف الضائع

وربما سنده قال : حدثنا القائل قال :

أَنْشَدْنَا ابْنَ دُرَيْدٍ وَلَمْ يُسَمَّ قَائِلًا وَلَا عَزَاهُ إِلَى أَحَدٍ :
 أَلْ لَيْلِي ! إِنْ ضَيَّفَكُمُ ضَائِعٌ فِي الْحَيِّ مَدُّ نَزَلَا
 أَمْكِنُوهُ مِنْ تَنْبِيئِهَا ، لَمْ يُرِدْ خَمْرًا وَلَا عَسَلًا

١ الملشمب : المتجاهد .

٢ أويت : عطفت .

٣ الثانية : من أسنان مقدم الغم .

التفاح بدل الجمار

أنبأنا أبو الحسين أحمد بن علي بن الحسين التوزي قال : أخبرنا أبو القاسم اسماعيل بن سويد
المدل قال : حدثنا أبو علي الحسين بن القاسم الكوكبي قال : أخبرني ابن الأصم قال : قال
لي بعضهم :

رَأَيْتُ بِيغْدَادَ فِي وَقْتِ الْحَجِّ فَتَى ، وَمَعَهُ تَفَّاحٌ مُغْلَفٌ ، فَانْتَهَى إِلَى سَوْرٍ
فَوَقَفَ تَحْتَهُ ، فَاطَّلَعَ عَلَيْهِ جَوَّارٌ كَأَنَّهُنَّ الْمَهَا ، فَأَقْبَلَ يَرْمِيَهُنَّ بِذَلِكَ التَّفَّاحِ ،
فَقُلْتُ لَهُ : أَلَيْسَ كُنْتَ مَعْتَرِماً عَلَى الْحَجِّ ؟ فَقَالَ :

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْحَجَّ قَدَ أَنْ وَقْتُهُ ، وَأَبْصَرْتُ بُزْلَ الْعَيْسِ بِالرَّكْبِ تَعْسِفُ^١ ،
رَحَلْتُ مَعَ الْعُشَّاقِ فِي طَلَبِ الْهُوَى ، وَعَرَفْتُ مِنْ حَيْثُ الْمُحِبُّونَ عَرَفُوا^٢ ،
وَقَدَ زَعَمُوا أَنَّ الْجِمَارَ قَرِيضَةٌ ، وَتَارَكَ مَفْرُوضِ الْجِمَارِ يُعَنَّفُ^٣ ،
فَهَيَّاتُ تَفَّاحاً ثَلَاثاً وَأَرْبَعاً ، فزُعِفَ لِي بَعْضٌ وَبَعْضٌ مُغْلَفٌ ،
وَقُمْتُ حِيَالَ الْقَصْرِ نِمْ رَمَيْتُهُ ، فَظَلَّتْ لَهَا أَيْدِي الْمِلَاحِ تَلَقَّفُ ،
وَأَنِي لِأَرْجُو أَنْ تُقْبَلَ حِجَّتِي ، وَمَا ضَمَّتِي لِلْحَجِّ سَعْيٌ وَمَوْقِفُ

١ البزل ، الواحد بازل : البعير الذي طلع نابه . العيس : الجمال الكريمة ، الواحدة عيساء .
تعسف : تسير على غير هدى .
٢ عرف : ذهب إلى عرفات .
٣ رمي الجمار : من مناسك الحج .

قمرية الوادي

أبانا القاضي أبو الحسين أحمد بن علي التوزي قال : حدثنا اسماعيل بن سويد قال : حدثنا الكوكبي قال : حدثني أبو الحسن بن الأصمغ قال :
كان فتى من بني عُدرة يتعشق ابنة عم له ، فبلغه أن فتى أسود يأتيها لريبة ، فغمه ذلك ، فمر يوماً ببابها ، فقال :
شابت أعالي قروني وأمحى شعري ، مما أحدثت عن قمرية الوادي
نبتت أن غراباً بكت محتضناً قمرية بين أغصان وأعواد
فلما سمعت شعره خرجت ، فاعتذرت إليه ، وآلت أن لا تعرف
ذكراً غيره ، فلم يزل يحنال حتى تزوجها .

الصوفي وغلामه

أخبرنا أبو اسحاق إبراهيم بن سعيد بمصر قال : أخبرنا أبو صالح السمرقندي قال : حدثنا أبو عبد الله الحسين بن القاسم بن اليسع بالقرافة قال : حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن عمر الدينوري قال : حدثنا أبو محمد جعفر بن عبد الله الصوفي قال : حدثني أبو المختار الضبي قال : حدثني أبي قال :

قلت لأبي الكُميت الأندلسي ، وكان جوالاً في أرض الله ، عز وجل :
حدثني بأعجب ما رأيته من الصوفية ا قال : صحبت رجلاً منهم يقال له مهران ، وكان مجوسياً ، فأسلم وتصوف ، فرأيت معه غلاماً جميلاً لا يفارقه ، فكان إذا جاء الليل ، قام فصلتي ثم يتام إلى جانبه ثم يقوم فزعاً ، فيصلي ما قدر له ، ثم يعود فينام إلى جانبه أيضاً ، حتى يفعل ذلك في الليلة مراراً ، فإذا أسفر الصبح ، أو كاد أن يسفر ، أو تر ثم رقع

يَدَّيْهِ ، فقال : اللهم إنك تعلمُ أنَّ اللَّيْلَ قد مضى عليَّ سليماً لم أقارِفْ فيه فاحِشَةً ، ولا كَتَبْتَ الحَقِيقَةَ عليَّ فيه مَعْصِيَةً ، وأنَّ الذي أضْمِرُهُ في قلبي لو حَمَلْتَهُ الجبالُ لتَصَدَّعتْ ، أو كان بالأرض لتدكدككت .

ثمَّ يقول : يا ليلُ اشهد بما كان مني فيك ، فقد منعتني خوفُ الله ، عزَّ وجلَّ ، عن طلبِ الحرامِ والتعرُّضِ للآثامِ .

ثمَّ يقول : يا سيدي ! أنت اجمعُ بيننا على تقي ، ولا تفرِّقُ بيننا يومَ تُجمَعُ فيه الأُحبابُ .

فأقيمتُ معه مدَّةً طويلةً أراهُ يفعلُ ذلكُ في كلِّ ليلةٍ ، وأسمعُ هذا القولَ ، فلما هممتُ بالانصرافِ من عنده قلتُ له : سمعتك تقول ، إذا انقضى اللَّيْلُ : كذا وكذا . فقال : أو قد سمعتني ؟ قلتُ : نعم ! قال : فواللهِ يا أخي إنني لأداري من قلبي ما لو داراه سلطاننا من رعيته ، لكان من الله حقيقاً الميرة .

فقلتُ : وما الذي يدعوكَ إلى صُحبةٍ من تخافُ على نفسك العنتَ من قبلكَ ؟ وذكرَ كلاماً اختصرته .

الصوفي المتكشف

ويُسنادُه قال : قال أبو حمزة محمد بن إبراهيم الصوفي : حدثني الصلت بن جهرام المجاشعي قال : حدثني محمد بن الخضر التيمي قال :

كان أبو عمرو الضبَّابي من أحسن من رأيتُه وجهاً ممتن يَصْحَبُ الصَّوْفِيَّةَ ، وكان لا يُرافقُ أحداً ولا يُجالسُهُ ولا يُلبسُهُ إلا في طريقٍ ، فأتاني ذاتَ يومٍ ، ونحنُ ببلادِ الرُّومِ ، فقال : هل لك في مُرافقتي ، فإنني قد ملكْتُ الوَحْدَةَ ، وطالَّتْ عليَّ الوَحْشَةُ . فقلتُ : علي خِلالٍ ثلاث .

قال : وَمَا هِيَ ؟

قلتُ : على أن لا أراك ضاحكاً إلى أحد من خلقِ الله ، ولا مشتغلاً
بغيرِ طاعةِ الله ، عزَّ وجلَّ ، ولا تعمل عملاً حتى أقول لك .
قال : قد فعلتُ .

وكان معي لا يُفارقني في حجِّ ولا غزو ، فكنتُ أرى منه أموراً أعلمُ
أنَّ الله سيرفعه بها في الدنيا والآخرة من حسنِ صلاته وكثرةِ صيامه وطولِ
صمته وقلةِ كلامه ، فقلتُ له ، ذاتَ يومٍ ، لأتبيِّنَ معرفةَ عقله : ألا أشترى
لك جارية ؟

فقال : وَمَا أَصْنَعُ بِهَا ؟

قلتُ : ما يصنعُ الرجلُ بملكِ يمينه !

فقال : لو أردتُ هذا لم أتركُ أهلي وأشخصُ عن وِطني وأخرجُ عن
دياري ، ولكانَ لي منهم مَنعٌ وني المقامُ معهم مُتسعٌ .
فقلتُ : ألقِ هذا الصوفَ عنك ، فإنه قد أثرَ بيدك ، وتَهكَّ
جِسْمُكَ .

فقال : أتأمرني أن ألقى عني ثوباً أتقربُ إلى الله ، عزَّ وجلَّ ، بخشونته
ورِيحه ، وأنا أرجو منه حُسنَ الثوابِ عليه عند مُنقَلبي إليه .

قلتُ : فهل لك أن تُفطِرَ فإنَّ الصيامَ قد أخلك والظمأ قد غيرك ؟

فقال : سبحانَ الله ، ما أعجبَ ما تأمرني به ! هل الدنيا إلاَّ يؤمان ،
يومٌ قد مضى عليَّ ويومٌ أنا فيه لا أدري بما يُختمُ لي من رَحمةٍ أو عذابٍ ،
فإنَّ عذابي وأنا على حالةٍ أتقربُ إليه بها ، فهو أجدرُ أن يعذبني إذا
فعلتُ أمراً أنا فيه مقصّرٌ .

فقلتُ : فصمَّ يوماً وأفطر يوماً .

فقال : ذلك صومُ الأبرار ، ومن أمِنَ النَّارَ ، الذين علموا أنَّ الله ،
عزَّ وجلَّ ، مستجاوزٌ عنهم ، وقابلٌ منهم ، فأما أنا فأنت تعلمُ أنني غيرُ

عالم بما سبقَ عليّ في الكتابِ من شقاءٍ وسعادةٍ ، وآله لئن عذبني الله على طاعته أحبّ إليّ من أن يغفرَ لي وأنا على معصيته ، على أنه غيرُ جائزٍ على من خلّقه ولا معذبٌ له إلا بدنبٍ .

قلت : أفلا أشترى لك وطاءً تنامُ عليه ؟

فقال : وأيّ وطاءٍ أو طأ من ظهر الأرض ، وقد سماه الله ، عزّ وجلّ ، مهاداً ، وآله لا أفترسُ فراشاً ولا أتوسدُ وساداً ، حتى ألحقَ بالله ، عزّ وجلّ .

فقلت : فهل لك أن تُريحَ نفسك في هذه الغزاة ، وتُرجعَ ؟

فقال : وأعجبه من قولك ! تأمرني أن أرجعَ عن الجنة ، وقد فُتحَ لي بابها ، وآله لا أزالُ أعرضُ نفسي على الله تعالى لعله يقبلني ، فإن رزقي ونحسبي بالشهادة ، فهو الذي كنتُ أحاولُ وبه أطلبُ ، فإن حرمني ذلك فبالذنوب التي سلفتُ ، وأنا أسألُ الله أن يفضّلَ عليّ بما سألتُهُ ، ويُجيبني في ما دعوته .

فغزاً معنا ، ونحنُ في خلقٍ كثيرٍ مع محمد بن مُصعب ، فلقينا العدو ، فكان أولَ من جرح ، فوقفْتُ عليه ، فقلتُ : أبشِرْ بثوابِ الله ، عزّ وجلّ ، فقد أعطاك الرضا ، وفوقَ المزيد .

فقال بصوتٍ ضعيفٍ : الحمدُ لله على كلِّ حالٍ ، لقد نظرتُ إلى كلِّ ما تمنيتُ ، وفوقَ ما اشتهيتُ ، وبلغتُ ما أحببتُ ، وأدركتُ ما طلبتُ من حورٍ وولدانٍ وسلسبيلٍ وريحانٍ ، وإيالكِ والتقصيرِ ، لعلَّ الله ، عزّ وجلّ ، أن يُبَلِّغَكَ ما بلّغني ويرزُقَكَ ما رزقني ، ثمّ فاضتَ نفسه .

أبو اسماعيل وفتح الموصل

حدث جعفر الخالدي قال : حدثنا أحمد بن مسروق قال : حدثنا محمد بن الحسين قال : حدثنا عبد الله بن الفرج العابد قال :

كان بالموصل رجلٌ نصراني يُكنى أبا إسماعيل ، قال : فمرّ ذات ليلة برجلٍ ، وهو يتهدّد على سَطْحِهِ ، ويقرأ : وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً ، وإليه ترجعون . قال : فصرخ أبو إسماعيل صرخةً وغشي عليه ، فلم يزل على حاله تلك ، حتى أصبح ، فلما أصبح أسلم ، ثم أتى فتحاً الموصل فاستأذنه في صحبته ، فكان يصحبه ويخدمه .

قال : وبكى أبو إسماعيل حتى ذهبت إحدى عينيه وغشي على الأخرى . فقلتُ له ذات يوم : حدثني ببعض أمر فتح .

قال : فبكى ثم قال : أخبرك عنه ، كان والله كهيفة الروحانيين معلق القلب بما هناك ، ليست له في الدنيا راحة .

قلت : على ذلك ؟

قال : شهدت العيد ذات يوم بالموصل ، ورجع بعدما تفرق الناس ، ورجعتُ معه فنظر إلى الدخان ينفور من قواحي المدينة ، فبكى ثم قال : قد قرب الناس قربانهم ، فليت شعري ما فعلتُ في قرباني عندك أيها المحبوب ! ثم سقط مغشياً عليه ، فجتُ بماء فمسحتُ به وجهه ، فأفاق ثم مضى حتى دخل بعض أزقة المدينة ، فرفع رأسه إلى السماء ثم قال : قد علمت طول غمي وحزني وتردادي في أزقة الدنيا ، فحتى متى تجبسني أيها المحبوب ؟ ثم سقط مغشياً عليه ، فجتُ بماء ، فمسحتُ على وجهه ، فأفاق فما عاش بعد ذلك إلا أياماً ، حتى مات ، رحمه الله .

النفس حيث يجعلها الفتي

أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري قراءة عليه قال : أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس ابن محبوب قال : حدثنا محمد بن خلف بن المرزباني قال : أخبرني أبو عبد الله أحمد بن عبد الرحيم عن العباس بن علي قال : حدثني بعض أهل المدينة قال :

دعاني فتى من أهل المدينة إلى جارية تُغَنِّي ، فلما دخلنا عليها ، إذا هي أحسنُ الناس وجهاً ، وإذا بها انخرائط^١ وجه وسهو وسكوت ، فجعلنا نَبْسُطُها بالمزاح والكلام ، ويمنعها من ذلك ما تكتمه ، فقلتُ في نفسي : والله إنَّ بها لتهيماً ، وطائفاً من الحب ، فأقبلتُ عليها ، فقلت : بالله لَمَّا صدقتني ما الذي بكِ ؟ فقالت : برحُ الذكْرِ ، ودوامُ الفكرِ ، وخلوُ النهارِ ، وتَشَوُّقُ إلى من سارَ ، والذي يرى ما وصفتُ لك ، فإن كنتَ ذا أدبٍ صرفتَ العتبَ عن ذي الكَرَبِ واجتهدتَ في الطَلَبِ لدواء من قد أشرفَ على العَطَبِ ، كما قال الشاعر ، وأخذتِ العودَ ، فغنت :

سَيُورِدُنِي التَّدَاكِرُ حَوْضَ المَهَالِكِ فَلَسْتُ لَتَذَكَرِ الحَبِيبِ بِتَارِكِ
أبى الله إلا أنْ أموتَ صَبَابَةً ، وَلَسْتُ لِمَا يَقْضِي الإلهُ بِمَالِكِ
كَأَنَّ بقلبي حينَ شَطَّتْ بهِ النَّوَى ، وَخَلَّفَنِي فَرْدًا ، صُدُورَ النَّيَازِكِ^٢
تَقَطَّعَتِ الأَخْبَارُ بَيْتِي وَبَيْنَسَهُ ، لِيُبْعِدَ النَّوَى ، وَاسْتَدَّ سُبُلَ المَسَالِكِ

قال : فوالله لقد خفتُ أن أسلبَ عقلي لما غنَّت ، فقلت : جعلني الله فداك ، وهو الذي صيرك إلى ما أرى يستحقُّ هذا منك ! فوالله إنَّ النَّاسَ لكثيرٌ ، فلو تَسَلَّيتَ بغيره فلعلَّ ما بكِ أن يَسْكُنَ أو يَخِيفَ ،

١ انخرائط : دقة ، هزال .

٢ النيازك ، الواحد فيزك : الرمح القصير .

فقد قال الأول :

صَبَرْتُ عَلَى اللَّذَاتِ ، لَمَّا تَوَلَّتِ ، وَأَلْزَمْتُ نَفْسِي صَبْرَهَا ، فَاسْتَمَرَّتِ
وَمَا النَّفْسُ إِلَّا حَيْثُ يَجْعَلُهَا الْفَى ، فَإِنْ أَطْمَعْتَ نَاقَتَهُ ، وَإِلَّا تَسَلَّتِ
فَأَقْبَلْتُ عَلَيَّ فَقَالَتْ : قَدْ وَاللَّهِ رُمْتُ ذَلِكَ ، فَكُنْتُ كَمَا قَالَ قَيْسُ بْنُ
الْمَلُوحِ :

وَلَمَّا أُنِيَ إِلَّا جَمَاحاً فَوادُهُ ، وَلَمْ يَسْأَلْ عَنِ لَيْلِي بِمَالٍ وَلَا أَهْلِ
تَسَلَّى بِأَخْرَى غَيْرِهَا ، فَإِذَا لَيْتِي تَسَلَّى بِهَا تُغْرِي بِلَيْلِي وَلَا تُسَلِّي
قال : فَأَسْكَتَنِي وَاللَّهِ بِنَوَاتِرِ حَجْجِهَا عَنِ مُحَاوَرَتِهَا ، وَمَا رَأَيْتُ
كَمَنْطِقِهَا وَلَا كَشَكْلِهَا وَأَدْبِهَا وَكَمالِ خُلُقِهَا .

العظة الناجمة

أخبرنا أبو الحسين أحمد بن علي بن الحسين التوزي قال : أخبرنا أبو الحسين محمد بن عبد الله
قال : أخبرنا الحسين بن صفوان قال : حدثنا عبد الله بن محمد قال : حدثني الحسين بن عبد
الرحمن قال : حدثني محرز أبو القاسم الجلاب قال : حدثني سمدان قال :

أمر قوم امرأة ذات جمال بارع ، أن تتعرض للربيع بن خيثم ، ففعلتها
تفتنه ، قال : وجعلوا لها ، إن هي فعلت ، ألف درهم ، فلبست أحسن
ما قدّرت عليه من الثياب ، وتطيبت بأطيب ما قدّرت عليه ، ثم تعرضت
له حين خرج من مسجده ، فنظر إليها في تلك الحال ، فرأه أمرها وجمالها ،
ثم أقبلت عليه ، وهي سافرة ، فقال لها الربيع : كيف بك لو نزلت
الخمسة بجسمك فغيرت ما أرى من نورك وبهجتك ؟ أم كيف بك لو
نزل بك ملك الموت ففقطعت منك جبل الوتين ؟ أم كيف بك لو سألك
مُنْكَرٌ وَتَكْبيرٌ ؟ فصرخت صرخة ، وخرت مغشياً عليها ، قال : فوالله
لقد أفاقت وبلغت من عبادتها أنها يوم ماتت كانت كأنها جلد محترق .

الحبّ الصارع

وجدت بخط أحمد بن محمد بن علي الابنوسي ، رحمه الله ، قال : حدثنا أبو محمد بن مغيرة الجوهري قال : حدثنا أحمد بن محمد أبو عيسى قال :

أنشدنا أبو العباس المبرد لأمّ الضحّاك المحاربية :

الحُبُّ أَوْلُ مَا يَكُونُ وَلَعٌ ، وَإِذَا تَمَسَّكَنَ فِي الْفُؤَادِ صَرَخُ
وَيَبْلِي مِنَ الْحُبِّ الَّذِي شَقَّيْتِي ، مَاذَا عَلَيَّ مِنَ الْهُمُومِ جَمَعَ

أم سبعة أنبياء

أخبرنا القاضي أبو الحسين أحمد بن علي الحسين المحتسب قال : حدثنا محمد بن عبد الله القطيعي قال : حدثنا الحسين بن صفوان قال : حدثنا عبد الله بن محمد قال : حدثنا سعيد بن يعقوب الطالقاني قال : حدثنا المعتز بن سليمان عن أبي كعب الحريري عن الحسن

أنّ امرأةً من بني إسرائيل كانت أعطيت من الجمال عجباً ، قال : فبلغ من أمرها أنّها كانت لا تُمكنُ من نفسها إلاّ من أعطاها مائة دينارٍ ، فاتخذت سريراً من ذهب ، فأبصرها رجلٌ من العابدين ، فأعجبته ، فانطلق فالتمسّسَ وابتغى ، وتَمَحَّل ، أو كما وُصِفَ ، حتى جمع مائة دينارٍ ، فأتاها بها ، فقال : إني رأيتك فأعجبتي ، فانطلقتُ فتَمَحَّلْتُ وابتغيتُ ، حتى جمعتُ مائة دينارٍ .

قالت : فادفعها إلى الجِهيدِ ينتقدها ، ففعل ، فقالت للجِهيدِ : انتقدها ! قال : نعم ! قال : فتهيأتُ ، كما كانت تتهيأ ، وجلستُ على سريرها ، فلمّا جلستَ منها مكانَ الرجلِ من امرأته ذكره الله تعالى

١ الجهيد : الناقد العارف حميد الدراهم من رديتها .

برحمته ، فانقبضت إليه نفسه ، فقام عنها فقال : المائة دينار لك ، افتحي الباب ! فقالت : وما رأيت ؟ ألسنت زعمت أنك رأيتني فأعجببتك فتمسحت وأبتغيت حتى جمعت مائة دينار ، فما رأيت ؟
قال : ليس في الأرض شيء أبغض إلي منك .
قالت : وما رأيت ؟ قال : هذا شيء لم أفعله قط .
قالت : ما قال لي هذا أحد ، لئن كنت صادقاً فما أريد زوجاً غيرك ، فلي عليك أن تتزوجني .
قال : نعم ، ففنع رأسه ورجع ، فلحق ببلده ، وأقبلت تبسيع متاعها ، ثم ارتحلت إليه ، فانتهدت إلى البلد الذي هو فيه ، فسألت عنه ، فقيل لها : هوذا في المسجد . فقيل له : جاءت ملكة أرض كذا وكذا تسأل عنك ، فأتته ، فلما نظرت إليها نظرة مال ميتاً ، فوجدت عليه وجداً شديداً ؛ قالت : أما هذا فقد فاتني ، ولكن هل له أخ أو قريب ؟ قيل : إن له أخاً ضعيفاً .
قال معتمر : أي ليس في العبادة مثله ، فتزوجت أخاه ، فولدت له سبعة أنبياء .

المرقس الشاعر وأسماء

كتب إلي أبو غالب بن بشران من واسط حدثنا ابن دينار قال : حدثنا أبو الفرج محمد بن علي الأصفهاني في كتاب الأغاني قال : قال أبو عمرو ، ووافقه المفضل الغسبي :
كان من خير مرقس الأكبر أنه عشق ابنة عم له يقال لها أسماء بنت عوف بن مالك ، علقها وهو غلام ، فخطبها إلى أبيها ، فقال له : لا أزوجه حتى تُعرف بالناس ، وهذا قبل أن يخرج ربيعة^١ من أرض

١ ربيعة : أراد أبا قبيلة ربيعة .

اليمن ، فكانَ يَبعِدُهُ فيها المَوعِد ، ثمَّ انطَلَقَ مَرَقَشَ إلى مَلِكٍ من الملوِك ، وكانَ عنده زَمَانًا ، ومَدَحَه ، فأجَازَه ؛ وأصَابَ عَوفًا زَمَانٌ شَدِيدٌ ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ من مُرَادِ أَحَدِ بَنِي عَطِيْفٍ ، فأرغَبَه في المَالِ ، فزَوَّجَه أَسْمَاءَ عَلى مَائَةٍ من الإِبِلِ ، ثمَّ تَنَحَّى عَن بَنِي سَعْدِ بنِ مَالِكِ .

وَرَجَعَ مَرَقَشُ ، فِقَالَ لِأَخَوَتِهَا : لا تَخْبِرُوهُ إِلَّا أَنهَا مَاتت ، فذَبَحُوا كَبْشًا ، فَأَكَلُوا لَحْمَه ، وَدَفَنُوا عِظَامَه ، وَكَفَّوْهَا فِي مِلْحَفَةٍ ، وَدَفَنُوهَا ، فَلَمَّا قَدِمَ مَرَقَشُ عَلَيْهِمُ أَخْبِرُوهُ أَنهَا مَاتت ، وَأَتُوا بِهِ مَوْضِعَ القَبْرِ ، فَنظَرَ إِلَيْهِ ، وَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ يَعتَادُه ، وَيَزُورُه .

فَبِينَا هَوَ ذَاتَ يَوْمٍ مَضْطَجِعٌ ، وَقَد تَغَطَّى بِشَوْبِه ، وَابْنَا أَخِيه يَلْعَبَانِ بِكِعَابٍ لهُمَا ، إِذِ اخْتَصَمَا فِي كَعْبٍ ، فِقَالَ أَحَدُهُمَا : هَذَا كَعْبِي أَعْطَانِيه أَبِي مِنَ الكِبشِ الَّذِي دَفَنُوهُ ، وَقَالُوا : إِذَا جَاءَ مَرَقَشُ أَخْبِرْنَا أَنَّهُ قَبْرُ أَسْمَاءِ . فكَشَفَ مَرَقَشُ عَن رَأْسِه ، وَدَعَا الغُلَامَ ، وَقَد ضَمِّيَ ضَمْنِي شَدِيدًا ، فَسَأَلَه عَنِ الحَدِيثِ ؛ فَأخْبَرَه بِهِ ، وَبَتَزْوِيجِ المُرَادِي أَسْمَاءَ ، فَدَعَا مَرَقَشَ وَوَلِيدَةَ لَه ، وَهَلَا زَوْجٌ من غَفِيلَةَ كَانَ عَسِيفًا لِمَرَقَشِ ، فَأَمَرَهَا بِأَنْ تَدْعُو لَهُ زَوْجَهَا ، فَدَعَتْه ، وَكَانَتِ لَهُ رَوَاحِلَ ، فَأَمَرَهُ بِأَحْضَارِهَا لِيطَلُبَ المُرَادِي ، فَأَحْضَرَهَا فَرَكَبَهَا ، وَمَضَى فِي طَلْبِه ، فَمَرِضَ فِي الطَّرِيقِ حَتَّى صَارَ لَا يُحْمَلُ إِلَّا مَعْرُوضًا .

وَإِنَّهُمَا نَزَلَا كَهْفًا بِأَسْفَلِ نَجْرَانَ ، وَهِيَ أَرْضُ مُرَادٍ ، وَمَعَ الغَفِيلِي امْرَأَتُه وَوَلِيدَةُ مَرَقَشِ ، فَسَمِعَ مَرَقَشُ زَوْجَ الوَلِيدَةِ يَقُولُ لَهَا : اتركيه ، فَقَد هَلَكَ سَقْمًا ، وَهَلَكْنَا مَعَهُ جوعًا وَضَرًّا ، فَجَعَلتِ الوَلِيدَةُ تُبْكِي مِنَ ذَلِكَ ، فِقَالَ لَهَا زَوْجُهَا : إِنْ أَطَعْتِنِي ، وَإِلَّا فإِنِّي تَارِكُكَ ، وَكَانَ مَرَقَشُ يَسْكُتُ ، وَكَانَ أبُوهُ دَفَعَه وَأَخَاهُ حَرَمَلَةَ ، وَكَانَا أَحَبَّ وَوَلَدَهُ إِلَيْهِ ، إِلَى نَصْرَانِي مِنَ

.....
١ العسيف : الأجير .

أهل الحيرة ، فعلمتهما الخط ، فلما سمع مرقش قول الغفلي للوليدة كتب
على مؤخر الرجل :

يا صاحبي تلبثنا لا تعجلا ! إن الرواح رهين أن لا تفعلنا
فلعل لبثكمما يقرب نائيا ، أو يسبق الإسراع شيئا مقبلا
يا راكبا إما عرّضت فبلغنا أنس بن سعد إن لقيت وحرّملا
لله دركمما ودر أبيكمما ، إن أفلت الغفلي حتى يقتلا
من مبلغ الأقوام أن مرقشا أضحي على الأصحاب عينا مقبلا
وكأتما يرد السباع بشلوه ، إذ غاب جمع بني ضبيعة منهلا

قال : وانطلق الغفلي وأمرأته حتى رجعا إلى أهلهما ، فقالا : مات
المرقش ، ونظر حرمة إلى الرجل ، وجعل يقبله . فقرأ الأبيات ، فدعاها
وخوفها ، وأمرهما أن يصدقاها ، فعلا ، فقتلهما ، وقد كانا وصفا له
الموضع ، فركب في طلب المرقش حتى أتى المكان ، فسأل عن خبره ،
فعرف أن مرقشا كان في الكهف ولم يزل فيه حتى إذا هو بغم تنزرو على
الغار الذي هو فيه ، وأقبل راعيها إليه ، فلما بصر به قال : من أنت وما شأنك ؟
فقال له مرقش : أنا رجل من مراد فمن أنت ؟ قال : راعي فلان ، وإذا
هو راعي زوج أسماء ، فقال له مرقش : أنتطيع أن تكلم أسماء امرأة
صاحبك ؟ قال : لا ، ولا أدنو منها ، ولكن تأتيني جاريته كل ليلة فأحلب
لها عتزا ، فأتيها بلبنها . فقال له : خذ خاتمي هذا ، فإذا حلت فآلقه في
اللبن فإنها ستعرفه ، وإنك مصيب به خيرا لم يصبه راعي قط إن أنت
فعلت ذلك .

١ بلغا : أراد بلغن ، أبدل النون ألفا .

٢ الشلو : الجسم ، أراد جثته بمد موته .

فأخذ الرَّاعي الخاتمَ ، فلمَّا حُلِبَتِ العَنزُ طَرَحَ الخاتمَ في القَدَحِ ، فانطلقت به الجاريةُ ، وتَرَكتهُ بَيْنَ يَدَيها ، فلمَّا سَكَنَت رَغَوَتُهُ ، أخذته ، فشرَبته ، وكذلك كانت تصنعُ ، ففرَحَ الخاتمُ نَيْبَتها ، فأخذته ، واستَضَاعت به بالنارِ ، فعرَفته ، فقالت للجارية : ما هذا ؟ فقالت : ما لي به عِلم ، فأرسلتها إلى مولاها ، وهوَ في شَرَبِ بنَجْرانَ ، فأقبلَ فزِعاً ، فقال لها : لمَ دَعَوْتِني ؟ فقالت : ادعُ عبدك راعيَ غَنَمك ، فدعاها ، فقالت : سَلهُ أَيْنَ وَجَدَ هذا الخاتمَ ؟ فقال : وَجَدْتُهُ معَ رَجُلٍ في كهفِ جِبارِ ، فقال لي : اطرحه في اللبَنِ الذي تَشربُهُ أسماءُ ، فإنك تَصِيبُ به خيراً ، وما أُخبرَني من هوَ ، ولقد تَرَكتُهُ في آخرِ رَمَقِ .

فقال زَوْجُها : وما هذا الخاتمُ ؟

قالت : هذا خاتمُ مَرَقَشِ ، فأعجلِ الساعةَ في طلبه ، فركبَ فرسه وحَمَلها على فرسٍ وساراً حتى طَرَقاه من ليلته ، فاحتملاه فماتَ عندَ أسماءَ ، وقال قبلَ أن يَموتَ :

سَمَّا نَحْوِي خَيْتالٌ من سُلَيْمِي ، فَأَرَقِي ، وَأَصْحَابِي هُجُودٌ
 قَبِيَّتْ أَدِيرُ أَمْرِي كُلَّ حَالٍ ، وَأَذْكَرُ أَهْلَهَا ، وَهَمُّ بَعِيدٌ
 عَلَيَّ أَنْ قَدَّ سَمَّا طَرَفِي لِنَارٍ ، يُشَبُّ لَهَا بِيَدِي الأَرطَى وَقُودٌ^٢
 حَوَالِيهَا مَهًا بِيضُ التَّرَاقِي ، وَآرَامٌ وَغَزْلانٌ رُقُودٌ^٣
 نَوَاعِمٌ لا تُعَالِجُ بُؤْسَ عَيْشٍ ، أَوَانِسٌ لا تَرُوحُ ، وَلا تَرُودُ^٤

١ الشرب ، الواحد شارب : أراد في جماعة يشربون الخمر .

٢ الأَرطَى : شجر ثمره كالمناب ، الواحدة أرطاة .

٣ التراقي ، الواحدة ترقوة : مقدم الحلق في أعلى الصدر . الآرام ، الواحد رثم : الفزال الأبيض اللون .

٤ ترود : تدور تذهب وتجيء .

يَرْحَنَ مَعًا بِيَطَاءِ الْمَشْيِ رُودًا ، عَلَيْهِنَّ الْمَجَاسِدُ وَالْبُرُودُ^١
سَكَنَ بَيْلِدَةً وَسَكَنَتْ أُخْرَى ، فَقَطَّعَتِ الْمَوَاتِقُ وَالْعُهُودُ
فَمَا بَالِي أَفِي وَيَخَانُ عَهْدِي ؛ وَمَا بَالِي أَصَادُ وَلَا أَصِيدُ
وَرَبَّ أَسِيلَةَ الْخَدَّيْنِ بِيَكْرٍ ، مُنْعَمَةً لَهَا فَرَعٌ وَجَيْدُ^٢
وَذُو أَشْرٍ شَتَّيْتُ النَّبْتَ عَذْبُ^٣ نَقِيُّ اللَّوْنِ بَرَّاقٌ بِرُودُ^٣
لَهَوْتُ بِهَا زَمَانًا فِي شَبَابِي ، وَزَارَتْهَا النَّجَائِبُ وَالْقَصِيدُ
أَنَاسًا كُلَّمَا أَخْلَقْتُ وَصَلًا عَنَانِي مِنْهُمْ وَصَلُ جَدِيدُ
فدُفِنَ فِي أَرْضٍ مَرَادٍ .

المحب الجاحد

أبانا أبو بكر أحمد بن الحافظ قال : أخبرنا أبو القاسم الأزهرى قال : حدثنا محمد بن جعفر
الاديب قال : حدثنا أبو القاسم السكوني أملاه قال : حدثني الحسين بن مكرم قال : حدثنا
يزيد الشمالي قال :

مات أبو العتاهية وعبّاس بن الأحنف وإبراهيم الموصلي في يومٍ واحدٍ ،
فرُفِعَ خبرُهم إلى الرشيد ، فأمر المأمونَ بحضورِهم والصلاة عليهم ، فوافى
المأمونُ ، وقد صُفِّقوا له في موضع الجنائز ، فقال : من قدمتم ؟ قالوا : إبراهيم ،
قال : أخروه وقدّموا عبّاساً ! قال : فلما فرغ من الصلاة اعترضه بعضُ
الظاهرية ، فقال له : أيها الأميرُ بمَ قدّمتَ عبّاساً ؟ قال : يا فضولي بقوله :
سَمَّاكَ لِي قَوْمٌ وَقَالُوا : لَاتَهَا لَهَا الَّتِي تَشْقَى بِهَا وَتُكَابِدُ
فجحدتهم ليكونَ غيرُكَ ظنّهم ؛ إني ليعجبي المحبُ الجاحدُ

١ الرود : الشابات الحسنات ، الواحدة رادة ورؤد ورؤد . الواحد مجسد ، التقيص الذي يلي البدن .
٢ الفرع : الشعر . الجيد : العنق .
٣ ذو أشْر : أراد ثغراً فيه أشْر وهو تحديد في الأسنان .

القبلة القاتلة

حدث أبو عمر بن حيويه ونقلته من خطه قال : حدثنا أبو بكر محمد بن خلف بن المرزبان قال :
حدثني أحمد بن حرب قال : حدثني أبو عبد الله القرشي قال : حدثني أبو غسان قال :

كان سبب وفاة مالك بن أبي السمح^١ أنه لما كبر ضم إليه رجلاً من
قريش يقوم عليه ، ففرش له على سريرٍ وخرق فيه خرقاً للوضوء ، فأنته
الجارية يوماً بطعام فأكل ، ثم أنته بسخور فتبخر ، ف وقعت الجارية
بقلبه ، فأهوى إليها ليقبلها ، وتنهت عنه ، فسقط عن السرير ، فاندقت
عنقه ، فمات .

قال الزبير : أنشدني ظبية لحسن بن عبد الله بن عبد الله بن عبيد الله
ابن العباس بن عبد المطلب في مالك بن أبي السمح :

ليس عيش إلا بمالك بن أبي السمح	ح ، فلا تلحني ، ولا تلم
نتملى لذيذة عيش ، ولا نه	مك حقا الإسلام والحرم
رب ليل قصرة الهوى ، فأنجنا	ب ، ويوم كذاك لم يدم
كنت فيه ومالك بن أبي السمح	ح الكريم الأخلاق والشيم

ضل عنه فواده

أبانا أحمد بن علي قال : أخبرنا الأزهرى قال : أنشدنا سهل بن أحمد الدياجي قال :
أنشدنا ابن دريد لنفسه :

صارمته فتواصلت أحزانه	وهجرته فتهاجرت أجزانه
قالت تعرض : مس شيطان به ،	بل أنت حين ملكته شيطانه
قد ضل عنه فواده ، فاستخبري	عينيك أين محله ومكانه

١ مالك بن أبي السمح : أحد مفي صدر الإسلام البارعين .

هل من آسٍ لداء القلب؟

ولي من قصيدة أولها :

بالحُزْنَ هَاجَتِ للَفْسَى أَحْزَانُهُ ، وَجَفَّتْ لَدَيْدَ رُقَادِهَا أَجْفَانُهُ

ومنها :

يَا جَارَةَ الْحَيِّ الدِّينِ تَرَحَّلُوا سَحَرًا فَأَوْحَشَ رَبْعَهُمْ غَزْلَانُهُ
هَلْ تَعَلَّمِينَ لِدَاءِ قَلْبِي آسِيًا ، فَالْيَوْمَ حِينَ تَرَحَّلُوا بُحْرَانُهُ
كَمْ هَوَى خَوْفَ الْعَدُولِ وَلَوْ مِهِ ، حَتَّى أَضْرَّ بِجِسْمِهِ كِتْمَانُهُ

بنت الوالي والمسجين

أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن المسلمة إن لم يكن سماعاً فإجازة قال : أخبرنا أبو القاسم
اسماعيل بن سويد المعدل قال : حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي قال : حدثني ابن أبي الدنيا
قال : حدثني محمد بن زيد العنبي قال : أخبرني جدي الحسين بن زيد قال :

وَلِيَّ بَدْيَارٍ مِصْرَ وَالِ فَوَجَدَهُ^٢ عَلَى بَعْضِ عُمَّالِهِ ، فَحَبَسَهُ ، وَقَيَّدَهُ ،
فَأَشْرَفَتْ عَلَيْهِ ابْنَةُ الْوَالِيِّ فَهَوِيَّتَهُ ، فَكَتَبَتْ إِلَيْهِ ، وَقَدْ كَانَ نَظَرَ إِلَيْهَا :

أَيْهَا الرَّامِي بَعِيْتَيْسِ هِ ، وَفِي الطَّرْفِ الْحُتُوفُ
إِنْ تُرِدْ وَصَلًا ، فَقَدْ أَمَكَّنَكَ الظُّبِيُّ الْأُلُوفُ

فأجابها الفتى :

إِنْ تَرَيْنِي زَانِيَ الْعِيِّ سُنَيْنِ ، فَالْفَرَجُ عَقِيْفُ
لَيْسَ إِلَّا النَّظَرُ الْفَسَا تِيرُ ، وَالشُّعْرُ الظَّرِيْفُ

١ البحران في عرف الأطباء : تهيج واحتلال في القوى المدركة تسببه شدة المرض .

٢ وجد : غضب .

فكُتبت إليه :

قَدْ أَرَدْتُكَ عَلَى عِشِّكَ
فَتَأَبَّيْتُ ، فَلَا زِلُّ مَتَ لِقَيْدَيْكَ حَلِيفًا

فأجابها الفتى :

غَيْرَ أَنِّي خِيفْتُ رَبًّا كَمَا
فَدَاعَ الشَّعْرُ وَتَبَلَّغَ الْخَبْرُ الْوَالِي ، فَدَعَا بِهِ فَرَّوَجَهُ إِيَّاهَا وَدَفَعَهَا إِلَيْهِ .

دواء الحب غال

أخبرنا التنوخي علي بن المحسن قال : أخبرنا أبو عمر بن حيويه قال : أخبرنا أبو بكر المحولي قال :

وأنشدني حماد بن إسحاق للوليد بن يزيد :

وَلَقَدْ قَالَ طَبِيبِي ، وَطَبِيبِي غَيْرُ آلِ
أَشْكُ مَا شِئْتَ سِوَى الْحُبِّ ، فَإِنِّي لَا أَبَالِي
سَقَمُ الْحُبِّ رَخِيصٌ ، وَدَوَاءُ الْحُبِّ غَالٍ

مرضى الحب

وبإسناده قال : وأنشدني أبو العباس بن أحمد من أهل ضريبة لرجل من بني أسد :

أَقُولُ ، وَعَقِبَةُ الْأَسَدِيِّ يَرْقِي
أَخَاهُ بِرُقِيَّةِ الْمَيْنِ الْكَتْدُوبِ :

١ الآلي : المقصر .

تَشَاءَ بَ لِي ، فَمَا بِي غَيْرُ حُبِّي صَفِيَّةَ ، ضَلَّ سَعْيُكَ مِنْ طَيِّبِ
 وَيَأْسِنَادِهِ قَالَ : أَنَشِدُنِي أَحْمَدُ بْنُ مَنْصُورِ الْمُرُورُوذِي :
 أَيَا سَبَبَ الدَّمْعِ إِلَى الْخُفُونِ ، وَشَجْوَ الْمُسْتَهَامِ الْمُسْتَكِينِ
 سَلِ الْحَسْرَاتِ : هَلْ أَبْقَيْنَ دَمْعاً يَجُودُ بِهِ عَلَى قَلْبِ حَزِينِ
 وَهَلْ تَرَكَ السَّقَامُ بِهِ حَرَكَاً يَسِيرُ بِهِ إِلَيْكَ سِوَى الْحَنِينِ ؟

القطيعة أذهب للعقل

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أبي نصر قال : أخبرنا أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي
 قال : حدثنا القاضي أبو محمد عبد الله بن الربيع قال : حدثنا أبو علي القالي قال :
 قرأتُ على أبي بكر بن دريد للحسين بن مطير الأسدي :

فَوَاعَجَبَا لِلنَّاسِ يَسْتَشْرِفُونَنِي ، كَأَنْ لَمْ يَرَوْا بَعْدِي حَبِيباً ، وَلَا قَبِيْلِي
 يَقُولُونَ لِي : اصْرِمْ يَرْجِعِ الْعَقْلُ كُلُّهُ وَصَرْمٌ حَبِيبِ النَّفْسِ أَذْهَبُ لِلْعَقْلِ
 فَيَا عَجَباً مِنْ حَبٍّ مَنْ هُوَ قَاتِلِي ، كَأَنِّي أَجَازِيهِ الْمَوَدَّةَ عَنْ قَتْلِي
 وَمَنْ بَيِّنَاتِ الْحُبِّ أَنْ كَانَ أَهْلُهَا أَحَبَّ إِلَى قَلْبِي وَعَيْنِي مِنْ أَهْلِي

أنا أشعر من قيس

ويأسناده قال : حدثنا القالي قال : حدثنا أبو بكر بن دريد قال : حدثنا الرياشي عن بعض
 أصحابه قال : أخبرني رجل قال :

جَلَسْتُ فِي ظِلِّ شَجْرَةٍ وَقُلْتُ مَا أَشْعَرَ قَيْساً^١ حَيْثُ يَقُولُ :
 بَسِيْتُ وَيُضْحِي كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةً عَلَى مَنْهَجِ تَبْكِي عَلَيْهِ الْقَبَائِلُ

١ المراد قيس بن ذريح .

فَتَيْبِلٌ لِّلْبُنَى صَدَعَ الْحُبُّ قَلْبَهُ ، وفي الْحُبِّ شُغْلٌ لِّلْمُحِبِّينَ شَاغِلٌ

فقال : أنا ١ وآله أشعرُ منه حيثُ أقول :

سَلَبْتِ عِظَامِي لِحَمَّهَا فَتَرَكَتِهَا مُعْرِفَةً ، تَضْحَى إِلَيْكَ وَتَخْضَرُ ٢
وَأَخْلَيْتِهَا مِنْ مِخْطِهَا ، فَكَأَنَّهَا قَوَارِيرُ فِي أَجْوَافِهَا الرِّيحُ تَصْفِرُ
إِذَا سَمِعَتْ ذِكْرَ الْفِرَاقِ تَقْطَعُ عِلائِقُهَا مِثْلَ تَخَافُ وَتَحْذَرُ
خَذِي يَيْدِي ثُمَّ انْهَضِي بِي تَبَيَّيْ بِي الضَّرَّ ، إِلَّا أَنْتِي أَنْتِ سَتَرُ

قال : ثمَّ مرَّ فَجَمَزَ فِي الصَّحْرَاءِ ، فَلَمَّا كَانَ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي أَنْتَهُ ،
فَجَلَسْتُ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ ، فَلَمَّا أَحْسَسْتُ بِهِ قُلْتُ : مَا أَشْعَرَ قَيْسًا حَيْثُ
يقول :

تُبَاكِرُ أُمَّ تَرُوحُ غَدَاً رَوَاحًا ، وَلَكِنْ يَسْطِيعُ مَرْتَهِنٌ بَرَّاحًا
سَقِيمٌ لَا يُصَابُ لَهُ دَوَاءٌ ، أَصَابَ الْحُبُّ مَقْلَتَهُ فَتَسَاحَا
وَعَدْبَهُ الْهَوَى حَتَّى بَرَاهُ ، كَبَّرِي الْقَيْنَ بِالسَّقْنِ الْقِدَاحًا ٣
وَكَادَ يَنْدِيقُهُ جُرْعَ الْمَنَابِيَا ، وَلَوْ أَسْقَاهُ ذَلِكَ لَاسْتَرَّاحَا

فقال : أنا أشعرُ منه حيثُ أقول :

فَمَا وَجِدْتُ مَغْلُوبٍ بِصَنْعَاءِ مُوثِقٍ ، بِسَاقِيهِ مِنْ ثِقَلِ الْحَدِيدِ كُبُولُ
فَكَلِيلِ الْمُوَالِي مُسْتَهَامٍ مُرَوِّعٍ ، لَهُ بَعْدَ نَوْمَاتِ الْعِشَاءِ عَوِيلُ
يَقُولُ لَهُ الْهَدَادُ : أَنْتَ مُعَذَّبٌ ، غَدَاةَ غَدِي ، أَوْ مُسْلَمٌ فَفَتَيْبِلُ
بِأَعْظَمَ مِنِّي رَوْعَةً يَوْمَ رَاعَتِي فِرَاقُ حَبِيبٍ مِمَّا إِلَيْهِ سَبِيلُ

١ قوله : فقال أنا : يحمل على الاعتقاد أنه كان هناك رجل أجاب بهذا الجواب ، وقد تكون سقطت الإشارة إليه بالنسخ .

٢ نضحى : تصيبها الشمس . تخضر : تبرد .

٣ السفن : كل ما ينحت به . القداح : سهام الميسر ، الواحد قدح .

سيف الفراق

وبإسناده قال : حدثنا القالي قال : أنبأنا أبو بكر بن الأنباري قال :

أشدنا أبو العباس أحمد بن يحيى النحوي :

قَدْ قُلْتُ وَالْعَبْرَاتُ تَسُدُّ فَحَهَا عَلَى الْخَدِّ الْأَمَاقِ
حِينَ انْحَدَرْتُ إِلَى الْخَزِيرِ رَةَ وَأَنْقَطَعْتُ عَنِ الْعِرَاقِ
وَتَخَبَّطْتُ أَيْدِي الرِّفَا قِي مَهَامِهِ الْبَيْدِ الرِّفَاقِ
يَا بُوْسَ مَنْ سَلَ الزَّمَا نُ عَلَيْهِ سَيْفًا لِلْفِرَاقِ

فصدعة القلوب

وبإسناده قال : حدثنا القالي قال : قرأتُ على أبي بكر بن دريد الجميل

رَحَلَ الْخَلِيْطُ جِمَالَهُمْ بِسَوَادٍ ، وَحَدَا عَلَى أَنْزِرِ الْأَحْيَةِ حَادٍ
مَا لِنْ شَعَرْتُ بَيْنِهِمْ وَرَحِيلِهِمْ ، حَتَّى سَمِعْتُ بِهِ الْعُرَابَ يُنَادِي
لَمَّا رَأَيْتُ الْبَيْنَ قُلْتُ لِصَاحِبِي : صَدَعَتْ مُصَدَّعَةُ الْقُلُوبِ فَوَادِي
بَانُوا ، وَغَوْدِرَ فِي الدِّيَارِ مُتَيِّمٌ ، كَلِيفٌ بِذِكْرِكَ يَا بُشَيْنَةَ صَادٍ

١ ايدي الرفاق : أي أيدي الجمال ، الواحد أرفق وهو البعير الذي انفتل مرفقه عن جنبه . أما الرفاق الثانية فلمله أراد ان القفار والبيد كانت رفاقاً له في سفره أو رفيقة به ، ولعل اللفظة محرقة عن رفاق ، وهي الصحراء .

ليست له صبوة

أبنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت قال : أخبرني أبو الحسن علي بن أيوب القمي الكاتب
بقراءتي عليه قال : حدثنا أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني الكاتب قال :
حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغدادي إمامنا قال : حدثنا كامل بن طلحة قال : حدثنا
ابن لهيعة قال : حدثنا أبو عشانة قال : سمعت عقبة بن عامر يقول :

قال رسولُ الله ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : عَجِبَ رَبَّنَا تَعَالَى مِنْ
شَابِّ لَيْسَتْ لَهُ صَبَوَةٌ .

المأمون وجارية أبيه

أخبرنا القاضي أبو الطيب طاهر بن عبد الله الطبري في ما أجاز لنا قال : حدثنا المعاني بن زكريا
الحريري قال : حدثنا محمد بن القاسم الأنباري قال : حدثني أبي قال :

قال منصورُ البرمكي وكان أديباً : كانت هارون الرشيد جارية غلامية ،
تصُيبُ على يده ، وتقفُ على رأسه ، وكان المأمونُ يُعجبُ بها ، وهو أمرد ،
فبينما هي تصُيبُ على هارون من إبريقٍ معها ، والمأمونُ مع هارون قد قابلَ
بوجهه وجهَ الجارية ، إذ أشارَ إليها بقُبلة ، فزبرتهُ بحاجبها وأبطأت عن
الصُيبِ في مُهلة ما بين ذلك ، فنظرَ إليها هارون فقال : ما هذا ؟ فتلكأتُ
عليه ، فقال : ضمي ما معك ا عليّ كذا إن لم تُخبريني لأقتلتك . فقالت :
أشارَ إليّ عبدُ الله بقُبلة . فالتفتَ إليه ، وإذا هو قد نزلَ به من الحياء والرُعبِ
ما رَحِمته منه ، فاعتنقه ، وقال : أمحبها ؟ قال : نعم يا أميرَ المؤمنين ،
فقال : قم فاحلُ بها في تلكَ القُبلة ، فقامَ ففعل ، فقال له هارون : قل في

١ زبرته : نهته .

هذا شعراً ، فأنشأ يقول :

ظبيُّ كَنَيْتُ بِطَرْفِي عَنْ الضَّمِيرِ إِلَيْهِ
قَبْلَهُ مِنْ بَعِيدٍ فَأَعْتَلَّ مِنْ شَفْتَيْهِ
وَرَدَّ أَحْبَبْتُ رَدَّ بِالْكَسْرِ مِنْ حَاجِبَيْهِ
فَمَا بَرِحْتُ مَكَانِي حَتَّى قَدِرْتُ عَلَيْهِ

الأطباء والمحبون

أخبرنا أبو القاسم علي بن المحسن بن علي قال : حدثنا أبو عمر بن حيويه قراءة عليه قال :

حدثنا أبو بكر بن المرزبان إجازة قال :

أنشدني مُنشدٌ للحسن بن وهب :

جسَّ عِرْفِي فَقَالَ : حَبُّ طَبِيْبِي ، مَا لَهُ فِي عِلَاجِهِ مِنْ مُصِيبِ
فَغَمَزْتُ الطَّبِيْبَ سِرًّا بِعَيْتِي ، ثُمَّ حَلَقْتُهُ بِحَقِّ الصَّلِيبِ
لَا تَقُلْ : لَوْعَةُ الهَمْوَى أُسْقَمَتُهُ ، فَيَنَالُوا ، بَدْعَوْهُ ، مِنْ حَبِيْبِي
وَأُنشِد :

دَوَّاهِي السُّقْمِ تُخْبِرُ عَنْ ضَمِيرِي ، وَيُخْبِرُ عَنْ مُفَارِقَتِي سُرُورِي
أَلَا يَا سَائِلِي عَنْ سُوءِ حَالِي ، وَعَنْ شَأْنِي سَقَطْتُ عَلَى الْخَبِيرِ
شَرِبْتُ مِنَ الصَّبَابَةِ كَأْسَ سَقْمِ بَعِيْتِي شَادِنِ ظَبِيِّ غَرِيرِ
وَقَالَ عمر بن أبي ربيعة :

طَبِيْبِي دَاوَيْتُمَا ظَاهِرًا ، فَمَنْ ذَا يُدَاوِي جَوْيَ بَاطِنَا
فَعُوجًا عَلَى مَسْنَلٍ بِالْعَمِي ، فَهَاتِي لِقَيْتِي بِهِ شَادِنَا

ولي من أثناء قصيدة :

وذي شجنٍ مثلي شكوتُ صبابتي لإلبه ، ودَمعي ما يُفترُّ قَطْرُهُ
فَقَالَ ، ولمْ يَمْلِكْ سَوَابِقَ عِبْرَةٍ تُتَرَجِّمُ عَمَّا قَدْ تَضَمَّنَ صَدْرُهُ :
كِلَانَا أُسِيرٌ فِي الْهَوَى مُتَهَدِّدٌ بِقَتْلِ ، فَمَا يَنْفَكُ مَا عَاشَ أَسْرُهُ
وَأَقْلَقْتِي حَادِي الرَّكَائِبِ بِالضَّحَى ، وَسَائِقُهَا لَمَّا تَتَابَعَ زَجْرُهُ
وَتَقْوِيضُ خَيْمِ الْحَيِّ ، وَالْبَيْنُ ضَا حَكٌ لِفِرْقَتِنَا حَتَّى بَدَأَ مِنْهُ نَغْرُهُ
وَفِي الْجَيْرَةِ الْغَادِينَ أَحْوَى ، عِيدَارُهُ يَقُومُ بِهِ لِلْعَاشِقِ الصَّبِّ عُدْرُهُ
غَدَائِرُهُ لِي شَهِادَاتٌ بِأَنِّي وَفَيْتُ لَهُ مِنْ بَعْدِ مَا بَانَ غَدْرُهُ

السوداء وحبيبها عمرو

أخبرنا القاضي أبو الحسين أحمد بن علي التوزي وأبو القاسم علي بن المحسن التنوخي قالا :
أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس بن حيويه قال : حدثنا محمد بن خلف بن المرزبان قال :
حدثني محمد بن عبد الله بن أبي مالك بن الهيثم الخزازي عن اسحاق بن ابراهيم الموصلي قال :
حدثني ابراهيم بن ميمون قال :

حَجَجْتُ فِي أَيَّامِ الرَّشِيدِ ، فَبَيْنَا أَنَا بِمَكَّةَ أَجُولُ فِي سِكَكِهَا ، إِذَا
أَنَا بِسَوْدَاءَ قَائِمَةٌ سَاهِيَةٌ ، فَأَنْكَرْتُ حَالَهَا ، فَوَقَفْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهَا ، فَمَكَثْتُ كَذَلِكَ
سَاعَةً ، ثُمَّ قَالَتْ :

أَعْمَرُو عَلَامَ تَجَنَّبْتَنِي ؟ أَخَذْتَ فَوَادِي فَعَدَّ بَتِّي
فَلَوْ كُنْتُ ، يَا عَمْرُو ، خَبْرَتَنِي أَخَذْتَ حِدَارِي ، فَمَا نِلْتَنِي

١ الخيم : الواحدة خيمة .

قال : فدنوتُ منها ، فقلت : يا هذه ا من عمرو ؟ فارتاعت من قولِي
وقالت : زوّجني . فقلت : وما شأنه ؟

قالت : أخبرني أنه يهواني وما زال يدسّ إليّ ويعلّقُ بي في كلّ طريق ،
ويشكو شدةً وجده حتى تزوّجتي ، فلبّثَ معي قليلاً ، وكان له عندي من
الحبّ مثل الذي كان لي عنده ، ثمّ مضى إلى جدّة ، وتركتني .

قلت : فصفيه لي .

فقالت : أحسنُ من تراه ، وهو أسمرٌ حلوّ ظريفٌ .

قال ، قلت : فخبّرني أتُحِبِّينَ أن أجمعَ بينكما ؟

قالت : فكيفَ لي بذلك ؟ وظنّنتُ أهزلُ بها . قال : فرَكبتُ راحلتي
وصرتُ إلى جدّة فوقفتُ في المرقى أتبصرُ من يعمل في السفن ، وأصوتُ :
يا عمرو يا عمرو ! فإذا أنا به خارجٌ من سفينة ، وعلى عنقه صنّ ، فعرفته
بالصفة ، فقلت : أعمرو علامَ تجنّبتني ؟ فقال : هيه هيه ، رأيتها وسمعتَه
منها ؟ ثمّ أطرقَ هُنَيْهَةً ثمّ اندفعَ يَغْنِيه ، فأخذتهُ منه ، وقلتُ له : ألا
ترجعُ ؟ فقال : بأبي أنتَ ، ومَن لي بذلك ؟ ذلك والله أحبُّ الأشياءِ إليّ
ولكن منَعَ منه طلبُ المعاش .

قلتُ : كم يكفيك كلّ سنة .

قال : ثلاثمائة درهم ، فأعطته ثلاثة آلاف درهمٍ ، وقلت : هذه
لعشر سنين ، ورَدَدته إليها ، وقلتُ له : إذا فنيتُ أو قاربتِ الفناء قدمتَ
عليّ فسررتُكَ ، وإلاّ وجهتُ إليك ، وكان ذلك أحبّ إليّ من حجي .
قال محمد بن عبد الله قال إسحاق : والناسُ يتسبونَ هذا الصوّتَ إلى
إبراهيم ، وكان لإبراهيمُ أخذه من هذا الفتى .

١ الصن : شبه السلة .

مدرك الشيباني وعمرو النصراني

أبانا القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي ولقيته بمدينة النبي ، صل الله عليه وسلم ، في أول سنة ست وأربعين وأربع مائة ١ قال : أخبرنا أبو يعقوب يوسف بن يعقوب ابن خرزاذ النجيري قال : أنشدني جعفر بن شاذان القمي أبو القاسم قال :

أنشدني مدرك بن عليّ الشيباني له ببغداد في الجانب الغربي في عمرو بن يوحنا النصراني :

مِنْ عَاشِقٍ نَاءٍ هَوَاهُ دَانَ ، ذَاطِقٍ دَمَعٍ صَامِتِ اللِّسَانِ

القصيدة جميعها .

وقال أبو القاسم جعفر بن شاذان القمي : وكان عمرو بن يوحنا النصراني يسكن في دار الروم ببغداد من الجانب الشرقي ، وكان من أحسن الناس صورة وأجملهم خلقاً ، وكان مدرك بن عليّ الشيباني هوأه ، وكان مدرك من أفاضل أهل الأدب والمطبوعين في الشعر ، وكان له مجلس يجتمع إليه الأحداث لا غير ، فإن حضرة شيخ أو كهل قال له مدرك : إنه يقبح بمثلك أن يختلط بالأحداث والصبيان ، فقم في حفظ الله ، فيقوم .

وكان عمرو بن يوحنا ممن يحضر مجلسه ، فعشقه مدرك وهام به ، فجاء عمرو يوماً إلى المجلس ، فكتب مدرك رقعة وطرحها في حجره ، فقرأها ، فإذا فيها :

بمَجَالِسِ العَامِ التي بك تَمَّ جَمْعُ جُمُوعِهَا
ألا رَتَيْتَ لِمُقَانَسَةِ غَرِقَتْ بِمَاءِ دُمُوعِهَا
بَيْتِي وَبَيْتِكَ حَرْمَةٌ ، اللهُ فِي تَضْيِيعِهَا

فقرأ الأبيات ، ووقفَ عليها من كان في المجلس وقرأوها ، واستحيا عمرو من ذلك ، فانقطعَ عن الحضورِ ، وغلبَ الأمرُ على مدركِ ، فتركَ مجلسه ولزِمَ دارَ الرومِ ، وجعلَ يتبعُ عمراً حيثُ سلكَ ، وقال فيه هذه القصيدة المزدوجة العجيبة .

ولمدرك في عمرو أيضاً أشعارٌ كثيرة ، ثم خرجَ مدرك إلى الوسواس . وسئلَ جسمه ، وذهلَ عقله ، وانقطعَ عن إخوانه ولزِمَ الفراشَ ، فحضره جماعةٌ ، فقال لهم : ألسنُ صديقيكم القديمِ العشرة لكم ، أفما فيكم أحدٌ يُسعيدني بالنظرِ إلى وجهِ عمرو ؟ فمضوا بأجمعهم إليه ، وقالوا له : إن كان قتلُ هذا الفتي ديناً ، فإنَّ إحياءه لمرُوءةٍ قال : وما فعل ؟ قالوا : قد صارَ إلى حالٍ ما نحسبُكَ ترضى به . فلبسَ ثيابه ونهَضَ معهم ، فلما دخلوا عليه سلمَ عليه عمرو وأخذَ بيده وقال : كيفَ تجدُك يا سيدي ؟ فنظرَ إليه فأغميَ عليه ساعةٌ ثم أفاقَ وفتحَ عينيه ، وهو يقول :

أنا في عافيةٍ لا لا من الشوقِ إليكما
أيها العائِدُ ما بي منك لا يخفى عليكما
لا تعدُ جسماً ، وعدُّ قلباً رهيناً في يدَيْكما
كيفَ لا يهلكُ مرشُو قُ يسهمي مقلتيكما

ثم شقَّ شهقةً فارَّقَ فيها الدنيا ، فما برحنا حتى دفنوه .

موسى في وقت الكلام

أخبرنا محمد بن أحمد الاردستاني، رحمه الله، قال : حدثنا أبو عبد الرحمن السلمي قال : سمعت
أبا الفضل محمد بن اسحاق السبخري قال : سمعت القناد يقول :

سَأَلْتُ الْحُسَيْنَ بْنَ مَتْنُورٍ عَنْ حَالِ مُوسَى فِي وَقْتِ الْكَلَامِ ، فَقَالَ :
بَدَأَ لَهُ بِأَدْوَانِ الْحَقِّ فَلَمْ يَبْقَ لِمُوسَى نَهْمٌ أَوْ أَمْرٌ ، وَأَنْشَدَ :
وَبَدَأَ لَهُ مِنْ بَعْدِ مَا انْدَمَلَ الْهَوَى بَرَقٌ تَأَلَّقَ مَوْهِنًا لِمَعَانِهِ
يَسْبَدُ وَكَحَاشِيَةِ الرَّدَاءِ ، وَدُونَهُ صَعْبُ الذَّرَى مُتَمَنِّعٌ أَرْكَانُهُ
فَسَاقِي لِيَنْظُرَ كَيْفَ لَاحٍ ، فَلَمْ يُطِيقْ نَظْرًا إِلَيْهِ وَرَدَّهُ سُبْحَانَهُ
فَالنَّارُ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ ضُؤُوعُهُ ، وَالْمَاءُ مَا سَمَحَتْ بِهِ أَجْفَانُهُ

الحب يذهب بالحب

أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري قال : أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس قال : حدثنا أبو
بكر المحولي محمد بن خلف قال : أخبرني أبو بكر العامري قال : حدثني الحسين بن علي بن
قدامة مولى بني أمية عن أبيه قال :

خَرَجْتُ إِلَى الشَّامِ ، فَلَمَّا كُنْتُ بِالشَّرَاطَةِ ٢ ، وَدَنَا اللَّيْلُ ، إِذَا قَصْرٌ ، فَهَوَيْتُ
إِلَيْهِ ، فَإِذَا بَيْنَ بَابِي الْقَصْرِ امْرَأَةٌ لَمْ أَرَ مِثْلَهَا ، قَطُّ ، هَيْئَةً وَجَمَالًا ، فَسَلَّمْتُ ،
فَرَدَّتْ ، ثُمَّ قَالَتْ : مَنْ أَنْتَ ؟ قُلْتُ : رَجُلٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ مِنْ أَهْلِ الْحِجَازِ .
فَقَالَتْ : مَرْحَبًا ، وَحَيَّاكَ اللَّهُ ، أَنْزِلْ أَنْتَ فِي أَهْلِكَ ، قُلْتُ : وَمَنْ أَنْتِ ،
عَافَاكَ اللَّهُ ؟ قَالَتْ : امْرَأَةٌ مِنْ قَوْمِكَ ، فَأَمَرْتِ إِلَيَّ بِمَنْزِلٍ وَقَرِيٍّ وَبَتَّ فِي

١ موسى : أي النبي . في وقت الكلام : أي حينما كلمه الله تعالى .

٢ الشراة : موضع بين دمشق والمدينة .

خير مَسِيَّتٍ ، فلمَّا أَصْبَحْتُ أُرْسَلْتُ إِلَيَّ تقول : كَيْفَ مَسِيَّتِكَ ؟ قلت :
 خيرُ مَسِيَّتٍ ، وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أَكْرَمَ مِنْكَ وَلَا أَشْرَفَ مِنْ فَعَالِكَ ، قالت :
 فَإِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً ؛ تَمْضِي حَتَّى تَأْتِيَ ذَلِكَ الدَّيْرَ ، دِيرٌ أَشَارَتْ إِلَيْهِ مَنْحَجٌ ،
 فَإِنَّ فِيهِ ابْنَ عَمِّي ، وَهُوَ زَوْجِي ، قَدْ غَلَبَتْ عَلَيْهِ نَصْرَانِيَّةٌ فِي ذَلِكَ الدَّيْرِ ،
 فَهَجَرْتَنِي وَكَلَمْتَنِي ، فَتَنْظُرَ إِلَيْهِ وَإِلَيْهَا وَتَخْبِرَهُ عَنِ مَسِيَّتِكَ ، وَعَمَّا قُلْتُ لَكَ ،
 فقلت : أَفْعَلُ ، وَتُعْمَى عَيْنٌ .

فَخَرَجْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى الدَّيْرِ ، وَإِذَا أَنَا بِرَجُلٍ فِي فِئَانِهِ جَالِسٌ كَأَجْمَلٍ
 مَا يَكُونُ مِنَ الرِّجَالِ ، فَسَلَّمْتُ ، فَرَدَّ وَسَأَلَنِي ، فَأَخْبَرْتُهُ مِنْ أَنَا ، وَأَبْنَ
 بَيْتٍ ، وَمَا قَالَتْ لِي الْمَرْأَةُ . فَقَالَ : صَدَقْتَ ! أَنَا رَجُلٌ مِنْ قَوْمِكَ مِنْ آلِ
 الْحَارِثِ بْنِ الْحَكَمِّ ؛ ثُمَّ صَاحَ : يَا قِسْطُ ! فَخَرَجْتَ إِلَيْهِ نَصْرَانِيَّةً عَلَيْهَا ثِيَابُ
 حَيْبَرٍ وَزَنْتَارٌ مَا رَأَيْتُ مِثْلَهَا ، فَقَالَ : هَذِهِ قِسْطٌ ، وَتِلْكَ أَرْوَى ، وَأَنَا الَّذِي
 أَقُولُ :

تَبَدَّلْتُ قِسْطًا بَعْدَ أَرْوَى وَحُبَّهَا ، كَذَلِكَ لِعَمْرِي الْحُبُّ يَتَذَهَبُ بِالْحُبِّ

صوفي سيء الحال

أخبرنا أبو اسحاق إبراهيم بن سعيد بمصر بقراءتي عليه في سنة خمس وخمسين وأربعمائة (١) ،
 قال : حدثنا أبو صالح محمد بن أبي عدي السمرقندي الصوفي قال : حدثنا أبو عبد الله الحسين
 ابن القاسم بن أليسع قال : حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن عمرو الدينوري قال : حدثنا
 أبو محمد جعفر بن عبد الله الصوفي قال : قال أبو حمزة الصوفي :

كان عبد الله بن موسى من رؤساء الصوفية ووجوههم ، فنظر إلى غلام
 في بعض الأسواق فبلى به ، وكاد يذهب عقله عليه صبايةً وحباً له ،
 وكان يقف في كل يوم على طريقه حتى يراه إذا أقبل ، وإذا انصرف ،

١ سنة ١٠٦٣ م .

فطال به البلاءُ ، وأقعدته عن الحركة الضني ، فكان لا يتقدرُ أن يمشي خطوةً
فما فوقها ، فأنتيته يوماً لأعوده ، فقلت : يا أبا محمد ! ما قصتُك ، وما
الأمرُ الذي بلغَ بك ما أرى ؟

فقال : أمورٌ امتحنني اللهُ تعالى بها ، فلم أصبرُ على البلاءِ فيها ، ولم يكن
لي بها طاقةٌ ولا يدان ، ورُبَّ ذنبٍ استصغرهُ الإنسانُ ممّا يزيته له الشيطان
هوَ عندَ الله تعالى أعظمُ من تسييرٍ ، وحقيقٌ لمن تعرّضَ للنظرِ الحرّامِ أن
تطولَ به الأسقام . ثمّ بكى .

فقلت : ما يُبكيك ؟ فقال : أخافُ أن يكونَ حسابي إلى النارِ
يَطولُ فيها شقائي . فانصرفتُ عنه ، وأنا راحِمٌ له لما رأيتُ به من سوءِ
الحال .

الطرف الغرّار

وياسناده قال : قال أبو حمزة :

وكنْتُ مع ثابت بن السري الصّوفي ، فنظرْتُ إلى غلام ، فقال : يا طولَ
حزْناه ممّا أرتنيه عيني ، لقد تركني وأنا لا آنسُ إلى نظري بعد نظرتي هذه !
يا شرّ ما أتاني به المقدورُ في النظرِ إلى الغرورِ ، غرتي وآله طرفي حتى استمكن
من حنفي .

ثمّ قال : كم أستقبلُ اللهُ ، عزّ وجلّ ، فيقبلي ، وكم أستعفيه فيعفيني ،
لقد خفتُ أن يكونَ ذلك استدراجاً منه حتى يأخذني بذلك كله ، في وقتِ
حاجتي إليه عند قدومي عليه .
ثمّ بكى حتى غُشيَ عليه .

.....
١ نير : جبل يظاهر مكة .

الهاتف بالليل

أبانا أبو القاسم علي بن أبي علي التنوخي قال : أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس قال : حدثنا أبو بكر محمد بن خلف المحولي إجازة قال : حدثني سعيد بن عمر بن علي البيروني قال : حدثني علي بن المختار قال : حدثني القحطي قال :

هَوِيَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ امْرَأَةً فَضَيَّ مِنْ حُبِّهَا ، حَتَّى سَقَطَ عَلَى الْفِرَاشِ ، وَكَانَ إِذَا جَنَّهُ اللَّيْلُ صَاحَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ : كَمْ تُرَى بَيْنَنَا وَبَيْنَ الصَّبَاحِ ؟ فَإِذَا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ هَتَفَ بِهِ هَاتِفٌ مِنْ جَانِبِ الْبَيْتِ :

أَلْفُ عَامٍ وَأَلْفُ عَامٍ تِبَاعاً ، غَيْرَ شَكٍّ ، فَلَا تَكُنْ مِلْحَاحاً
قال : فَأَقَامَ الرَّجُلُ عَلَى عِلَّتِهِ سَنِينَ ثُمَّ أَيْلَّ مِنْ عِلَّتِهِ .

لي سكرتان

أخبرنا أبو بكر الأردستاني قال : حدثنا أبو عبد الرحمن السلمي قال : سمعت عبد الله بن محمد الدمشقي يقول :

حَضَرْتُ مَعَ الشُّبْلِيِّ فِي مَجْلِسِ سَمَاعٍ ، وَحَضَرَ الْمَشَائِخُ ، فَغَنَى قَوْلًا ، فَصَاحَ رَجُلٌ ، وَالْقَوْمُ سَكَتُوا ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْمَشَائِخِ : يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَيْسَ هَؤُلَاءِ سَمِعُوا مَعَكَ ، كَمَا سَمِعْتَ ؟ فَقَامَ مِنْ بَيْنِ الْجَمَاعَةِ وَتَوَاجَدَ ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

لَوْ يَسْمَعُونَ كَمَا سَمِعْتُ كَلَامَهَا خَرُّوا لِعِزَّةِ رُكْعَاءِ وَسُجُودِهَا
وَأَنْشَدَ عَلَى أَثَرِهِ :

لِي سَكْرَتَانِ ، وَلَكِنَّدُمَانٍ وَاحِدَةً ،
شَيْءٌ خُصِّصْتُ بِهِ مِنْ بَيْنِهِمْ وَحَدِي^٢

١ هذا البيت لكثير عزة .

٢ هذا البيت لأبي نواس .

سكينة وعروة بن أذينة

أبانا الشيخ أبو بكر أحمد بن علي الحافظ بالشام قال : أخبرنا أبو علي الحسن بن أحمد قال :
حدثنا أبو علي الطوماري قال : حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب قال : حدثني عبد الله
ابن شبيب قال : حدثني أبو معاوية عبد الجبار بن سعيد المساحقي قال :

وَقَفَّتْ سَكِينَةُ عَلَى ابْنِ أَذِينَةَ فِي مَوْكِبِهَا ، وَمَعَهَا جَوَارِيهَا ، فَقَالَتْ :
يَا أَبَا عَامِر ! أَنْتَ تَزْعُمُ أَنَّكَ رَيْيٌّ وَأَنْتَ هَيْيٌّ ، وَأَنْتَ الَّذِي تَقُولُ :
قَالَتْ ، وَأَبْشَشْتُهَا سِرِّي ، فَبَحْتُ بِهِ : قَدَ كُنْتَ عِنْدِي تُحِبُّ السَّرَّ فَاسْتَبِرْ
أَلَسْتَ تُبْصِرُ مَنْ حَوْلِي ؟ فَقُلْتُ لَهَا : غَطَّى هَوَاكِ ، وَمَا أَلْقَى عَلَى بَصْرِي

الهالك من عشق

أبانا أحمد بن علي بن ثابت قال : أخبرني أبو الحسن علي بن أيوب القمي قال : حدثنا محمد
ابن عمران قال : أخبرني محمد بن يحيى قال :

قال العباس بن الأحنف :

وَيَحُّ الْمُحِبِّينَ مَا أَشَقَى جُلُودَهُمْ ، إِنَّ كَانَ مِثْلَ الَّذِي بِي بِالْمُحِبِّينَا
يَتَشَقَّوْنَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا بِعِشْقِهِمْ ، لَا يُدْرِكُونَ بِهِ دُنْيَا وَلَا دِينَا
يَرِقُّ قَلْبِي لِأَهْلِ الْعِشْقِ أَنَّهُمْ إِذَا رَأَوْنِي وَمَا أَلْقَى يَرِقُونَا
قال : وله أيضاً :

أَيْهَا النَّادِبُ قَوْمًا هَلَكُوا ، صَارَتِ الْأَرْضُ عَلَيْهِمْ طَبَقًا
أُنْدُبِ الْعُشَّاقِ ، لَا غَيْرَهُمْ ، إِنَّمَا الْهَالِكُ مَنْ قَدَّ عَشِقًا

١ ربيء القوم : الذي يرجعون الى رأيه . الهيبه : الحسن الحياة .

ولي من أثناء قصيدة :

مَرَّتْ بِنَا سَاحِبَةً مِرْطَهَا ، قَدِ افْتَنَتْ فِي حُبِّهَا رَهْطَهَا
وَمِنْهَا :

وَسَرَطَتْ إِتْلَافَ عُشَاقِهَا ، فَكُلْتَهُمْ مُلْتَزِمٌ شَرَطَهَا
وَاسْتَخْبَرَتْ عَنِّي عَدَاوِي بِنَا نِ الْعَمِّ ثُمَّ اسْتَخْبَرَتْ سِمِطَهَا
وَكُلْتَهُمْ أَخْبَرَ عَن رُتْبَةٍ لِي فِي الْهَوَى ، غَيْرِي لَمْ يُعْطَهَا
لَوْ لَا الْهَوَى الْعُدْرِيُّ ، يَاهَنْدُ ، لَمْ أَشْكُ النَّوَى قَطَّ وَلَا شَحَطَهَا

كوى ما كوى

ولي ابتداء قصيدة :

يَا نَاطِرِي أَنْتَ جَنَيْتَ الْهَوَى ، يَوْمَ اسْتَقَلَّ الْحَيُّ عَن ذِي طَوَى
تَاللَّهِ ! مَا أَدْرِي مَتَى أُرْشَقْتَ عَيْنَاكَ قَلْبِي يَا غَزَالَ النَّوَى
أَحْيَيْكَ الطَّائِيُّ أَغْرَاكَ بِي ؟ لَا عَقْدَةَ الْعِزِّ عَلَيْهِمْ لِيَا
حُبًّا لِي قَلْبِي الْغَزَالَ السِّدِّي كَوَى مِنَ الْأَحْشَاءِ مَا قَدُ كَوَى

١ السمت : قلادة اطول من المخنقة . والسمط من الثياب : ما ظهر من تحت الرداء .

قتله خبر زواجها

ذكر ابن حيويه ونقلته من خطه قال : حدثنا أبو بكر محمد بن خلف قال : حدثني اسحاق بن محمد الكوفي قال : حدثني عبيد الله بن محمد بن حفص بن موسى بن عبيد الله بن معمر عن أبيه قال :

كان مسافرُ بن أبي عمرو بن أمية يتعشقُ جارِيَةَ من أهل مكة ، فنَدِرَ بها أهلها ، فهربَ ، فلحقَ بالحيرةَ بالنعمان بن المنذر ، فاعتلَّ هناك بالهلاس^١ ، فجمعَ له النعمان أطباءَ الحيرةَ فأجمعوا على كيِّه ، فكوي فبرأ ، ثمَّ إنَّه قدِمَ عليه رجلٌ من أهل مكة ، فقال له : ما فعلتَ فلانة ؟ قال : تزوّجت ، قال فشهِقَ وماتَ في مكانه ، فقال أبو طالب ، وكان صديقاً لمسافرٍ خاصاً به ، فقال يرثيه :

لَيْتَ شِعْرِي ، مُسَافِرُ بن أبي عم
كَيْفَ كَانَتْ مَرَارَةُ المَوْتِ فِي فِ
خَيْرُ مَيِّتٍ عَلَى هِبَالَةٍ ، قَدِ حَا
بُورِكَ المَيِّتِ الغَرِيبُ ، كَمَا بُو
كَمْ صَدِيقٍ وَصَاحِبٍ وَابْنِ عمِّ
فَتَعَزَّيْتُ بِالجَلَادَةِ وَالصَّبِّ
رَجَعَ النَّاسُ آيِبِينَ جَمِيعاً ،
رِي ، وَلَيْتَ بِصَاحِبِي لَضَنِينَ
وَحَلِيلِ عَقَّتْ عَلَيْهِ المَنُونُ
رِكَ نَضْرُ الرِّبْحَانَ وَالزَّيْتُونَ
رِي ، وَلَيْتَ بِصَاحِبِي لَضَنِينَ
وَحَلِيلِ فِي مَرْمَسٍ مَدْفُونُ

١ نذريه : علمه فحذره واستعد له .

٢ الهلاس : مرض السل .

٣ القياي ، الواحدة قيفاء : المفازة لا ماء فيها . الحزون ، الواحد حزن : ما غلظ من الأرض وقلما يكون إلا مرتفعاً .

خشف شبيه الحبيب

وجدت بخط أحمد بن محمد بن الأبنوسي ونقلته من أصله قال : حدثنا أبو محمد علي بن عبد الله
ابن المفيرة قال : حدثنا جدي قال : حدثنا أبو عمر العمري قال : حدثنا عبد الملك بن قريب
عن غياث بن الحارث السهمي قال : حدثني زيد بن عمارة النهدي قال :

اصطدتُ خشفاً^١ فأوثقتُهُ ، وحملتُهُ ، ثمَّ أقبلتُ به ، إذ استقبلني
غلامٌ كأنه فليقةٌ قمرٍ له ضفيرتان قد قاربتا عجزتَه ، فلمَّا رأى الخشفَ ،
وقفَ ينظرُ إليه ويننفسُ الصعداءَ ، ثمَّ أنشأ يقول ، وهو يبكي :

وذاكرني من لا أبوحُ بذكره ، محتاجيرُ ظبيِّ في حبائلِ قانصٍ
فقلْتُ ، ودَمْعُ العينِ يجري بحرقَةٍ ، ولحظي إلى عينيهِ لحظةٌ شاخصٍ :
ألا أيهدَا القانصُ الظبيَّ حلقه ! وإن كُنْتَ تآبَاهُ ، فمُرْ بقلائصي
خَفِ اللهُ لا تحبسه ! إن شبيبههُ حَيَاتِي ، وقد أرعدتَ فيه قرأ .

قال : ثمَّ بكى ، قال : فقلت : دُونَكَه يا فَيَ فهوَ لك ، قال :
فعمدَ إليه فحله ، ثمَّ قبَّلَ عينيهِ ، ثمَّ أرسله .

قال : فمرَّ الظبيُّ وأتبعه بصره يبكي في أثره ، قال : ثمَّ سكنَ ،
فقلت : يا فَيَ ألك حاجةٌ ؟ قال : نعم ! قلت : ما هي ؟ قال : تبلُّغُ معي
الحي . قال : فوصلتُ معه المنزلَ ، قال : فلمَّا كان من الغد ، إذا به يسوقُ
عشراً من الإبلِ حتى وقفَ علي ، فقال : دونسكها ، فامتعتُ ، فأبى إلا قبولها .
قال : فسألتُ عنه ، فقالوا : هذا فَيَ يهوى فتاة من الحي .

١ الخشف : ولد الظبي أول ما يولد .

العجوز المتصاية

أنبأنا أبو جعفر محمد بن أحمد العدل أن أبا عبيد الله محمد بن عمران أخبرهم في ما أجاز لهم قال : حدثنا أبو بكر بن دريد قال : حدثنا عبد الرحمن عن عمه قال :

إني لفي سوق ضَرِيَّةَ ، وقد نزلتُ على رجلٍ من بني كلاب ، وكان
متزوّجاً بالبصرة ، وكان له أهلٌ بِضَرِيَّةَ ، إذ أقبلتُ عجوزٌ على ناقهٍ لها
حَسَنَةُ البزّةِ ، يُتَخِيلُ فيها باقي جمالٍ ، فأناخت ، وَعَقَلتْ ناقَتَهَا ،
وَأَقْبَلتْ تَتَوَكَّأُ على مِحْجَنٍ لها ، فجلستُ قريباً منّا ، فقالت : هل
من مُنْشِدٍ ؟ فقلتُ للكلابي : أَيَحْضُرُكَ شيءٌ ؟ فقال : لا ! فأنشدتها شعراً
ليشر بن عبد الرحمن الأنصاري ، وهو :

وَقَصِيرَةَ الأَيَّامِ وَدَّ جَلِيسَهَا لَوْ بَاعَ مَجْلِسَهَا بِفَقْدِ حَمِيمِ
مَحْدِيَّاتِ أَخِي الهَوَى غُصَصَ الجَوَى بِدَلَالِ غَانِيَةٍ وَمُقَلَّةِ رِيَمِ^٢
صَفْرَاءَ مِنْ بَقَرِ الجِوَاءِ ، كَأَنَّمَا خَفَرُ الحَيَاءِ بِهَا رُدَاعُ سَتِيمِ^٣
فَجَثَّتْ على رُكْبَتَيْهَا ، وَأَقْبَلتْ تَنكُتُ الأَرْضَ بِمِحْجَنِهَا وَأَنْشَأَتْ
تقول^٤ :

فِي يَأْ أَمَامَ القَلْبِ ، نَقْضِ لُبَانَةٍ وَتَشْكُ الهَوَى ثُمَّ افْعَلِي مَا بَدَأَ لِكِ
فَلَوْ قُلْتِ طَسًا فِي النَّارِ أَعْلَمُ أَنَّهُ هَوَى مِنْكَ لِي أَوْ مِنَّةٌ مِنْ نَوَالِكِ
لَقَدَّمْتُ رِجْلِي نَحْوَهَا فَوَطِئْتُهَا ، هَوَى مِنْكَ لِي أَوْ هَفْوَةٌ مِنْ مَلَالِكِ

١ المحجن : العصا المنعطفة الرأس .

٢ المحذيات : لعله من أحذاه أعطاه قسمه من الغنمية ، فيكون المعنى المجازي انهن أعطين أخا الهوى حصة النقص .

٣ الجواء : الواحي المتسع ، واسم موضع . الرذاع : عودة المرض .

٤ الأبيات الآتية هي لعبد الله بن الدميثة ، شاعر اسلامي ، مشهور بركة شعره وعاطفته .

سَلَى البَانَةَ العُلَيَا مِنَ الأَجْرَعِ الَّذِي به البانُ، هل حاولتُ غيرَ وِصَالِكِ
وَهَلْ قَمْتُ فِي أَطْلَاهِنَ عَشِيَّةً ، قيامَ سَقِيمِ القَلْبِ، وَاخْتَرْتُ ذَلِكَ
لِيَهْنِكَ إِسَاكِي بِكَفِّي عَلَى الحِشَا، وَرَقْرَاقُ دَمْعِي رَهْبَةً مِن زِيَالِكِ

قال الأَصْمَعِيُّ : فَأَظْلَمْتُ وَاللَّهِ عَلَيَّ الدُّنْيَا لِحَلَاوَةِ مَنْطِقِهَا ، وَفَصَاحَةِ
لَهْجَتِهَا ، فَدَنَوْتُ مِنْهَا فَقُلْتُ : تَشَدَّدْتُكَ بِاللَّهِ لَمَّا زِدْتَنِي مِنْ هَذَا ؟ فَرَأَيْتُ
الضَّحِكَ فِي عَيْنِهَا ، وَأَنْشَدْتُ :

وَمُسْتَحْقِبَاتٌ لَيْسَ يَتَحَقِّقَنَّ زُرُّنَنَا ، وَيَسْحَبَنَّ أَذْيَالَ الصِّيَانَةِ وَالشُّكْلِ ١
جَمَعَنَّ الهَوَى حَتَّى إِذَا مَا مَلَكَ كُنْهَهُ نَزَعَنَّ ، وَقَدْ أَكْثَرْنَا فِينَا مِنَ القَتْلِ
مَرِيضَاتٌ رَجَعِ القَوْلُ خُرُسٌ عَنِ الحَنَا ، تَمَلَّنَنَّ أَهْوَاءَ القُلُوبِ بِلا بَدَلِ
مَوَارِقُ مِن حَبْلِ المَحِبِّ عَوَاطِفٌ ٢ بِجَبَلِ ذَوِي الأَلْبَابِ بِالْحِدِّ وَالْهَزْلِ
يُعْتَفِي العُدَّالُ فِيهِنَّ ، وَالْهَوَى يُحَدَّرُنِي مِن أَنْ أُطِيعَ ذَوِي العَدَالِ

فَقُلْتُ : أَحْسَنْتِ ، وَالَّذِي خَلَقَكَ ! فَقَالَتْ : أَكْذَاكَ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ !
قَالَتْ : فَتُنْشِرُكَ فِي هَذَا الإِحْسَانِ غَيْرَ كَم ، ثُمَّ قَامَتْ ، فَوَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ
مُنْشِدَةً بَعْدَهَا أَحْلَى أَلْفَاظاً مِنْهَا .

أمانها ومات أسفاً عليها

وجدت بخط أبي عمر بن حيويه، رحمه الله، ونقلته منه قال : حدثني أبو بكر محمد بن خلف
المحولي قال : حدثنا أبو عبد الله التميمي قال : أخبرنا زياد بن صالح الكوفي قال :

كان العلاءُ بن عبد الرحمن التَّغَلبي من أهل الأدب والظرف ، فوَأَصَلَّتْهُ
.....
١ المستحقيات من استحقب الشيء : ادخره، أو من استحقبه : شده في مؤخر رحله واحتمله خلفه .
يحقين من حقبه : أركبه وراهه . ولا ندري ما المراد . الشكل : الدلال .
٢ مارقات : خارجات خروج السهم من الرمية . العواطف : لعل المراد بالعواطف ، الميلات
حبل المشاق ، عابثات بهم ، فتكون الباء في بحبل زائدة ، والعواطف : المشغفات .

جارية من جَوَارِي القِيَان ، فكان يُظهرُ لها ما ليس في قلبه ، وكانت الجاريةُ على غاية العشق له ، والميل إليه ، فلم يَزَالا على ذلك حتى ماتت الجاريةُ عشقاً له ووجداً به ، فذكرها بعد ذلك وأَسِفَ على ما كان من جفائه لها وإِعْرَاضِهِ عنها ، فرآها لَيْلَةً في منامه ، وهي تقول له :

أَتَبْكِي بَعْدَ قَتْلِكَ لِي عَلَيَّ ، فَهَلَّا كَانَ إِذَا إِذْ كُنْتُ حَيًّا
سَكَبْتَ دَمُوعَ عَيْنِكَ فِي أَنْهَالٍ ، وَمَنْ قَبْلَ الْمَمَاتِ تُسَيِّ لِتَيَّا
فِيَا قَمْرًا بَرَى جِسْمِي وَرُوحِي ، وَيَقْتُلُنِي وَمَا أَبْقَى عَلَيَّا
أَقِيلَ مِنَ النَّبَاحَةِ وَالْمَرَاثِي ، فَلِي مَا أَرَاكَ صَنَعْتَ شَيْئًا
قال : فزَادَ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْأَسْفِ وَالغَمِّ وَالْبُكْيِ ، حَتَّى فَاضَتْ
نَفْسُهُ فَمَاتَ .

عذبة الأنياب

أبناؤنا القاضي أبو الحسين أحمد بن علي التوزي قال : أخبرنا أبو الفضل محمد بن الحسن بن المأمون قال : حدثنا أبو بكر محمد بن القاسم الانباري قال :

قال جميل بن معمر :

خَلِيلِي عُوَجًا الْيَوْمَ حَتَّى تُسَلِّمًا عَلَى عَذْبَةِ الْأَنْيَابِ طَيِّبَةِ النَّشْرِ
فَإِنَّكُمْ مَا إِنَّ عُوَجْتُمْ لِي سَاعَةً شَكَرْتُكُمْ مَا حَتَّى أُغَيَّبَ فِي قَبْرِي
وَأَنْتُمْ مَا إِنَّ لَمْ تَعُوَجًا فَلِئَنِّي سَأَصْرِفُ وَجَدِي ، فَأَذَنَا الْيَوْمَ بِالْهَجْرِ
وَمَا لِي لَا أَبْكِي ، وَفِي الْأَيْكِ نَائِحٌ ؟ وَقَدْ فَارَقْنِي شَخْتَةُ الْكَشْحِ وَالْخَصْرِ

١ نسي : سهل نسي .

٢ الشخنة : الدققة ، الضامرة . الكشح : ما بين السرة ووسط الظهر .

أَيْبِكِي حَمَامُ الْأَيْكِ مِنْ فَقْدِ الْفِيهِ
يَقُولُونَ: مَسْحُورٌ يُجَنِّ بِذِكْرِهَا،
فَأَقْسِمُ لَا أَنْسَاكِ مَا ذَرَّ شَارِقُ،
وَمَا لَاحَ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ مُعَلَّقٌ،
لَقَدْ شَغِفْتَ نَفْسِي، بُشَيْنَ، بِذِكْرِكُمْ،
ذَكَرْتُ مَقَامِي لَيْلَةَ الْبَانَ قَابِضاً
فَكِدْتُ، وَلَمْ أَمْلِكْ إِلَيْهَا صَبَابَةً،
فِيَا لَيْتَ شِعْرِي أَهْلُ أَبِييْنِ لَيْلَةَ
تَجُودُ عَلَيْنَا بِالْحَدِيثِ وَتَارَةَ
فَلَيْتَ الْهَوَى لِي قَدْ قَضَى ذَاكَ مَرَّةً،
فَلَوْ سَأَلْتُ مِنِّي حَيَاتِي بِذَلِكَ،

وَأَحْمِلُ مَا بِي عَنْ بُشَيْنَةَ مِنْ صَبْرِ
فَأَقْسِمُ مَا بِي مِنْ جُنُونٍ، وَلَا سِحْرِ
وَمَا خَبَّ آلٌ فِي مُلَمَّعَةٍ قَفْرًا
وَمَا تَوْرِقُ الْأَغْصَانُ مِنْ وَرَقِ السُّدْرِ
كَمَا شَغِفَ الْمَخْمُورُ، يَا بَثْنَ، بِالْحَمْرِ
عَلَى كَفِّ حَوْرَاءِ الْمَدَامِعِ كَالْبَدْرِ
أَهِيمُ، وَقَاضِ الدَّمْعِ مَنِي عَلَى النَّحْرِ
كَلِيلَاتِنَا حَتَّى يُرَى سَاطِعُ الْفَسْجْرِ
تَجُودُ عَلَيْنَا بِالرُّضَابِ مِنَ الشَّغْرِ
فَيَعْلَمَ رَبِّي، عِنْدَ ذَلِكَ، مَا شُكْرِي
وَجَدْتُ بِهَا إِنْ كَانَ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِي

بكيت من الفراق

أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري بقراءتي عليه قال : أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس
ابن حيويه قال : حدثنا أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري قال :
أنشدني إبراهيم بن عمرو لمحمد بن أبي أمية :

بَكَيْتُ مِنَ الْفِرَاقِ غَدَاةً وَلَّتْ
فَمَا رَقَاتُ دُمُوعِ الْعَيْنِ حَتَّى
غَدَا أَحَدُو مَطَايَا الشَّوْقِ مِنِّي
وَأَسْتَبْطِي إِلَى بَغْدَادَ سَيْرِي،
بِنَا بُزْلُ الرِّكَابِ عَنِ الْعِرَاقِ
شَفَى قَلْبِي الْعِرَاقُ مِنَ الْفِرَاقِ
بِسَوْقٍ لَا يُقِيمُ عَلَى الرِّفَاقِ
وَلَوْ أَنِّي حَمَلْتُ عَلَى الْبِرَاقِ

١ الآل : ما يرى كالسراب . الملمعة : الغلاة التي يلعب فيها السراب .

آه من الحب

حدثنا أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الأندلسي من لفظه قال : حدثني الفقيه أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي قال : حدثني القاضي أبو محمد عبد الله بن الربيع قال : حدثنا أبو علي القالي قال :

أنشدنا ابن عرفة نبطويه لابن أبي مرة المكي :

إنَّ وَصْفُونِي، فَنَسَاحِلُ الْجَسَدِ، أَوْ فَتَشُونِي فَأَبْيَضُ الْكَبِدِ^١
ضَاعَفَ وَجَدِي وَزَادَ فِي سَقَمِي أَنْ لَسْتُ أَشْكُو الْهَوَىٰ إِلَىٰ أَحَدٍ
آهٍ مِنَ الْحُبِّ آهٍ، وَآكِبِدِي^٢ ! إِنَّ لَمْ أُمْتُ فِي غَدٍ فَبَعْدَ غَدٍ
جَعَلْتُ كَفِّي عَلَىٰ فُؤَادِي مِنْ حَرِّ الْهَوَىٰ، وَأَنْطَوَيْتُ فَوْقَ يَدِي
كَأَنَّ قَلْبِي، إِذَا ذَكَرْتُكُمْ، فَرِيَسَةٌ بَيْنَ سَاعِدَيْ أُسَدٍ

قاتل الله الحمى

قال : وأخبرنا الأشرف قال :

قرأتُ على أبي العباس الأعرابي :

أَيَا مُنْشِرَ الْمَوْتِ أَقِدْنِي مِنَ الَّتِي بِهَا نَهَلْتُ نَفْسِي سَقَاماً وَعَلَّتِ^٢
لَقَدْ بَخَلْتُ حَتَّىٰ لَوَّانِي سَأَلْتُهَا قَدَى الْعَيْنِ مِنْ صَاحِي التَّرَابِ لَضَنْتِ^٣

١ اراد بأبيض الكبد : انه حليل ، قد فقد دمه فايبيضت كبده .

٢ أقامه به : قتله بدلا منه . نهلت : شربت اول الشرب . علت : شربت ثانية .

٣ القذى : ما يقع في العين من تبنة ونحوها فيؤذيها . الصاحي : البارز للشمس . ضنت : بخلت .

ألا مَنْ لَعِينٍ لَا تَرَى قُلُوبَ الْحِمَى ، وَلَا حَبَبَ الْأَوْشَالِ إِلَّا اسْتَهَلَّتْ ١
ألا قَاتِلَ اللَّهِ الْحِمَى مِنْ مَقَامِهِ ، وَقَاتِلَ دُنْيَانَا بِهِ كَيْفَ وَكَلَّتْ
فَمَا أُمَّ بَوِّ هَالِكٍ بِتِنُوفَسَةٍ إِذَا ذَكَرْتَهُ أَخِيرَ اللَّيْلِ حَنَّتْ ٢
وَمَا وَجَدُ أَعْرَابِيَّةٍ قَدَفَتْ بِهَا صُرُوفُ النُّوَى مِنْ حَيْثُ لَمْ تَكُ ظَنَّتْ
إِذَا ذَكَرْتَ نَجْدًا وَطَيْبَ تُرَابِهِ ، وَبَرَدَ الْحَصَى مِنْ أَرْضِ نَجْدِ أَرْتَتْ ٣
بِأَكْثَرِ مَنِيِّ لَوْعَةٍ ، غَيْرَ أَنْتِي أَطَامِينُ أَحْشَائِي عَلَى مَا أُجْنَتْ ٤

حديث كالقطر

وياسناده قال : حدثنا القاضي قال : قرأت في نوادر ابن الأعرابي عن أبي عمر المرز الأعرابي قال أبو عمر :

أنشدنا أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي :

وَحَدِيثُهَا كَالْقَطْرِ يَسْمَعُهُ رَاعِي سِنِينَ تَتَابَعَتْ جَدُوبًا
فَأَصَاحَ يَرْجُو أَنْ يَكُونَ حَيًّا ، وَيَقُولُ مِنْ فَرَحٍ : أَيَا رَبِّا

- ١ القليل ، الواحدة قلة : القمة . الحبيب : الفقايع التي تملو الماء . الأوشال ، الواحد وشل : الماء القليل . استهلَّت : أفاضت الدمع .
٢ البو : ولد الناقة . التنوفة : البرية لا ماء فيها ولا أنيس .
٣ ارتت : اعولت .
٤ أجنَّت : سرت .

حديثها السحر الحلال

وأحسنَ ابن الرومي في هذا المعنى قوله :

وَحَدِيثُهَا السَّحْرُ الْحَلَالُ لَوْ أَنَّهُ لَمْ يَجْنِ قَتْلَ الْمُسْلِمِ الْمُتَحَرِّزِ
إِنْ طَالَ لَمْ يُمَلَلْ، وَإِنْ هِيَ أَوْجَزَتْ وَدَّ الْمُحَدِّثُ أَنَّهَا لَمْ تُوجِزِ
شَرَكُ الْعِيُونِ، وَفِتْنَةُ مَا مِثْلُهَا لِلْمُطْمَئِنِّ، وَعَقْلَةُ الْمُسْتَوْفِرِ

حديث كقطع الرياض

قال : وأنشدني بعضُ أصحابنا لبشار :

وَكَأَنَّ حُلُومَ حَدِيثِهَا ، قِطْعُ الرِّيَاضِ كُسَيْنَ زَهْرًا
وَكَأَنَّ تَحْتَ لِسَانِهَا هَارُوتَ يَنْفُثُ فِيهِ سِحْرًا
وَتَخَالَ مَا جُمِعَتْ عَلَيْهِ هِ ثِيَابُهَا ذَهَبًا وَعِطْرًا
وَكَأَنَّهَا بَرْدُ الشَّرَا بِ صَفَاوَأَفَقَ مِثْلِكَ فِطْرًا

ما لي وللعيد

أنيأنا أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي قال :

أنشدني أبو عبد الله بن حجاجٍ لنفسه :

قالوا: غَدَا الْعِيدُ فَاسْتَبَشِّرْ بِهِ فَرَحًا! فقلتُ : ما لي وما للعيدِ وَالْفَرَحِ

١ العقلة : ما يعقل به أي يربط . المستوفز : المتهيء للوثوب .

قَدْ كَانَ ذَا، وَالنَّوَى لَمْ تُضَحِ نَازِلَةً،
 بِعَقْوَتِي، وَغُرَابُ الْبَيْنِ لَمْ يَصِحْ^١
 أَيَّامَ لَمْ يَخْتَرِمُ قُرْبِي الْعِبَادُ، وَلَمْ
 يَغْدُ الشَّتَاتُ عَلَيَّ شَمْلِي وَلَمْ يَرْحِ^٢
 وَطَائِرُ طَارَ فِي خَضْرَاءِ مُورِقَةٍ
 عَلَيَّ شَقًّا جَدُولٍ بِالرَّوْضِ مُنْتَشِحٍ
 بَسَكِي وَنَجَاحَ، وَلَوْلَا أَنَّهُ سَبَبُ
 لَشَجْوِ قَلْبِي الْمُعْتَى فِيكَ لَمْ يَنْحِ
 فَمَا ذَكَرْتُكَ، وَالْأَفْدَاحُ دَائِرَةٌ،
 إِلَّا مَزَجْتُ بَدَمِي بِبَاكِيَا قَدَحِي
 وَلَا سَمِعْتُ بَصَوْتٍ فِيهِ ذِكْرُ نَوَى،
 إِلَّا عَصَيْتُ عَلَيْهِ كُلَّ مُفْتَرِحِ

مختصر يصف نفسه في ساعة الموت

أخبرنا أبو اسحاق ابراهيم بن سعيد بفسطاط مصر قال : أخبرنا أبو صالح محمد بن أبي عدي
 السمرقندي الصوفي قال : أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن القاسم بن أليسع بالقرافة قال : حدثنا
 أبو بكر أحمد بن محمد بن عمرو الدينوري قال : حدثنا أبو محمد جعفر بن عبد الله الصوفي
 الخياط قال : قال أبو حمزة محمد بن ابراهيم الصوفي قال : حدثنا أبو كامل الحراني قال :
 حدثني أبو محمد بن زرعة قال :

كَانَ خَضْرُ بْنُ زَهْرَةَ الشَّيْبَانِي مِنْ أَعْبِدِ الصَّوْفِيَّةِ ، وَأَنْتَسَكَهُمْ وَأَشَدَّهُمْ
 اجْتِهَاداً ، وَأَمْلَكَهُمْ لِنَفْسِهِ ، وَكَانَ مَقْبُولَ الْقَوْلِ مُطَاعاً فِي بَلَدِهِ ، فَارِساً
 شُجَاعاً ، ذَا مَالٍ وَآفِرٍ ، فَتَنَشَأُ لَهُ غَلَامٌ قَدِ رَبَّاهُ كَأَحْسَنِ مَا رُوِيَ مِنَ الْغِلْمَانِ
 فِي حِفْظِ الْقُرْآنِ وَحِفْظِ الْحَدِيثِ وَحَسَنِ الْمُنَاطَرَةِ وَالْأَدَبِ وَالْعِبَادَةِ ، وَكَانَ
 قَدْ أَخَذَ عَنْهُ ، وَسَمِعَ حَتَّى كَانَ بَعْضُ النَّاسِ يُوَازِيهِ بِهِ فِي الْفَرُوسِيَّةِ وَالشُّجَاعَةِ
 وَالْمَعْرِفَةِ ، وَكَانَا مَلَازِمَيْنِ لِلغَزْوِ ، فَخَرَجَا فِي بَعْضِ السَّرَايَا ، فَأُصِيبَتْ
 السَّرِيَّةُ ، وَأَفْلَسَتْ مِنْهَا جَرَحَى ، وَفِيهَا خَضْرُ وَغَلَامُهُ جَرِيحَانِ ، مُشَخَّنَانِ ،

١ العقوة : الساحة ، المحلة .

٢ يحترم : يستأصل .

فكتمنا في بعض الغياض ، فاشتدَّت عِلَّةُ الغلام ، وَضَعُفَ عَنِ الحِرْكَةِ
والتَّهْوِضِ ، فأقمنا عليه ثلاثاً ، وَتَنَزَّلَ بِهِ المَوْتُ ، فأقبلَ يَضْحَكُ أحياناً ،
ويَبْكِي أحياناً ، فقال له خضرٌ : ممَّ تَضْحَكُ يا بني ؟
قال : أضْحَكُ إلى جِوَارٍ يَضْحَكُنَ إليّ ، وَيُقْبِلُنَ بوجُوهِهِنَّ عليّ .
قال : فما يبكيك ؟

قال : أبكاني فراقكَ وَحَبْسُكَ في الدُّنْيَا بَعْدِي .
قال : أما لئن قلتَ ذلكَ يا بُني لِيكوننَّ عمري بَعْدَكَ قَصِيراً ، وَحُزْني
عليك كثيراً ، وَفَرَحِي بَعْدَكَ قَلِيلاً ، وَقَلْبِي بِفِرَاقِكَ عَليلاً ، فَسُبْحَانَ
من أَبْقَانِي بَعْدَكَ للأحزَانِ ، وَعَرَضْتَنِي لِنَوَائِبِ الزَّمَانِ ، وَجَعَلْتَنِي غَرَضاً
لِنَوَازِلِ الحِثْدَانِ .
وَبَكَتَنِي حَتَّى انْقَطَعَ عَنِ الكَلَامِ ، فقالَ له : لا تَبْكُ فَإِنَّ لِقَاءَنَا قَرِيبٌ ،
وَاجْتِمَاعَنَا سَرِيعٌ .

فقال : أنوصي بشيء يا بُني حتى أبلغَ فيه محبوبك ؟
قال : نعم ! قال : قل ! قال : عليك بالصبرِ بَعْدِي ، فَإِنَّهَا دَرَجَةٌ
الأبرارِ ، وَمَعْقَلُ الأَخْيَارِ ، وَإِيَّاكَ وَالْحَزْنَ ، فَإِنَّهُ سَبِيلٌ لِكُلِّ ضَعِيفٍ ،
وَمَعْوَلٌ كُلِّ خَاطِئٍ ، وَإِيَّاكَ وَالزَّيْغَ ، وَالزَّمَّ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ ، فَإِنَّهُ يُوشِكُ
أَنْ يُقَدِّمَ بِكَ عَلَى غِيبَةِ وَسُرُورٍ وَسَعَادَةٍ وَحُبُورٍ ، فَلَوْ رَأَيْتَ مَا أَعَدَّ اللهُ
تَعَالَى لِي مِنَ الكَرَامَةِ ، وَتَفَضَّلَ عَلَيَّ بِهِ مِنَ الرَّحْمَةِ ، لَأَحْبَبْتَ أَنْ تَكُونَ
المَقْدَمَ إِلَيْهِ قَبْلِي .

فقال : لقد سررتني يا بُني بما وصفتَ ، وَغَبَطْتُكَ بما قد بَلَغْتَ ،
فهَلْ بَقِيَ سَبِيلٌ أُمِرُ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا تُحِبُّ أَنْ تُبْلِغَهُ حَتَّى أُبْلِغَهُ لَكَ إِنْ رَزَقْتَنِي
اللهُ العَافِيَةَ ، وَتَخَلَّصْتُ سَالماً ، وَوَهَبْتَ لِي الحَيَاةَ .
قال : نعم ! تجعل لي معك سَهْماً في حَبْلِكَ وَغَزْوِكَ وَصَدَقْتِكَ .
قال : قد فعلتُ ، لوالديَّ الثلثُ وَلكَ الثلثُ ، ممَّا تَفَضَّلَ اللهُ بِهِ عَلَيَّ

من الأجر .

فقال : أمّا إذ بدا لك ما سألت ، فإني أقولُ شيئاً لم أكن قلتُه لك ،
ولا أطلعك عليه : ما أتيتُ أمراً من أمورِ الخيرِ إلاّ قلتُ : اللهمّ ما قسمتَ
لي فيه من أجرٍ فاجعله لمولايِ دوني . .

قال : بمّ استحققتُ ذلك منك يا بني ؟

قال : لأتلك ملكتني صغيراً ، فأحسنتَ ملكي ، وصحبتني كبيراً ،
فوفقتَ في صحبتي ، وخفيتَ مقامَ اللهِ فيّ ، ونزّهتَ نفسك عن السوءِ ،
وصدّقتني عن أفعالٍ قد كانت عن غيرك مأثورةً عنهم ، ومحفوظةً مشهورةً ،
قد تحدثَ بها النَّسّاكُ عنهم وسمعوها منهم ، وشهدتَ الحفظةُ وكتبتَها
الملائكةُ من هجومهم على السيئاتِ ورُكوبهم الفاحشاتِ ، وجمّوحهم في الباطلِ
وتركيهم سبيلَ الحقِّ ، وإيثارهم لشهواتهم في جميعِ حالاتهم ؛ وقد صحبتك
على مرّ الأيامِ وكثرَ السنينِ فلم أركَ تُؤثّرُ شيئاً من هوائك على أمرٍ آخرتكَ ،
ولم أرَ أحداً اللهُ أهيّبُ في قلبه منك ، فنفعك اللهُ بذلك ، وجعله سبباً للنظرِ
إلى وجهه ، والبلاغِ إلى رحمته ، والخلوةِ في داره ، والمقامِ في جواره .

قال أبو محمد بن زُرعة : فدنوتُ منه ، وقلتُ : بأبي أنتِ وأمي ! اجعلني
في شفاعةك .

قال : أنتَ الرقيقُ والصاحبُ ؛ أنتَ أولُ مَنْ أشفعُ له بعد مولاي ،
وهؤلاء الذين معك .

فقال له مولاة : يا بُني ! هل تجدُ للموتِ ألماً ، وترى من مقدّماته
علماً ؟ فإن كنتَ ترى شيئاً ، فحدّثني بكلِّ ما تراهُ قبلَ أن تغلّبَ على
الحديثِ ، فلا يُمكنك أن تُخبرني بشيءٍ ممّا تجدُ أو ترى .

قال : أمّا ما أجدهُ فإني أجيدُ قلبي كأنه سَعفةٌ في يومِ ريحٍ عاصِفٍ
من خفّاقانه ، أو ريشةٌ في جناحِ طائرٍ إذا أمعنَ في طيرانه ؛ وأجدُ نفسي
ساعةً بعد ساعةٍ تذبذبُ كالسراجِ إذا أرادَ أن يطفأ ؛ وأجدُ عيني كأن

الأسِنَّة تَنْخَسُّهَا ، فما أَقْدِرُ على جَمْرَةٍ تَتَوَقَّدُ ؛ وَأَجِدُ عِظَامِي كَأَنَّهَا بَيْنَ رَحِيئِينَ تَطْحَنَانَهَا ؛ وَأَجِدُ أَمْعَائِي وَأَحْشَائِي كَأَنَّهَا فِي أَفْوَاهِ سِبَاعٍ تَمَضُّغُهَا .
فبكى خضرٌ وَقَالَ : كُفَّ عَنِّي ، لا تَصِفْ شَيْئاً ، فقد كاد عقلي أن يذهل بصفتك وَقَلْبِي يَتَصَدَّعُ مِمَّا نَزَلَ بِكَ .

فقلتُ له : أليسَ في ما سمعتَ وَسَمِعْنَا أَنَّ الشَّهيدَ لا يجدُ من أَلَمِ السِّلَاحِ إِلَّا كما يجدُ أَحَدُكُمْ أَلَمَ الشَّوْكَةِ أَوْ أَقْلًا ؟ قال : بلى ا قال : فقلتُ : أفلستَ شهيداً مثلهم ؟ قال : بلى ! قلتُ : فما بالكَ أنتَ تألُمُ من بينهم ؟ قال : إنَّما ذلكَ عندَ خُرُوجِ النَّفْسِ وَرُؤْيَةِ مَلَكِ المَوْتِ ، ولم أبلِغْ بعدُ إلى ذلكَ .

فقال له خضرٌ : فهل تَرَى شَيْئاً ؟

قال : أرى صُوراً مُقْبِلَةً لها أَجْنِحَةٌ تطيرُ بها ، تُرْفَرُفُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ .

قال : فهل قُرْبَ منكَ أَحَدٌ منها ؟

قال : نعم جماعةٌ .

قال : صِفْهم لي .

قال : أرى صُوراً لم أرَ أَحْسَنَ منها منظرًا ، بَعْضُهُم جَنَاحَاهُ من لَوْلُؤِ وَسائِرُ بدنِهِ من ياقُوتٍ ، وَبَعْضُهُم جَنَاحَاهُ من ياقُوتٍ وَسائِرُ بدنِهِ من زُمُرُودٍ .
قال : فهل تَرَى مَلَكِ المَوْتِ ؟

قال : ما أراه ! أليسَ في ما كُتِبَ من الحَدِيثِ أَنَّ العَبْدَ إِذَا عاينَ مَلَكِ

المَوْتِ شَخَصَ ثُمَّ أَمْسَكَ سَاعَةً فلم يتكَلَّمْ ؟

فقال له خضرٌ : هل تَرَى شَيْئاً ؟

قال : أرى شَخَصاً قد هَبَّطَ من السَّمَاءِ إلى الأَرْضِ حتى سَدَّ ما بَيْنَ

الخافِقَيْنِ ، قد نَشَرَ أَجْنِحَتَهُ ، فَأَشْرَقَتِ الشَّمْسُ من حُسْنِهِ وَأَضَاءَتِ الدُّنْيَا من نورِهِ ، وَسَكَنَ عَنِّي ما أَجِدُ من الأَلَمِ حتى كَأَنَّهُ لم يكن ، فما أَحْسَنَ منه شَيْئاً ، ثُمَّ سَكَتَ ، فلم يتكَلَّمْ بكلمة حتى مات ، رَحِمَهُ اللهُ .

نومة عبود

ذكر أبو بكر محمد بن الفضل بن قدير في مجموعه قال : حدثني محمد بن أحمد البراز قال :
حدثني عبد الله بن محمد أبو جمعة الوراق قال :

أخبرتُ أنّ المهدي دخل الكوفة فقال لأبي الأحوص محمد بن حيان الكوفي : حدثنا حديثاً من طرائف الأخبار بما حضرَكَ ، قال :
كان في الزمان الأول رجلٌ يُقال له عبود وكان عاشقاً لابنة عمّ له فحضرها الوفاة ، فأزعجه ذلك ، وأقلقه ، فلما توفيت صار إلى المسيح ، فسأله أن يحييها قال : لن يتهيئاً ذلك أو تهب لها من عمرك شيئاً . قال : قد وهبت لها نصف عمري ، فصار المسيح إلى تربتها ، فوقف عليها ، وسأل ربه أن يحييها فأحيها ، فأخذ بيدها عبود ، ومضى يريد بها أهله ، فأدركه الفتور في بعض الطريق ، فحط رحله ، ووضع رأسه في حجرها ، واستقل نوماً .

فاجتاز بها ملكُ الناحية فرأى وجهاً جميلاً وخلقاً حسناً ، فعرض عليها صحبتته ، فأجابته ، فأمرها ، فوضعت رأسه من حجرها ، وحملتها في قبة كانت معه ، فلما اتبه عبود بقي متلداً^١ ، فيينا هو كذلك إذ تلقاه نفرٌ يتواصفون الجارية وبراعة خلقها ، فسألهم عن الخبر ، فأسموه أنهم رأوا مع الملك امرأة قد حملها في قبة ، من حالها وصفتها ، فلم ينزل يقفوا الأثر حتى لحقها فجعل يذكروها العهد ، وهي ساكنة^٢ ، ويسألها النزوع عما هي عليه ، وهي مزورة^٢ عنه ، إلى أن قال : ويحك قد كنت توفيت ، فصرت في جملة الموتى ، فسألت المسيح ، فأحيك لي على أني أعطيتك من عمري نصفه ، فإن كنت لا تساعدني ولا تصيرين معي إلى أهلي

١ متلداً : متحيراً .

٢ مزورة عنه : معرضة عنه .

وأهلك ، فرُدِّي عليّ ما وهبتُ لكِ من عمري .
 قالت : فإني قد ردَدْتُه عليك ، ولا حاجةَ لي فيه ، فما أتممت هذه
 الكلمة حتى وقعت ميتة ، وأنصرفَ عبود إلى أهله مغتبطاً ، فضربتِ العربُ
 بنومةِ عبودٍ مثلاً .

عمر وعفراء وعروة

أخبرنا أبو طاهر بن السواق وذكر حديثاً قال : قال أبو عمر محمد بن العباس الخزاز قال :
 حدثني أبو بكر محمد بن خلف قال : حدثني أبو محمد البلخي قال : حدثني أحمد بن سراقه
 قال : حدثني العباس بن الفرّج قال : سمعت الأصمعي يقول عن ابن أبي الزناد قال :
 قال عمر بن الخطّاب ، رَحِمَهُ اللهُ : لو أدركتُ عفراءَ وعروةَ
 لجمعتُ بينهما .

شجرتان ملتفتان على قبرين

وبإسناده قال ابن المرزبان : وحدثني إسحاق بن محمد بن أبان قال : حدثني معاذ بن يحيى قال :
 خرجتُ إلى صنعاء ، فلما كنا ببعضِ الطّريقِ قيلَ لنا : إنّ قبرَ عفراءَ
 وعروةَ على مقدارِ ميلٍ من الطّريقِ . قال : فمضتُ جماعةٌ كنتُ فيهم ،
 فإذا قبرانِ مُتلاصقانِ قد خرجَ من كلّ قبرٍ ساقُ شجرةٍ ، حتى إذا صارَتَا
 على مقدارِ قامةِ التفتت كلٌّ واحدةٍ منهما بصاحبها .
 قال إسحاق : فقلتُ لمعاذ أيّ ضربٍ هوَ من الشجرِ؟ فقال : لا أدري ،
 ولقد سألتُ أهلَ القريةِ عنه ، فقالوا : لا نعرفُ هذا الشجرَ ببلادنا .

القلب الخافق

قال أبو بكر بن المرزبان : أخبرني سعيد بن الفضل الأزدي قال :

أنشدني العتبي لعروة بن حزام :

لَوَّانٌ أَشَدُّ النَّاسِ وَجِدًّا وَمِثْلَهُ مِنْ الْجَيْنِ بَعْدَ الْإِنْسِ يَلْتَقِيَانِ
فِي شَتَاكِ الْوَجْدِ تُمَّتَ أَشْتَاكِ لِأَضْعَفِ وَجْدِي فَوْقَ مَا يَجِدَانِ
فَقَمَدُ تَرَكَتِي مَا أَعْيَ لُحَدَّثُ حَدِيثًا، وَإِنْ نَاجَيْتُهُ وَتَجَانِي
لَقَد تَرَكَتْ عَمْرَاءُ قَلْبِي كَأَنَّهُ جَنَاحُ عُقَابٍ دَائِمِ الْحَفَقَانِ

هاتف الجبل

وجدت بخط ابن حيويه يقول : حدثنا أبو بكر محمد بن خلف قال : حدثني عبد الواحد بن محمد النجاري قال : حدثني محمد بن الهيثم بن عدي عن الهيثم قال : حدثنا محمد بن ملك قال : حدثني عثمان بن عمر التيمي قال :

هوِي فتى من بني أسد فتاة من فخذة ، وكان أيسرَ منها وأغنى ، فكان أبوه يمتعه من أن يتزوّجها ، ويريدُ له أشرفَ منها وأيسرَ ، ويعرضُ عليه غيرها ، فيأبى إلاّ هيَ ، فيمتنعُ أبوه من ذلك . وكان أبوها قد حبسها عليه رجاء أن يتزوّجها ، فلما طالَ على أبيها وأيسرَ منه زوّجها من غيره ، فلقبها الفتى يوماً فقال لها :

لَعَمْرِي ، يَا سَعْدِي ، لَطالَ تَأْتِي ، وَمَعْصِيَتِي شَيْخِي فَيْكِ كَلِيهِمَا
وَتَرَكَتِي ذَا الْحَيْنِ لَمْ أْبغِ مِنْهُمَا سِوَاكَ ، وَلَمْ يَرْبَعْ هَوَايَ عَلَيْهِمَا

١ يربع : يتوقف .

فقالت الجارية :

حَبِيبِي لَا تَعَجَلْ لِنَفْسِهِمْ حُجَّتِي ، كَفَانِي مَا بِي مِنْ بَلَاءٍ وَمَنْ جُهْدِي
وَمِنْ عَبَسَاتٍ تَعْتَرِينِي وَزَفْرَةٍ تَكَادُ لَهَا نَفْسِي تَسِيلُ مِنَ الْوَجْدِ
غَلِبْتُ عَلَى نَفْسِي جَهَاراً وَلَمْ أُطِقْ خِلَافاً عَلَى أَهْلِي بِهِزَلٍ وَلَا جِدَّةً
وَلَنْ يَمْنَعُونِي أَنْ أَمُوتَ بِرُغْمِهِمْ ، غَدَاً ، جَوْفَ هَذَا الْغَارِ فِي جِدْتٍ وَحَدِي
فَلَا تَنْسَ أَنْ تَأْتِي هُنَاكَ ، فَتَلْتَمِسَ مَكَانِي فَتَسْلُو مَا تَحْمَلْتِ مِنْ جَهْدِي
فَلَمَّا كَانَ فِي غَدِ أَتَاهَا حَيْثُ زَعَمْتَ لَهُ ، فَوَجَدَهَا مَيِّتَةً فَحَمَلَهَا ،
فَادْخَلَهَا شِعْباً ثُمَّ التَزَمَتْهَا فَمَاتَ مَعَهَا ، قَالَ : فَالْتُمِسَا حَوْلًا ، فَلَمْ يُقَدِرْ
عَلَيْهِمَا ، وَلَمْ يُعَلِّمْ لَهَا خَيْرَ ، فَإِذَا هَاتِفٌ يَهْتِفُ عَلَى الْجَبَلِ الَّذِي هُمَا فِيهِ ،
وَكَانَ الْجَبَلُ يُدْعَى أَعْرَافًا :

إِنَّ الْكَرِيمَيْنِ ذَوِي التَّصَانِي الدَّاهِبَيْنِ بِالْوَفَاءِ الصَّانِي
وَاللَّهِ مَا لَأَقْبَيْتُ فِي تَطَوَّانِي أَبْعَدَ مِنْ غَدَرٍ وَمِنْ إِخْلَافِ
مِنْ مَيِّتَيْنِ فِي ذُرَى أَعْرَافِ

قال : فصعدَ القومُ الجبلَ ، فوجدوهما ميتين فواروهما .

المجنون الهائج

أخبرنا القاضي أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي إن لم يكن سامعاً فإجازة قال : أخبرنا أبو
صمر بن حيويه قال : حدثنا ابن المرزبان قال : حدثني محمد بن عبد الله بن الفضل قال : حدثني
أحمد بن معاوية قال :

رَأَيْتُ مَجْنُونًا وَأَقِفًا بِصَحْرَاءِ أُثِيرٍ ٢ ، وَقَدْ هَاجَ ، وَهُوَ يَقُولُ :
هَدَى رُكْبِي الْهَوَى وَكُنْتُ جَلِيدًا ، وَرَأَيْتُ الْفِرَاقَ مُرًّا شَدِيدًا

١ قوله : فلتلمس هكذا في الأصل مجزوم لغير جازم ، والوجه النصب .

٢ أثير : موضع .

الناسك العاشق

أخبرنا أبو طاهر محمد بن علي بن العلاف الراءظ بقراءتي عليه قال : حدثنا أبو حفص عمر بن أحمد بن شاهين الراءظ قال : حدثنا جعفر بن محمد قال : حدثنا أحمد بن محمد بن مسروق قال : حدثنا فضل اليزيدي قال : حدثني اسحاق بن ابراهيم بن المهدي بن عمرو الهلالي قال : سمعت أبا يحيى التيمي يقول :

كان يختلفُ معنا فتى من النساءِ يُقالُ له أبو الحسينِ إلى مسعرِ بن كِدامٍ ، وكان يختلفُ معه فتى حسنُ الوجهِ يفتنُ الناسَ ، إذا رأوه ، فأكثرَ الناسُ القولَ فيه ، وفي صُحبتهِ إياه ، فمنعه أهلهُ أن يصحبَه ، وأن يُكلمَه ، فذهَلَ عقلُه حتى خشيَ عليه التلفُ ، فبلغَ ذلكَ مسعراً ، فقال : قولوا له لا تقربني ، ولا تأتِ مجلسي ، فإني له كارِه ، فلقيتهُ ، فأخبرتهُ بذلك ، فتنفَسَ الصعداءُ ، ثم أنشأ يقول :

بِأَنَّ مِنْ بَدَائِعِ حُسْنِ صُورَتِهِ ، تَشْتِي إِلَيْهِ أَعِنَّةَ الْحَدَقِ
لِي مِنْكَ مَا لِلنَّاسِ كُلِّهِمْ ، نَظَرٌ وَتَسْلِيمٌ عَلَى الطَّرْقِ
لَكِنَّهُمْ سَعِدُوا بِأَمْنِهِمْ ، وَشَقِيتُ حِينَ أَرَاكَ بِالْفَرَقِ
قال : ثم صرَّخَ صرَّخةً وشَخَصَ يبصرُه فإذا هو ميت .

لا راحة ولا نوم

أخبرنا أبو طاهر محمد بن علي بن العلاف صاحب بن سمعون بقراءتي عليه من نحو خمسين سنة قال : أخبرنا عمر بن أحمد بن شاهين ، حدثنا جعفر بن محمد ، حدثنا أحمد بن محمد بن مسروق ، حدثنا أبو حاتم السجستاني ، حدثني شيخ طريف حجازي قال : كنتُ بمكةَ ، فإذا كان الليلُ سمعتُ أنيناً إلى جنبي ، فطالَ الليلُ عليّ ، فسألتُ عنه فقبلَ لي : فتني مريضٌ ، فدخلتُ عليه فإذا هو من أحسنِ
١ مسعر بن كدام : شيخ السفينيين .

النَّاسِ وَجْهًا كَأَنَّهُ ذَهَبٌ وَفِيضَةٌ ، فَكَلَّمْتَهُ ، فَإِذَا هُوَ عَاشِقٌ يُغْلِبُ عَلَى عَقْلِهِ
 حَتَّى يُخَالِطَ ، فَأَصَابَهُ ذَلِكَ وَأَنَا عِنْدَهُ ، فَجَعَلَ يَقُولُ :
 مُتَيْسِّمٌ قَدْ بَرَّاهُ السَّقَمُ ، كَأَنَّهُ نِضْوٌ يُقَاسِي الْأَلَمَ
 فَمَا لَهُ رَاحَةٌ وَلَا نَوْمٌ إِلَى الصَّبَاحِ .

آه من البين

أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد الاردستاني بقراءتي عليه بمكة في المسجد الحرام ، حدثنا الحسن
 ابن محمد بن حبيب ، سمعت أبا علي الحسن بن محمد الزنجاني الصوفي بأسفرايين ، سمعت عبد
 السيد المنجوري ، سمعت سهلان القاضي يقول :

بَيْنَا أَنَا مَارٌّ فِي طُرُقَاتِ جَبَلِ شُورَى ، وَقَدْ مَرَّتْ عَلَيَّ قَافِلَةٌ عَظِيمَةٌ ،
 إِذَا بَفَيْتِي شَابًّا عَلَى طَرِيقٍ ذَاهِبِ الْعَقْلِ مَدَهْوَشٍ عُرْيَانٍ ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ
 خُلُقَانٌ^١ مُتَمَزِّقَةٌ ، فَقَالَ لِي : أَيْنَ رَأَيْتَ الْقَافِلَةَ ؟ قُلْتَ : فِي مَوْضِعٍ كَذَا
 وَكَذَا . قَالَ : آهِ مِنَ الْبَيْنِ ، آهِ مِنَ الْبَيْنِ ، آهِ مِنْ دَوَاعِي الْحُبِّ ! قُلْتَ :
 مَا دَهَأَكَ ؟ فَقَالَ :

شَيَّعْتَهُمْ^٢ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَعْلَمُوا ، وَرُحْتُ وَالْقَلْبُ بِهِمْ مُغْرَمٌ
 سَأَلْتُهُمْ تَسْلِيمَةً مِنْهُمْ^٣ عَلَيَّ إِذْ بَانُوا فَمَا سَلَّمُوا
 سَارُوا وَلَمْ يَرْتَوْا الْمُسْتَهْتَرِ ، وَلَمْ يُبَالُوا قَلْبَ مَنْ تَيَّمُوا
 وَاسْتَحْسَنُوا ظُلْمِي ، فَمِنْ أَجْلِهِمْ أَحَبَّ قَلْبِي كُلَّ مَنْ يَظْلِمُ

١ الخلقان : الثياب البالية .

يوم طش بعد رش

وأخبرنا أبو بكر الاردستاني أيضاً بمكة على باب الندوة ، أخبرنا الحسين بن حبيب المذكر ،
سمعت أبا الفرج أحمد بن محمد النهارندي يقول :
مَرَرْتُ بِدَرْبِ أَبِي خَلِّفَ ، فَإِذَا جَمَاعَةٌ وَقُوفٌ عَلَى مَجْنُونٍ ، فَوَقَفْتُ ،
فَهَشَّ إِلَيَّ ، وَقَالَ :

اسقني قبل تباريح العطش ، إن يومي يوم طش بعد رش^١
حُبُّ مَنْ أَمَوَاهُ قَدْ أَدَهَشْتَنِي ، لَأَخْلُوتُ الدَّهْرَ مِنْ ذَاكَ الدَّهَشِ^٢

ابن أبي البغل والمغنية

أخبرنا أبو علي محمد بن الحسين الجازري بقرامقي عليه سنة ثلاث واربعين واربعمائة ٢ ، أخبرنا
القاضي أبو الفرج المعافى بن زكريا ، حدثنا محمد بن أحمد بن الكاتب ، حدثني عبدي بن
مهدي بالكرج قال :

نَزَلَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي الْبَغَلِ ، عِنْدَ تَقَلُّدِهِ الْإِشْرَافَ ، عَلَى عَمَّالِ الْجَبَلِ ،
فَزَارَتْهُ مَغْنِيَةٌ كَانَتْ بِهَا لَهْجًا عَلَى قِلَّةِ إِعْجَابِهِ بِالنِّسَاءِ ، فَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةً ،
وَنَحْنُ قُعُودٌ فِي الْبِسْتَانِ نَشْرَبُ ، وَقَدْ طَلَعَ الْقَمَرُ ، هَبَّتْ رِيحٌ عَظِيمَةٌ^٣
فَقَلْبَتِ صَوَانِينَا^٤ الَّتِي كَانَتْ فِيهَا شَرَابُنَا ، وَأَقْبَلَتِ الْغُلَامَانُ يَسْقُونَنَا ، فَسَكَرَ
ابْنُ أَبِي الْبَغَلِ عَلَى ضَعْفِ شُرْبِهِ وَقَامَ إِلَى مَرْقَدِهِ ، وَأَخَذَنَا مَعَهُ وَالْمَغْنِيَةَ ،
فَلَمَّا حَصَلْنَا فِيهِ اسْتَدْعَى قَدْحًا ، وَلَنَا مِثْلَهُ ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

مَعْمُوسَةٌ فِي الْحُسْنِ مَعَشُوقَةٌ ، تَقْتُلُ ذَا اللَّبِّ وَتُحْيِيهِ

١ الطش : المطر الضعيف .

٢ سنة ١٠٥١ م .

٣ الصواني : جمع صينية .

بَاتَ يُرِينِيهَا هِلَالُ الدُّجَى ، حَتَّى إِذَا غَابَ ارْتِنِيهِ
 وَطَرَحَ الشُّعْرَ عَلَى الْمُغْنِيَةِ فَلَقِينْتَهُ وَغَنَّتْنَا فِيهِ ، وَشَرِبْنَا الْقَدَحَ ،
 وَأَنْصَرَفْنَا ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ ، وَحَضَرْنَا الْمَالِدَةَ ، وَهِيَ مَعَنَا ، فَاتَّخَذَ بِمَا
 كَانَ فَحَلَفَ أَنَّهُ لَمْ يَشْعُرْ بِمَا جَرَى ، وَلَا بِالشَّعْرِ ، وَأَسْتَدْعَى دَفْتَرَهُ ،
 فَأَثَبَتَ الْبَيْتَيْنِ فِيهِ .

لا قضاة للعاشقين

أنبأنا القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعي عن أبي الحسن بن نصر بن الصباح لعمرو
 الوصافي :

لَهْفِي عَلَى سَاكِنِ قَصْرِ السَّرَاهِ نَغَصَ حُبِّيهِ عَلَيَّ الْحَيَاةُ
 مَا يَنْقُضِي مِنْ عَجَبٍ فِكْرَتِي فِي قِصَّةٍ فَرَطَ فِيهَا الْوَلَاةُ
 تَرَكَ الْمُحِبِّينَ ، بِلَا حَاكِمٍ لَمْ يَنْصَبُوا الْعَاشِقِينَ الْقُضَاةُ
 لَقَدْ أَتَانِي خَبِيرٌ سَاءَ نِي مِنْ قَوْلِهَا فِي السَّرِّ وَأَخَجَلْنَاهُ

حديث الجنيد

أخبرنا أبو القاسم عبد العزيز بن علي بن أحمد بن الفضل الأزجي سنة أربعين وأربعمائة ،
 أخبرنا أبو الحسن علي بن جعفر السيرواني بمكة حكى عن الجنيد أنه قال :
 أَعْرِفْ مَنْ قَتَلْتَهُ الْمَحَبَّةُ ، وَلَمْ يَعْرِفِ الْمَحَبَّةَ ، ثُمَّ قَالَ : كَيْفَ ؟ فَقُلْنَا :
 يَقُولُ الشَّيْخُ ! فَقَالَ : قَتَلَهُ مَا حُبِّي فِيهَا .

١ سنة ١٠٤٨ م .

أصناف الناس

أخبرنا عبد العزيز بن علي قراءة عليه ، أخبرنا أبو الحسن علي بن الحسن بن جهضم بمكة من لفظه وكتابه في المسجد سنة ست وتسعين وثلاثمائة ١ ، سمعت أحمد بن محمد يقول :

كان سهلٌ يقول : النَّاسُ ثَلَاثَةٌ أَصْنَافٌ : صِنْفٌ مِنْهُمْ مَضْرُوبٌ بِسَوْطِ الْمَحَبَّةِ ، مَقْتُولٌ بِسَيْفِ الشُّوقِ ، مُضْطَجِعٌ عَلَى بَابِهِ يَنْتَظِرُ الْكِرَامَةَ ؛ وَصِنْفٌ مِنْهُمْ مَضْرُوبٌ بِسَوْطِ التَّوْبَةِ ، مَقْتُولٌ بِسَيْفِ النَّدَامَةِ ، مُضْطَجِعٌ عَلَى بَابِهِ يَنْتَظِرُ الْعَفْوَ ؛ وَصِنْفٌ مِنْهُمْ مَضْرُوبٌ بِسَوْطِ الْغَفْلَةِ ، مَقْتُولٌ بِسَيْفِ الشَّهْوَةِ ، مُضْطَجِعٌ عَلَى بَابِهِ يَنْتَظِرُ الْعُقُوبَةَ .

ذو النون والمريض

أخبرنا أبو القاسم عبد العزيز بن علي الأزجي ، حدثنا علي بن الحسن بمكة ، حدثنا أحمد بن محمود بن خرزاذ الهموازي ، حدثني أحمد بن جعفر الدستري ، حدثنا سعيد بن عثمان قال :

دَخَلَ ذُو النَّوْنِ عَلَى مَرِيضٍ يَبْعُدُهُ فَرَأَى الْمَرِيضَ يَتَيْنُّ ، فَقَالَ ذُو النَّوْنِ : لَيْسَ بِصَادِقٍ فِي حَبِّهِ مَنْ لَمْ يَتَّصِرْ عَلَى ضَرْبِهِ ، فَقَالَ الْمَرِيضُ : لَا وَلَا صَدَقَ فِي حَبِّهِ مَنْ لَمْ يَتَلَدَّ ذُبْضُورِهِ ، فَقَالَ ذُو النَّوْنِ : لَا وَلَا صَدَقَ مَنْ رَأَى حَبَّ لَرَبِّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ .

١ سنة ١٠٠٥ م .

نوح داود

أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد الاردستاني بقراءتي عليه بمكة في المسجد الحرام ، حدثنا أبو عبد الرحمن السلمي ، حدثنا عبد الرحمن بن محبوب ، حدثنا زكريا بن يحيى البراز ، حدثنا محمد ابن الحسين ، حدثنا سلمة بن شبيب ، حدثنا محمد بن يحيى البصري ، حدثنا عمرو بن جميع المجلي عن عامر بن يسار عن يحيى بن أبي كثير قال :

بلغنا أنه إذا كان يومُ نوحِ داود ، عليه السلام ، كان يَمَكُثُ قبلَ ذلك لا يأكلُ الطعامَ ، ولا يشربُ ، ولا يقربُ النساءَ ، فإذا كان قبلَ ذلك بيومٍ أخرجَ له منبراً إلى البريةِ ، وأمرَ منادياً قبلَ ذلك بيومٍ ليستنفرَ في البلادِ ومن حوْلِها : ألا من أحبَّ أن يسمعَ نوحَ داودِ فليأتِ ، فتأتي الوحوشُ والسباعُ والهوامُ والطيورُ والرهبانُ والعداريُّ من خدورِهنَّ ، وبنو إسرائيلَ ، كلُّ صنفٍ على حديثه ، فيصغونَ إليه . قال : وسليمانُ قائمٌ على رأسه فيأخذُ في الثناءِ على الله ، عزَّ وجلَّ ، فيصيحونَ بالصراخِ والبُكاءِ ، ثمَّ يأخذُ في ذكرِ الجنةِ ، فتموتُ طائفةٌ من الناسِ والوحوشِ والسباعِ والرهبانِ ، وطائفةٌ من العداريِّ ؛ ثمَّ يأخذُ في ذكرِ النارِ ، فتموتُ طائفةٌ منهم ؛ ثمَّ يأخذُ في أهوالِ القيامةِ والنوحِ على نفسه ، فتموتُ طائفةٌ من هؤلاءِ ومن كلِّ صنفٍ .

قال : فإذا رأى سليمانُ ما قد كثرَ من الموتى في كلِّ فرقةٍ ، نادى يا أبتاه ! قد مزقتَ المستمعينَ كلَّ ممزقٍ من بني إسرائيلَ والوحوشِ والهوامِ والسباعِ . قال : فيقطعُ النوحَ ، ويسأخذُ في الدعاءِ .

قال : فبينما هم كذلك إذ ناداه بعضُ عبَادِ بني إسرائيلَ : يا داودُ ! عَجَلتَ على ربِّكَ تطلبُ الجزاءَ ، فيأخرُ داودُ معشياً عليه ، فإذا نظرتَ إليه سليمانُ وما أصابه أتى بسرييرٍ ، فحمله عليه ، ثمَّ أمرَ منادياً ، فنادى : من كان له معَ داودِ حميمٌ أو قريبٌ ، فليأتِ بسرييرٍ ، فإنَّ الذينَ كانوا معه قد قتلهم ذكرُ الجنةِ والنارِ .

قال : فكانت المرأة تأتي بالسريير ، فتقف على ابنها وأبيها وأخيها ، وهم أموات ، فينادي : وأبائي ! من قتله ذكر النار ؛ وأبائي ! من قتله ذكر الجنة ؛ وأبائي ! من قتله ذكر الخوف من الله تعالى ، حتى إن الوحوش ليجتمعن على من مات منهن فيحملنه ، وكذلك السباع والحوام .

قال : ثم يتفردون ، فإذا أفاق داود من غشيته قال لسليمان : ما فعلت عبادة بني إسرائيل ؟ فيقول سليمان : يا أبتاه ماتوا عن آخرهم . قال : فيقوم داود فيضع يده على رأسه ، ثم يدخل بيت عبادته ، ويغلق عليه بابته ثم ينادي : يا إله داود ! أغضبان أنت على داود أم كيف ذا ، إذ قصرت من الموت خوفاً منك .

أيوب في بلائه

أخبرنا عبد العزيز بن علي الطحان ، رحمه الله ، حدثنا علي بن عبد الله بمكة ، حدثني منصور بن أحمد قال :

سئل أبو العباس بن عطاء عن قوله ، عز وجل : مستي الضر ، وأنت أرحم الراحمين ؛ فقال : إن الله ، عز وجل ، سَلَطَ الدود على جسم أيوب ، عليه السلام ، كله إلا على قلبه ولسانه ، فكان القلب غنياً بالله ، عز وجل ، قويتاً ، واللسانُ بذكرِ الله تعالى رطباً دائماً ، فأكل الدود الجسم كله حتى بقيت أضلأعه مشتبكة ، والعروق ممدودة ، وحتى ما بقي للدود شيء يأكله ، فسَلَطَ الله ، عز وجل ، الدود بعضه على بعض ، فأكل بعضه بعضاً ، حتى بقيت دودتان ، فجاعتا ، فشدت إحداهما على الأخرى ، فأكلتها ، وبقيت واحدة ، فجاعت فددت إلى القلب لتنفذه ، فقال أيوب ، عليه السلام ، عند ذلك : مستي الضر أن فقدت حلاوة ذكرك من قلبي ، لأنك لو جمعت البلاء كله علي بعد أن لا أفقدك من قلبي

ما وَجَدْتُ لِلْبَلَاءِ أَمَلًا ، فَأَوْحَى اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، إِلَيْهِ : يَا أَيُّوبُ ! إِنَّكَ لَتَنْظُرُ إِلَيَّ غَدًا . قَالَ : يَا رَبَّ بَهَاتَيْنِ الْعَيْنَيْنِ ؟ قَالَ : يَا أَيُّوبُ أَجْعَلْ لَكَ عَيْنَيْنِ يُقَالُ لهُمَا الْبَقَاءُ ، فَتَنْظُرُ إِلَى الْبَقَاءِ بِالْبَقَاءِ .

الجارية الصوفية

أخبرنا أبو القاسم عبد العزيز بن علي ، حدثنا علي بن عبد الله بن الحسن الهمداني بمكة ، حدثنا محمد بن عبد الله الشكلي ، حدثني محمد بن جعفر القنطري قال : قال ذو النون :

بَيْنَا أَنَا أُسِيرُ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ ، إِذْ بَصُرْتُ بِجَارِيَةٍ عَلَيْهَا أَطْمَارُ شَعْرٍ ،
وإِذَا هِيَ نَاحِلَةٌ ذَابِلَةٌ ، فَدَنَوْتُ مِنْهَا لِأَسْمَعَ مَا تَقُولُ ، فَرَأَيْتُهَا مُتَّصِلَةً
الْأَحْزَانَ بِالْأَشْجَانِ ، وَعَصَفَتِ الرِّيحُ وَأَضْطَرَبَتِ الْأَمْوَاجُ ، وَظَهَرَتِ
الْحَيْثَانَ ، فَصَرَخْتُ ، ثُمَّ سَقَطْتُ إِلَى الْأَرْضِ ، فَلَمَّا أَفَاقَتْ نَحَبْتُ ،
ثُمَّ قَالَتْ : سَيِّدِي ! بَكَ تَقَرَّبَ الْمُتَقَرَّبُونَ فِي الْخَلَوَاتِ ، وَلِعَظَمَتِكَ سَبَّحَتِ
النِّينَانُ فِي الْبَحَارِ الزَّآخِرَاتِ ، وَبَلْخَلَالِ قُدْسِكَ تَصَافَقَتِ الْأَمْوَاجُ الْمُتَلَطَّمَاتُ .
أَنْتَ الَّذِي سَجَدَ لَكَ سَوَادُ اللَّيْلِ وَبَيَاضُ النَّهَارِ وَالْفَلَكَ الدَّوَارُ وَالْبَحْرُ
الزَّخَارُ وَالْقَمَرُ النَّوَّارُ وَالنَّجْمُ الزَّهَّارُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَكَ بِمَقْدَارٍ ، لِأَنَّكَ
اللَّهُ الْعَلِيُّ الْقَهَّارُ :

يَا مُؤْنِسَ الْأَبْرَارِ فِي خَلَوَاتِهِمْ ، يَا خَيْرَ مَنْ حَطَّتْ بِهِ النَّزَالُ
مَنْ ذَاقَ حُبَّكَ لَا يَزَالُ مُتَبَسِّمًا ، قَرِحَ الْفُؤَادِ يَعُودُهُ بَلْبَالُ
مَنْ ذَاقَ حُبَّكَ لَا يُرَى مُتَبَسِّمًا ، فِي طُولِ حُزْنٍ لِلْحَشَا يَغْتَمَلُ
فَقُلْتُ لَهَا : مَنْ تَرِيدِينَ ؟ فَقَالَتْ : إِلَيْكَ عَيِّ ، ثُمَّ رَفَعَتْ طَرْفَهَا نَحْوَ السَّمَاءِ
فَقَالَتْ :

أَحِبِّكَ حُبِّينِ ، حُبَّ الْوِدَادِ ، وَحُبًّا لِأَنَّكَ أَهْلٌ لِذَاكَآ

١ هذه الأبيات لرابعة العدوية الصوفية المشهورة .

فَأَمَّا الَّذِي هُوَ حُبُّ الْوِدَادِ ، فَحُبُّ شُغِلَتْ بِهِ عَنْ سِوَاكَ
وَأَمَّا الَّذِي أَنْتَ أَهْلٌ لَهُ ، فَكَشْفُكَ لِلْحُجْبِ حَتَّى أَرَكَ
فَمَا الْحَمْدُ فِي ذَا وَلَا ذَاكَ لِي ، وَلَكِنَّ لَكَ الْحَمْدُ فِي ذَا وَذَاكَ
ثُمَّ شَهَقْتُ شَهَقَةً ، فَإِذَا هِيَ قَدْ فَارَقَتْ الدُّنْيَا ، فَبَقِيْتُ أَتَعَجَّبُ مِمَّا
رَأَيْتُ مِنْهَا ، فَإِذَا أَنَا بِنُسُوءِ قَدْ أَقْبَلْنَ وَعَلَيْهِنَّ مَدَارِعُ الْعِشْرِ ، فَاحْتَمَلْنَاهَا ،
فَغِيَّبْنَاهَا عَنِّي فغسلناها ، ثُمَّ أَقْبَلْنَ بِهَا فِي أَكْفَانِهَا فقلن لي : تقدم فصلٌ عليها ،
فتقدمتُ فصليتُ عليها ، وَهَنَ خَلْفِي . ثُمَّ احْتَمَلْنَاهَا وَمَضَيْنَ .

ما بي جنون

أخبرنا أبو القاسم عبد العزيز بن علي الأزجي ، حدثنا أبو الحسن بن جهم

أنشدنا محمد بن عبد الله ليحيى بن معاذ :

أَمُوتُ بَدَائِي لَا أَصِيبُ مُدَاوِيَا ، وَلَا فَرَجًا مِمَّا أَرَى مِنْ بَلَائِيَا
إِذَا كَانَ دَاءَ الْعَبْدِ حُبُّ مَلِكِيهِ ، فَمَنْ دُونَهُ يُرْجَى طَبِيبًا مُدَاوِيَا
مَعَ اللَّهِ يُمِضِي دَهْرَهُ مُتَلَدِّذَا ، مُطِيعًا ، تَرَاهُ كَانَ ، أَوْ كَانَ عَاصِيَا
يَقُولُونَ يَحْيَى جُنٌّ مِنْ بَعْدِ صِحَّةٍ ، وَمَا بِي جُنُونٌ ، يَا خَلِيلِي ، مَا بِيَا

رابعة العدوية ورياح القيسي

أخبرنا القاضي أبو الحسين أحمد بن علي بن الحسين التوزي، رحمه الله، بقرائتي عليه، أخبرنا
محمد بن عبد الله ابن أخي ميمي ، حدثنا الحسين بن صفوان ، حدثنا عبد الله بن محمد القرشي ،
حدثني محمد بن الحسين ، حدثني أبو معمل صاحب عبد الوارث قال :

نظرت رابعة إلى رياح القيسي ، وَهِيَ يُقْبَلُ صَبِيًّا مِنْ أَهْلِهِ ، وَيَضُمُّهُ
إِلَيْهِ ، فَقَالَتْ : أَتُحِبُّهُ يَا رِيَا ح ؟ قَالَ : نَعَمْ ! قَالَتْ : مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنْ

في قلبك موضعاً فارغاً لمحبة غيري . قال : فصاح رِيحٌ وَسَقَطَ مَغشياً عليه ، ثمَّ أفاقَ ، وَهُوَ يَمَسِّحُ العَرَاقَ عن وَجْهِهِ ، وَهُوَ يَقولُ : رَحمةٌ منهُ ، تعالَى ذِكرُهُ ، ألقاها في قلوبِ العِبَادِ للأطْفالِ .

دواء المحبين

أخبرنا أحمد بن علي بن الحسين البزاز ، حدثنا محمد بن عبد الله القطيبي ، حدثنا الحسين بن صفوان ، حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثني إبراهيم بن عبد الملك قال :

قدمت شعوانةً وَرَوَّجُهَا مَكَّةَ ، فجعلنا يَطُوفان وَيُصَلِّيان ، فإذا كَلَّ الرَّجُلُ وَأَعْيَا ، جَلَسَ ، وَجَلَسَتْ خَلْفَهُ ، فيقول هُوَ في جلوسه : أنا العطشان من حبك لا أروى ، وتقول هي بالفارسية : أنبت لكلِّ داءٍ دواءً في الجبال ، ودواءُ المحبين في الجبال لم يَنْبُت .

يستحيي من الله

أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت إن لم يكن ساعاً فإجازة ، أخبرنا علي بن أيوب ، حدثنا محمد بن عمران قال :

حكى عن أبي مسلم الخشوعي أنه نظَرَ إلى غلام جميل ، فأطال ، ثمَّ قرأ : إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب ، سبحان الله ، ما أهجم طرفي على مكروهٍ نفسه ، وأدمنتهُ على سُخْطِ سيِّده ، وأغراهُ بما قد نهى عنه ، وأهجمه بالامر الذي قد حذر منه ؛ لقد نظرتُ إلى هذا نظراً لا أحسبُ إلاَّ أنه سيفضحني عند جميع من قد عرفني في عرصة القيامة ، ولقد تركتني نظري هذا ، وأنا أستحيي من الله ، سبحانه ، وإن غفرت لي . ثمَّ صُعِقَ .

محبو الله أحياء وان قبروا

أخبرنا أبو القاسم عبد العزيز بن علي بن شكر الخياط، حدثنا علي بن عبد الله بن الحسن بمكة،
حدثنا علي بن إبراهيم النقاش، سمعت أبا القاسم بن مردان، سمعت أحمد بن عيسى الحراز
يقول :

دَعَتْنِي امْرَأَةٌ إِلَى غَسْلِ وَلَدِهَا ، ذَكَرَتْ أَنَّهُ أَوْصَى بِذَلِكَ ، فَلَمَّا
كَشَفْتُ عَنِ الثَّوْبِ قَبَضَ عَلَى يَدَيَّ ، فَقُلْتُ : يَا سُبْحَانَ اللَّهِ ! حَيَاةٌ بَعْدَ
مَوْتٍ ؟ فَقَالَ : يَا أَبَا سَعِيدٍ إِنَّ الْمُحِبِّينَ لِلَّهِ تَعَالَى أَحْيَاءُ وَإِنْ قَبُرُوا .

العباد على ثلاث منازل

أخبرنا أبو القاسم عبد العزيز بن علي الازجي الخياط الشيخ الصالح، رحمه الله ، أخبرنا أبو
الحسن علي بن عبد الله بن محمد الهمداني بمكة في المسجد الحرام ، حدثنا الخالدي ، سمعت ابن
مسروق يقول :

بلغنا عن حيان القيسي أنه قال : العباد مع الله تعالى على ثلاث منازل :
قَوْمٌ يُضَنُّ بِهِمْ عَنِ الْبَلَاءِ لثَلَاثِ سُرُقٍ الْجَزَعُ سَرَّهُمْ ، فَتَكُونُ هَذِهِ
حِكْمَةً ، أَوْ يَكُونُ فِي صُدُورِهِمْ حَرَجٌ مِنْ قَضَائِهِ ؛ وَقَوْمٌ يُضَنُّ بِهِمْ عَنِ
مَسَاكِنَةِ أَهْلِ الْمَعَاصِي لثَلَاثِ تَغَمُّ قُلُوبِهِمْ ، فَمَنْ أَجَلَ ذَلِكَ سَلِمَتْ صُدُورُهُمْ
لِلْعَالَمِ ؛ وَقَوْمٌ صُبَّ عَلَيْهِمُ الْبَلَاءُ صَبًّا ، فَمَا أَزْدَادُوا لَهُ إِلَّا حَيًّا .

تاه في حب الله

أخبرنا عبد العزيز بن علي ، حدثنا علي بن عبد الله ، حدثنا الحسن بن يحيى بن حمويه ، حدثنا
عبيد الله بن عمر ، حدثني إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن الحسن البلخي عن إبراهيم بن أدهم
قال :

وَجَدْتُ يَوْمًا رَاحَةً ، وَطَابَ قَلْبِي لِحُسْنِ صُنْعِ اللَّهِ بِي وَاخْتِيَارِهِ لِي ، فَقُلْتُ :
اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ أَعْطَيْتَ أَحَدًا مِنَ الْمُحِبِّينَ لَكَ مَا أَسْكَنْتَ بِهِ قُلُوبَهُمْ قَبْلَ
لِقَائِكَ ، فَأَعْطِنِي ذَلِكَ ، فَلَقْدَ أَضْرَبَ بِي الْقَلْقُ . قَالَ : فَرَأَيْتُ اللَّهَ ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى ،
فِي النَّوْمِ ، فَوَقَفْتَنِي بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَقَالَ : يَا إِبْرَاهِيمَ ! مَا اسْتَحْيَيْتَ مِنِّي ، تَسْأَلُنِي
أَنْ أُعْطِيَكَ مَا يَسْكُنُ بِهِ قَلْبُكَ قَبْلَ لِقَائِي ، وَهَلْ يَسْكُنُ قَلْبُ الْمُشْتَاقِ إِلَى
غَيْرِ حَبِيبِهِ أَمْ هَلْ يَسْتَرِيحُ الْمُحِبُّ إِلَى غَيْرِ مَنْ اشْتَاقَ إِلَيْهِ ؟ فَقُلْتُ : يَا رَبِّ !
تَهْتُ فِي حَبْلِكَ ، فَلَمْ أَدْرِ مَا أَقُولُ .

عمر والزاني القليل

أبانا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري ، أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس بن حيويه ، حدثنا
أبو بكر محمد بن خلف المحولي ، حدثنا أبو الفضل أحمد بن ملاعب ، أخبرني محمد بن سعيد
الاصبهاني ، أخبرنا علي بن مسهر عن أبي عاصم الثقفي عن الشعبي قال :

كَانَ أَخْوَانٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَمَخَّرَجَ أَحَدَهُمَا فِي بَعْثٍ ، وَتَخَلَّفَ
الْآخَرُ عِنْدَ امْرَأَةِ أَخِيهِ . فَقَالَتْ امْرَأَةُ الْمُقِيمِ لَهُ : أَشَعْرْتُ أَنَّ امْرَأَةَ أَخِيكَ
يَخْتَلِفُ إِلَيْهَا رَجُلٌ . قَالَ لَهَا : فَإِذَا جَاءَ فَأَعْلِمِينِي ، فَلَمَّا جَاءَ أَخْبَرْتَهُ ، وَبَيْنَهَا
وَبَيْنَهُ حَائِطٌ ، فَوَضَعَتْ لَهُ سُلْمًا ، فَصَعَدَ ، فَأَشْرَفَ ، فَإِذَا هُوَ بِامْرَأَةِ أَخِيهِ
تُوقِدُ لَهُ نَارًا ، وَتَشْوِي لَهُ دَجَاجَةً ، وَهُوَ يَقُولُ :

وَأَشَعَّتْ غَرْمَ الْإِسْلَامِ مِنِّي ، خَلَلَتْ بَعْرَمِهِ لَيْلَ السَّمَامِ

أبيتُ على ترائبها، ويُمسي على جرداءٍ لاحقةٍ الخزامِ
 كأنَّ مجامعَ الرِّبَلاتِ مِنها ، نِيامٌ يَنْهَضُونَ إلى قِيامِ
 فنَزَلَ فضربته بالسيفِ حتى قتلَه، فَبَلَغَ ذلكَ عمرُ بنِ الخطَّابِ، فلَمَّا
 أَصْبَحَ قَامَ خَطِيْباً فقال : أنشدُ اللهَ والإسلامَ رَجَلاً عنده علمٌ من هذا
 المقولِ الا أنبا به . فقامَ إليه رَجُلٌ فقَصَّ عليه القِصَّةَ وأخبره بقوله . فقال
 عمر : أبعدَه الله وأسحقه .

نصر بن حجاج وامرأة السلمي

وجدت بخط أحمد بن محمد بن علي الأبنوسي، حدثنا أبو محمد علي بن عبد الله بن المغيرة، حدثنا
 أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا علي بن أحمد الواسطي، حدثني إبراهيم بن الربيع، حدثني
 سماك بن عطية قال :

لَمَّا قَدِمَ نصرُ بنُ حجاجِ البصرةَ نَزَلَ على مُجاشعِ بنِ مسعودِ السُّلمي ،
 فبينما هو ليلةٌ يتحدَّثُ هوَ وأمرأته كَتَبَ على رَمَلٍ هم عليه قعود : أنا
 أحبك . قال : فكتبتُ هيَ : وأنا كذلك ، فدعا بإجانة^١ ، ووَضَعها
 على الكتابة ، فلَمَّا أَصْبَحَ دَعَا غُلامَه ، فقال : أيُّ شيء هذا ؟ قال :
 أنا أحبك ، وأنا كذلك ، فدعاها ودعاها ، وقالَ لها : ضُمَّيه إلى صَبرك يذهبُ
 عنكما ما أُنتمُا فيه .

١ الإجابة : دعاه ففعل فيه القباب .

ضحيتا الهوى

وجدت بخط أبي صمر بن حيويه ونقلته منه قال : حدثنا أبو بكر محمد بن خلف بن المرزبان ،
أخبرني صالح بن يوسف المحاربي قال : أخبرني أبو عثمان المازني ، أخبرنا العتيبي عن
شبابة بن الوليد العذري

أن فتى من بني عُدرة ، يُقال له أبو مالك بن النضر ، كان عاشقاً لابنة
عم له عاشقاً شديداً ، فلم يزل على ذلك مدة ، ثم إنه فقِدَ بضع عشرة
سنة ، ولم يُحسَّ له خبر .

قال شبابة بن الوليد : فضلت إبل لي ، فخرجت في طلبها ، فينا أنا
سيرُ في الرمال إذا بهاتفٍ بهتيفُ بصوتٍ ضعيفٍ ، وهو يقول :

يا ابن الوليدِ ألا تحمونَ جاركمُ ، وتَحفظُونَ لهُ حقَّ القَراباتِ
عَهدي إذا جارُ قومٍ نابهُ حَدَثُ وقوهُ مِن كلِّ أضرارِ المُلِماتِ
هذا أبو مالكِ المُمسَى ببلقعةٍ ، معَ الضِّباعِ وآسادِ بغابَاتِ
طليحُ شوقِ بِنارِ الحُبِّ محترِقُ تعتادهُ زقراتُ إثرَ لوعَاتِ
أما النهارُ فيضنيه تذكُّرهُ ، والليلُ مرتقبُ الصبحِ هل ياتي؟
يهدي بجاريةٍ من عُدرةٍ اختلستُ فوادِه ، فهو مِنها في بليّاتِ

فقلت : دلّني عليه ، رحمك الله ، فقال : نعم ، اقصدِ الصوتَ ، فلما
قصدتُ غيرَ بعيدٍ سمعتُ أنيناً من خباء فأصغيتُ إليه ، فإذا قائلٌ يقولُ :
يا رسيسَ الهوى أذبتَ فوادِي ، وحشوتَ الحشأَ عذاباً أليماً

فدنوتُ منه ، فقلت : أبو مالك ؟ قال : نعم ! قلت : ما بلغ بك ما أرى ؟
قال : حيي سعاد ابنة أبي الهيثم العذري ، فشكوتُ يوماً إلى ابن عمِّ
لنا من الحي ما أجدُّ من حبها ، فاحتملّني إلى هذا الوادي ، منذ بضع عشرة

سَنَةً ، وَيَأْتِنِي كُلَّ يَوْمٍ بِخَبْرِهَا ، وَيَقُوتُنِي ، حَفِظَهُ اللهُ ، مِنْ عِنْدِهِ . فَقَلْبْتُ
 لَهُ : لِيْ أَصِيْرُ إِلَى أَهْلِهَا ، فَأَخْبَرُهُمْ بِمَا رَأَيْتُ ، قَالَ : أَنْتَ وَذَلِكَ .
 فَانصَرَفْتُ ، وَصِرْتُ إِلَى أَهْلِ الْخَارِيَةِ ، فَخَبَرْتُهُمْ بِحَالِ الْقَسِيِّ ، وَمَا
 رَأَيْتُ مِنْهُ ، وَحَدَّثْتُهُمْ حَدِيثَهُ ، فَتَرَقُّوا لَهُ فَرَّجُوهُ بِحَضْرَتِي ، وَرَجَعْتُ
 إِلَيْهِ عَامِدًا لِأَفْرَجَ عَنْهُ لَمَّا رَأَيْتُ مِنْهُ ، فَلَمَّا أَخْبَرْتُهُ الْخَبَرَ ، حَدَّدَ النَّظَرَ
 إِلَيَّ ، ثُمَّ تَأَوَّهَ تَأَوُّهَا شَدِيدًا بَلَغَ مِنْ قَلْبِي ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :
 الْآنَ إِذْ حَشَرَجْتُ نَفْسِي وَحَاصَرَهَا فِرَاقُ دُنْيَا ، وَتَنَادَاهَا مُنَادِيهَا
 ثُمَّ زَفَرَ زَفْرَةً ، فَمَاتَ ، فَدَفَنْتُهُ فِي مَوْضِعِهِ ثُمَّ انصَرَفْتُ فَأَعْلَمْتُهُم
 الْخَبَرَ ، فَأَقَامَتِ الْخَارِيَةُ ثَلَاثًا لَا تَطْعَمُ طَعَامًا ثُمَّ مَاتَتْ .

غصص الموت

أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَوْهَرِيُّ ، حَدَّثَنَا أَبُو عَمْرِو بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْعَبَّاسِ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ
 الْقَاسِمِ الْأَنْبَارِيُّ

أَنْشَدَنِي أَبِي عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ لِأَبِي نَوَاسٍ :

إِنَّ فِي وَصْلِ مَنْ أَحَبَّ دَوَائِي ، وَبِكَفَيْهِ ، إِنَّ أَحَبَّ ، شِفَائِي
 إِنَّ أُمَّتَ ضَيْعَةً ، فَلَسَمَ أَجْنِ ذَنْبًا ، مِنْ حَبِيبِ أَمَاتَ حُسْنَ عَزَائِي
 كُلَّ يَوْمٍ يُذِيقُنِي غُصَصَ الْمَوْتِ تِ بِصَدِّ يُرِيشُهُ بِالْحَقْمَاءِ

الدماء المطلولة

ولي من أثناء أبيات كتبتها إلى بعض الأدباء :

كَمْ دَمٍ لِلْعُشَّاقِ أَهْرِيْقَ بِالْهَجِّ رِ إِلَى رُكْنِ كَعْبَةِ غَرَاءِ
وَدِمَاءُ الْعُشَّاقِ مَطْلُولَةٌ لِي سَ لَهَا، فَعَلِمُوهُ، مِنْ أَوْلِيَاءِ
تَسَلُّ بِمَجْنُونِ عَامِرٍ وَأَخِي عُدُ رَةَ، مَا كَانَ مِنْهُ مَعَ عَفْرَاءِ
وَجَمِيلٍ وَقَيْسِ لُبْنَى، وَغَيْلًا نَ، وَخَلَقِي يَفْوَتْهُمْ إِحْصَائِي

ولي أيضاً من أثناء قصيدة مدحتُ بها بعض الرؤساء بالإسكندرية :

فَلَيْلَهُ مَا أَبْقَى الْهَوَى مِنْ حُشَاشَةٍ بِهَا لِلنَّوَى دَاءٌ يَعْزَزُ دَوَاهُ
قَلْبِ رَمَاهُ الْبَيْنُ يَوْمَ فِرَاقِهِمْ بِسَهْمٍ وَمَا أَخْطَاهُ حِينَ رَمَاهُ

ولي من أثناء قصيدة :

وَكَمْ مِنْ لَيْلَةٍ بِالرَّمْلِ بَيْنَنَا كَأَنَا إِنْدَةً فَسَوْقَ الْحَشَايَا
إِذَا ابْتَسَمْتَ، وَسِرُّ اللَّيْلِ مُرْخِي، أَضَاءَ لَنَا الدَّجَى بَرَقُ الثَّنَايَا
نُدِيرُ حَدِيثَ مَنْ قَتَلْتَهُ خَوْدُ، وَمَنْ فِي الْحُبِّ نَالَتَهُ الرِّزَايَا
كَجَنُونٍ وَقَيْسٍ قَيْسِ لُبْنَى، وَمَنْ أَبْدَى لَهُ الْحُبُّ الْحَبَايَا

ليلي الأخيلية والحجاج

أخبرنا أبو جعفر بن مسلمة في ما أذن لنا في روايته أن أبا القاسم اسماعيل بن سعيد بن سويد أخبرهم إجازة قال : حدثنا أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري ، حدثني أبي ، حدثنا أحمد ابن عبيد عن أبي الحسن المدائني عن حدثه عن مولى لعنبة أن سعيد بن العاص قال :

كنتُ أدخلُ مع عتبسة بن سعيد إذا دخلَ على الحجاج ، فدخلَ يوماً ، فدخلتُ إليهما ، وليسَ عند الحجاج غيرُ عتبسة ، ففعدتُ فجيء الحجاج بطبق فيه رطبٌ ، فأخذَ الخادمُ منه شيئاً فجاءني به ، ثمَّ جيء بطبق ، حتى كثرتِ الأطباقُ ، وجعل لا يُؤتون بشيء إلاَّ جاءني منه بشيء ، حتى ظننتُ أن ما بين يدي أكثرُ مما عندهم ، ثمَّ جاء حاجب فقال : امرأةٌ بالباب ، فقال له الحجاج : أدخلها ! فدخلت ، فلما رآها الحجاج ، طأطأ رأسه حتى ظننتُ أن ذقنه قد أصاب الأرض ، فجاءت حتى قد بين يديه ، فنظرتُ إليها فإذا هي امرأةٌ قد أسئت ، حسنةُ الخلق ، وم جاريتانِ لها ، وإذا هي ليلي الأخيلية ، فسألها الحجاج عن نسبها ، فانتسبت له ، فقال لها : يا ليلي ما أتى بك ؟ فقالت : إخلافُ النجوم ، وقلةُ الغيوم ، وكتسبُ البرد ، وشدةُ الجهد ، وكنت لنا بعد الله الرُفد .

فقال لها : صفي لنا الفجاج^١ .

فقالت : الفجاجُ مُخْبِرَةٌ ، والأرضُ مُقْشَعِرَةٌ ، والمَنْزِلُ مُعْتَلٌّ ، وذو العيسالِ مُخْتَلٌّ ، وأهالكُ المقتل ، والناسُ مُسْتَنُونَ^٢ ، رحمة الله برَجون . وأصابتنا سنون مجحفة مبطللة لم تدع لنا هيباً ولا ريباً، ولا عافية^٣

١ الفجاج ، الواحد فجج : الطريق الواسع الواضح بين جبلين .

٢ مستنون ، من أسئت : أصابه الجذب والقحط .

٣ المجع ، لعله جمع الهيمة : سهلان النقيض المصوب على وجه الأرض فيكون المراد ماء . الربيع :

الغلة . العافية : النجاة .

وَلَا نَافِظَةً، أَذْهَبَ الْأَمْوَالَ، وَفَرَّقَتِ الرَّجَالَ، وَأَهْلَكَتِ الْعِيَالَ. ثُمَّ قَالَتْ:
إِنِّي قَدْ قَلْتُ فِي الْأَمِيرِ قَوْلًا! قَالَ: هَاتِي، فَأَنْشَأْتُ تَقُولُ:

أَحْجَاجٌ لَا يُفْلَلُ سِلَاحُكَ إِنَّمَا أَلَا مَنَابِيَا بِكَفِّ اللَّهِ حَيْثُ تَرَاهَا
أَحْجَاجٌ لَا تُعْطَى الْعُصَاةَ مِنْهُمْ، وَلَا اللَّهُ يُعْطِي لِلْعُصَاةِ مِنْهَا
إِذَا هَبَطَ الْحَجَّاجُ أَرْضًا مَرِيضَةً تَتَّبِعُ أَقْصَى دَائِهَا فَشَقَّاهَا
شَقَّاهَا مِنَ الدَّاءِ الْعُضَالِ الَّذِي بِهَا غُلَامٌ إِذَا هَزَّ الْقَنَسَاةَ سَقَّاهَا
سَقَّاهَا، فَرَوَّاهَا بِشُرْبِ سِجَالِهِ دِمَاءُ رِجَالٍ حَيْثُ قَالَ حَمَاهَا^٢
إِذَا سَمِعَ الْحَجَّاجُ رِزًّا كَتَيْبَةً، أَعَدَّ لَهَا قَبْلَ النَّزُولِ قِرَاهَا^٣
أَعَدَّ لَهَا مَسْمُومَةً فَارِسِيَّةً بِأَيْدِي رِجَالٍ يَحْلُبُونَ صَرَاهَا^٤
فَمَا وَلَدَ الْأَبْكَارُ وَالْعُونَُ مِثْلَهُ، بِنَجْدٍ وَلَا أَرْضٍ يَجِيفُ ثَرَاهَا^٥

قال : فلما قالت هذا ، قال الحججاج : قاتلها الله ! ما أصاب صفتي
شاعرٌ مذ دخاتُ العِراقِ غيرها ؛ ثمّ التفتت إلى عنبسة بن سعيد فقال : والله
إني لأُعيدُ للأمرِ عسى أن لا يكون أبدأ ؛ ثمّ التفتت إليها فقال : حسبك .
قالت : إني قد قلتُ أكثرَ من هذا ، قال : حسبك ، ويحك حسبك ؛ ثمّ
قال : يا غلامُ اذهبْ إلى فلان فقلْ له اقطعْ لسانها . قال : فأمرَ بإحضارِ
الحجّام ، فالتفتت إليه فقالت : ثكّلتك أمك ! أمّا سمعتَ ما قال ؟
إنما أمرُك أن تقطعَ لساني بالصِّلّة . فبعثَ إليه يستثبته ، فاستشاطَ الحجّاجُ

١ النافذة : العنز .

٢ السجال ، الواحد سجال : الدلو العظيم .

٣ الرزّ : الصوت الجيد .

٤ أرادت بالمسومة الفارسية : الرماح . الصرى : بقية الشيء .

٥ العون ، الواحدة عوان : من كانت في منتصف السن .

غَضَبًا ، وَهَمَّ بِقَطْعِ لِسَانِهِ وَقَالَ : ارْدُدْهَا ، فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ قَالَتْ :
 كَادَ ، وَأَمَانَةَ اللَّهِ ، يَقْطَعُ مِقْوَلِي . ثُمَّ أَنْشَأَتْ تَقُولُ :
 حَجَّاجُ ! أَنْتَ الَّذِي مَا فَوْقَهُ أَحَدٌ إِلَّا الْحَلِيفَةُ وَالْمُسْتَنْغْفَرُ الصَّمَدُ^١
 حَجَّاجُ ! أَنْتَ شَهَابُ الْحَرْبِ إِذْ لَقِيتُ ، وَأَنْتَ لِلنَّاسِ فِي جِنْحِ الدُّجَى تَقِيدُ
 ثُمَّ أَقْبَلَ الْحَجَّاجُ عَلَى جِلْسَانِهِ فَقَالَ : أَتَدْرُونَ مَنْ هَذِهِ ؟ قَالُوا : لَا وَاللَّهِ
 أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِلَّا أَنَا لَمْ نَرَ امْرَأَةً قَطَّ أَفْصَحَ لِسَانًا وَلَا أَحْسَنَ مُحَاوَرَةً وَلَا
 أَمْلَحَ وَجْهًا وَلَا أَرْصَنَ شِعْرًا مِنْهَا . فَقَالَ : هَذِهِ لَيْلَى الْأَخِيلِيَّةُ الَّتِي مَاتَ
 تَوْبَةُ الْخَفَّاجِيِّ مِنْ حُبِّهَا ، ثُمَّ التَّفَقَّتْ إِلَيْهَا فَقَالَ : أَشَدِينَا يَا لَيْلَى بَعْضَ مَا
 قَالَ فِيكَ تَوْبَةُ . فَقَالَتْ : نَعَمْ أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، هُوَ الَّذِي يَقُولُ :

وَهَلْ تَبْسُكِينَ لَيْلَى إِذَا مَا بَكَيْتُهَا وَقَامَ عَلَيَّ قَبِيرِي النَّسَاءُ النَّوَائِحُ^٢
 كَمَا لَوْ أَصَابَ الْمَوْتُ لَيْلَى بِكَيْتُهَا ، وَجَادَ لَهَا دَمْعٌ مِنَ الْعَيْنِ سَافِحُ
 وَأَعْبَطُ مِنْ لَيْلَى بِمَا لَا أَنْالُهُ ؛ بَلَى أَكُلُ مَا قَرَّتْ بِهِ الْعَيْنُ صَالِحُ
 وَلَوْ أَنَّ لَيْلَى الْأَخِيلِيَّةَ سَلِمَتْ عَلَيَّ ، وَدُونِي تُرْبَسَةُ^٣ وَصَفَائِحُ^٤
 لَسَلِمْتُ تَسْلِيمَ الْبَشَاشَةِ أَوْ زَقَا^٥ إِلَيْهَا صَدَى مِنْ جَانِبِ الْقَبْرِ صَائِحُ
 فَقَالَ لَهَا : زَيْدِينَا يَا لَيْلَى مِنْ شِعْرِهِ ، فَقَالَتْ : هُوَ الَّذِي يَقُولُ :

حَمَامَةَ بَطْنِ الْوَادِيَيْنِ تَرْتَمِي ، سَقَاكِ مِنَ الْغُرِّ الْغَوَادِي مَطِيرُهَا^٥

١ الصمد : من الأسماء الحسنى ومعناه الدائم .

٢ قوله : إذا ما بكيتها ، هكذا في الأصل ولعل اللفظة محرفة .

٣ الصفائح : الحجارة المراض ، الواحدة صفيحة .

٤ زقا : صاح . الصدى : طائر زعمت العرب انه يخرج من رأس القليل فلا يزال يصيح عطشان اسقوني إلى أن يؤخذ يثاره .

٥ الفر : البيض ، أي السحاب البيض . الغوادي ، واحدها غادية : السحابة التي تمر غدوة .

أبيني لنا ، لا زال ريشك ناعماً ؛ ولا زلت في خضراء غصن نصيرها
وأشرف بالقوز اليقاع لعلتي وأرى نار ليلي أو يراني بصيرها
وكنت إذا ما جئت ليلي تبرقعت ، فقدم رأبي منها الغداة سفورها
يقول رجال : لا يصيرك نأيها ؛ بلى ! كل ما شفت النفوس يصيرها
بلى ! قد يصير العين أن تكثر البكى ، ويمنع منها نومها وسرورها
وقد زعمت ليلي بأنني فاجر ، لنفسي ثقها ، أو عليها فجوها

فقال لها الحجاج : يا ليلي ما الذي رأته من سفورك ؟ فقالت : أيتها
الأمير ، كان يلثم بي كثيراً ، فأرسل إلي يوماً أني أتيك ، وفطن الحي ،
فأرصدوا له ، فلما أتاني سقرت ، فعلم أن ذلك لشر ، فلم يزد على التسليم
والرجوع . فقال : لله درك ، فهل رأيت منه شيئاً تكرهينه ؟ فقالت :
لا والذي أسأله أن يصلحك غير أنه قال لي مرة قولاً ظننت أنه قد
خضع لبعض الأمر ، فقلت له :

وذري حاجة قلنا له : لا تبخ بها فليس لئيهما ما حبيت سبيل
لنا صاحب لا ينبغي أن نخونه ، وأنت لأخري فارغ وحليل^٢
فلا والذي أسأله أن يصلحك ما رأيت منه شيئاً . حتى فرق الموت بيني
وبينه . قال : ثم ماذا ؟ قالت : لم يلبث أن خرَج في غزاة له فأوصى ابن
عمه : إذا أتيت الحاضرة من بني عبادة ، فناد بأعلى صوتك :

عفا الله عنها ! هل أبين ليلة من الدهر لا يسري إلي خيالها
فخرجت وأنا أقول :

وعنه عفا ربي ، وأحسن حاله ، فعز عليتنا حاجة لا ينالها

١ القوز : الكتيب من الرمل . اليقاع : المشرف . البصير : المجاور للنار ، وأراد به ليل .

٢ الفارغ ، إما من فرغ : قلق ، أو انه متفرغ لها . الحليل : الزوج .

قال : ثمّ ماذا ؟ قالت : لم يلبّث أن مات ، فأتاني نعيه . قال : فأنشدينا بعض مرّاتك ، فأنشدت :

لَتَبِكَ عَلَيْهِ مِنْ خَفْصَاجَةٍ نُسُوءٌ ، بِمَاءِ شُؤُونِ الْعَبْرَةِ الْمُتَحَدِّرِ
قال : فأنشدينا :

كَأَنَّ فَتَى الْفِتْيَانِ تَوْبَةَ لَمْ يُنِخْ قَلَائِصَ يَفْحَصْنَ الْحِصَا بِالْكَرَاكِرِ
فلما فرغت من القصيدة قال مُحْصِنُ الْفَقْعَسِيِّ ، وكان من جلساء الحجاج : مَنْ هذا الذي تقول هذه هذا فيه ؟ فوالله إني لأظنّها كاذبة . فنظرت إليه ، ثمّ قالت : أيّها الأميرُ ! إنّ هذا القائلَ لو رأى توبةَ لسهرة أن لا يكونَ في داره عنراءُ إلاّ وهي حاملٌ منه . فقال الحجاج : هذا وأبيك الجواب ، وقد كنت عنه غنياً .

ثمّ قال لها : سَلِي يَا لَيْلَى تُعْطِي . قالت : أعطِ فمثلك أعطى فأجزل . قال : لك عشرون . قالت : زدْ فمثلك زادَ فأجمل . قال : لك أربعون . قالت : زدْ فمثلك زادَ فأفضل . قال : لك ستون . قالت : زدْ فمثلك زادَ فأكل . قال : لك ثمانون . قالت : زدْ فمثلك زادَ فأتم . قال : لك مائة ، وأعلمي يا ليلي أنّها غنمٌ ، قالت : معاذَ الله أيّها الأميرُ ، أنت أجودُ جوداً وأجمدُ مجداً وأورى زنداً من أن يجعلها غنماً . قال : فما هي ويحك يا ليلي ؟ قالت : مائةُ ناقةٍ يُدعى بها . فأمرَ بها ثمّ قال : ألك حاجةٌ بعدّها ؟ قالت : تدفعُ إليّ التابغة الجعدي في قرآن . قال : قد فعلتُ . وقد كانت تهجوه ويهجوها ، فبلغَ التابغة ذلك ، فخرجَ هارباً عائداً بعبد الملك ، فاتبعته إلى الشام ، فهربَ إلى قُتَيْبَةَ بنِ مُسْلِمِ بْنِ خِرَاسَانَ ، فاتبعته ، على البريد ، بكتابِ الحجاجِ إلى قُتَيْبَةَ ، فماتَ بقومس ، ويُقالُ بجُلُوان .

١ خفاجة : رهط توبة .

٢ يفحصن : يحفرن . الكراكر ، واحدها كركرة : صدر البعير .

علي بن صالح والقينة

ذكر أبو عمر بن حيويه في ما نقلته من خطه قال : حدثنا محمد بن خلف قال : حدثنا الحسين
ابن جعفر قال : حدثنا عبد الله بن أحمد العبدي قال : حدثني سليمان بن علي الهاشمي

أنّ عليّ بن صالح بن داود ذكرَ عن جارية من القيان أنّها تميلُ إليه
حبةً وكلفاً ، وكانت موصوفةً بالأدبِ شاعرةً ، فكرهَ مَرَّاسَلَتِهَا ، فحضرَ
يَوماً عندَ بعضِ أهلِ البصرة ، وكانت عنده ، فلما رأتَ عليّ بن صالح
قالت : طابَ عيشُنَا في يومنا هذا ، فلم يلتفتْ إليها وأطرقتْ هي أيضاً
فلم تنظرْ إليه ، ثمّ دعت بدواةٍ فكتبت على منديل ، كان معها ، ثمّ غافلت
أهلَ المجلس ، فألقت إليه المنديل ، فأخذه فإذا فيه :

لَعَلَّ الَّذِي يَسْأَلُ بِحُبِّكَ يَا فَتَى ، يَرُدُّكَ لِي يَوماً إِلَى أَحْسَنِ الْعَهْدِ
قال : فما هوَ إلاّ أن قرأتُ الشعرَ حتّى وجَدتُ في قلبي من أمرِها مثل
النَّارِ ، وقمتُ فانصرفتُ خوفاً من الفضيحة ، ثمّ لم أزلُ أعمل الخيلة في
إبتِباعِها من حيثُ لا تعلمُ ، فعسرَ ذلك عليّ ، فعرفتُها الخيرة ، وما عزمتُ
عليه من إبتِباعها ، فأعانتني على ذلك حتّى ملكتها ، فلم أوثر عليها أحداً من
حرَمي ، ولا أهلي ، ولا كان عندي شيءٌ يعدلُها ، فتوقّيتُ ، فأنا لا عيشَ
لي بعدها ، ولا سرور . فوالله ما لبثتُ بعدَ هذا الكلام إلاّ أياماً يسيرةً حتّى
ماتَ أسفاً عليها ، وكَمَدّاً ، فدُفِنَ إلى جنبها .

ريقته مدام

ولي من قصيدة أولها :

قَفِي أَحْبَبْتُكَ مَا صَنَعَ الْغَرَامُ ، عَشِيَّةَ قُوْضَتْ تِلْكَ الْخِيَامُ
لَقَدْ فَتَكَ الْهَوَى بِي يَوْمَ سَارُوا ، وَلَوْ لَمْ يُؤْثِرُوا قَتْلِي أَقَامُوا

سَرَوَا وَاللَّيْلُ فِي ثَوْبِي حِدَادٍ ، وَقَدَّ أَلْقَى مَرَّاسِيَهُ الظَّلَامُ
 وَقَدَّ هَتَكُوا الْأَكِلَةَ عَن بُدُورٍ كَوَامِنَ لَيْسَ يَبْرَحُهَا التَّمَامُ
 وَفِي الْأَحْدَاجِ ذُو لَعَسٍ ، لِمَاهُ ، لَنَا كَأْسٌ ، وَرَيْقَتُهُ مُدَامُ
 رَمَى ، وَقَلْبُونَا الْأَغْرَاضُ ، فَانظُرْ بِعَيْنِكَ هَلْ تَطْيِيشُ لَهُ سِهَامُ

عشق ليس فيه فحش

أنا أبو محمد الجوهرى ، أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس الخزاز ، حدثنا أبو بكر محمد بن خلف المحولى ، حدثنا أبو سعيد عبد الله بن شبيب قال : حدثنا العتبي قال :

كان عند خالد بن عبد الله فقهاء من أهل الكوفة ، فيهم أبو حمزة الشمالي ، فقال خالد : حدثونا بحديث عشق ليس فيه فحش ! فقال أبو حمزة الشمالي : أصلح الله الأمير ! زعموا أنه ذكر عند هشام بن عبد الله غدر النساء وسرعة تزويجهن . فقال هشام : إنه ليلغني من ذلك العجب . فقال بعض جلسائه : أنا أحدثك عما بلغني من ذلك .

بلغني أن رجلاً من بني يشكر يقال له غسان بن مهضم من العدافر ، كانت تحته ابنة عم له يقال لها أم عقبة بنت عمرو بن الأبحر ، وكان لها محباً ، وكانت هي له كذلك ، فلما حضره الموت ، وظن أنه مفارق الدنيا ، قال ثلاثة أبيات . ثم قال لها : يا أم عقبة ! اسمعي ما أقول ، وأجيبني بحق ، فقد تافت نفسي إلى مسألتك عن نفسك ، بعدما يواريني التراب . فقالت : قل ، فوالله لا أجيبك بكذب ولا جعلته آخر خطاب مني . فقال ، وهو يبكي بكاءً منعه الكلام :

١ الاحداج ، الواحدة حداجة : ما تركب فيه النساء على البعير . العس : سواد مستحسن في الشفة . العسى : سمره أو سواد في باطن الشفة .

أخبريني بما تُريدِينَ بعُدِي ،
 تحفظيني مِن بعْدِ مَوْتِي لِمَا قَدَ
 والذي تُضمِرِينَ يَا أُمَّ عُقْبَةَ
 كان مِنِّي من حَسَنِ خَلْقِي وَصُحْبَةِ
 وَأَنَا فِي التَّرَابِ فِي سُحْقٍ غُرْبَةٍ
 فَأَجَابَتْهُ بِبِكَاءٍ وَانْتِحَابٍ :

قَدَ سَمِعْنَا الَّذِي تَقُولُ وَمَا قَدَ
 أَنَا مِن أَحْفَظِ الأَنَامِ وَأَرْعَا
 خِفْتَهُ يَا خَلِيلُ مِن أُمَّ عُقْبَةَ
 هُم لِمَا قَدَ أُولِيَتْ مِن حُسْنِ صُحْبَةِ
 وَمَرَاثٍ أَقُولُهَا وَيَنْدُبُهُ
 سَوْفَ أَبْكِيكَ مَا حَيَّيْتُ بِشَجْوِي
 قال : فلما قالت ذلك طابت نفسه ، وفي النفس ما فيها ، فقال :

أَنَا وَاللَّهِ وَائِقٌ مِّنْكَ لَكِنَّ
 بَعْدَ مَوْتِ الأَزْوَاجِ يا خَيْرَ مَنْ عُو
 رَبِّمًا خِفْتُ مِّنْكَ غَدَرَ النِّسَاءِ
 شِرًّا فَارْعَيْ حَقِّي بِحُسْنِ الوَفَاءِ
 إِنِّي قَدَ رَجَوْتُ أَنْ تَحْفَظِي العَهْ
 دًا ، فَكُونِي إِنْ مَتَّ عِنْدَ الرَّجَاءِ

قال : ثمَّ اعتقلَ لسانه ، فلم يَنطِقْ حتى مات . فلم تلبثْ بعده
 حتى خُطِبتْ من كلِّ جانبٍ ، وَرَغِبَ فِيهَا الأَزْوَاجُ لِاجْتِمَاعِ الحِصَالِ
 الفاضِلَةِ فِيهَا من العَقلِ وَالجمالِ وَالعَفافِ ، فقالت مُجِيبَةً لَهُمْ :

سَأَحْفَظُ غَسَّانًا عَلى بَعْدِ دَارِهِ
 وَأَرْعَاهُ حَتَّى نَلْتَقِي يَوْمَ نُحْشَرُ
 وَإِنِّي لَفِي شُغْلٍ عَنِ النَّاسِ كُلِّهِمْ
 فَكفُّوا ! فَمَا مِثْلِي بِمَنْ مَاتَ يَغْدُرُ
 سَأُبْكِي عَلَيْهِ مَا حَيَّيْتُ بِعَبْرَةٍ
 تَعْجُولُ عَلى الحَدِيدِ مِنِّي وَتَحْدُرُ

فَأَيْسَ النَّاسُ مِنْهَا حِينًا ، فلما مرَّتْ بِها الأَيَّامُ نَسِيَتْ عَهْدَهُ وَقَالَتْ :
 من مات فقد فات ، فَأَجَابَتْ بَعْضَ خُطَّابِهَا ، فَتَرَوَّجَهَا ، فلما كانت
 اللَّيْلَةُ الَّتِي أَرَادَ الدَّخُولَ بِهَا جَاءَهَا غَسَّانٌ فِي النُّومِ ، وَقَدَ أَغْفَتَ ، فقال :

غَدَرْتُ ، وَلَمْ تَرَعَيْ لِبَعْلِكَ حُرْمَةً ،
 وَلَمْ تَصْبِرِي حَوْلًا حِفْظًا لِصَاحِبِ ،
 وَلَمْ تَعْرِ فِي حَقِّهَا ، وَلَمْ تَحْفَظِي عَهْدًا
 حَلَقْتَ لَهُ يَوْمًا وَلَمْ تُنْجِزِي وَعْدًا
 كَذَلِكَ يُنْسَى كُلُّ مَنْ سَكَنَ اللَّحْدَا ،
 غَدَرْتُ بِهِ لَمَّا ثَوَى فِي ضَرْبِيهِ ،

قال : فلما سمعت هذه الأبيات انتبهت مُرتاعةً مُستحيةً منه كأنه بات معها في جانب البيت ، وأنكر ذلك منها من حضرها من نسايتها ، فقلن : ما لك ، وما حالك ، وما دهاك ؟ فقالت : ما ترك غسانُ لي في الحياة أرباباً ، ولا بعده في سرورٍ رغبةً . أتاني في منامي الساعة ، فأنشدتني هذه الأبيات ، ثم أنشدتها وهي تبكي بدمعٍ غزيرٍ وانتحابٍ شديد ، فلما سمعت ذلك منها أخذن بها في حديثٍ آخرٍ لتُنسى ما هي فيه ، ففأفكهن وقامت ، فلم يدركنها حتى ذبحت نفسها حياءً مما كادت أن تتركب بعده من الغدر به والنسيان لعهد . فقالت امرأةٌ منهن : قد بلغنا أن امرأةً أتاها زوجها في المنام فلامها في مثل هذا ، فقتلت نفسها . فما سمعنا به^١ .

قال : وكانت المرأةُ القائلةُ هذا الكلام صاحبة شعرٍ ورجز فقالت :

مَاذَا صَنَعْتَ وَمَاذَا لَقَيْتَ مِنْ غَسَّانِ
 قَتَلْتَ نَفْسَكَ حُزْنًا يَا خَيْرَةَ النَّسْوَانِ
 وَقَيْتَ مِنْ بَعْدِ مَا قَدِ هَمَمْتَ بِالْعِصْيَانِ
 إِنَّ الْوَفَاءَ مِنْ الْإِلَهِ ، لَمْ يَنْزَلْ بِمَكَانِ

قال : فلما بلغ زوجها زوجها ، وكان يُقالُ له المقدم بن حُبَيْش ، وكان قد أعجب بها ، أنها قالت : ما كان لي مُستمع بعد غسان ، قال : هكذا فلتكن النساء في الوفاء ، وقل من تحفظ ميتاً ، إنما هي أيامٌ قلائلٌ حتى يُنسى وعنه يُسلى .

١ قولها : فما سمعنا به ، هكذا في الاصل ، وربما سقط شيء من الكلام في النقل أو في الطبع .

فقال هشام: صَدَقَ وَبَرٌّ، بلحاداً ما أدرَكَه عقله وَحَسَنُ عَزَائِهِ حِينَ فَاتَهُ طَلِبَتُهُ . أَحْسَنَتِ الْمَرْأَةُ وَوَفَّقَتْ ، وَأَحْسَنَ الرَّجُلُ فَصَبَرَ .

نظرة بتبسم

أنشدنا أبو محمد الحسن بن محمد بن علي الخلال ، رحمه الله ، قال :
أنشدنا أبو بكر أحمد بن محمد الخوارزمي لبعضهم :
وَقَالُوا لَهَا : هَذَا حَبِيبُكَ مُعْرِضًا ؛ فقالتُ : أَلَا إِعْرَاضُهُ أَيْسَرُ الْخَطْبِ
فَمَا هِيَ إِلَّا نَظْرَةٌ بِتَبَسُّمٍ ، فتَصَنَّفْتُ رِجْلَاهُ وَيَسْقُطُ لِلْجَنبِ

قميص الكتمان

أخبرنا أبو طاهر محمد بن علي العلاف الواعظ بقراةتي عليه ، أخبرنا أبو حفص عمر بن أحمد ابن عثمان الواعظ ، حدثنا جعفر بن محمد الصوفي ، حدثنا أحمد بن محمد الطوسي ، حدثني القاسم بن يزيد ، حدثني محمد بن سلام ، حدثني خلاد بن يزيد الأرقط قال :
كان عُوَيْمِرُ الْعُقَيْلِيُّ مَشْغُوفًا بِابْنَةِ عَمِّ لَه ، وَكَانَ يُقَالُ لَهَا رِيًّا ، فَزُوِّجَتْ بِرَجُلٍ ، فَحَمَلَهَا إِلَى بِلَادِهِ ، فَاشْتَدَّ وَجْدُهُ ، وَاعْتَلَّ عِلَّةٌ أَخَذَهُ الْمُلَاسُ^٢ بِهَا ، فَدَعَا لَهُ طَبِيبًا لِيَنْظَرَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ : أَخْبِرْنِي بِالَّذِي تَجِدُ ، فَرَفَعَ عَقِيرَتَهُ فَقَالَ :

كَذَبْتُ عَلَى نَفْسِي فَحَدَّثْتُ أَنْتِي سَلَوْتُ لَكِيْمًا يَنْظُرُوا حِينَ أَصْدُقُ
وَمَا عَن قَلْبِي مِنِّي وَلَا عَن مَلَالَةٍ ، وَلَكِنِّي أَبْقِي عَلَيْكَ وَأَشْفِقُ

١ بلحاد : أي كان جيداً .

٢ الملّاس : مرض السل .

وَمَا الْمَجْرُ إِلَّا جُنَّةٌ لِي لَبِسْتُهَا ، لَتَدْفَعَ عَنِّي مَا يُخَافُ وَيُفْرَقُ^١
 عَطَفْتُ عَلَى أَسْرَارِكُمْ ، فَكَسَوْتُهَا قَمِيصاً مِنَ الْكِتْمَانِ لَا يَتَخَرَّقُ^٢
 وَلِي عَبْرَتَانِ مَا تُفَيِّقَانِ : عَبْرَةٌ تَفِيضُ ، وَأُخْرَى لِلصَّبَابَةِ تَخْتَقُ^٣
 وَيَوْمَانِ : يَوْمٌ فِيهِ جِسْمٌ مُعَذَّبٌ عَلِيلٌ ، وَيَوْمٌ لِلتَّفَرُّقِ مُطْرِقٌ^٤
 وَأَكْثَرُ حَظِّي مِنْكَ أَنِي إِذَا سَرْتُ لِي الرِّيحُ مِنْ تِلْقَائِكُمْ أَتَشْتَقُ^٥
 ثُمَّ ذَهَبَ عَقْلُهُ ، فَقَالَ الْمُتَطَبِّبُ لِأَهْلِهِ وَمَنْ حَضَرَهُ : ارْفُقُوا بِهِ ،
 ثُمَّ انصَرَفَ . فَمَا مَكَثَ إِلَّا لِيَالِي يَسِيرَةً حَتَّى قَضَى .

طرف قتول

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن علي الصوري ، أخبرنا ابن رَوْح ، حدثنا المعاني بن زكريا ،
 حدثنا الكوكبي ، حدثني اسحاق بن محمد ، أخبرني أبو عثمان المازني قال :

قال أبو حيان الدارمي في أبي تمام الرُّوبِج من بني هاشم ، وكان يهواه :

سَبَّأكَ مِنْ هَاشِمٍ سَكِيلٌ لَيْسَ إِلَى عَطْفِهِ سَبِيلٌ^١
 مَا اخْتَالَ فِي صَحْنِ قَصْرِ أَوْسٍ إِلَّا تَسَجَّى لَهُ قَتِيلٌ^٢
 وَلَا حَظَّتْهُ الْعُيُونُ حَتَّى رَتَّتْ لَهُ الْكَاعِبُ الْبَتُولُ^٣
 فَإِنْ يَقِفْ ، فَالْعُيُونُ تُنْصَبُ ، وَإِنْ تَصَدَّى ، فَهِنَّ حَوْلُ^٤
 يَمَسُّحُهُ عَنِّ أَدِيمِ خَدِّ مُورِدٍ ، صَحْنُهُ أُسَيْلُ^٥
 لِلْحَتَفِ فِي عَيْنِهِ قَيْسِيٌّ^٦ أَيْدِي الْمَنَائِيَا بِهَا تَصُولُ^٧

١ يفرق : يفرغ منه .

٢ تفيقان : أراد تريحان ، من أفاق الحالب : أراح بين الحلبتين .

يَنْزِعُ فِيهَا بِغَيْرِ تَبَسُّلٍ ، طَرَفٌ لِعُشَاقِهِ قَتُّوْلٌ
 قال أبو عثمان : فحدثني مَنْ أتى بخبره أن المأمون أنشدَ هذا الشعرَ ،
 فقال : ما سمعتُ أرقَّ من هذا المعنى :
 فإنَّ يَقِفَ ، فالعيونُ نُصِبُ ؛ وإنَّ تَصَدَّى ، فهنَّ حَوْلُ

شعر ليحيى بن طالب

أخبرنا محمد بن أبي نصر الحافظ ، حدثني الفقيه أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الاندلسي ،
 حدثنا القاضي أبو محمد عبد الله بن الربيع ، حدثنا أبو علي القالي قال : قال أبو بكر الانباري :
 غنَّى هارون الرشيد بشعرٍ ليحيى بن طالب :

أيا أثلاثِ القاعِ من بطنِ توضحِ ، حنيني إلى أطلالِكُنَّ طَوِيلُ^١
 وَيَا أثلاثِ القاعِ قَدِّمَ صُحْبَتِي مَسِيرِي ، فَهَلْ فِي ظِلِّسِكُنَّ مَقِيلُ^٢
 وَيَا أثلاثِ القاعِ قَلْبِي مُسَوِّكَلُ^٣ ، وَجَدَّوِي خَيْرِكُنَّ قَلِيلُ^٤
 أَلَا هَلْ إِلَى شَمِّ الحِزَامِي وَنَظْرَةِ^٥ إِلَى قَرَقَرِي قَبْلَ المَمَاتِ سَبِيلُ^٦
 فَاشْرَبْ مِنْ مَاءِ الحُجَيْلَاءِ شَرِبَةَ^٧ يُدَاوِي بِهَا قَبْلَ المَمَاتِ عَكِيلُ^٨
 أَحَدْتُ عَنْكَ النَفْسَ أَنْ لَسْتُ رَاجِعاً^٩ إِلَيْكَ ، فَحِزْنِي فِي الفُؤَادِ دَخِيلُ^{١٠}
 أُرِيدُ هَبُوطاً نَحْوَكُمُ فَيَسْرُدُنِي ، إِذَا رُمْتَهُ ، دَيْنٌ عَلَيَّ ذَقِيلُ^{١١}
 فقال هارون الرشيد : يُقْضَى دِينُهُ ، فَطُلِبَ إِذَا هُوَ قَدْ مَاتَ قَبْلَ ذَلِكَ

بشهر .

- ١ الاثلاث ، الواحدة أثلة : شجر صلب الخشب تصنع منه القصاع . القاع : أرض سهلة مطمئة قد انفرجت عنها الجبال . توضح : موضع .
- ٢ قرقرى : موضع .
- ٣ الحججلاء : موضع فيه ماء .

غصة الحديث

وبإسناده حدثنا القاضي ، أخبرنا أبو بكر بن دريد

أُشِدْنَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ عَنْ عَمِّهِ لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي كِلَابٍ :

وَلَمَّا قَضَيْتَنَا غُصَّةً مِنْ حَدِيثِنَا ، وَقَدْ قَاضَى مِنْ بَعْدِ الْحَدِيثِ الْمَدَامُ
جَرَى بَيْنَنَا مَنَا رَسِيسٌ يَزِيدُنَا سَقَامًا ، إِذَا مَا اسْتَوْعَبْتَهُ الْمَسَامُ
كَأَنَّ لَمْ تُجَاوِرْنَا أَمَامُ ، وَلَمْ يُقَمِّ بِعَيْصِ الْحِمَى إِذْ أَنْتَ بِالْعَيْشِ قَانِعُ
فَهَلْ مِثْلُ أَيَّامٍ تَقْضِينَ بِالْحِمَى عَوَائِدُ ، أَوْ غَيْثُ السَّتَارِينَ وَأَقْعُ
وَلَنْ تَسِيمَ الرِّيحِ مِنْ مَدْرَجِ الصَّبَا ، لِأَوْرَابِ قَلْبِ شَقَّةِ الْحُبِّ نَافِعُ
قال أبو عليّ القاضي : الرس الشيء من الخبز والرئيس مثله .

أفِق من الحب

وبإسناده قال : وأبانا القاضي ، أخبرنا ابن دريد

حدثنا أبو حاتم للعوام بن عقيب بن كعب :

أَنَّ سَجَعْتَ فِي بَطْنِ وَاذِ حَمَامَةٍ تُجَاوِبُ أُخْرَى مَاءُ عَيْنَيْكَ دَافِقُ
كَأَنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ بُكَاءَ حَمَامَةٍ بَلِيلٌ ، وَلَمْ يُحْزِنْكَ إلفٌ مُفَارِقُ
وَلَمْ تَرَ مَفْجُوعاً بِشَيْءٍ يُحْيِيهِ سِوَاكَ ، وَلَمْ يَعْشَقْ كَعِشْقِكَ عَاشِقُ
بَتَى فَأَفِيقُ عَنْ ذِكْرِ لَيْلَى ، فَإِنَّمَا أَخُو الصَّبْرِ مَنْ كَفَّ الْهَوَى وَهُوَ تَائِقُ

١ أمام : اسم امرأة ، العيص : الشجر الكثير الملتف ، موضع نبت هذا الشجر .

٢ الأوراب : الأضواء ، الواحد ورب .

نُصَيْبٌ وَأُمُّ بَكْرٍ

أَبَانَا أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَمْرِو بْنِ أَحْمَدَ الْبُرْمَكِيِّ ، أَخْبَرَنَا أَبُو عَمْرِو مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ حَيَوِيهِ ، حَدَّثَنَا الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ : حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ يَكَّارَ ، وَحَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ السُّعَدِيُّ عَنْ جَدَّتِهِ جَمَالِ بِنْتِ عَوْنِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ جَدِّهَا مُسْلِمِ السُّعَدِيِّ قَالَ :

رَأَيْتُ رَجُلًا أَسْوَدَ مَعَهُ امْرَأَةٌ بِيضَاءُ ، فَوَقَفْتُ أَتَعَجَّبُ مِنْ شِدَّةِ سَوَادِهِ مَعَ شِدَّةِ بِيَاضِهَا ، فَقُلْتُ لَهُ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَقَالَ : أَنَا الَّذِي أَقُولُ :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي تُحَدِّثُنِّي لِي غَدَاً غُرْبَةً النَّأْيِ الْمُفْرَقِ وَالْبُعْدِ
لَدَى أُمَّ بَكْرٍ حِينَ تَتَشَبَّهُ النَّوَى بِنَا ، ثُمَّ يَخْلُو الْكَاشِحُونَ بِهَا بَعْدِي
أَتَصْرِمُنِي عِنْدَ الْأُلَى فِيهِمْ الْعِدَى ، فَتَشْمَتُهُمْ بِي أُمَّ تَقِيمُ عَلَى الْعَهْدِ
فَقَالَتْ : لَا بَلْ نَدُومٌ عَلَى الْعَهْدِ . فَسَأَلْتُ عَنْهُ فَقِيلَ لِي هَذَا نُصَيْبٌ ،
وَسَأَلْتُ عَنْهَا فَقِيلَ لِي عَشِيقَتُهُ أُمَّ بَكْرٍ .

ابن أبي عتيق ونصيب وسعدى

أَبَانَا أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْحَنْبَلِيِّ ، حَدَّثَنَا أَبُو عَمْرِو مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ حَيَوِيهِ ، حَدَّثَنَا الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ ، وَاسْمُهُ أَحْمَدُ ، حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ يَكَّارَ ، وَحَدَّثَنِي أَبُو عَثْمَانَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْإِسْدِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ مَوْجٍ قَالَ :

أَرَادَ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ الْحَجَّ ، فَلَقِيَنُصَيْبًا ، فَقَالَ : هَلْ تُوصِي إِلَى سَعْدَى بِشَيْءٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ بِيَتَيْنِ . قَالَ : مَا هُمَا ؟ قَالَ :

أَتَصْبِرُ عَنْ سَعْدَى ، وَأَنْتَ صَبُورٌ ؛ وَأَنْتَ بِحُسْنِ الصَّبْرِ مِنْكَ جَدِيرٌ
وَكِدْتُ وَلَمْ أَخْلُقْ مِنَ الطَّيْرِ إِنْ بَدَا سَتَا بَارِقٍ نَحْوَ الْحِجَازِ أَطِيرُ
قَالَ : فَخَرَجَ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ ، فَوَجَدَ سَعْدَى فِي مَجْلَسِهَا ، فَقَالَ لَهَا :

يا سَعْدَى ! مَعِيَ إِلَيْكَ رِسَالَةٌ . قَالَتْ : وَمَا هِيَ ؟ هَاتِمَا يَا ابْنَ الصِّدِّيقِ ،
فَأَنْشَدَهَا الْبَيْتَيْنِ ، فَتَنَفَّسَتْ تَنَفَّسًا شَدِيدًا ، فَقَالَ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ : أُوهِ
أَجَبْتَهُ ، وَاللَّهِ ، بِأَحْسَنَ مِنْ بَيْتِهِ ، وَعَتَّقَ مَا مَلَكَ أَنْ لَوْ سَمِعَهَا لَنَعَقَ وَطَارَ .

عاشق يقتله الصد

حدثني محمد بن عبد الله الأندلسي ، وكتبه لي بخطه ، حدثني الفقيه أبو محمد علي بن أحمد الحافظ
الأندلسي ، حدثني أبو عبد الله محمد بن الحسن الملاحجي الطبيب الأديب قال :

كُنْتُ أُخْتَلَفُ فِي النُّحُوِّ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ خَطَّابِ النَّحْوِيِّ فِي جَمَاعَةٍ ، وَكَانَ
مَعَنَا عِنْدَهُ أَبُو الْحَسَنِ أَسْلَمُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدِ بْنِ قَاضِي قِضَاةِ الْأَنْدَلُسِ أَسْلَمُ
ابْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ صَاحِبِ الْمَزْنِيِّ وَالرَّبِيعِ ؛ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ : وَكَانَ أَجْمَلَ
مَنْ رَأَيْتُهُ الْعَيُونَ ؛ وَكَانَ مَعَنَا عِنْدَ مُحَمَّدِ بْنِ خَطَّابِ أَحْمَدُ بْنُ كَلِيبِ ، وَكَانَ
مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ وَالشَّعْرِ ، فَاشْتَدَّ كَلْفُهُ بِأَسْلَمَ ، وَفَارَقَ صَبْرَهُ وَصَرَفَ فِيهِ
الْقَوْلَ مُتَسْتَرًّا بِذَلِكَ ، إِلَى أَنْ فَشَّتْ أَشْعَارُهُ فِيهِ ، وَجَرَّتْ عَلَى الْأَلْسِنَةِ
وَتَشَوَّشِدَتْ فِي الْمَحَافِلِ .

فَلِعَبْهَدِي بَعْرَسٍ فِي بَعْضِ الشُّوَارِعِ بِقَرْطُوبَةٍ ، وَالْكَوْرِي الزَّامِرُ قَاعِدٌ
فِي وَسْطِ الْمَحْفِلِ ، وَفِي رَأْسِهِ قَلَنْسُوءَةٌ وَشَيْءٌ ، وَعَلَيْهِ ثَوْبٌ خَزْرٌ
عُبَيْدِي ، وَفَرَسُهُ بِالْحَلِيَةِ الْمُحَلَّلَةِ يُمْسِكُهُ غَلَامُهُ ، وَكَانَ يَزْمُرُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
النَّاصِرِ ، وَهُوَ يَزْمُرُ فِي الْبُوقِ بِقَوْلِ أَحْمَدَ بْنِ كَلِيبِ فِي أَسْلَمَ ، وَهُوَ :

أَسْلَمْتَنِي فِي الْهَوَى أَسْلَمْتُ هَذَا الرَّشَا
غَزَالَ لَهُ مُقْلَسَةٌ يُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَا
وَشَيْءٌ بَيْسَتَنَا حَاسِدٌ ، سَيَسْأَلُ عَمَّا وَشَى
وَلَوْ شَاءَ أَنْ يَرْتَشِي عَلَى الْوَصْلِ رُوحِي ارْتَشَى

وَمُعَنَّ مُحَسَّنٌ يُسَايِرُهُ فِيهَا ، فَلَمَّا بَلَغَ هَذَا الْمَبْلَغَ انْقَطَعَ أَسْلَمٌ عَنْ
جَمِيعِ مَجَالِسِ الطَّلَبِ ، وَكَلِمَ بَيْتَهُ ، وَاجْلُوسَ عَلَى بَابِهِ .

وَكَانَ أَحْمَدُ بْنُ كَلْبِيبٍ لَا شُغْلَ لَهُ إِلَّا الْمُرُورَ عَلَى بَابِ أَسْلَمَ سَائِرًا
وَمُقْبِلًا نَهَارَهُ كُلَّهُ ، فَامْتَنَعَ أَسْلَمُ عَنِ الْجُلُوسِ عَلَى بَابِ دَارِهِ نَهَارًا ، فِإِذَا
صَلَّى الْمَغْرِبَ ، وَاخْتَلَطَ الظَّلَامُ خَرَجَ مُسْتَرْوِحًا ، وَجَلَسَ عَلَى بَابِ
دَارِهِ ، فَعِيلَ صَبْرُ أَحْمَدُ بْنُ كَلْبِيبٍ فَتَحِيلَ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ وَكَبَسَ
جُبَّةَ صُوفٍ مِنْ جِيَابِ أَهْلِ الْبَادِيَةِ ، وَاعْتَمَ بِمِثْلِ عَمَائِمِهِمْ ، وَأَخَذَ بِأَحْدَى
يَدَيْهِ دَجَاجًا ، وَبِالْأُخْرَى قَفْصًا فِيهِ بَيْضٌ ، وَتَحَيَّنَ جُلُوسَ أَسْلَمَ عِنْدَ
اخْتِلَاطِ الظَّلَامِ عَلَى بَابِهِ ، فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ ، وَقَبَّلَ يَدَهُ وَقَالَ : يَا مُوَلَايَ !
تَأْمُرُ مَنْ يَقْبِضُ هَذَا ؟ فَقَالَ لَهُ أَسْلَمُ : وَمَنْ أَنْتَ ؟ فَقَالَ : أَجِيرُكَ فِي الضَّيْعَةِ
الْقَلَانِيَةِ ، وَقَدْ كَانَ يَعْرِفُ أَسْمَاءَ ضِيَاعِهِ وَالْعَامِلِينَ فِيهَا ، فَأَمَرَ أَسْلَمُ غِلْمَانَهُ
، ذَلِكَ مِنْهُ عَلَى عَادَتِهِمْ فِي قَبُولِ هَدَايَا الْعَامِلِينَ فِي الضَّيَاعِ عِنْدَ وُرُودِهِمْ
بِهَا . ثُمَّ جَعَلَ يَسْأَلُهُ عَنِ الضَّيْعَةِ ، فَلَمَّا جَاوَبَهُ أَنْكَرَ الْكَلَامَ ، فَتَأَمَّلَهُ فَعَرَفَهُ ،
فَقَالَ لَهُ : يَا أَخِي ! وَإِلَى هُنَا بَلَغْتَ بِنَفْسِكَ ، وَإِلَى هَاهُنَا تَبْعَنِي ؟ أَمَا كَفَاكَ
انْقِطَاعِي عَنِ مَجَالِسِ الطَّلَبِ ، وَعَنِ الْخُرُوجِ جَمَلَةً وَعَنِ الْقُعُودِ عَلَى بَابِي نَهَارًا ،
حَتَّى قَطَعْتَ عَيْيَ جَمِيعَ مَا لِي فِيهِ رَاحَةٌ ، فَقَدْ صَرْتُ مِنْ سَجْنِكَ فِي حَيْرَةٍ ،
وَاللَّهِ ، لَا فَارَقْتُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ قَعَرَ مَنْزِلِي ، وَلَا جَلَسْتُ بَعْدَهَا عَلَى بَابِي لَا لَيْلًا
وَلَا نَهَارًا . ثُمَّ قَامَ ، فَانصَرَفَ أَحْمَدُ بْنُ كَلْبِيبٍ حَزِينًا كَثِيرًا .

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ : وَاتَّصَلَ ذَلِكَ بِنَا ، فَقُلْنَا لِأَحْمَدَ بْنِ كَلْبِيبٍ : قَدْ
خَسِرْتَ دَجَاجَكَ وَبَيْضَكَ ، فَقَالَ : هَاتِي كُلَّ لَيْلَةٍ قُبْلَةَ يَدِهِ ، وَأَخْسِرُ
أَضْعَافَ ذَلِكَ .

قَالَ : فَلَمَّا يَشَى مِنْ رُؤْيَيْهِ الْبَيْتَةَ نَهَسَكَتَهُ الْعَلَّةُ ، وَأَضْجَعَهُ الْمَرَضُ .
قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ : فَأَخْبَرَنِي شَيْخُنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ خَطَّابٍ قَالَ :
فَعَدْتُهُ فَوَجَدْتُهُ بِأَسْوَأِ حَالٍ ، فَقُلْتُ لَهُ : وَلِمَ لَا تَتَدَاوَى ؟ فَقَالَ : دَوَائِي

معروفٌ ، وأمّا الأطباء فلا حيلة لهم في البتة . فقلتُ له : وما دواؤك ؟ قال .
نظرةٌ من أسلم ، ولو سَعَيْتَ في أن يزورني لأعظمَ الله أجرَكَ بذلك ، وكان
هوَ والله أيضاً يُؤجِرُ .

قال : فرَحِمتهُ وتَقَطَّعتُ نفسي له ، فنهضتُ إلى أسلم ، فاستأذنتُ عليه ،
فأذِنَ لي وتَلَقَّاني بما أحبُّ ، فقلتُ له : لي حاجةٌ . قال : وما هي ؟ قلتُ :
قد عَلِمْتَ ما جَمَعَكَ معَ أحمد بن كليب من ذِمَامِ الطلبِ عندي ، فقال :
نعم ! ولكن تعلمُ أنه برَحَ بي وشَهَرَ اسمي وأذاني . فقلتُ : كلَّ ذلك
يُغتَفَرُ في مثلِ الحالِ التي هوَ فيها ، فتَمَفَّضَلْ بعبادته . فقال لي : والله ما أقدرُ على
ذلك فلا تكلفني هذا . فقلتُ له : لا بدَّ ، فليس عليك في ذلك شيء ، وإنما
هي عيادةٌ مريض .

قال : ولم أزلُ به حتى أجابَ ، فقلتُ : فقسُمِ الآنَ ! فقال لي : لستُ
والله أفعلُ ، ولكن غداً ، فقلتُ له : ولا خُلفَ ؟ قال : نعم .
قال : فانصرفتُ إلى أحمد بن كليب وأخبرتهُ بوعده بعد تأبئهِ ، و
بذلك وأرتاحتُ نفسهُ .

قال : فلما كان من الغد بكرتُ إلى أسلم وقلتُ له : الوعد . فوجَمَ ،
وقال : والله لقد تحملني على خطئةٍ صعبةٍ عليّ ، وما أدري كيفَ أُطبقُ
ذلك . قال : فقلتُ له : لا بُدَّ أن تفي بوعدك لي .

قال : فأخذَ رِداءه ونهضَ معي راجِلاً ، فلما أتينا منزلَ أحمد بن
كليب ، وكان يسكن في آخرِ دَرَبٍ طويلٍ ، وتوسَّطَ الزقاقَ وقَفَ واحمرَّ
وخجل ، وقال لي : يا سيدي ، الساعةَ والله أموتُ وما أقدرُ أن أنقلَ
قدمي ، ولا أستطيع أن أعرضَ هذا على نفسي . فقلتُ له : لا تفعلْ بعدَ أن
بلَّغْتَ المنزلَ وتَنصَرِفَ ؟ فقال : لا سبيلَ ، والله ، إلى ذلك البتة .

ورَجَعَ هارِباً ، فاتَّبَعتهُ فأخذتُ بردائه ، فتمادى وخسَّ الرِّداءَ ، وبقيتُ
قطعةً منه في يدي لشدةِ إمساكي له ، ومضى ولم أدركه ، فرجعتُ ودخلتُ

علي أحمد بن كليب .

وَقَدْ كَانَ غلامُهُ دَخَلَ عَلَيْهِ ، إِذْ رَأَى مِنْ أَوَّلِ الزَّفَاقِ ، مَبْشَرًا ، فَلَمَّا
رَأَى دُونَهُ تَغَيَّرَ وَجْهَهُ وَقَالَ : وَأَيْنَ أَبُو الْحَسَنِ ؟ فَأَخْبَرْتُهُ بِالْقِصَّةِ ، فَاسْتَحَالَ
مِنْ وَقْتِهِ ، وَاسْتَلَطَّ ، وَجَعَلَ يَقُولُ وَيَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ لَا يُعْقَلُ مِنْهُ
أَكْثَرُ مِنَ التَّرَجُّعِ ، فَاسْتَبْشَعْتُ الْحَالَ ، وَجَعَلْتُ أُرْجِعُ وَقُمْتُ ، فَثَابَ إِلَيْهِ
وَجْهَهُ ، وَقَالَ : أبا عبد الله ! قلت : نعم ! قال : اسمع مني ، واحفظ
عني . ثم أنشأ يقول :

أَسْلَمُ يَا رَاحَةَ الْعَلِيلِ ، رِفْقًا عَلَى الْمَهَائِمِ التَّحِيلِ

قال : فقلت : اتق الله ، ما هذه الكبيرة ؟ فقال لي : قد كان . فخرجت
عنه ، فوالله ما توسّطت الزَّفَاقَ حَتَّى سَمِعْتُ الصَّرَاخَ عَلَيْهِ وَقَدْ فَارَقَ
الدُّنْيَا .

قال لنا أبو محمد علي بن أحمد : وهذه قصة مشهورة عندنا . ومحمد
ابن الحسن ثقة ، ومحمد بن خطاب ثقة ، وأسلم هذا من بني خَلَفِ
وكانت فيهم وزارة وحجابه ، وهو حاجب الديوان المشهور في غناء زرياب ،
وكان شاعراً ، وأبنته الآن في الحياة يُكنى أبا الجعد .

قال أبو محمد : ولقد ذكرت هذه الحكاية لأبي عبد الله محمد بن سعيد
الخلولاني الكاتب ، فعرفها ، وقال : لقد أخبرني الثقة أنه رأى أسلم هذا في
يومٍ شديد المطر لا يسكادُ أحدٌ يمشي في طريق ، وهو قاعد على قبر أحمد
ابن كليب المذكور زائراً له قد تحيّن غفلة الناس في مثل ذلك النهار .

١ الترجيع : هو ان يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون .

شعر ملحون

قال شيخنا : قال لنا أبو محمد ، وحدثني أبو محمد قاسم بن محمد القرشي قال :

كتبَ ابنُ كُليبٍ إلى محمد بن خطاب شعراً يتغزَّلُ فيه بأسلم ، فعرضه
ابنُ خطابٍ على أسلم فقال : هذا ملحونٌ ، وكان ابنُ كُليبٍ قد أسقطَ
التنوينَ من لفظةٍ في بيتٍ من الشعرِ ، فكتبَ ابنُ خطابٍ إلى ابنِ كُليبٍ بذلك ،
فكتبَ إليه ابنُ كُليبٍ مسرعاً :

الحقُّ ليَ التَّنوينَ في مَطْمَعٍ ، فإنتي أنسيتُ إلحساقه
لا سيِّما إذ كان في وصلٍ من كدَّرَ لي في الحُبِّ أخلاقه

قبر عاشق

أنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري قال :

أنشدنا أبو عمر محمد بن العباس عمَّن أنشدَه في أثرِ حكايةٍ ذهبتُ علي
وحفظتُ الشعرَ :

مررتُ بقبرٍ مُشرقٍ وَسَطَ رَوْضَةٍ عَلَيْهِ منَ النُّوارِ ثوبُ شَقَائِقِ
فَقُلْتُ: لِمَنُ هذا؟ فجأوبني الثرى: تَرَحَّمْ عَلَيْهِ إِنَّهُ قَبْرُ عَاشِقِ

١ لعل لفظة مطمع هي التي سقط منها التنوين .

وفاة عزيز لا حياة ذليل

أخبرني أبو الخطاب أحمد بن المنيرة الأندلسي بدمشق لأبي العلاء أحمد بن سليمان وذكر لي أنه قرأ عليه ديوان الصباية وقرأته عليه جميعه بدمشق

ولي من أثناء قصيدة له أولها :

أسألت أتى الدمع فوق أسيل ، ومألت لظلِّ بالعراقِ ظلِّيلِ

ومنها :

أسرت أحنانا بالحداع ، وإنه يُعدّ ، إذا اشتدّ الوغى ، بقبيلِ

فإن تطلقه ترتجي شكر قومه ؛ وإن تقتليه تؤخذني بقتيلِ

وإن عاش لاقى ذلة ، واختياره وفاة عزيز ، لا حياة ذليلِ

أجمل الناس وأقبحهم

أخبرنا القاضي أبو الحسين أحمد بن علي بن الحسين الوكيل ، حدثنا أبو الحسين محمد بن عبد الله القطيعي ، حدثنا الحسين بن صفوان ، حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا الحسين بن عبد الرحمن قال :

خرج رجل من بني أسد في نيشدان لإبل له أضلها ، حتى إذا كان ببعض بلاد قضاة ، أمسى في عشيّة باردة ، وقد رفعت له بيوت ، فتنقّرس أيها أرجى أن يكون أمثل قري ، قال : فرأيت مظلة روجاء فأمتتها ، فإذا أنا بامرأة من أكل النساء حسناً ، وأصلهن عقلاً ، فسلمت فردت ورحبت ثم قالت : ادخل من القم ، وأدن من الصلاء ! فدخلت فلم ألبث أن أتيت بعشاء كثير ، فأكلت وهي تُحدثني ، حتى إذا راحت الإبل إذا

١ المظلة : ما يستظل به من الأخبية . روجاء : واسعة منفرجة .

٢ راحت الإبل : ارتدت عشياً إلى مراوحها .

هَمِيءٌ^١ قد أقبلَ إليها كأنه بَعْرَةٌ دَمَامَةٌ وَضُؤُولَةٌ شَخْصٌ ، وقد كان في حجرِها ابن لها كأطيبِ الولدانِ وأحْسَنِهِمْ ، فلَمَّا رَأَى ذلكَ الإنسانَ مُقْبِلًا هَسَّسَ إليه ، وَعَدَا في لِقَائِهِ ، فأخَذَ الصَّبِيَّ ، فأحْتَمَلَهُ ثُمَّ أقْبَلَ به يَكْتُمُ فَاهُ مَرَّةً وَعَيْنَهُ أُخْرَى ، وَيُقَدِّدِيهِ . فقلتُ في نفسي : أظنُّه عبداً لهم ، حتى جاء فجلس إلى جانبها ، وقال : من ضَيْفُكُمْ هذا ؟ فأخْبَرْتَهُ ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ زَوْجُهَا وَأَنَّ الصَّبِيَّ وَلَدُهُ مِنْهَا ، ففطقتُ أَنْظُرُ إليه تَارَةً وَإِلَيْهَا أُخْرَى وَأَتَعَجَّبُ لِاخْتِلَافِهِمَا ، كأنَّها الشمسُ حَسَنًا ، وَكَأَنَّهُ قَرْدٌ قُبْحًا ، ففطنَ لِنَظْرِي إِلَيْهَا وَإِلَيْهِ ، فقال : يا أخوا بني أسد ! تَرَى عَجَبًا ؟ قلتُ : أجل ، وأَيْبِك ، إني لأَرَى عَجَبًا مُعْجَبًا . قال : صدقت ! تقول : أحسنُ الناسِ وآدمُ الناسِ^٢ . قلتُ : نعم ، فليت شعري كيف أودِمَ بينكما^٣ ! قال : أخْبِرْكَ كيفَ كان ذلك .

كنتُ سابعَ سبعةِ إخوةٍ كلَّهم لو رأيتني معهم ظننتني عبداً لهم ، وكان أبي وإخوتي يَطْرَحُونِي ، وكنتُ لكلِّ عملٍ دَنِيءٍ : للروايةِ مَرَّةً ، ولرعايةِ الغنمِ أُخْرَى ، وكانت إخوتي هم أصحابُ الإبلِ والخيلِ . فبَسِينَا أَنَا أُرْعَى الإبلَ في عامٍ جَدَّبَ أَشْهَبَ إِذْ ضَلَّ بَعِيرٌ مِنْهَا ، فقالوا لأبي : ابعث فلاناً يَبْغِيهِ ! فدعاني فقال : اذهبْ فاطلبْ هذا البعير ! فقلتُ : ما تُنصِفُني أنتَ ولا بنوك . أمّا إذا الإبلُ دَرَّتْ ألبانُها وطابَ رُكوبُها ، فهم أصحابها ؛ وأمّا إذا نَدَّتْ ضلَّالُها ، فأنا باغيها . فقال : يا لُكْعَ اذهبْ ! أمّا والله إني لأظنُّه آخرَ أيّامك من ضَرْبٍ وَجِيع .

قال : وَظَنَنْتُ أَنِي مَضْرُوبٌ ، فَعُدْتُ مُضْطَهَدًا مَجْتُورًا خَلَقَ الشَّيَابَ جَائِعًا مَقْرُورًا ، ففطفتُ لَيْلَةَ فِي بَسَابِسٍ^٤ ليس بها غريبٌ ، فَبِتَّ ، ثُمَّ

١ الهيماء : المطلي بالقطران . لعله أراد أنه أسود كأنه طلي بالقطران .

٢ الآدم : الاسمر .

٣ أودم بينكما : وفق بينكما .

٤ البسابس ، الواحد بسبس : القفر .

أصبحتُ فغدوتُ حافياً ، حتى دَفَعْتُ مساءَ اللَّيْلَةِ إلى مِظْلَةٍ ، فإذا عَجُوزٌ وَسِيمَةٌ خَلِيقَةٌ لِلخَيْرِ وَالسُّودِّ ، في عَشِيَّةٍ بَارِدَةٍ ذَاتِ صَرٍّ ، وَمَعَهَا هَذِهِ عَدِيَّةٌ نَفْسُهَا ، وَهِيَ ابْنَتُهَا ، فَأَدْخَلَتْنِي العَجُوزُ ، وَأَتَتْنِي بِتَمْرٍ وَعَلِقَتْنِي هَذِهِ سَخْرِيَّةً ، وَهَزَّوْا بِي ، وَقَالَتْ : مَا رَأَيْنَا كَالعَشِيَّةِ قَطُّ فَتَى أَجْمَلَ مِنْكَ ، وَلَا أَكْمَلَ خَلْقًا . فَقُلْتُ : يَا هَذِهِ جَنَّتِي نَفْسُكَ ، فإني عن الباطل وأهله في شُغْلٍ .

قالت : وَيَحْكُ ! هل لك أن تدخلَ هذا السُّرَّ عليّ ، إذا نامَ الحيّ ، فتحدثتُ وتمثلنا من أمائلك هذه ؟ فإننا نراها مِلاحاً . فغرتني إبليسُ ، لما شبعْتُ من القِرَى ، ودَفِئْتُ من الصَّلَى ، وجاءَ أبوها وإخوتُها مثلَ السَّبَاعِ ، وأضطجعوا أمامَ الخِيمَةِ ، وأنا فيها ، فلم يزل بي القدرُ المحتومُ حتى نهضتُ لألجَ عليها السُّرَّ ، فإذا هي نائمةٌ ، فهمزتها برجلي ، فانتهتُ وقالت : من هذا ؟ قلت : الضيفُ . قالت : إيتاك ، فلا حياءَ الله .

قال الأَسَدِيُّ : وَهِيَ وَاللهُ تَصْدُفُ حَيَاءً مِنْ حَدِيثِ زَوْجِهَا صُدُوفَ المَهْرَةِ العَرَبِيَّةِ سَمِعْتُ صَلَاحِيلَ لِحَامِهَا . ثمَّ قالت : لا حَسَنَ خَبْرُكَ ، اِخْرُجْ لَعَنَكَ اللهُ !

قال : فَسَقَطَ في يَدَيَّ ، وَعَرَفْتُ أَنِّي لَسْتُ في شَيْءٍ ، فَخَرَجْتُ لِأَهْرَبَ فَرَعًا مَدْعُورًا ، فَهَاجَتِي كَلِيبَ لَهْمٍ ، مِثْلُ الفَارِسِ لا يَطَافُ مُرْتَبِضُهُ ، وَأَرَادَ أَكْلِي ، فَأَرَاهِبْتُهُ عَنِي ، ثُمَّ قَالَتْ : اذْهَبْ لا صَاحِبِكَ اللهُ . فَلَمَّا رَجَعْتُ عادَ الكلبُ إليّ فَرَهَقَنِي ، فَجَعَلْتُ أَمْشِي القَهْقَرَى ، وَأَرَاهِبُهُ بَعْصِيَّةً مَعِي ، وَهُوَ يَرَكِّبُنِي بِأَجْرَامِهِ ، حَتَّى شَدَّ عَلَيَّ شَدَّةً ، فَتَعَلَّقَتْ أَظْفَارُهُ وَأَنْيَابُهُ في مُقَدِّمِ مِدرَعَةِ صُوفِ عَلِيٍّ ، وَأَهْوَيْتُ مِنْ قِبَلِ عَقْبِي في بَثْرِ ،

١ عديّة نفسها : لعله أراد عدوة نفسها ، أو التي اعتدت على نفسها ، أو هي تصحيف عدوة .

٢ سقط في يدي : ندمت .

٣ أجرامه : بدنه .

وَهَوَىٰ مَعِيَ ، فَإِذَا أَنَا وَهَوَىٰ فِي قَرَارِهَا ، وَقَدَّرَ اللَّهُ تَعَالَىٰ أَنَّهُ لَمْ يَكُن فِيهَا مَاءٌ ، فَسَمِعَتِ الْمَرْأَةَ الْوَجْبَةَ ، فَأَقْبَلَتْ وَمَعَهَا جَبَلٌ حَتَّىٰ أَشْرَفَتْ عَلَيَّ ، ثُمَّ أَدَلَّتِ الْحَيْلَ فَقَالَتْ : ارْتَقِ ، لَعْنِكَ اللَّهُ ! فَلَوْلَا أَنْ يُقَصَّ ١ أَثْرِي مَعَكَ ، غُدْوَةً ، لَوَدِدْتُ أَنَّهَا قَبْرُكَ .

قال : فتعلقتُ بالحيلِ وارْتَقَيْتُ حَتَّىٰ إِذَا كَدْتُ أَنْ أَتَاوَلَ يَدَهَا نَهَوَّ بِهَا مَا نَحَتْ قَدَمَيْهَا مِنَ الْبَثْرِ ، وَبَثْرٌ أَيُّمَا بَثْرٍ ، إِنَّمَا هِيَ بَثْرٌ حَفَرٌ لَا طِيَّ لَهَا ٢ ، فَإِذَا أَنَا وَهِيَ وَالْكَلْبُ فِي قَرَارِهَا ، يَبِيحُ فِي نَاحِيَةٍ ، وَهِيَ تَبْكِي فِي نَاحِيَةٍ ، وَتَدْعُو بِالثُّبُورِ وَالْفَضِيحَةِ ، وَأَنَا مُتَقَبِّضٌ ٣ فِي نَاحِيَةٍ فَقَرَّ بَرْدٌ جَلْدِي عَلَى الْقَتْلِ ٤ ، حَتَّىٰ إِذَا أَصْبَحَتْ أُمَّهَا تَفَقَّدَتْهَا عِنْدَ الصَّلَاةِ فَاتَتْ أَبَاهَا ، فَقَالَتْ : أَنْعَلِمَ أَنَّ ابْنَتَكَ لَيْسَتْ هَهُنَا؟ فَقَامَ ، وَكَانَ قَائِمًا ٥ عَلِيمًا بِالْآثَارِ ، فَتَحَدَّىٰ أَثْرِي وَأَثْرَهَا ، حَتَّىٰ تَطَلَّعَ فِي الْبَثْرِ ، فَإِذَا نَحْنُ فِيهَا ، فَرَجَعَ سَرِيعًا ، فَقَالَ لِبْنِيهِ : أُخْتِكُمْ وَكَلْبُكُمْ وَضَيْفُكُمْ فِي الْبَثْرِ .

قال : فتواثبوا فَمِنْ أَخِيذِ حَجْرًا ، وَمِنْ أَخِيذِ سَيْفًا ، وَمَنْ أَخَذَ عَصَا ، وَهَمْ يُرِيدُونَ أَنْ يَجْعَلُوا الْبَثْرَ قَبْرِي وَقَبْرَهَا . فَقَالَ أَبُوهَا : مَهْ ! فَإِنَّ ابْنَتِي لَيْسَتْ بِحَيْثُ تَظُنُّونَ . قال : فنزلَ أحدهم ، فأخرجها وأخرج الكلبَ ثُمَّ أَخْرَجُونِي ، فَقَالَ أَبُوهُمْ : إِنَّكُمْ إِنْ قَتَلْتُمْ هَذَا الرَّجُلَ طَلَبْتُمْ ، وَإِنْ خَلَيْتُمُوهُ افْتَضَحْتُمْ ، وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَرْوِّجَهُ إِيَّاهَا ، فَلَعْمَرِي ! إِنَّهُ مَا يُطْعَمُنِي فِي نَسْبِهِ ، وَأَنَّهُ لَكُفْوٌ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ ، فَقَالَ : هَلْ فِيكَ خَيْرٌ ؟

فَلَمَّا وَجَدْتُ رِيحَ الْحَيَاةِ ، كَأَنَّمَا كَانَ عَلَى قَلْبِي غَطَاءٌ ٦ فَانْكَشَفَ ، قُلْتُ :

١ يقص : يتبع .

٢ لا طي لها : لا بناء لها .

٣ قر برد جلدي على القتل : هكذا في الأصل ، ولعله أراد أن جلده اتشم خوفًا من القتل ، أو لعله سقط شيء من الكلام .

٤ القائف ، من قاف أثره : تبعه .

وَأَيْنَ الْخَيْرِ إِلَّا عِنْدِي ؟ حَكْمُكَ ! قَالَ : خَمْسِينَ بَكْرَةً^١ وَعَبْدًا وَأُمَّةً
 قُلْتُ : لَكَ مَا سَأَلْتَ ، وَإِنْ شِئْتَ فَازْدَدْ . قَالَ : قَدْ مَلَكَتْهَا ، فَاَنْصَرَفْتُ
 حَتَّى آتَى أَبِي ، فَلَمَّا رَأَى قَالَ : لَا مَرْحَبًا ، وَلَا أَهْلًا ، فَأَيْنَ الْبَعِيرُ ؟
 قُلْتُ : أَرْبَعٌ عَلَيْكَ أَيُّهَا الرَّجُلُ تَسْمَعُ الْخَبَرَ ، فَإِنَّمَا أَنْتَ مُحَدَّثٌ : كَانَ
 مِنَ الْأَمْرِ كَيْتًا وَكَيْتًا ، قَالَ : وَرَيْتُ بِكَ زِنَادُ أَبِيكَ ، إِذَا وَاللَّهِ لَا تُسَلِّمَ
 وَلَا تُخَذَلْ ، عَلِيٌّ بِالْإِبِلِ .
 فَلَمَّا جَاءَتْ قَالَ : اعْتَدْ حَاجَتَكَ ، فَاَعْتَدْتُ مِنْهُنَّ خَمْسِينَ بَكْرَةً كَأَنَّهُنَّ
 الْعِتَادِيُّ ، وَدَفَعَ إِلَيَّ عَبْدًا وَأُمَّةً مَوْلَدَيْنِ ، ثُمَّ سَاقَ مَعِيَ الْإِبِلَ حَتَّى أَتَيْنَاهُمْ ،
 فَدَفَعْنَا إِلَيْهِمْ حَقَّهُمْ ، وَاحْتَمَلْنَا صَاحِبَتِنَا ، وَهِيَ هَذِهِ ، جُهِدُهَا أَنْ تَقُولَ
 كَذَبْتَ ، فَاَعْجَبْ لَذَلِكَ فَعَلَ دَهْرِي ، أَيُّ أَكْثَرِ الْعَجَبِ .

لا يقبل الرشوة

أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد الوردستاني في ما أذن لنا في روايته ، حدثنا أبو عبد الرحمن
 السلمي ، سمعت منصور بن عبد الله يقول :
 دَخَلَ قَوْمٌ عَلَى الشَّيْبِيِّ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ فَقَالُوا : كَيْفَ تَجِدُكَ
 يَا أَبَا بَكْرٍ ؟ فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

إِنَّ سُلْطَانَ حُبِّهِ . قَالَ : لَا أُقْبَلُ الرُّشَا
 فَسَلُّوهُ ، فَدَيْتُهُ ، لِمَ بِيَقْتَلِي تَحَرَّشَا

١ قوله : خمسين بكرة ، أي أريد خمسين بكرة .

كيف يقتل الفاسق

أخبرنا أبو طاهر أحمد بن علي بن السواق ، رحمه الله ، حدثنا محمد بن أحمد بن فارس ،
حدثنا أبو الحسين عبد الله بن إبراهيم ، حدثنا أبو بكر محمد بن خلف ، حدثنا أبو بكر
العامري ، حدثنا عبد الله بن عمر ، حدثنا أبو عباد شيخ قديم قال :

أدرکت الخادم الذي كان يقومُ على رأسِ الحجاج ، فقلتُ له : أخبرني
بأعجبِ شيءٍ رأيتَ من الحجاج ؟ قال : كان ابنُ أخيه أميراً على وَاسط ،
وكانت بوَاسط امرأةً يُقال : إنه لم يَكُ بها في ذلك الوقت امرأةٌ أجملُ
منها ، فأرسلَ ابنُ أخيه إليها يريدُها على نفسها معَ خادمٍ له ، فأبت ،
وقالت : إن أردتني فاطخطبني إلى إخوتي ، وكان لها إخوةٌ أربعةٌ ، فأبى
وقال : لا ! إلا كذا ، وعاودَها ، فأبتُ إلا أن يخطبها إلى إخوتها ، فأما
حرامٌ فلا ، فأبى هوَ إلا الحرام ، فأرسلَ إليها بهديّةٍ ، فأخذتها فغزلتها ،
ثمَّ أرسلَ إليها عشيّةَ جمعةٍ أني أتيك الليلة ، فقالت لأمتها : إن الأميرَ
قد بعثَ إليّ بكذا وكذا ، فأنكرتُ أمها ذلك ، وقالت لإخوتها : إن أختكم
قد زعمتُ كذا وكذا ، فأنكروا ذلك وكذبوها ، فقالت : إنه قد وعدتني
أن يأتيني الليلة ، فسترونه .

فقعد إخوتها في بيتِ حبالِ البيتِ الذي هوَ فيه ، وفيه سراجٌ ، وهم
يرونَ من يدخلُ إليها ، وجوبيرة لها على بابِ الدارِ ، قاعدة . حتى جاء
الأميرُ فنزلَ عن دابته ، وقال لغلامه : إذا أذنَ المؤذنُ في الغلس ، فأنتي
بدابتي ، ودخلَ ، فمشّت الحاريةُ بينَ يديه ، فقالت له : ادخل ، فدخلَ
وسيدتها على سريرٍ مُستلقية ، فاستلقى إلى جانبها ثمَّ وضحَ يدهَ عليها ،
وقال : إلى كم هذا المطلُّ ؟ فقالت له : كف يدك يا فاسق ، فدخلَ إخوتها
عليها ، ومعهم سيوفٌ ، فقطعوه ، ثمَّ لفقوه في نطعٍ ، وجاؤوا به إلى سِكّةٍ
من سِكَكِ وَاسط ، فألقوه فيها .

وَجاءَ الغلامُ بالدابةِ فجعلَ يدُقُّ البابَ دَقًّا رَفيقاً وليسَ يكلِّمُه أحدَ ،
 فلمّا خشيَ الصُّبحَ ، وأن تُعرَفَ الدابةُ ، انصَرَفَ وأصْبَحُوا ، فإذا هم به ،
 فأتوا به الحجاجُ ، فأخذَ أهلَ تلكَ السكَّةَ ، فقال : أخبروني ما هذا ، وما
 قصته ؟ قالوا : لا نعلم ما حاله وما قصته . غيرَ أنّا وجدناه مُلقى . ففطن
 الحجاجُ ، فقال : عليّ بمن كان يخدمه . فأُتيَ بذلكَ الخصيّ الذي كان الرسولُ .
 فقالوا : هذا كان صاحبَ سرّه . فقال له الحجاجُ : اصدقي ! ما كان حاله
 وما قصته ؟ فأبى ، فقال له : إن صدقتني لم أضربُ عنقك ، وإن لم تصدقني
 فعلتُ بك ، وفعلت . فأخبره الأمرَ على جهته ، فأمرَ بالمرأةِ وأمتها وإخوتها
 فجيءَ بهم ، فعزّلتِ المرأةُ عنهم ، فسألها ، فأخبرته بمثلِ ما أخبرَ به الخصيّ ،
 ثمّ سألتِ الإخوةَ على انفرادٍ ، فأخبروه بمثلِ ذلكَ ، وقالوا : نحنُ صنعنا
 به الذي تَرى . فصرّفهم وأمرَ برقيقه ودوابّه وماله وكلّ قليلٍ وكثيرٍ له
 أن يُعطى للمرأةِ .

فقالَتِ المرأةُ : عندي هديّته التي وجّهَ بها إليّ . فقال : ياركَ اللهُ لكِ
 فيها ، وأكثرَ في النساءِ مثلكَ ، هي لك ، وكلُّ ما تركَ من شيءٍ فهو لك ،
 فأعطاها جميعَ ما تركَ وخلّى عنها وعن إخوتها ، وقال : إنّ مثلَ هذا
 لا يُدفنُ فألقوهُ للكلابِ . ودعا بالخصيّ فقال : أمّا أنتَ فقد قلتُ لك إنني
 لا أضربُ عنقك ، وأمرَ بضربِ وسطه .

ميتا الحبّ

أخبرنا الأمير أبو محمد الحسن بن عيسى بن المقتدر بالله قراءة عليه في داره بالحريم الطاهري سنة
 ثمان وثلاثين وأربعمائة ، حدثنا أبو العباس أحمد بن منصور الشكري ، حدثنا أبو القاسم
 بإسناد له عن ابن الأشدق قال :

كنتُ أطوفُ بالبيتِ ، فرأيتُ شاباً تحتَ الميزابِ قد أدخلَ رأسه في
 كسائه ، وهو يئنّ كالحموم ، فسلمتُ ، فردّ السلامَ ، ثمّ قال : من أين ؟

قلت : من البصرة . قال : أترجعُ إليها ؟ قلت : نعم ! قال : فإذا دخلت
النَّبَاجَ ، فاخرجُ إلى الحيِّ ، ثمَّ نادِ : يا هِلَالُ يا هِلَالُ ، نخرجُ إليك جاريةً
فتُنشدها هذا البيت :

لقد كنتُ أهوى أنْ تَكُونَ مِنِّي بِعَيْنَيْكَ حَتَّى تَنْظُرِي مَيْتَ الْحُبِّ
وماتَ مكانه ، فلما دخلتُ النَّبَاجَ أتيتُ الحيَّ ، فنادت : يا هلال
يا هلال ، فخرجتُ إليَّ جاريةً لم أرَ أحسنَ منها ، وقالت : ما ورأاك ؟
قلتُ : شابٌّ بمكة أنشدني هذا البيت . قالت : وما صنعَ ؟ قلت : مات ،
فخرتُ مكانها ميتة .

إساءة الدنيا وإحسانها

أخبرنا القاضي أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي بقراءتي عليه ، أخبرنا أبو الحسن علي بن عيسى
الرماني النحوي ، حدثنا أبو بكر بن دريد :

أنشدنا عبد الرحمن عن عمته :

رُويْدَكَ يا قُمْرِي ! لستَ بمُضمِرٍ من الشوقِ لإلا دونَ ما أنا مُضمِرٌ
ليكفِكَ أن القلبَ مُدٌّ أن تنكرتُ أسيماهُ عن معروفهِ مُتنكِرٌ
سقى اللهُ أياماً خلكتُ وليالياً ، فلكمُ يَبقَ إلاَّ عهدُهُما المُتدكِرُ
لئن كانتِ الدنيا أجدتُ إساءةً ، لما أحسنتُ في سالفِ الدهرِ أكثرُ

١ النَّبَاجُ : قرية في البادية .

عيون وخذود

أخبرنا القاضي أبو القاسم علي بن المحسن أيضاً ، أخبرنا علي بن عيسى الرماني قال : أخبرنا ابن دريد

أنشدنا عبد الرحمن عن عمه لأبي المطراب العنبري :

أيا بارقي مغنى بُشينةَ أسعدَا فتى مُقصدًا بالشوقِ فهوَ عميدُ^١
لياليَ مینسا زائِرٌ مُتَهالِكٌ ، وآخِرُ مشهورٌ كَوَاهُ صُدُودُ^٢
على أنه مُهدِي السلامِ وزائِرٌ إذا لم يَسكنْ مِمَّنْ يخافُ شهودُ^٣
وقد كانَ في مغنى بُشينةَ لو رتتْ عيونُ مَهَا تبدو لنا وخذودُ

جسم ناحل وعظام

أخبرنا أبو الحسين أحمد بن التوزي ، أخبرنا اسماعيل بن سعيد بن سويد ، حدثنا أبو بكر ابن الانباري ، أخبرنا أبي

أنشدنا أحمد بن عبيد :

ألا مُسْعِفٌ من بُعدِ ناءٍ وشقَّةٍ بِرَامٍ ، وأعلامٍ بسفحِ بِرَامٍ^١
أقامَ بهِ قلبي وراحَتِ مطيبي بأشلاءِ جِسْمِ ناحِلٍ وعِظامِ^٢
قال أبو بكر : الأشلاء جمع شِلْو ، وهو العُضْو .

١ العميد : الحزين ، الذي هذه العشق .

٢ الشقة : البعد ، والموضع يقصده المسافر . الرام ، الواحدة رامة : موضع في البادية ، ومستنقع يجتمع فيه الماء . رام ، بالفتح : موضع .

موت جميل بثينة

أخبرنا أبو طاهر أحمد بن علي السواق ، أخبرنا محمد بن أحمد بن فارس ، حدثنا أبو الحسين عبد الله بن إبراهيم ، حدثنا محمد بن خلف ، حدثنا أبو بكر العامري ، أخبرني أبو الحسن ابن محمد بن أبي سيف ، أخبرني أبو عبد الرحمن العجلاني عن سهل بن سعد الساعدي قال :

بينما أنا بالشام إذ لقيني رجلاً من أصحابي فقال : هل لك في جميلٍ تَعُودُهُ ، فإنه ثَقِيلٌ بِالْمَرَضِ ؟ قلت : نعم ! فدَخَلْنَا عَلَيْهِ ، وَهُوَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ ، وَمَا يُخَيَّلُ لِي إِلَّا أَنَّ الْمَوْتَ عَمَلِقَ بِهِ ، فَنَظَرْتُ لِي وَقَالَ : يَا ابْنَ سَعْدِ ! مَا تَقُولُ فِي رَجُلٍ لَمْ يَزِنْ قَطُّ ، وَلَمْ يَشْرَبْ خَمْرًا قَطُّ ، وَلَمْ يَسْفِكْ دَمًا حَرَامًا قَطُّ ، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، مِنْذُ خَمْسِينَ سَنَةً ؟ قال : قلت : من هذا الرَّجُلِ ؟ فإني أَظُنُّهُ ، والله ، قد نَجَا ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : إِنْ تَجَسَّبُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نَكَفَرْنَا عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنَدْخَلُكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا .

قال : أنا . قال : فقلتُ : والله ما رأيتُ كاليومِ أَعْجَبَ مِنْ هَذَا ، وَأَنْتَ تَشَبَّهُ بِبُثَيْنَةَ مِنْذُ عَشْرِينَ سَنَةً .

قال : أنا في آخِرِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا وَأَوَّلِ يَوْمٍ مِنَ الْآخِرَةِ ، فَلَا نَالَتَنِي شَفَاعَةُ مُحَمَّدٍ إِنْ كُنْتُ وَضَعْتُ يَدِي عَلَيْهَا لِرَبِيَّةِ قَطُّ ، وَإِنْ كَانَ أَكْثَرُ مَا كَانَ مِنِّي إِلَيْهَا أَنِّي كُنْتُ آخِذٌ بِيَدَيْهَا أَضَعُّهَا عَلَى قَلْبِي ، فَأَسْتَرِيحُ إِلَيْهَا .

قال : ثمَّ أغميَ عليه ، ثمَّ أفاق ، فقال :

صَدَعَ النَّعْيُ وَمَا كُنْتُ بِجَمِيلٍ ، وَتَوَى بِمِصْرَ ثَوَاءَ غَيْرِ قَمُولٍ
وَلَقَدْ أَجْرُ الذَّلِيلِ فِي وَادِي الْقُرَى ، نَشْوَانَ بَيْنَ مَزَارِعٍ وَنَخِيلٍ
قُومِي بِبُثَيْنَةَ ، فإندُبِي بِعَوِيلٍ ، وَأَبْكِ خَلِيلَكَ دُونَ كُلِّ خَلِيلٍ
ثمَّ أغميَ عليه فمات .

غشية تجيء وأخرى تذهب

أخبرنا أبو طاهر محمد بن علي بن يوسف العلاف يقرأني عليه، أخبرنا أبو حفص عمر بن أحمد ابن عثمان بن شاهين، حدثنا جعفر بن محمد، حدثنا أحمد بن محمد بن مسروق الطوسي، حدثنا علي القمي، حدثني أبو المصعب المدني قال:

دخلتُ على الربيع بن عبيد، وكان قد أخذته زمعة الحب، وتيسم عقله، فكان يُصيبه كالغفلة حتى يذهب عقله، فسمعتُه وهو يخاطب نفسه، ويقول:

الحبُّ لوُ قَطَعَسَنِي ما قُلْتُ للحبِّ ظَلَمَ
قَدْرُ كُنْتُ حَلِوًا، زَمْنَا، فاليومَ يَبْدُو مَا كُنْتمْ

قال: قلت كيف أنت يرحمك الله؟ فقال: من أنت؟ فقلت: أنا أخوك أبو المصعب. قال: غشية تجيء، وأخرى تذهب، وأنا أتوقع الموت ما بين ذلك. قلت: الله بينك وبين من ظلمك. قال: مه، والله ما أحب أن يتأله مكرؤه في الدنيا ولا في الآخرة! ثم تنفس حتى راحته، وهمت دموعه، وذهب عقله، ففقت عنه.

الهمّ الملازم

أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري في ما أذن لنا أن نرويه عنه ، أخبرنا أبو القاسم طلحة ابن محمد الشاهد ، أخبرنا أبو عبد الله الحرمي بن أبي العلاء وهو أحمد بن محمد بن إسحاق ابن إبراهيم بن أبي الخصة النطفاني المكي ، حدثنا الزبير بن بكار ، حدثني محمد بن حسن :

أنشدني مُحَرِّزُ بن جعفر لعُبَيْدِ اللهِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ عَتْبَةَ بنِ مسعودِ الهُدَلِيِّ :
غُرَابٌ وَظَبِيٌّ أَعْصَبُ الْقَرْنِ بَادِيًا ، بَصْرَمٌ ، وَصِرْدَانُ الْعَشِيِّ تَصِيحٌ^١
لَعَمْرِي لَنْ شَطَّتْ بَعْتَمَةَ دَارُهَا ، لَقَدْ كُنْتُ مِنْ وَشَكِ الْفِرَاقِ أَلِيحٌ^٢
أَرْوَحُ بِهِمْ ، ثُمَّ أَغْدُو بِمِثْلِهِ ، وَيُحَسِّبُ أُنِي فِي الثِّيَابِ صَحِيحٌ

الفتى المشدود بالحبل

ذكر أبو عمر محمد بن العباس بن حيويه الخزاز ونقلته من خطه ان أبا بكر محمد بن خلف المحولي حدثهم قال : حدثنا يحيى بن جعفر الواسطي ، حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا محمد ابن إسحاق ، حدثنا يعقوب بن عتبة بن المغيرة الاخنس عن الزهري عن عبد الله بن أبي حنرد عن أبيه قال :

كنتُ في خيلِ خالد بن الوليد فقال لي فتى منهم ، وهو في سِنِّي ، قد جُمِعَتْ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ بِرُمَّةٍ ، وَنِسْوَةٌ مَجْتَمَعَاتٌ غَيْرُ بَعِيدَاتٍ عَنْهُ : يَا فَتَى ! قُلْتُ : مَا تَشَاءُ ؟ قَالَ : هَلْ أَنْتَ آخِذٌ بِهَذِهِ الرُّمَّةِ وَمُدْنِيٍّ مِنْ هَوْلَاءِ النِّسْوَةِ ، فَأَقْضِي إِلَيْهِنَّ حَاجَةً ، ثُمَّ تَرُدَّنِي ، فَتَفْعَلْ مَا بَدَأَ لَكَ ؟
قال : قلت والله ليسيرٌ ما طلبت . فأخذتُ برُمَّتِهِ حَتَّى وَقَفْتُهُ ، فقال :
إِسْلَمَ حُبَيْشٌ عَلَى بَعْدِ الْعَيْشِ ، وَذَكَرَ الْحَدِيثَ .

١ الأمصب : الملوي ، كانوا يتطيرون من الغراب والظبي الملوي القرن . الصرم : القطيعة .
الصردان ، الواحد صرد : طائر ضخم الرأس أبيض البطن أخضر الظهر يصلاد صفار الطير .
٢ أليح : أخاف ، أحاذر .

حكاية : إسلام حبيش على بعد العيش

ذكر أبو عمر محمد بن العباس بن حيويه الخزاز ، وقلته من خطه ، أن أبا بكر محمد خلف ابن المرزيان حدثهم قال : حدثنا أبو عبد الله محمد بن يوسف الكوفي ، حدثنا الهيثم بن عدي ، حدثني سعيد بن شيبان عن أبي مسعود الأسلمي عن أبيه قال :

نشأ فينا غلامٌ يقال له عبد الله بن علقمة ، وكان جميلاً ، فهوي جاريةً من غير فتحذه ، يقال لها حُبَيْشَة ، فكان يأتيها ، ويتحدثُ إليها . قال : فخرج ذات يومٍ من عندها ، ومعهُ أمّه ، فرأى في طريقه ظبيةً على رابية ، فأنشأ يقول :

يا أمّنا خبّرنا ، غيرَ كاذبةٍ ، ولا تشوي سؤولَ الخيرِ بالكذبِ
حُبَيْشُ أحسنُ أمّ ظبيِّ برايبيةٍ ، لا بل حُبَيْشَةُ من دُرٍّ ومن ذهبِ
انصرفَ من عندها مرّةً أخرى ، فأصابته السماءُ ، فأنشأ يقول :

وما أدري ، إذا أبصرتُ يوماً ، أصوبُ القَطْرِ أحسنُ أمّ حُبَيْشُ
حُبَيْشُ ، والذي خلقتَ البرايا على أن ليسَ عندَ حُبَيْشَ عيشُ
فلما كثرَ ذلك منه وشهّرَ بها ، قال قومُه لأمّه : إنّ هذا الغلامَ يتيمٌ ،
وإنّ أهلَ هذه المرأةِ يرغّبون بأنفسهم عنكم ، فانظري جاريةً من قومك
ممن لا تمتنع عليك ، فزيّنها وأعرضيها عليه لعلّه يتعلّقُها ويسلّي ؛ ففعلت ،
وحضرها نساؤها ، فجعلوا يعرضونَ عليه نساءَ الحي ، ثمّ يقولونَ له :
يا عبد الله ! كيفَ ترى ؟ فيقول : إياها ، والله حسناءُ ، إلى أن قال قائل :
أهي أحسنُ أم حُبَيْشَة ؟ فقال : مرعى ولا كالسعدانِ .

فلما يتسوا من أن ينصرفَ عنها ، قال بعضهم لبعض : عليكم بحُبَيْشَة ،

١ مرعى ولا كالسعدان : مثل من أمثال العرب أراد به هنا أن كل النسوة جميل ولكنهن لسن كحبيشة . والسعدان نبت له شوك وهو من أفضل ما ترعاه الإبل .

وَطَمِعُوا أَنْ يَأْتُوا الْأَمْرَ مِنْ قِبَلِهَا ، فَقَالُوا : وَاللَّهِ لَنْ أَتَاكَ ، لَا تَزْرِينْ بِهِ ، وَتَسْتَجْهَمِينَهُ ، وَتَقُولِينَ لَهُ : أَنْتَ أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَيَّ ، فَلَا تَقْرَبِينِي ، وَتَحْنُ بِمِرْأَى مِنْكَ وَمَسْمَعٍ ، لِيَفْعَلَنَّ بِكَ مَا يَسُوءُكَ ، فَأَتَاهَا ، فَلَمْ تَكَلِّمَهُ بِشَيْءٍ مِمَّا قَالُوا ، وَلَمْ تَزِدْ عَلَى أَنْ نَظَرَتْ إِلَيْهِ ، وَنَظَرَ إِلَيْهَا ، ثُمَّ أَرْسَلَتْ عَيْنَيْهَا بِالْبِكْمِيِّ ، فَانصَرَفَ عَنْهَا ، وَهُوَ يَقُولُ :

وَمَا كَانَ حُبِّي عَنْ نَوَالٍ بَدَلْتَنِيهِ وَلَيْسَ بِمُسْلِيٍّ التَّجَهَّمُ وَالْهَجْرُ
سِوَى أَنْ دَائِي مِنْكَ دَاءٌ مُوَدَّةٍ ، قَدِيمًا ، وَلَمْ يُمَزَّجْ كَمَا تُمَزَّجُ الْخَمْرُ
وَمَا أَنْسَ مِيلَ أَشْيَاءٍ لَا أَنْسَ دَمْعَهَا وَنَظَرْتَهَا حَتَّى يُغَيِّبَنِي الْقَبْرُ

فبينما هما على أشد ما كانا عليه من الهوى والصبوة ، إذ هجم عليهم جيش خالد بن الوليد يوم الغُمصاء ، فأخذ الغلام رجلاً من أصحاب خالد ، فأراد قتله ، فقال له : ألمسم بي أهل تلك البيوت أقضي إلهن حاجة ،^١ افعل ما بدا لك .

قال : فأقبلتُ به حتى انتهى إلى خيمة منها ، فقال : إسلم حُبَيْشَ بَعْدَ انقطاع العيش ، فأجابته فقالت : سَلِمْتَ وَحَيَّاكَ اللَّهُ عَشْرًا ، وَتَسْمَأُ وَتَرَأُ ، وَتَلَانًا تَتَرَى ، فَلَمْ أَرَ مِثْلَكَ يُفْتَلُّ صَبْرًا . وَخَرَجْتَ تَشْتَدُّ ، وَعَلَيْهَا خِمَارٌ أَسْوَدٌ ، وَقَدْ لَانَتْهُ عَلَى رَأْسِهَا ، وَكَانَ وَجْهُهَا مِثْلَ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، فَقَالَ حِينَ نَظَرَ إِلَيْهَا :

أَرَيْتُكَ إِنْ طَالَبْتُكُمْ فَوَجَدْتُكُمْ بِيْرَزَةً ، أَوْ إِنْ لَمْ تَفُتْنِي الْخِرَانِقُ^١
أَمَا كَانَ حَقًّا أَنْ يُنَوَّلَ عَاشِقٌ تَكَلَّفَ إِدْلَاجَ السَّرِيِّ وَهُوَ رَاقٍ^٢
فَلَيْتَ لَا سِرًّا لَدَيَّ أَضَعْتُهُ ، وَلَا رَاقٍ عَيْنِي بَعْدَ وَجْهِكَ رَاقٍ

١ الخِرَانِقُ ، الواحد خِرْفَقُ : القمي من الأرائب . ولا فدري ما المراد منه هنا . برزة : لعلها موضع .

٢ ادلاج السرى : السير في الليل كله . الراقق : الممجل .

على أن ما بات العشيّة شاغل ، فلا ذكر إلا أن تكون توامق^١
فها أنا مأسورٌ لَدَيْكَ مُكَبَّلٌ ، وما أنا بعدَ اليومَ بالعتبِ ناطقٌ
فأجابته :

أرى لك أسباباً أظنك مُخْرِجاً ، بها النفسَ من جنبي وَالرَّوْحُ زَاهِقٌ
فأجابها فقال :

فإن يفتلوني، يا حُبَيْش، فلم يدعْ
وأنت التي قفلتِ جِلْدِي عَلَى دَمِي
وهواك لهم مني سِوَى غُلَّةِ الصِّدْرِ
وعظمي وأسبكتِ الدموعَ على النَّهْرِ^٢
فأجابته فقالت :

ونحنُ بَكَيْنَا من فِرَاقِكَ مَرَّةً ، وأخرى، وقايسنا لك العُسرَ باليسرِ
فأنت فلا تبعدُ، فنعم أخو الندي ، جَمِيلُ المَحْيَا في المُرُوءَةِ وَالبِشْرِ
قال الذي أخبر به : فلما سمعتُ ذلكَ منهما أدركتني الغيرةُ ، فضربتَه
ضربةً ، فقتعتُ منها يَدَهُ وَعُنُقَهُ ، فلما رآتهُ قد سقطَ قالت لي : ائذن
لي أن أجمعَ بَعْضَهُ إلى بعض ، فأذنتُ لها ، فجمعتَه وجعلت تَمسحُ الترابَ
عن وجهه بخمارِها وتبكي ، ثمَّ شهقت شهقةً خَرَجَتْ معها نَفْسُهَا .

موت عروة بن حزام

قال أبو بكر بن المزيان وأخبرنا أحمد بن زهير ، أخبرنا الزبير بن بكار ، أخبرني أبي
قال : قال عروة بن الزبير :

مررتُ بوادي القسرى فقيلَ لي : هل لك في عروّة بن حزام ؟ فقلت :
الذي يلقى من الحبِّ ما يلقى ؟ قالوا : نعم ! فخرجتُ حتى جثته ، فإذا هو

١ توامق : تحب .

٢ قفلت : أبيت . قوله : عل النهر ، هكذا في الأصل .

في بَيْتٍ مُسْفَرِدٍ عن البيوت، وإذا، والله، حَوَّله أَخَوَاتُ له أمثالُ التماثيل ،
 وأُمَّه وَخَالَته . قال : فقلتُ له : أنتَ عرْوَةٌ ؟ قال : نعم ! قلت : صاحبُ
 عفرَاء ؟ قال : صاحبُ عفرَاء ، ثمَّ استَوَى قاعداً فقال : وأنا الذي أقول :
 وَعَيْنَانِ ما أوفيتُ نَشْراً فَتَنْظَرَا بِمَا فِيهِمَا إِلَّا هُمَا تَكْفِيفَانِ^١
 أَلَا فَاحْمِلَانِي ، بَارَكَ اللهُ فِيكُمَا ، إلى حَاضِرِ الْبَلْقَاءِ^٢ ثمَّ ذَرَانِي^٣
 ثمَّ التفتَ إلى أَخَوَاتِهِ فقال :

مَنْ ° كانَ من أُمَّهَاتِي بِنَاكِياً أَبَداً ، فَالْيَوْمَ لِي أَرَاكَ الْيَوْمَ مَقْبُوضاً^٣
 مَنْ ° كانَ يَلْحُوقُ لِي غَيْرُ سَامِعِهِ ، إِذَا عَلَوْتُ رِقَابَ الْقَوْمِ مَعْرُوضاً
 قال عروة بن الزبير : فلما سمعنا قوله برزنا والله يضر بن حُرَّ
 الوجوه ، وَيَشْفُقُنَّ جِوْبَهُنَّ . قال عروة : فقمْتُ ، فما وَصَلْتُ إلى منزلي
 حتى لحقني رجلٌ فقال : قد مات .

قصة عروة وعفرَاء *

نقلت من خط ابن حيويه : حدثنا أبو بكر بن المرزبان ، حدثني أبو العباس فضل بن محمد
 الزبيدي ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، أخبرني لقيط بن بكر المحاربي
 أن عروة بن حزام وعفرَاء ابنة مالك العُدْرِيِّين ، وهما بطن من عُدْرَةَ ،
 يقال لهم بنو هند بن حزام بن ضبَّة بن عبد بكر بن عُدْرَةَ ، نشأ جميعاً
 فَعَلَقَهَا علاقة الصبي ، وكان عروة يتيماً في حجرِ عمِّه ، حتى بلغ ، فكان
 يسأل عمِّه أن يزوجه عفرَاء فيسوقه . إلى أن خَرَجَتْ عِيْرُ لأهله إلى الشام ،

١ النشز : المكان المرتفع . تكفان : ترسلان الدع .

٢ البلقاء : موضع . ذراني : أتركاني .

٣ أراك : أظنك . مقبوضاً ، من قبض : مات .

وَحَرَجَ عُرْوَةَ إِلَيْهَا، وَوَقَدَ عَلَى عَمَّةِ ابْنِ عَمٍّ لَهُ مِنَ الْبُلْقَاءِ يُرِيدُ الْحَجَّ ، فَخَطَبَهَا ، فَزَوَّجَهَا إِيَّاهُ .

وَأَقْبَلَ عُرْوَةَ فِي عَيْرِهِ حَتَّى إِذَا كَانَ بِتَبُوكَ نَظَرَ إِلَى رِفْقَةٍ مُقْبِلَةٍ مِنْ نَحْوِ الْمَدِينَةِ فِيهَا امْرَأَةٌ عَلَى جَمَلٍ أَحْمَرَ ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : وَاللَّهِ ، إِنَّهَا شَمَائِلُ عَمْرَاءَ ، فَقَالُوا : وَيَحْسُكَ ! مَا تَرُكُ ذِكْرَ عَمْرَاءَ لشيءٍ ؟ قَالَ : وَجَاءَ الْقَوْمُ ، فَلَمَّا دَنَوْا مِنْهُ وَتَبَيَّنَ الْأَمْرَ بِبَيْسٍ وَبَقِيَ قَائِمًا لَا يَتَحَرَّكُ ، وَلَا يُحِيرُ كَلَامًا ، وَلَا يُرْجِعُ جَوَابًا ، حَتَّى بَعُدَ الْقَوْمُ ، فَذَلِكَ حَيْثُ يَقُولُ :

وَإِنِّي لَتَسْعُرُونِي لِذِكْرِكِ رِعْدَةً ، لَهَا بَيْنَ جَانِبَيْ وَالْعِظَامِ دَبِيبُ
فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ أَرَاهَا فُجَاءَةً فَأَبْهَتَ حَتَّى مَا أَكَادُ أَجِيبُ
فَقُلْتُ لِعَرَّافِ الْيَمَامَةِ : دَاوِنِي ، فَإِنَّكَ إِنْ أَبْرَأْتَنِي لَطَبِيبُ
فَمَا بِي مِنْ حَمَى وَلَا مَسَّ جِنَّةٍ ، وَلَكِنْ عَمِي الْحِمِيرِيُّ كَدُوبُ

قال أبو بكر : وَعَرَّافُ الْيَمَامَةِ هَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ عُرْوَةَ وَغَيْرُهُ مِنَ الشُّعْرَاءِ ، هُوَ رِيَّاحُ بْنُ رَاشِدٍ وَيُسَمَّى أَبُو كُحَيْلَةَ ، وَهُوَ عَبْدُ لَبْنِي يَشْكُرُ ، تَزَوَّجَ مَوْلَاهُ امْرَأَةً مِنْ بَنِي الْأَعْرَجِ ، فَسَاقَهُ فِي مَهْرِهَا ثُمَّ ادَّعَى بَعْدُ نَسَبًا فِي بَنِي الْأَعْرَجِ .

ثمَّ إِنْ عُرْوَةَ انصَرَفَتْ إِلَى أَهْلِهَا وَأَخَذَهُ الْبُكَاءُ وَالهُلَّاسُ حَتَّى نَحَلَ ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ شَيْءٌ ، فَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ : هُوَ مَسْحُورٌ ؛ وَقَالَ قَوْمٌ : بَلْ بِهِ جِنَّةٌ ! وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ هُوَ مُوسُوسٌ ، وَإِنْ بِالْحَاضِرِ مِنَ الْيَمَامَةِ لَطِيبًا يَدَاوِي مِنَ الْجُنِّ ، وَهُوَ أَطَبُّ النَّاسِ ، فَلَوْ أُتَيْمُوهُ ، فَلَعَلَّ اللَّهَ يَشْفِيهِ ، فَسَارُوا إِلَيْهِ مِنْ أَرْضِ بَنِي عُدْرَةَ حَتَّى دَاوَاهُ ، فَجَعَلَ يَسْقِيهِ السُّلْوَانَ ، وَهُوَ يَزْدَادُ سُقْمًا ، فَقَالَ لَهُ عُرْوَةُ : يَا هِنَاهُ ! هَلْ عِنْدَكَ لِلْحَبِّ دَوَاءٌ أَوْ رُقِيَّةٌ ؟ فَقَالَ :

١ السلوان : خرزة كان العرب يضعونها في الماء ويسقون المجنون أو المريض فيشفى في زعمهم .

لا والله . فانصرفوا حتى مروا بطبيبٍ بحجرٍ ، فعالجه وصنع به مثل ذلك ، فقال له عروة : والله ما دائي ودوائي إلا شخصٌ بالبلقاء مُقيمٌ ، فهو دائي ، وعنده دوائي .

وفي غير هذه الرواية : شخصٌ بالبلقاء مقيمٌ هو ورآني ، أي أمرضني ، وهزلني ، والورى داءٌ يكون في الجوف مثل القرحة والسلس .

قال سحيم عبد بني الحسحاس :

ورَاهُنَّ رَبِّي مَثَلَمَا قَدَّ وَرَيْنِي ، وَأَحْمَى عَلَى أَكْبَادِهِنَّ الْمَسْكَوِيَا

رجع الحديث قال : فانصرفوا به ، فأنشأ يقول عند انصرافهم به :

جَعَلْتُ لِعَرَافِ الْيَمَامَةِ حُكْمَهُ وَعَرَافِ حِجْرِ إِنْ هُمَا شَقِيَانِي

فقالا : نعم انشفي من الداء كله ، وقاماً مع العوادِ يبتدرانِ

فَمَا تَرَكَتَا مِنْ رُقِيَةٍ يَعْلَمَانِيهَا ، وَلَا سَلْوَةٍ إِلَّا وَقَدَّ سَقِيَانِي

فقالا : شفاك الله ، والله ما لنا بما ضمنت منك الضلوعُ يبدانِ

قال : فلما قدم على أهله ، وكان له أخوات أربعٌ ووالدةٌ وخالةٌ ، فمريضٌ دهنًا ، فقال هنَّ يوماً : اعلمنَ أني لو نظرتُ إلى عفراءَ نظرةً ذهبَ وجعي ، فذهبنَ به حتى نزلوا البلقاءَ مُستخفينَ ، فكأن لا يزالُ يُسلمُ بعفراءَ ، وينظرُ إليها ، وكانت عند رجلٍ كريمٍ سيّدٍ كثيرِ المالِ والغاشية .

فبينما عروةُ يوماً بسوقِ البلقاءَ ، إذ لقيه رجلٌ من بني عُدرةٍ فسأله عن حاله ومقدمه ، فأخبره . قال : والله لقد سمعتُ أنك مريضٌ ، وأراك قد صححتَ . فلما أمسى الرجلُ دخَلَ على زوجِ عفراءَ فقال : متى قدِمَ عليكم هذا الكلبُ الذي قد فضحككم؟ فقال زوجُ عفراءَ : أي كلبٍ هو؟ قال : عروةُ ! قال : أو قد قدِمَ؟ قال : نعم ! قال : أنتَ والله أولى بها منه أن تكونَ

١ وفي رواية أخرى : وعرف نجد .

كلباً ، ما علمتُ بقُدُومه ، ولو علمتُ لضممتُه إليّ .
 فلما أصبحَ غدا يستدلّ عليه حتى جاءه ، فقال : قدمتَ هذا البلدَ ، ولم
 تنزلِ بنا ، ولم ترَ أن تُعلمنا بمكانك فيكونَ منزلكم عندنا وعليّ ، إن
 كان لكم منزلٌ إلا عندي . قال : نعم ! نتحولُ إليك الليلة ، أو في غد .
 فلما ولّى قال عروة لأهله : قد كان ما تروونَ ، وإن أنتم لم تخرجوا معي لأركبنا
 رأسي ولألحقنَ بقومكم ، فليسَ عليّ بأسٌ . فارتحلوا وركبوا طريقهم ،
 ونكسَ عروة ولم ينزلْ مُدنفاً ، حتى نزلوا وادي القُرى .

وروى العمري عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبي مسكين أن
 عفراء لما بلغتْها وفاةُ عروة قالت لزوجها : يا هناء ! قد كان من
 أمرِ هذا الرجل ما بلغك ، ووالله ما كان ذلك إلا على الحسن الجميل ، ولأنه
 قد بلغني أنه مات في أرض غُربةٍ ، فإن رأيتَ أن تأذنَ لي فأخرجَ في نسوةٍ
 من قومي فيندبنه ويبكينَ عليه . فقال : إذا شئتِ ، فأذنِ لها ، فخرجتِ ،
 وقالت ترثيه :

ألا أيها الركبُ المخيونَ ويحكُم ! بحقٍ نعيتمُ عروةَ بنَ حزامِ
 فلا هنيءَ الفتيانَ بعدك غارةٌ ، ولا رجعوا من غيبةٍ بِسلامِ
 فقلْ للحبالي لا تُرجينَ غائباً ، ولا فرحاتٍ بعُدهُ بِغلامِ

قال : ولم تنزلْ تُردِّدُ هذه الأبيات وتبكي حتى ماتت ، فدُفنت إلى
 جانبه ، فبلغ الخبر معاوية ، فقال : لو علمتُ بهذين الشريفين لجمعتُ بينهما .
 وقد روي مثل هذا الكلام عن عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه .

وحدثنا أبو عبد الله محمد بن زكريا ، حدثنا العيشي عن أبيه قال :
 لما زوجت عفراءُ جعل عروة يضعُ صدره في أعطانِ إبلها ، وحيثُ

١ الاعطان ، الواحد عطن : مبرك الإبل .

كانت تجلس ، فقيل له : اتق الله ، فإن هذا غيرُ نافعك ، فأنشأ يقول :

بني اليأسُ ، أو داءُ الهَيَامِ سَقِيْتُهُ ، فليأْك عني لا يَكُنْ بكَ ما بيما

الهجران لأم

أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري ، حدثنا أبو القاسم طلحة ، حدثنا الجرمي بن أبي
العلاء ، حدثني الزبير ، حدثني عبد الملك بن عبد العزيز بن سعيد بن أبي سلمة :

أنشدني جدِّي يوسفُ بن الماجشون لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة :

كثَّمتَ الهوى حتى أضرتَّ بكَ الكتمُ ، ولا مَكَ أقوامُ ، ولتومهمُ ظلمُ
وتمَّ عليكَ الكاشِحُونَ ، وقبلهم
وزادكَ إغراءً بها طولُ هجرها ، قديماً ، وأبلى لحمَ أعظمِكَ الهَمَّ
فأصبحتَ كالهِنديِّ ، إذ ماتَ حسرةً ، على لآثرِ هِنديِّ ، أو كمن سَقِيَ السَّمَّ
ألا منَ لنفْسٍ لا تموتُ فيسْتَقْضي عتاهها ، ولا تحيا حياةً لها طعمُ
تجنَّبتَ إثيانَ الحبيبِ تائماً ، ألا إنَّ هجرانَ الحبيبِ هو الإثمُ
فدُقْ هجرها ، قد كنتَ تزعمُ أنه رَشادُ ، ألا يا ربِّما كذبَ الزعمُ

مصطبران على البلوى

أبانا أبو عبد الله محمد بن علي السوري الحافظ ، أخبرنا أبو الحسين بن روح النهرواني ،
حدثنا المعافى بن زكريا

أخبرنا محمد بن يحيى الصّولي عن أحمد بن يحيى أنّه أنشد :

هوى نأقتي خلفي ، وقد أمني الهوى ، وإني وإياها لمختلفان
هواي عراقي وتشتي زمامها ، كبرق سرى بعد الهدوء يماني
تحن وأبكي ، إنها لسليّة ، وإنّا على البلوى لمصطبران

فضل الشاعرة

أخبرنا أبو الحسين أحمد بن علي التوزي إجازة ، أخبرنا القاضي أبو عمر أحمد بن محمد بن
الغلاف ، أخبرنا الحسين بن القاسم الكوكبي ، حدثني حمز الكاتب ، أخبرني يحيى بن
الخصيب قال :

كنتُ عند فضل الشاعرة إذ استأذنَ عليها إنسانٌ فأذنت له ، وقالت :
ما حاجتُك ؟ قال : تجيزينَ مصراعَ بيتٍ من شعري . قالت : ما هو ؟ قال :
مَنْ لِمُحِبِّ أَحَبِّ فِي صِغَرِهِ

فصارتَ أحدُ وثمةً على كِبَرِهِ : فقالت :

مِنْ نَظَرٍ شَفَهُ وَأَرْقَهُ ، فكانَ مبدآ هَوَاهُ مِنْ نَظَرِهِ
لَوَلَا الأَمَانِي لِمَاتَ مِنْ كَمَدٍ ، مرُّ اللَّيَالِي يَبِيدُ فِي ذِكْرِهِ
مَا إِنْ لَهُ مُسْعِدٌ فَيُسْعِدُهُ بِاللَّيْلِ فِي طُولِهِ وَفِي قِصَرِهِ

١ الهدوء : المزيج من الليل .

شهقة الموت

قال محمد بن المرزبان ، ونقلته من خط ابن حيويه عنه ، قال : أخبرني بعض أصحاب المدائني ،
أخبرنا المدائني ، أخبرنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي قال :

كَانَ بِالْمَدِينَةِ رَجُلٌ مِنْ وَالدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ، وَكَانَ شَاعِرًا ،
وَكَانَتْ عِنْدَهُ ابْنَةٌ عَمٌّ لَهُ ، وَكَانَ لَهَا عَاشِقًا ، وَبِهَا مُسْتَهْرَأٌ ، فَضَاقَ ضَيْقَةً
شَدِيدَةً ، وَأَرَادَ الْمَسِيرَ إِلَى هِشَامٍ إِلَى الرَّصَافَةِ ، فَمَنَعَهُ مِنْ ذَلِكَ مَا كَانَ يَجِدُ بِهَا ،
وَكَرِهَ فِرَاقَهَا ، فَقَالَتْ لَهُ يَوْمًا ، وَقَدْ بَلَغَ مِنْهَا الضَّيْقُ : يَا ابْنَ عَمِّي ! أَلَا
تَأْتِي الْخَلِيفَةَ لَعَلَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَقْسِمَ لَكَ مِنْهُ رِزْقًا ، فَتَكْشِفَ بِهِ بَعْضَ مَا
نَحْنُ فِيهِ . فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ مِنْهَا نَشَطَ لِلخُرُوجِ ، فَتَجَهَّزَ ، وَمَضَى ، حَتَّى إِذَا
كَانَ مِنَ الرَّصَافَةِ عَلَى أَمْيَالٍ خَطَرَ ذَكَرُهَا بِقَلْبِهِ ، وَتَمَثَّلَتْ لَهُ ، فَلَبِثَ سَاعَةً
شَبِيهًا بِالْمَغْمَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَفَاقَ ، فَقَالَ لِلْجَمَّالِ : أَحْبِسْ ، فَحَبَسَ إِبْلَهُ ،
فَأَنشَأَ يَقُولُ :

بَيْنَمَا نَحْنُ فِي بِلَاكْتَ فَالْقَسَا عِ سِرَاعًا ، وَالْعَيْسُ تَهْوِي هُوِيًا
خَطَرَتْ خَطْرَةً عَلَى الْقَلْبِ مِنْ ذَلِكَ تَرَاكٍ ، وَهَنَا ، فَمَا أَطَقْتُ مُضِيًا
قُلْتُ : لَتَبَيْكَ ، إِذْ دَعَانِي لِكَ الشَّوْقِ قُ ، وَلِلْحَادِيَيْنِ رُدًّا الْمَطِيَا
فَكَرَّرْنَا صُدُورَ عَيْسٍ عِتَاقٍ ، مُضْمَرَاتٍ ، طُوِينَ بِالسَّيْرِ طِيَا
ذَلِكَ مِمَّا لَقِينَا مِنْ دَلَجِ السَّيْرِ رِ ، وَقَوْلِ الْحُدَاةِ ، بِاللَّيْلِ ، هَبَا

ثم قال للجمال : ارجع بنا ! فقال له : سبحان الله ، قد بلغت طيبتك
هذه أبيات الرصافة . فقال : والله لا تخطو خطوة إلا راجعة ، فرجع ،
حتى إذا كان من المدينة على قدر ميل لقيه بعض بني عمه ، فأخبره أن
امراته قد توفيت ، فشهو شهقة ، وسقط عن ظهر البعير ميتاً .

١ بلاك والقاع : موضعان .

جنون وعشق

أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد الاردستاني في المسجد الحرام بقراءتي عليه بباب الندوة، أخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب المذكر، أخبرنا أبو علي الحسن بن أحمد الصوفي القزويني، حدثنا شاذل، حدثنا يحيى بن سليمان المادرائي، حدثنا اسحاق بن ابراهيم الأبي قال :

رَأَيْتُ غَوْرَكَ يَوْمًا خَارِجًا مِنَ الْحَمَّامِ ، وَالصَّبِيَّانُ يُؤْذِنُونَهُ ، فَقُلْتُ :
 مَا خَبْرُكَ أبا مُحَمَّدٍ ؟ قَالَ : قَدْ آذَانِي هَوْلَاءُ الصَّبِيَّانِ ، أَمَا يَكْفِينِي مَا أَنَا فِيهِ مِنَ
 الْعِشْقِ وَالْجَنُونِ ؟ قُلْتُ : مَا أَظْنُكَ مَجْنُونًا . قَالَ : بَلَى ، وَاللَّهِ ، وَبِي عِشْقٌ
 شَدِيدٌ . قُلْتُ : هَلْ قُلْتَ فِي عِشْقِكَ وَجَنُونِكَ شَيْئًا ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَأُنْشِدُ :
 جُنُونٌ وَعِشْقٌ ذَا يَرُوحُ وَذَا يَبْغُدُو ، فَهَذَا لَهُ حَدٌّ ، وَهَذَا لَهُ حَدٌّ
 هُمَا اسْتَوَطَنَا جِسْمِي وَقَلْبِي كِلَاهُمَا ، فَلَمْ يَبْقَ لِي قَلْبٌ صَاحِحٌ ، وَلَا جِلْدٌ
 وَقَدْ سَكَنَّا تَحْتَ الْحَشَا ، وَتَحَالَفَا ، عَلَى مُهْجَتِي أَلَّا يُفَارِقَهُمَا الْجَهْدُ
 فَأَيُّ طَبِيبٍ يَسْتَطِيعُ بِجِيلَةٍ ، يُعَالِجُ مِنْ دَاءَيْنِ مِمَّا مِنْهُمَا بُدُّ

الفتى والشيخ العاشق

أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي إن لم يكن سماعاً فإجازة ، أخبرنا عبد الغفار بن عبد الواحد بن نصر الارموي ، حدثني أبو عبد الله الحسين بن محمد القاضي ، حدثني أبو بكر أحمد بن محمد الميموني ، حدثني محمد بن عمر ، حدثني أبو عبد الله الروذباري قال :

دَخَلْتُ دَرْبَ الزَّعْفَرَانِي ، فَرَأَيْتُ فَتًى قَدْ صَرَخَ شَيْخًا ، وَهُوَ يَكَلِّمُهُ
 وَيَعْضُّ حَلْقَمَهُ ، فَقُلْتُ لَهُ : يَا فَتَى أَتَفْعَلُ هَذَا بِأَبِيكَ ؟ وَظَنَنْتُهُ أَبَاهُ ، فَقَالَ :
 دَعْنِي حَتَّى أفرِّغَ مِنْهُ ثُمَّ أَحَدِّثْكَ بِقِصَّتِي ، فَلَمَّا فرَغَ قُلْتُ : يَا فَتَى مَا
 ذَنْبُهُ ؟ قَالَ : إِنَّ هَذَا يَزْعَمُ أَنَّهُ يَهُوَانِي ، وَكَهْ ثَلَاثُ مَا رَأَيْتُ .

زينة الله

أبانا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري ، أخبرنا أبو القاسم اسماعيل بن سويد المعدل ، حدثنا أبو علي الحسين بن القاسم الكوكبي ، أخبرنا عسل ، أخبرنا التوزي قال :
نظَرَ رَجُلٌ من قَرَيْشٍ إلى رَجُلٍ يَنْظُرُ إلى غِلامٍ وَضِيَ « الوَجْهَ » ، فَرَجَرَهُ ،
فَرَأَاهُ مُحَيَّرِيضَ الزَّاهِدُ فَقَالَ لَهُ : هَلْ رَأَيْتَ غَيْرَ النَّظَرِ ؟ قَالَ : لا ! قَالَ :
أَتُرِيدُ أَنْ تَبْطُلَ زِينَةُ اللَّهِ فِي بِلَادِهِ ، وَحَلِيَّتُهُ فِي عِبَادِهِ ؟

ينشد في ظل خيمة

أخبرنا أبو عبد الله الأندلسي الحافظ من لفظه ، حدثني الفقيه أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي ، حدثنا القاضي أبو بكر عبد الله بن الربيع ، حدثنا القاضي أبو علي ، حدثنا أبو بكر بن دريد ، حدثنا عبد الرحمن بن عمه قال :
بينما أنا سائرٌ بناحية بلاد بني عامر ، إذا برجلٍ يُنشدُ في ظلِّ خَيْمَةٍ له ،
وهو يقول :

أَحَقًّا ، عِبَادَ اللَّهِ ، أَنْ لَسْتُ نَاطِرًا ، إِلَى قَرَقَرَى يَوْمًا وَأَعْلَامِيهَا الْغُبْرُ ١؟
كَأَنَّ فُوَادِي ، كُلَّمَا مَرَّ رَاكِبٌ ، جَنَّاحُ غُرَابٍ رَامَ نَهْضًا إِلَى وَكْرِ
إِذَا ارْتَحَلَتْ نَحْوَ الْيَمَامَةِ رِفْقَةً ٢ ، دَعَاكَ الْهَوَى ، وَاهْتَجَّ قَلْبُكَ لِلذِّكْرِ
فَيَا رَاكِبَ الْوَجْنَاءِ ! أَبْتَ مُسَلِّمًا ، وَلَا زِلْتَ مِنْ رَيْبِ الْحَوَادِثِ فِي سَرِّ ٣
إِذَا مَا أَتَيْتَ الْعُرُضَ ، فَاهْتِفْ بِجَوْه : سَقَيْتَ عَلَى شَحَطِ النَّوَى سَبَلَ الْقَطْرِ ٣

١ قرقرى : موضع .

٢ الوجناء : الناقة الشديدة .

٣ العرض : بلد في الشام .

فإنكَ مِنُ وادٍ إليّ مُسرحبٍ ، وإن كنتَ لا تُزدارُ إلاّ على عَفْرِا
قال : فأذنتُ ، وكان نديّ الصوّتِ ، فلما رأني أوماً إليّ فأتيتُهُ ، فقال :
أعجبتك ما سمعتَ ؟ فقلت : إي والله ! فقال : أمن أهل الحضارةِ أنتَ ؟
قلت : نعم ! قال : فمن تكون ؟ قلت : لا حاجة لك في السؤال عن ذلك .
قال : أوماً حلّ الإسلامُ الضغائنَ ، وأطفأ الأحقادَ ؟ قلت : بلى ! قال :
فما يمنعك إذا قُلتَ : أنا امرؤٌ من قيس ؟ قلتُ : الحبيب القريب . قال :
فمن أيّهم ؟ قلت : أحد بني سعد بن قيس ، ثمّ أحد أعصر بن سعد . قال :
زادك الله قُرباً .

ثمّ وثبَ فأنزَلتني عن حماري ، وألقى عنهُ إكافه ، وقَيّدَه بِقِرَابِ
خِيميته ، وقامَ إلى زَنْدٍ فاقتدَحَ وأوقدَ ناراً ، وجاء بصيدانةً ٢ ، فألقى
فيها تمرأ ، وأفرغَ عليه سمنأ ، ثمّ لته حتى التبك ، ثمّ ذرّ عليه دقيقاً ، وقربه
إليّ ، فقلت : إني إلى غيرِ هذا أحوجُ . قال : وما هو ؟ قلت : تنشدُني .
قال : أصبتَ فإني فاعلٌ ، فلَقِمْتُ لُقَيماتٍ وقلتُ : الوعدَ ! قال : نَعْمى
عينٍ ، وأنشدني :

لَقَدُ طَرَقَتْ أُمُّ الخُشَيْفِ ، وَإِنَّهَا إِذَا صَرَخَ القَوْمَ الكَرَى لَطَرُوقُ ٣
فِيما كَبِيداً يُحَمَى عَلَيْها ، وَإِنَّها ، عَفاةً هَيضاتِ النَوَى ، لَخُفُوقُ
أَقامَ فَرِيقٌ مِنُ أناسٍ يودَهُمُ ، بذاتِ الغَضَا ، قَلْبِي ، وَبِانَ فَرِيقُ
بِحاجَةِ مَحزُونٍ يَظَلُّ وَقَلْبِيسُهُ رَهينُ بِيضاتِ الحِجَالِ صَدِيقُ ٤

١ تزدار : تُزار . العفر : ظاهر التراب . ولا نعلم ماذا اراد به الشاعر هنا .

٢ الصيدانة : القدر من النحاس .

٣ الخشيف ، تصغير الخشف : ولد الغزال . طروق : تأتي ليلا .

٤ بيضات الحجال : النساء .

تَحَمَّلْنَ أَنْ هَبَّتْ لِهِنَّ عَشِيَّةٌ جَنُوبٌ، وَأَنْ لَاحَتْ لِهِنَّ بُرُوقُ
كَأَنَّ فُضُولَ الرَّقْمِ حِينَ جَعَلْنَهَا ضُحِيًّا عَلَى أَدَمِ الْجِمَالِ عُدُوقُ^١
وَفِيهِنَّ مِيزَانٌ تَحْتَ السَّتَارِ تَحِلَّةٌ، تَسْكَادُ عَلَى غُرِّ السَّحَابِ تَرُوقُ
هَجِينٌ، فَأَمَّا الدَّعْصُ عَنْ أَخْرِيَاتِهَا فَوَعْتُ، وَأَمَّا خَصْرُهَا فَتَدْقِيقُ^٢
فَفَارَقْتُهُ، وَأَنَا مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ ظَمًا إِلَى مَعَاوِدَةِ إِنْشَادِهِ .

التفريق بين مؤلفين

أبانا القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سلامة القضاة عن أبي الحسن علي بن نصر بن
الصياح ، حدثنا أبو عمر عبيد الله بن أحمد السمار

أن أبا بكر بن داود الأصبهاني كان يدخل الجامع من باب الوراقين .
فلما كان بعد مدة عدل عنه وجعل دخوله من غيره ، وكنت مجترياً عليه ،
فسألته عن ذلك ، فقال : يا بني ! السبب فيه أنني في الجمعة الماضية أردتُ الدخولَ
منه فصادتُ عند البابِ حِدَتَيْنِ يَتَحَدَّثَانِ ، وكلّ واحد منهما مسروراً
بصاحبه ، فلما رأيتُني قالوا : أبو بكر قد جاء ، فتنفقا ، فجعلتُ على نفسي أن
لا أدخلَ من باب فرقت فيه بين مؤلفين .

* * *

- ١ الرقم : ضرب مغلط من الوشي أو البرود . الفسحيا ، مصدر الفسحى : حين تشرق الشمس .
أدم الجمال : سمرها . العذوق ، الواحد مذاق : وهو من النخل كالمنقود من العنب .
٢ الهجين : من كان أبوه عربياً وأمّه أمة . الدهص : الكتيب من الرمل شبه به مؤخرتها .
الوعث : السهل .

مصارع العشاق

الجزء الأول

٥	الشيخ أبو محمد القارىء
٣١	المأمون يسأل ما هو المشق
٣١	المشق داء أهل الظرف
٣٢	المشق أوله لمب وآخره عطب
٣٣	ذنوب اضطرار
٣٤	المجنون الشاعر
٣٤	الجنة لمن عشق وعف
٣٦	الماشق الشهيد
٣٦	سقراط والمشق
٣٧	الماشق التقي
٣٧	رواية ثالثة عن الماشق التقي
٣٨	عاقبوه في سفك دمه !
٣٩	مجنون دير هرقل
٤٠	هند المحرمة
٤١	المجنون الشاعر
٤٢	فراقية ابن زريق
٤٢	مجنون على الدرب
٤٣	لحم على وضم
٤٣	عقربا الملتفين
٤٤	قبر التديم
٤٥	مريض مطوح
٤٨	حي على الهم
٤٨	موت هروة بن حزام
ذو الرمة ورسيس الهوى	١١
موت الصوفي عاشق الغلام	١٢
عاشق يخاف ممصية الله	١٢
ليل العامرية ومجنونها	١٢
ردوا على المشاق قلبه الجريح	١٣
الرشيد وجارية زلزل	١٣
اطلبوا نفسي	١٤
وجهك أطرف	١٥
الميون الدعج	١٥
صريع الفواني	١٨
غليل ودموع	١٨
عبد الله بن جعفر وجاريته	١٩
صريعا الحب	٢١
أجساد بغير قلوب	٢١
السل داء الحب	٢٣
مجنون وعليلة	٢٥
الحب للحبيب الأول	٢٥
دين القدر	٢٦
سواجع وهوائف	٢٦
من الحب اليائس الى التمسد	٢٨
خارب بيته	٢٩
آه من اليبين !	٣٠

٨٢	هل يأتيكم نغمي ؟	٤٩	وفاء زوجة
٨٢	المرأة الفاجرة والحية	٥١	جميل والبنات العذريات
٨٤	أبو نواس والغلام عند الحجر الأسود	٥٢	حبنا ذاك الظلوم
٨٥	الزراغ الشاعر العاشق	٥٣	الظريفة العاشقة
٨٦	الزراغ في رواية أخرى	٥٤	عليان المجنون
٨٧	البلبل الناطق	٥٥	عاشق يموت كتماناً
٨٨	حزة وكثير	٦٠	جفني كأس ودمعي الراح
٨٩	يرى الدم حلالاً	٦٠	رأي سقراط في العشق
٩٠	هيني لا أبوح	٦١	لا أنت تدري بي ولا أدري
٩٠	ما كان قلبي حاضراً	٦١	شكوى المحبين
٩١	لم يبق إلا نفس خافت	٦٢	مجنون الميربند
٩١	ثمر يفرح ثمرأ	٦٢	ابراهيم بن المهدي والشعر
٩٢	ابنة أبي ربيعة وأبو مسهر	٦٣	راكب القصبة
٩٨	ماني الموسوس وعائلته	٦٣	الأمين . حبه للشعر
٩٩	من أشعار ماني	٦٥	ح بلاء
٩٩	لحى الله يوم البين	٦٦	أرض لوط
١٠٠	لروحات الحب نيران	٦٧	فاسق لم ينفرد له
١٠٠	ذو الرمة ومي	٦٧	امرأة صاحب المسحاة والملك
١٠١	أقرب السلام	٦٨	يقتل جاريته بريئة
١٠١	أيهما أسدق عشقاً	٦٩	قتيل لا يودي
١٠٢	يزيد بن عبد الملك وحبابة	٦٩	يقتلها ويبكي عليها
١٠٢	أبو السائب وشعر جرير	٧١	ظبيات لمن أسرى وقتل
١٠٣	عمر الوادي والراعي	٧١	إهدار دم الفاسق
١٠٣	من عشق ففت دخل الجنة	٧٢	عمر وابنة الشيخ الانصاري
١٠٤	قتل العاشقين	٧٤	سوسن العابدة ومرادها
١٠٥	ستان الصوفي والغلام	٧٥	يخون الغازي فيقتل
١٠٥	قتيل القيان	٧٦	ما أذنبت إلا ذنب صحر
١٠٦	لا سبيل إل وصله	٧٧	الحسناء المهجورة
١٠٦	الوائق وشعر الدارمي	٧٨	إنما يرحم الصحيح السقيما
١٠٧	الغلام وجارية المهدي	٧٨	يخصي المنفي
		٨١	تقتل سفاظاً على عرضها

١٣٠	قبور العشاق	١٠٨	سيد العشاق
١٣٠	ما ضرهم	١٠٩	قتيل المجران
١٣١	تملأ ساعة	١٠٩	ولما شكوت الحب
١٣١	فتاة مراة وخطيبها البكري	١١٠	دماء أهل الهوى هدر
١٣٢	التبسم النمام	١١٠	مواقع الأنفس
١٣٣	مي العادرة	١١٠	يحتمعان في القبر
١٣٤	اللمس والمرأة التي أحبها	١١٢	رد فؤادي
١٣٥	أبو دهيل والمرأة الشامية	١١٢	حديث عاشقين
١٣٧	الصوفي وغلّامه	١١٣	أموت بدائي
١٣٧	يكره الخلو بالغلّام	١١٣	مصارع العشاق
١٣٨	على طريقة ابن مدرّك الشيباني	١١٣	غريقا الهوى
١٣٩	عناية الله بخائفه	١١٤	التظير من البكاء
١٤٠	المجنون الأديب	١١٤	ما لقتيل الحب قود
١٤١	أربع نسوة وأربعة غربان	١١٥	الحب حلو ومر
١٤١	أبو السائب والغراب	١١٥	لم يفتها جواره ميتاً
١٤٦	لبنى صاحبة قيس بن ذريح والغربان	١١٨	تفارق قومها باكياً
١٤٧	قليبي بك	١١٩	يزيد يموت حزناً على حباية
١٤٨	قاتل الله الرقيب	١٢٠	الصوفي المتمفّف
١٤٨	معبد المني وغلّامه	١٢١	هويت شادناً
١٤٩	الفضل بن الربيع يهوى غلاماً	١٢١	دهر يُشت ويجمع
١٤٩	دمعة هطلت في ساعة البين	١٢٢	لو بدلت مساكنها
١٥٠	حنّ شوقاً وأنّ	١٢٢	الفرزدق والبلوية الحسنة
١٥٠	إيّاس وابنة عمه صفوة	١٢٤	العشق شغل قلب فارغ
١٥٣	إبليس يغني	١٢٤	يتهدد بالمجر
١٥٤	عمّة العاشق	١٢٥	لا جسم ولا قلب
١٥٤	المأمون والعباس بن الأحنف	١٢٥	الحب أعظم من الجنون
١٥٥	مهجور لا مسجور	١٢٦	كثير على قبر عزة
١٥٥	صيّرت لخطها سلاحاً	١٢٧	الموت أيسر ممّلاً
١٥٦	جمال يلهمي الناس	١٢٨	المينان القائلتان
١٥٧	مجنون مصلد بالحديد	١٢٨	مات على قبر حبيبته

١٨٢	الجارية المجنونة والزرع	١٥٨	إمّا موت أو حياة
١٨٣	دعاء ريحان المجنون	١٥٨	عاشقان يصليان
١٨٤	لا تمرض ولا تهرم ولا تموت	١٥٩	الحياة المانع
١٨٤	الغلام الشهيد	١٥٩	المشاق الأعفاء
١٨٥	أبن جويرية والغلام الجميل	١٦٠	سيوف البين
١٨٦	يبحن بالحنان	١٦٠	لقاء في الجنة
١٨٦	العظة القاتلة	١٦١	صخر بن الشريد وزوجته
١٨٧	خليلان في الجنة	١٦٢	فوم الفهد
١٩٣	الهارب إلى ربه والآيق من ذنبه	١٦٣	لم يفوا ولم يرحموا
١٩٧	الدب المنقطع إلى الله	١٦٤	ضجيج الكواكب
١٩٨	تصفيق القناديل	١٦٤	الهُوى حلو ومر
١٩٨	المشتاق إلى الجنة	١٦٥	زليخا ويوسف
١٩٩	أشعر من قال في منى	١٦٧	انتظري الدهر
١٩٩	أعين الإنس لا أعين الجن	١٦٧	هبوا ساعة
٢٠٠	قميص سعدون	١٦٨	الله يحذ التوايين
٢٠١	ذو النون الصوفي والمشتاقون	١٦٩	رجل لا يملك دمه
٢٠١	يا من يعز علي !	١٧٠	حنين المغنية الحسنة إلى بغداد
٢٠٢	كل كريم طروب	١٧٢	الأسود المتيم بالله
٢٠٣	عروة بن حزام	١٧٢	الشبلي وشعر المجنون
٢٠٣	جفون وجفون	١٧٣	سأل الله أن يتليبه
٢٠٤	القائلات الضمائف	١٧٤	ريحانة ناطقة
٢٠٥	الزوجة الفارك	١٧٤	عيسى بن مريم والأسد
٢٠٥	لابسة السواد	١٧٥	كمون الحب في الحشا
٢٠٦	ما لليالي وما لي	١٧٦	كل محب خليل
٢٠٦	يا جارة الحي	١٧٦	المكفوف المجذوم
٢٠٧	رابعة العلوية الصوفية ومنامها	١٧٧	زوجتان من الحور العين
٢٠٨	معاذة وغايتها من صلاتها	١٧٩	الشهداء في قباب ورياض
٢٠٩	معاذة تبكي وتضحك عند احتضارها	١٧٩	عيناه الجنة
٢٠٩	ذو الرمة ومي	١٨١	جارية تزور في المنام
٢١٢	تآلفا في الحياة وفي الممات	١٨٢	خود في قصر زبرجد

٢٣٩	الأطباء والمحبون	٢١٢	الهُوى إله معبود
٢٤٠	السوداء وحببيها عمرو	٢١٣	عمر بن عون وحببيته بيا
٢٤٢	مدرك الشيباني وعمرو النصراني	٢١٥	التقي مزيـز
٢٤٤	موسى في وقت الكلام	٢١٥	لا تنفع الرقى
٢٤٤	الحب يذهب بالحـب	٢١٦	ماتت على القبر
٢٤٥	صوفي سيء الحال	٢١٦	إسحاق وزهر الأعرابية
٢٤٦	الطرف الغرار	٢١٧	الضيف الضائع
٢٤٧	الهاتف بالليل	٢١٨	التفاح بدل الجمار
٢٤٧	لي سكرتان	٢١٩	قمرية الوادي
٢٤٨	سكينة وعروة بن أذينة	٢١٩	الصوفي وعلامه
٢٤٨	الحالك من عشق	٢٢٠	الصوفي المتكشف
٢٤٩	كوى ما كوى	٢٢٣	أبو اسماعيل وفتح الموصلـي
٢٥٠	قتله خير زواجها	٢٢٤	النفس حيث يحملها الفـي
٢٥١	خشفت شبه الحبيب	٢٢٥	المظة الناجمة
٢٥٢	العجوز المتصايبـة	٢٢٦	الحب الصارع
٢٥٣	أماتها ومات أسفاً عليها	٢٢٦	أم سبعة أنبياء
٢٥٤	عذبة الأنبيـاب	٢٢٧	المرقش الشاعر وأسماء
٢٥٥	يكـيت من الفراق	٢٣١	المحب الحاحد
٢٥٦	آه من الحب	٢٣٢	القبلة القاتلة
٢٥٦	قاتل الله الحمى	٢٣٢	ضل عنه قواده
٢٥٧	حديث كالقطر	٢٣٣	هل من آس لداء القلب ؟
٢٥٨	حديثها السحر الحلال	٢٣٣	بنت الوالي والسجين
٢٥٨	حديث كقطع الرياض	٢٣٤	دواء الحب غال
٢٥٨	مائي وللميد	٢٣٤	مرضـى الحب
٢٥٩	محتضر يصف نفسه في ساعة الموت	٢٣٥	القطيعة أذهب للعقل
٢٦٣	نومة عبود	٢٣٥	أنا أشعر من قيس
٢٦٤	عمر وعفراء وعروة	٢٣٧	سيف الفراق
٢٦٤	شجرتان ملتفتان على قبرين	٢٣٧	مصعدة القلوب
٢٦٥	القلب الخافق	٢٣٨	ليست له صبوة
٢٦٥	هاتف الجبل	٢٣٨	المأمون وجارية أبيه

٢٩٤	شعر ليحيى بن طالب	٢٦٦	المجنون الهائج
٢٩٥	غصة الحديث	٢٦٧	الناسك العاشق
٢٩٥	أفقى من الحب	٢٦٧	لا راحة ولا نوم
٢٩٦	نصيب وأم بكر	٢٦٨	آه من البين
٢٩٦	ابن أبي عتيق ونصير وسعدى	٢٦٩	يوم طش بعد رش
٢٩٧	عاشق يقتله الصد	٢٦٩	ابن أبي البغل والمغنية
٣٠١	شعر ملحون	٢٧٠	لا قضاة للعاشقين
٣٠١	قبر عاشق	٢٧٠	حديث الجنيد
٣٠٢	وفاة عزيز لا حياة ذليل	٢٧١	أصناف الناس
٣٠٢	أجمل الناس وأقبحهم	٢٧١	ذو النون والمريض
٣٠٦	لا يقبل الرسول	٢٧٢	فوح داود
٣٠٧	كيف يقتل الفاسق	٢٧٣	أيوب في بلائه
٣٠٨	ميتا الحب	٢٧٤	الجارية الصوفية
٣٠٩	إساءة الدنيا وإحسانها	٢٧٥	ما بهي جنون
٣١٠	عيون وخلود	٢٧٥	رابعة العلوية ورياح القيبي
٣١٠	جسم نازل وعظام	٢٧٦	دواء المحبين
٣١١	موت جميل بثينة	٢٧٦	يستحيي من الله
٣١٢	غشية تجيء وأخرى تذهب	٢٧٧	محبو الله أحياء وان قبراوا
٣١٣	الهم الملازم	٢٧٧	العباد على ثلاث منازل
٣١٣	الفنى المشدود بالحبل	٢٧٨	تاه في حب الله
٣١٤	حكاية : إسلام حبش على بعد الميـش	٢٧٨	عمر والزاني القتل
٣١٦	موت عروة بن حزام	٢٧٩	نصر بن حجاج وامرأة السلمي
٣١٧	قصة عروة وعفراء	٢٨٠	ضحيتا الهوى
٣٢١	الهجران إثم	٢٨١	غصص الموت
٣٢٢	مصطبران على البلوى	٢٨٢	الدماء المطلولة
٣٢٢	فضل الشاعرة	٢٨٣	ليل الأخيـلية والحجاج
٣٢٣	شهقة الموت	٢٨٨	علي بن صالح والقينة
٣٢٤	جنون وعشق	٢٨٨	ريقته مدام
٣٢٤	الفنى والشيخ العاشق	٢٨٩	عشق ليس فيه فحش
٣٢٥	زينة الله	٢٩٢	نظرة بتيسم
٢٢٥	ينشد في ظل خيمة	٢٩٢	قميص الكتان
٢٢٧	التفريق بين مؤتلفين	٢٩٣	طرف قتول

